وديعة ابرام

طه حامد الشبيب



وديعــة إبــرام

روايـــة

طـه حامـد الشبيـب

الدولاب يلفُّ بالاولاد وهم متشبِّثون بمقاعدهم يتضاحكون ؛ تنحدر بهم الدنيا تارةً حتى لا يكادون يمسّون الارض بسيقانهم المتدلية وتارة تصعد بهم شاهقةً فلكأنها تقذف بهم الى حضن السماء . وانا اقف غير بعيد أظلِّل عينيَ أرقب الغثيان يسري مني الى صغيري الذي اخذت الصفرة بوجهه. ركيزتا الدولاب منغرزتان مندقتان ، عميقاً في طبقة الارض التي لا بد انهما ، بل أُقسم على أنهما تطمرُ تحتهما نُفَّرَ ، مدينة أنليل . لقد اتخذها أنليل موطنا بعد ان فرغ من شطر جبل الكون الى ارض وسماء .. فصل ما بين السماء والارض بعد ان كانتا بدناً واحداً ، ثم شاء ان يستريح فاتخذ من نُفَّر موطناً له . ومن نفر نطق بكلمة الخلق فانخلق كل شيء بعد ذلك .

وعلى هذا النحو كانت الحكاية تمضي قبل اكثر بكثير من خمسة آلاف عام . اما الحكّائون فاربعة كانوا : لوسين ابن لولو ، وأُوردلا ابن سُرار ، ونمخاني ابن ايلوتي ، وأُبار ذاك الذي ابوه شوكليتو حاجب الملك لِيلَوم ، مَلِك اول مدينة ابتناها الناس في سومر.

الشُبّان الاربعة فلاحين كانوا .. الشُبّان الاربعة يزرعون الشعير خارج أسوار مدينة لِيلَوم . إلاّ انَّ أيامهم لن تملأها الزراعة حسب ؛ كما كان يؤكد شوكليتو لمليكه . أيامهم تنشغل بأمرٍ آخــر .. انهــم شُــبّانٌ مأخوذون بما في السماء : يسلب ألبابَهم القمرُ وهو يرتقي نَيِّراً يفيض نوره على الارجاء ؛ وكذا تفعل الشمس بهم وقُرصُها دامياً يغطس أمام نواظرهم في الافق البعيد .. وإنْ غاب القمر فازدحمت السماء بنجومها لن يتيهوا في تينكم الزحمة فيفقدوا آثارَ نيِّراتٍ ألفوها كأنَّهم يــألفون أنفسَهم . ولِيلَوم الملك يستمع لحاجبه وينود برأسه . ماكــان هــذا ليقرب شوكليتو اليه ولديه وزير ، والوزير أأثر إلى نفس المَلِك وعرشه ..ماكان لِيلَوم ليفعل ذلك لولا الضنك الذي صار يطبق على صــدره منذ أُعلنَ ملكاً على المدينة . ألا يستطيع الوزير كاجينا ابن آينمر أن يعينه على ضَنَكِه ؟ . كلا .. لا يستطيع ، لانه .. !!. فاذا بلِيلَوم الملك يهتبل أي سانحة يغيب فيها كاجينا عن البلاط ليتختلي بــشوكليتو .. ليستمع الى شوكليتو يتحدث عن ابنه أُبار وصحبه الشُبّان الثلاثة .

أشيحُ بعينيَ هنيهةً عن الدولاب رأفةً بصغيري ، فلا سبيل غير ذلك لقطع سريان غثياني اليه . اسمع كركراته تنطلق من آسارها فأُخمِّن أنَّ الصفرة قد زايلت وجهه .

قُبيلَ حلول الغسق يغتسل زُرّاعُ الشعير الاربعة ويرتدون أبهى جلود الغزلان ، ثم يعتلون الرابية المعشوشبة تانكم المطلة على بوابــة غرب مدينة لِيلَوم . هناك يفردون حصير البردي المضفور فيقتعــدونها ويتلبّثون يرقبون قرص الشمس يقطر حمرةً وهو يتزلق متلاشــياً وراء الافق . لاشيء من حولهم غير الصمت .. انفاسهم لااثر لها . فاذا مــا راح دبيب الظلام يطغى على السماء انبرت ذُبالة ســراجهم تُــضيء

مجلسَهم ، بما في ذلكم زِقَّ الجعّة الذي لن يلبث ان يغدو سيد المكـــان حتى انتصاف الليل . ذلكم هو ديدُنهم كل يوم . وشوكليتو يقـــسم لمليكه بأرواح آبائه أنَّ احداً من اولئك الشبّان لم يثمل يوماً .. يا ايها العظيم ؛ بولدي أُبار أثقُ .. أبداً أبداً لايكذب ، فالحق في قولته دوماً .. وسوى الذي ولدي إيّاه يدعي ، يا ايها العظيم ، كيف بقولاتٍ مثل هذه ألسنتُهم تنطقُ لو انهم يثملون ؟! .

.. انه نقيعُ شعيرهم ، يا شوكليتو ، وليس خمراً .. فلا باطلَ في قولتك أرى .

.. بين الناس أنتَ الأعلمُ ايها العظيم .

واذا اقتنع القوم فتجمّعوا في هذه البقعة من أرض ســـومر ، فابتنوا لهم بيوتا تتكيء جدرانها على بعضها بعضاً ، أعلوا سوراً يكتنفُ كل البيوت يحولُ دون الكاسر من الحيوان والطامع من البـــشر . ثم تنادوا تشهدُ على التئامهم شمسُ ظهيرة أحد الايام ، فاصـــطفوا مـــن بينهم لِيلَوم ابن إيناكلي حكيماً ابن حكيم كبيراً لهم .. كبيراً للمدينة التي لم تشهد سومر بعدُ مثيلا لها . ثم ما أنْ انسلخ عام وبعض العـــام على تينكم الظهيرة برز من نادى بلِيلَوم ابن ايناكليي ملكاً وليس كبيراً للمدينة حَسبْ . وكان على تينكم الجماعة التي نادت بالرجل الحكيم ملكاً ان تفصح للعامة عن معنى كلمة (مَلِك) ، وعن ميزة هذه الصفة وفرقها عن صفة (كبير المدينة) . فلما استقر المعنى في ضمائر النـــاس عمَّ الصمت المدينة ودامَ الصمت أياماً ثلاثة بنهاراتها ولياليها . فقـــال قائلٌ من الجماعة المنادية أنْ لاشيء يضارع الـــصمت علامـــةً لعـــدم الرفض. ثم أردف آخر : فالأناشيدَ اذن نَطلقُ .. فلا مثـــل الاناشـــيد للرضى علامة . ولم ينتظر ان يثني على ماقاله أحدٌ ، اذ سرعان ما رقَّقَ

صوتَه وطفق ينشد كلاماً أعدَّه سلفاً . أمّا اول المنشدين هذا فلم يكن سوى كاجينا ابن آينمر ، الذي لم يهدأ له بال حتى أقنع لِيلَوم ابن ايناكلي ، وما كان ذانكم اليوم قد انطوى بعدُ ، ان الملك لايغدو ملكا بحق الا اذا وقف الى يمينه وزيرٌ وعلى بابه حاجبٌ . فلما طلع نهار الغد كان كاجينا يقف الى يمين لِيلَوم الملك ، ولم يُبدِ تبرّماً حين جيء بشوكليتو متولّياً الحجابة . ذلكم ان شوكليتو كان الوحيد الذي وضع في البلاط خارج مشورة الوزير كاجينا ابن آينمر . فلقد اشار هذا الاخير على لِيلَوم بان يخلع الصفات التي لم يتَّصف بها أحدٌ من قبل على أفراد الجماعة التي نادت به ملكا . وهكذا كان : تولى أنتيمنا ابن آجا أمرَ مَسْكِ أحوال قصر الملك ، وتولى اوش ابن لوجال امر قيادة حُرّاس الملك ، وتولى لاما ابن زاجيري امر المناداة باوامر الملك في المدينة . وكان رأي الوزير كاجينا ان لا يُفرِّطَ الملكُ بباقي أفراد الجماعة .. فليجعلهم جُلاّساً له يصطفي منهم من يصطفي إذ تلحُّ الحاجة لامناء مُجرَّبين. اخذ لِيلَوم الملك براي وزيره وصار له جُلاّس منذ ذينكم اليوم .

هت لِيلَوم .. كاجينا ابن آينمر يا ايها الذي الى يميني يقف ، يا ايها الوزير انت ؛ للرجال أوكلنا ماأوكلنا وكُلّه عَجَبٌ .. أين القصر يا ابن آينمر ؟! وأين أموال القصر يا ابن آينمر ؟! وأين الحراس؟!. ايها الوزير كاجينا ابن آينمر اين أوامري انا الملك لِيلَوم ابن إيناكلي تانك التي بها ذانك الرجل ابن زاجيري سينادي ؟!

.. عند شروق شمس الغد ، أهلُ مدينتك ببناء قصر ملكهم سيبدأون ، وعند شروق شمس الغد للملك ليلَوم ابن إيناكلي حُرّاساً سيكونون ، الرجُلَ من الناس يخزرون فالرَجلُ يخرُّ لاوعيَ له .. الحُراسُ أولاء لاما

ابن زاجيري سيرافقون وهو في طُرقات المدينة بأول أمرٍ الملكُ سيُصدرُ ينادي : الملكُ لِيلَوم ابن ايناكلي أهلَ مدينته يأمرُ بأنْ أمــامَ وزيــره كاجينا ابن آينمر يتجمعون .. وزيره الحصيف يخبرهم أين قصرَ الملك يبتنون وكيف القصرَ يبتنون .. هذا هو أول أمرٍ الملكُ لِيلَــوم ابــن ايناكلي سيُصدرُ .. فلا ملكَ لنا يكون إنْ لم له قصرٌ يكــون . ومــن رمشة العين هذه بالعظيم إيّاك ننادي يا ايها الملك لِيلَوم ابن ايناكلي .. جميعاً علينا أنْ بالعظيم إيّاك ننادي .. العظيم .. اجلَ ذلكم هو انت .

وسيتذكر شوكليتو في وقفته الاولى تينكم على باب البلاط ، الذي لم يكن بعدُ بلاطاً كما يتمنى الوزير .. سيتذكر كيف كَلَحَ وجهُ لِيلَوم الملك واكتدرت عيناه وشحبت شفتاه ، وهو يسمع مــن ابــن آينمر ما اختتم به قولته ؛ ثم لم يملك هذا الا ان غمغم كأنَّه يتحدث الى نفسه : إي كاجينا ابن آينمر .. عجباً عجاباً في عبِّك تخفى ، فما اضيقَ أُذنيَّ دون قولتك !!.

الدولاب لا يزال أمامه وقتٌ طويل قبــل ان يتوقــف عــن اللفِّ..فأولاء هم الصغار يتوسلون صــاحب الــدولاب ألاّ يوقــف دورانه. صغيري واحدٌ منهم صوته يصأصيء بتوسلاته غير مكتــرث بغثياني الذي يسري اليه بين حين وآخر كلما سمَّرتُ عينيَ بالدولاب.

أُوردلا ابن سُرار يمسح فمه من رغوة الجعّه بظاهر قبضة يده .. لوسين ، أُبار ، نمخاني .. أَيها الصِحاب أنتم؛هل منكم مَــنْ قلبُــه مُدرِكٌ ، فقولته عن الذي بالحمير والبَقر يجمعنا؟.

اعتدل لوسين جالساً من اضطجاعته ووضع أُبــار ونمخــاني كوزَيهما على الارض المعشوشبة ، ثم رفع نمخاني السراج يُقربه مــن وجه أُوردلا .. ثملا إيّاك لا أحسبُ .. لا .. لا تقل ثملاً أنت .. فاكثر

من ثلاثة أكواز ما كرعتَ يا ابن العم سُرار. و اردف لوسين : سوى اننا الشعيرَ نأكلُ ومثلما الحمير والبقر تتسافدُ نتسافدُ ، فليس ثمة بهؤلاء المحترمين ما يجمعنا. ووسط ضحك أُبار ونمخاني قال أُبار: ايها العزيز أُوردلا: يا زرّاع الشعيرَ أُوردلا: غير الذي في قولة ابن لولو قد يسعنا ان نجد ، .. ولكن هناك شئ في رأسك اليه نرى فلا نرى .. عليه إيّانا أُظهِرْ فلا تُبطيء.

.. ابن العم شوكليتو صدقتَ .. أُبار ايها العزيز صدقتَ .. عليَّ أنْ ليلتكم لا أُفسد .. على أُوردلا ان لا يُبطيء فصحبَه يُظهرُ على ذينكم الذي نحن الاربعة بالحمير والبقر يجمعنا .. اجل .. فأذانكم أذلّوا اذن.

وراح شوكليتو يقصُّ على مليكه كيف ان الشُبّان الثلاثة ظلوا فاغري الافواه وهم يستمعون الى أُوردلا يفيدُ بانهم والحمير والبقر يجمعهم جامعٌ يتقدم على كل ماسواه وهو انهم جميعا ينظرون الى مايحدث في السماء والى ما يحدث على الارض ثم يكتفون بالنظر والتعجب .. ايها العظيم هذا الولد ابن الرجل الاعمى سُرار قولتهُ لصحبه انهم وكذلكم الحمير والبقر لايحاولون ان يعرفوا كيف كل ذينكم في السماء وعلى الارض يحدث ، فلا انفسهم يسألون ماهو الشيء الذي يجعله يحدث .

.. شوكليتو ايها الحاجب الذي أأتمنُ ، دونما اسراف في الكلام ما عندك إيّاه هات .. شوكليتو هل ذانك الفتى إيّاهم جعل أنفسهم يسألون؟!

.. يا مَنْ لا عظيم غيره بين الناس ؛ حقاً لا ادري .. ولكن أُوبار قولتهُ لي انه هو ونمخاني ولوسين بعد ذاك عن شرب الجعّة في ما تبقى من تينك الليلة امسكوا .

اول ظهور حُرّاس الملك في مدينة لِيلَوم كان في هيئة رهط من الاشداء الغلاظ .. عشرة من الاشداء الغلاظ هيّأهم كاجينا ابن آينمر قبل ان ينتهي به الامر وزيرا الى يمين الملك .. هيّأهم ليكونـــوا رهـــن اشارته .. ولما اطلق اشارتَه هبّوا برماحهم ومديهم يحفّون بلاما ابـــن زاجيري وهو يدور في طرقات المدينة بنداء لَقَّنَه إيّاه الوزير : هذا أمرٌ من العظيم لِيلَوم ابن إيناكلي ملك مدينتنا دُرَّة سومر ، والملكُ أمرٌ له لا يُعصى .. أمرٌ لكل الرجال ولكل مَنْ له شَعرٌ في عانته من الصِبية قد نبَتَ أنْ يهرعوا من رمشة العين هذه الى الوزير كاجينا ابن آينمر .. الى حيث بقولته الوزير كاجينا ابن آينمر سينطقُ .. وطالعُ السوء طالعـــه من لايلبِّي .

ثم اكتفى الحُراس العشرة بان اطلقوا زئيراً مكتوماً وعيـــونُهم تقذف على الناس نظرات كأنها الشرر . نظرات تنقذف مـــن وســـط وجوه مكفهرَّة ، تفاقم اللحى الشعثاءُ والحواجبُ الكثّةُ المنكوشةُ من اكفرارها . فاذا بالرجال ، لا فرقَ بين شاب وشيخ ، يلقون ما بايديهم ويفزعون يتسابقون نحو بيت لِيلَوم ابن إيناكلي الذي نودي به مَلكـــاً قبل يومين . أمّا صبية المدينة فلقد وجدوا انفـــسهم يكـــشفون عـــن عوراتهم لأُمهاتهم الفَزعات يتأكّدن بأنفسهن مما اذا كان قد نبت شعرٌ في عانات اولادهن أم لا . ومَنْ كانت تجدُ منهن شعراً تضمُّ قبـــضتها وتروح تلطمُ بها صدرَها وهي تعول في وجه صبيِّها تحضُّه على الاسراع الى ابن آينمر .

أمام بيت لِيلَوم الملك اعتلى الوزير كاجينا حجراً هُيِّء لـــه ، وأمامه في الساحة الواسعة تسمَّر المطلوبون من اهـــل اول مدينـــة في سومر ؛ ثم لم يلبث ان شقَّ صراخُه السكونَ الذي عمَّ المدينة بأسرها ..

يا اهلي .. يا رجال مدينة العظيم لِيلَوم ابن إيناكلي .. أأحدٌ منكم تخلَّفَ؟..

فأجاب صوتٌ يقف صاحبُه في الخط الثاني من الحشد : يا ابن آينمر .. غير الرجال الذين هم في المزارع منذ كان نجمُ الصباح في السماء يلوح ، أحدٌ ماتخلّف .

زمجر الوزير كأنَّ أحدهم بصقَ في وجهه : بالوزير كاجينا ابن آينمر تناديني يامَنْ في مملكةٍ من قبلُ لم يَعشْ .. وبالعظيم عليكم جميعا أنْ الملكَ تخاطبوا .. ومَنْ قلبُه قولتي هذه لايدركُ ، فحُرّاسُ الملك جاعلوه إيّاها يدركُ .. (واشار الى الحراس على جانبيه الذين ضربوا بأعقاب رماحهم الارض وانشأوا يفحّون زئيراً مكتوماً).. أمّا اولئك الذين هم الان في المزارع .. خارج سور مدينتنا الان ، فعليهم أنْ بكم في وقفتكم هذه يلتحقون .. لا شيء اليوم وفي القادمات من ايامكم عن بناء قصر الملك إيّاكم يشغلُ .. لا هيبةَ لمدينتنا إلاّ والملكُ عليها ، ولا هيبةَ للملك إلاّ والقصرُ تحتَهُ .. القصرُ الذي لرؤيته الرائح والغادي يخشعُ .. هيّا وقبل أنْ عيونكم تطرفَ جماعةٌ منكم الى المزارع فلتهرعُ .. الى حيث المزارع جماعةٌ منكم فلتهرعْ .. الرجال أُولاء لنا احضروا .. بالمعاول والمحاريث بعيداً فليلقوا ، فقصرُ الملك إعلاؤه على أي شيء آخر يسبقُ .. لا هيبةَ لمدينتنا دون هذا القصر الذي ستُعلون .. دون هذا القصر الذي ستُعلون لاهيبةَ لمدينتنا .

وفي بحر أسابيع ثلاثة ، او اقل من ذلك بيومين ، ارتفع القصر حتى بات يراه مَنْ هو بعدُ عند سور المدينة .. ارتفع قصر لِيلَوم الملك بناءً لم تشهد له مثيلا عينُ بشرٍ من قبلُ .. قصر لِيلَوم ابن إيناكلي ارتفع فوق ربوةٍ غير تينكم الربوة المعشوشبة غربي المدينة .. ربوة

القصر اختارها الوزير كاجينا شمالي المدينة ، في موقع الرأس من البدن.

في تينكم الايام ، والناس بين مُصدِّق ومُكذِّب انهم أقاموا قصراً حقّاً وحقيقةً ، دار عليهم ابن زاجيري .. في طُرقات مدينتهم دارلاما ابن زاجيري بأمرٍ قال عنه انه أمرُ الملك لِيلَوم ابن إيناكلي ، إلاّ ان شوكليتو يؤكِّد أنَّ الوزير كاجينا هو من صاغ الامر .. يا اهل مدينتي انا لِيلَوم الملك .. سروري ما أعظمه وفرحتي بكم ما أبهاها وانا إيّاكم أرى قد أعليتم هذا القصرَ الذي مثله بشرٌ من قبلُ ما أعلى .. الاّ أنَّ هذا الذي به تفخرون ونفخرُ ، أجوفَ الريحُ فيه تصفرُ سيبقى إنْ خزائنه لم تملأوا .. خزائنَه إنْ إياها لم تملأوا فالريحُ تصفرُ فيه سيبقى .. واياها لن تملأوا حتى للقصر في أموالكم نصيباً يكون ؛ ونصيبُ القصر الثُمنُ مما تملكون .. عن ذينكم لا يقل وعن ذينكم لا يزيد .. هذا أمري على رؤوسكم به ألقي ؛ وأمرَ مليكه لا يعصي الا سيّءُ حظٍّ لعينٌ .

يقول شوكليتو ان لِيلَوم الملك قد غضب غضباً شديداً حين علم بالنداء الذي دار به لاما ابن زاجيري على اهل المدينة . ثم انه لم يتمالك نفسه فكان صوته متهدِّجاً ، يوشك ان يبكي وهو يلوم وزيره .. أأنا الذي على أهله مثل هذا الفرض يفرضُ ؟.. يا ابن آينمر ماذا ظننت ؟.. ماذا ظننت يا ابن آينمر ؟. هل أنَّ الفرحَ قلبي سيملأُ إنْ خزائنُ القصر بأموال المزارعين أُولاء امتلأت ؟!.

فأومأ كاجينا ابن آينمر للحُرّاس أنْ اخرجوا ، فانسلّوا يبرحون باحة البلاط واحداً تلو الآخر ؛ وفهم جُلاّس الملك ان عليهم ان يغادروا البلاط ايضا . واذا خلا المجلس إلاّ من الملك ووزيره والحاجب الذي أحكم غلْقَ باب البلاط من الداخل .. يا ايها العظيم

الفرحُ قلبَك يملأُ لا بد .. لا بد للفرح ان قلبَك يملأ ايها العظيم وانت ملكاً بحق تصيرُ .. والملك ملكاً بحق لا يصيرُ حتى قوياً يصير ، الشيءُ اليه يرى حَسْب فالشيءُ طوعَ أمره يكون .. ولا شيء مثل المال الملكَ قويّاً يصيّرُ .. والمالُ الى خزائنك من السماء لا يهــبط ، ولا الارض تنشق فمنها المال الى خزائنك يخرج .. المالُ من الناس في هذه المدينــة دُرَّة سومر اياك ياتي .. من أهلك المالُ إيّاك يأتي .. اليك إنْ رأوا أحامياً لهم لا يرون ؟؟.. كيف إيّاهم تحمي من دون قوة .. بلا ســلطان ؟!..
الفرحُ قلبَك يملأ ايها العظيم لابد ، ووزيرُك كاجينا ابن آينمر بالقوة والسلطان إيّاك يدجّج .. بكلمة الارادة نطقتَ فأوش ابن لوجال قائداً لحراسك باتَ ؛ ثم وزيرُك الامرَ تدبَّر فالحرّاسَ أعدَّ فاذا بابن لوجــال بكل الصدق قائداً للحراس يكون .. وبكلمة الارادة يا ايها العظــيم نطقتَ ، فلاما ابن زاجيري متولّياً شأنَ المناداة بأوامر الملك بــاتَ ؛ ثم وزيرُك تدبَّر .. انا كاجينا ابن آينمر صوغَ الاوامر تدبّرتُ ، واذا بابن زاجيري قائماً على شأن المناداة بالاوامر حقّاً يكون .. ثم كلمة ارادتك الثالثة كانت ..بكلمة ارادتك للمرة الثالثة نطقت إنتيمنا ابــن آجــا مَسْكَ أموال القصر تولّى .. أنتيمنا ابن آجا الاموالُ في خزائنه عنــد شروق شمس الغد ستكون ، فبكل الحق متوليّاً شأنَ الخزائن سيغدو .. فلماذا الفرحُ قلبَ العظيم ليلَوم ابن إيناكلي مليكنا لا يملأ؟.
.. كاجينا أيها الوزير لا حجَّةَ عندي شوكةَ حجَّتك تكسرُ .. انمــا لا ادري لماذا أبوابُ قلبي دون هذا الفرح مُغلَّقةٌ .. الفرحُ الذي عينــاك إيّاه ترى ، وعيناي لاترى .
.. يا ايها العظيم ؛ المملكةُ خاطرٌ في قلوبنا يوماً خطرَ ؛ وها نحن ذينك الخاطرَ حيّاً إياه نجعلُ فعلى الارض بيننا يعيش . فالعظيمُ لِيلَوم الملــكُ

بأبواب قلبه لا يعبأنّ .. بأبواب قلبه العظيم لِيلَوم الملــك لايعبــأنّ ، فتنغلق وتنفتح كما تشاء إياها ليدَعْ .. فلا اخطر عدواً للملكة مــن قلب مَلك .

لِيلَوم ابن إيناكلي رَبِعُ القامة ممتليء البنية ، لم يُبق الشيب في رأسه سواداً وقد تجاوز عمره الخمسين واقترب حثيثا مــن الــستين . ينسكب بياض شعره على كتفيه خصلات تلصفُ تحت أي بــصيص ضوء . ينظر المرء الى عينيه فتتولى المرءَ سًكينةٌ لا تبرحُهُ . على مبعدة خطوتين عنه يقف كاجينا الوزير بقامته المديدة المحدودبة قليلاً ووجهه النحيل المتقع الاملط إلاّ من بعض شُعيرات تنــاثرت علــى خدّيــه وأُخريات رسمت خطّاً باهتاً فوق شفته .. يقف وعمرُه لم يبلغ الاربعين بعدُ ..الان فقط يا ابن آينمر عليَّ ان أبكي .. ياكاجينا الــوزير الان فقط علي أن ابكي وأنا قَدَراً لافكاك منه أواجهُ .. فحــتى لــو الآن تراجعتُ وعن هذا العرش الذي عليه اياي وضعتم رغبتُ .. (وصمت كأنه لا يجد الكلام).. ماذا عساي أن اقول؟.. الا بئس مابه حــديثَك اختتمتَ . وتهالك الى جوف كرسي عرشهِ يخفي وجهه بين كفَّيه وهو يختضُّ مُجاهداً في حبس إجهاشته .

لا .. الدولاب لن يتوقف عن اللفِّ . لقد بدا لي ، وألمٌ خفيــفٌ راح ينشب اظفاره بمعدتي ، انه كان يلفُّ خارج سيطرة صاحبه .. لقد بدا لي أنْ لاصاحبَ له وسيبقى يلفُّ بالاولاد الى أبد الابدين .

ومثلما تعهد الوزير كاجينا ، كان شروق شمس اليوم التــالي موعدا لانتيمنا ابن آجا كيما يكون بحق متولّياً أمرَ أموال القــصر .. كيما يكون بحق قائماً على خزائن القصر .فلسوف تمتليء سلال سعف النخيل بصُرر النقود ولن يكون بوسعه ان ينجــز الجبايــة وحــده

فيستخدم ثلاثة ممَّن لا مَزارعَ لهم ولا اية حرفة اخرى من اهل المدينة .. يستخدمهم ، حسب مباركة الوزير ، مساعدين له في هذه المهمة ، وفي ما تبقى لهم من عمر . وعند ظهيرة ذينكم اليوم سيطلب ابن آجا استخدام رجلين آخرين ، فلقد تبيَّن ان بعض المـــزارعين جـــاءوا لا يحملون صُررَ نقود وإنما جاءوا يجرّون وراءهم ثيراناً وعجولاً وكان نفر منهم يهش على غُنيماتٍ تدرج امامه .. ذانكم ما كـــانوا يملكـــون ، لاشيء آخر يملكون . واذ بارك الوزير كاجينا اســـتخدام الـــرجلين والحاقهم برجال انتيمنا ابن آجا ، لام نفسه كثيرا على غِفلته .. كيف لم يتنبه الى هذا الامر .. كيف لم يأمر بانشاء حظيرةٍ مُلحقَة بالقصر ؟؟ كيف ؟. كان يضرب على جبهته وهو يلوم نفسه .. كان يفعـــل ذاك على مرأىً من حشد الناس الذين ما زالوا ينتظرون دورهم في تسديد نصيب القصر من اموالهم . فشقَّ عليه مايرون ، واندفعوا نحـــو ابـــن آينمر يهوِّنون من وقع الغِفلة عليه وأمسك بعضهم بيمناه يحولون بينها وبين جبهته . ثم دون ايما ابطاء تصاعدت الاصوات تقسم بأنَّ احداً لن يبرح المكان حتى يدبّروا سقيفةً لبهائم القصر .

ولما انسلخ النهار ، اجتمع لِيلَوم الملك بوزيره وانتيمنا ابـــن آجا من دون الاخرين من رجال القصر .. اجتمعوا وقد انيرت باحـــة البلاط بسُرُج زيت البذور . شوكليتو كان على باب الـــبلاط يـــرى ويسمع . لِيلَوم الملك ما برح غَمُّ اليوم الفائت يتشرَّب وجهَه .. ايها الوزير كاجينا وانت يا ابن آجا لي قولا هل جعلتم الناس يطمئنّون الى أنَّ اموالهم الى خزائن القصر مُنتهيةٌ لا الى مكان آخر ؟.

.. الشكُّ ايها العظييم اهلَ مدينتكَ لا يساورُ في أنَّ الذي نحن رجالك نفعلُ عن منفعة يتطلعون اليها لايحيد .

.. ايها الوزير .. بوضوحٍ ايّاي لا اظنك ستجيب .. يا ابن آجا انـــتَ لسانُك فلينطقْ .. هل الناسَ جعلتم على أمواهم يطمئِّنـــون ، ففـــي خزائن القصر داخلةٌ هي حقّاً وحقيقة ؟.

واذا بانتيمنا لا تفتر له شفةٌ واذا بعينيه تلوذان بعينَي الوزير . فيدرك هذا الاخير ان عليه اولا واخيرا ان يتولى الامر بنفسه فينبري .. أيها العظيم ؛ على ابن آجا شهوداً جعلتُ وهو من النـــاس امـــواهم يتسلَمُ .. رجالَهُ الخمسة الذين معه يعملون عليه شهوداً جعلتُ ايهـــا العظيم .. ثلاثة منهم على صُرر النقود التي الخزائن دخلتْ شـــهوداً ، والاثنان الآخران ، على الماشية وهي تُربَط في المكان الذي حظيرةً صارَ الان مُلحقةً بالقصر ، شهدا .

.. أعاملين لديكم شهوداً على أمرٍ جَلَلٍ كهذا يا ابن آينمر تجعلُ ؟!.. الناسُ ما قولتُهم عنّي اذن تكون ؟.. هذا الذي كبيراً لمدينتنا كان فعلينا ملكاً إيّاه جعلنا منّا يسخرُ وعلى لِحانا يضحكُ ؟.. ابن إيناكلي حكيم قومه منّا يسخرُ ؟!.

كان لِيلَوم الملك جالساً على كرسي عرشه وأمامه يقف الوزير وصاحب الخزائن ؛ فاذا بالوزير كاجينا يأتي حركةً لم يأتها احدٌ غيره من قبلُ .. لقد تقدَّم من الملك وجثا على ركبتيه وطأطأ رأسه ؛ ثم وهـــو مطأطيء الرأس .. عن السخرية من قومك ايها العظيم سَمَوتَ. انمـــا هي هَنةٌ عليها الوزير يُلامُ ..انا كاجينا ابن آينمر الوزير على كل هَنة الناسُ في مانفعل يرون أُلامُ .. لهذا انما على يمين مليكه الوزيرُ يقفُ .. إنما على كاهله كلَّ الاخطاء ليحملَ والخطايا اذ الى يمين مليكه الوزير يقفُ .. العظيم لِيلَوم اين إيناكلي اول مَلك لمدينة على كل الأرضين، ومملكتنا اول مملكة على كلِّ الارضين .. نحن اذن ايها العظـــيم مَـــنْ

بالسُنَن ينطقُ .. بالسُنَن سُنَن الممالك والملوك نحن يـــا ايهـــا العظـــيم نـنطقُ..

ثم التفت الى انتيمنا ابن آجا وراءه .. ياصاحب خزائن القصر يا ابن آجا تقدم والى جانبي إجثِ .. كما اجثو لمليكي ومليكك إجثِ .. فهذه انما هي سُنَّةُ من السُنَن الَتي اياها نسنُّ علينا وعلـــى نـــسلنا تسري .

يقول شوكليتو أنَّ تينكم الكلاحةَ ، التي رآها ليلَوم الملـــك والاكتدارَ في عينيه يوم اعلن كاجينا على رؤوس القوم أنَّ علـــيهم ان ينادوا ملكهم بالعظيم ، يراها الان بل تفاقمت اذ طَعُنت فـــازدادت حدّةً .. شوكليتو لا يرى كل ذاك في واقع الامر وحَسْب ، بل اضافة عليه يرى الان قلقاً قبضَ على كامل وجه لِيلَوم الملك . ثم لن يتأكد مما راى في تينكم الليلة .. لن يتاكد شوكليتو من ذينكم القلق يتناهـــب قسماتِ الملك حتى يُدنيه هذا من نفسه فيبوحُ له بما يختلج في قلبـــه . ولن يُدنيه منه ويختلي به ، خلل غيابات الوزير عن البلاط ، الا بعـــد شهور .. شهور نافت على العام . عند ذاك كانت الحال غير الحال . فلقد اتفق ان أفلَح الوزير كاجينا باقناع الملك بان يزيدوا من عديـــد الحرّاس ، فعشرة حرّاس ، وإنْ كانوا اشداء غِلاظاً ، ليس بوســـعهم سوى حماية الملك .. ماذا عن الخزائن المترعة بـــصُرر النقـــود؟ مَـــنْ يحميها؟.. هذه اموال الناس قبل كل شيء .. وماذا عن الناس أنفسهم مَنْ يحميهم ؟ .. الم يجعلوا في اموالهم نصيباً للقصر من اجل ان يضمن هم الملك الحماية ؟.. كيف يحمي كل اولئك البشر ، داخـــل مدينـــة لِيلَوم وفي المزارع خارجها ، والحراس لايزيدون على العشرة ؟ كيف؟ .. ماذا سيقول الناسي عن مليكهم لِيلَوم ابن إيناكلي ؟.. هل نَكَـــل

الرجل ؟.. هل اكتفى بحماية نفسه وقصره؟.. لا .. لن يرتضي كاجينا ابن آينمر لنفسه العيش وأُذُنُه تسمعُ مثل تينكم الاقاويل . عندها وثب لِيلَوم الملك من كرسيٍّ عرشه ، وجعل يرتعد .. يا ابن آينمر اليست قَولتي لك انه قَدَرٌ منه لا فكاكَ ذانك الذي به أُبتليتُ ؟! لستُ غافلاً انا ، وبكل العلم أعلمُ ، الذي في قلبك يدور والى مَ أنت المدينة آخذٌ .. انما هو القَدَرُ اللعين .. القدر الذي منه لافكاكَ ذانك الذي به أُبتليتُ . ثم اعطى مباركتَه لزيادة عديد الحراس .

لقد زيد عديد الحرّاس الى عشرة ومئة .. بقي العشرة الاوائل منهم على حالهم حُرّاساً للملك والقصر تحت قيادة أُوش ابن لوجال ؛ وأوكل الوزير للمئة الآخرين حراسة المدينة واهلها ، ان كانوا في بيوتهم او في المزارع يفلحون .. وكان هؤلاء أقلَّ شدّةً وغِلظةً من الحرّاس العشرة . وحين راى الوزير كاجينا بان يكون احد جُلاّس الملك ، وقد سماه بإسمه ، قائداً لحراس المدينة جاء الرد حازماً من على كرسي العرش : بل بوزو ابن سين قائد حرّاس المدينة يكون .

فلم يملك كاجينا ابن آينمر الا ان تقدم من الملك وجثا امامه مطأطئا رأسَه ، ونادى على بوزو ابن سين ، وهو على تينكم الحال . نطَّ بوزو ابن سين من مجلسه ، وقد ادرك ما ينبغي له ان يفعل .. انها السُنّة التي سنَّها الوزير وعليه ان يحتذي بها : جثا على ركبتيه أمامَ مليكه وطأطأ راسه دون ان يتفوه بأيما كلمة . بيد انه لم يلبث ان برح البلاط الى طُرقات المدينة يسعى الى العثور على حُرّاسه المئة . وفي بحر أيام ثلاثة جمعهم .. بشقِّ الأنفس جمعهم ، اذ لم يكتمل عديدهم فيبلغ المئة الا بعد أشاع بين المزارعين ان عطايا لِيلَوم الملك لحُرّاس المدينة ستكون اضعاف ما تدرُّه عليهم حَقولُهم . وهكذا صار بوزو

ابن سين على رأس خليط من فتيان لم يعرفوا العمل من قبل ومزارعين تركوا أراضيهم في كنف زوجاهم او اخواهم وصغارهم .

لم يكن من بين اولئك المزارعين الذين انتهوا حُرّاساً تحت إمرة ابن سين احد من الشُبّان الاربعة .. لانمخاني ابن ايلوتي لبّى فترك حقل الشعير ولا أُوردلاّ ابن سُرار او لوسين ابن لولو او أُوبار ابن شوكليتو فعلوا . ماكانت بهم حاجة الى مناقشة الامر فيما بينهم قبل ان يصوغوا موقفهم من عرض بوزو ابن سين .. لقد اكتفوا بأنْ نظر كل منهم في عيون صحبه ، ثم انطلقوا الى رابيتهم المعشوشبة مغتسلين تكسوهم جلود الغزلان الرهيفة ، يحملون متاعهم : زِقَّ الجعّة وأكوازَهم وبعضَ طعامٍ فضلا عن حصير البردي المضفور .

في تينكم الايام كانوا ، جميعا ، مُنخطفي الالباب .. فقبل ليالٍ جعلهم أُوردلاّ ابن سرار يوقنون بأهم والحمير والبقر سواء الا اذا هبطَ عليهم حسن الطالع فسألوا أنفسَهم مَنْ وراء ما يحدث في السماء وعلى الارض وكيف يحدث ؟؟. فأية حراسة تينكم التي يدعوهم اليها بوزو ابن سين ؟.. حتى لو كان عطاؤهم خزائنَ القصر بكامل ماكتنزت ، ماكانوا سيلبّون دعوته. اهم منخطفوا الالباب.. من بين بشر المدينة بل بشر الارض جميعهم اهم منخطفو الالباب ، تينكم الايام..

بعد صمت اطبق عليهم أياماً ، منذ ان جَمَعَهم أُوردلاّ ابن سُرار مع الحمير والبقر ، جاد لوسين برأي .. ملتبسةٌ الاشياء علينا نحن ومنشدهون إنْ الى السماء والارض بعين واحدة رأينا .. ماقولتُك يا أُوردلا في هذا ؟.

.. رأي إيّاه الحكمةُ لاتنقصُ .. أنتَ اذن عن العثور على البداية

تتحدث .. كيف نبتدي ؟ من اين نبتدي ؟.

كرع نمخاني كوزَه .. أولاً الاشياءَ لنحص .. هذه انما هي البداية . .. من دون احصاء يانمخاني ، (اردف أُوبار) ، فالاشـــياء لعديـــدها لاحصرَ .. أعمارُنا قبل أنْ من احصائها نفرغَ تنقضي .. انما وصـــفُها ينبغي ان يكون .

سأله نمخاني : قولتُك (وصفُها) بها ماالذي تعني ؟.. طويلة او قصيرة ؟ كبيرة او صغيرة ؟ او لونها ماهو ؟.. ماالذي بقولتك تعني ؟ .. لا .. لا .. على الطريق التي ننشدُ هـــذه الاوصـــاف لاتـــدلنا .. ماقولتُكم أنَّ الشيء بكونه ساكناً او متحركا نصفُ ؟ .. ثم أنفـــسنا نسألُ لماذا ساكن هذا وذانكم متحرك . أُوردلاّ .. انتَ يامَنْ مشيئتك أنْ من جَمْع الحمير والبقر نخرج ؛ ماقولتُك ؟

.. وجيهاً هذا الذي رأيتَ يا ابن العم شوكليتو .. بدايةٌ عنها أرضى .. ما قولتُك يا لوسين ؟.. أمِن هنا نبتدي ؟.

كان لوسين ابن لولو منشغلاً بصب مزيد من الجعّة في الأكواز الاربعة ، بعد ان لَمحَها جميعها تستقر على الارض المعشوشبة ، وليست في ايدي صحبه فادرك انها فارغة .. أجل عن هذه البداية راضٍ انا كل الرضى .. ثم قولتُنا بعد هذا أي الاشياء ساكن ولماذا هو ساكن وايها متحرك ولماذا هو متحرك .

وبفرح بادٍ ، استشعره أُوبار في نفسه ولم يغفل ذِكْرَه وهـــو يروي لابيه شوكليتو دقائق ماتحدثوا فيه تينكم الليلة .. بفـــرح بـــادٍ أردف أُوبار : المتحرك هو البشر والماشية والحمير والطـــير والنمـــل والذباب .. و .. وماذا بعد ؟.

اضاف نمخاني .. الشمس والقمر والماء في النهر والـــريح ..

واسعفه أُوردلاّ .. الزرع .. الشعير أعني والقمح والاشجار .... هذه الاشياء ساكنةً تبدو الا انها متحركةٌ واقع الامر .. فهي من سطح الارض تبدأ ثم تكبر وتكبر .. أي انها الى أعلى تتحرك .. اليس كذلك؟.

التقط لوسين كوزه المترعة من الارض .. انها تنمو .. ذانكم ما تعنيه يا ابن العم سُرار .. اجل يا أُورلاد انها اشياء تنمو ؛ فذانكم انما ما تعنيه .. المزروعات أشياء تنمو . وعبَّ مافي الكوز مرةً واحدةً ثم تجشّأ وهو يعلن : من هنا ينبغي لنا ان نبدأ .

ضوءُ سراجهم ينير وجوهَ اصحابه الثلاثة بدرجات متفاوتة .. وبدرجات متفاوتة انما ران الانبهار على وجوههم . وبتردد رفع أُوبار كوزَه .. الحق ليس كله اذن في قولتنا ان الشيء متحرك ؛ وليس كل الحق ايضا في قولتنا ان ذينكم الشيء ساكن .. ايها الصحاب اكوازَكم افرغوا .. ما فيها اكرعوا ، فامامنا ليل طويل ..

وإنْ أُوردلاّ ونمخاني لبَّيا دعوتَه فكرعا الجعّة التي أمامهما ، غير ان ذينكم ماكان ليعني لِمَنْ يرى اليهما انهما ادركا ماذهب اليه أُوبار .. فملامحهما ظلت محايدة تنتظر مزيداً من الإيضاح .

وكأنه كان ينتظرهما ريثما ينتهيا من كوزَيهما أكمل أُوبار .. فالشمسُ تتحرك وكذلكم الماء في النهر الا انهما لا ينموان .. أيُّ منهما لا ينمو .. الزرعُ موقعَه لا يغيرُ .. ساكناً غير متحرك لنا يبدو ؛ انما هو واقع الامر يتحرك اذ ينمو .. ايها الصحاب هذا ماذا يعني ؟.. ونحن عن الطريق التي ننشد نبحثُ ، ماالذي يعني هذا ايها الصحاب؟.

الحياد يزايل وجهَ أُوردلاّ ابن سُرار .. احسب أنَّ إجابةَ ابن العم شوكليتو بوسعي .. أُوبار ايها السائل أنتَ اليك جوابي .. الاشياءُ

من حولنا ضربان .. ضربان لا ثالثَ لهما، كلَّ شيء من حولنا يضمّان؛ إنْ الأشياء على الارض كانت أو في السماء .. الى الضرب الاول الاشياء التي تنمو تعود ، وفي الضرب الثاني كل الاشياء التي لاتنمو نلفي .. وذانكم انما يعني أنَّ تينكم الاشياء التي تنمو فبسببٍ من علَّةٍ كامنة في ذاتها تتحرك .. وعن التي لا تنمو اتحدث فقولتي انها لاتتحركُ الا اذا انوجدت علة كامنة خارج ذاتها ، فيها تعتمل فاذا هي تتحرك .. فان تانكم العلَّةُ اختفت ساكنةً انما هي صارت .. كل الاشياء التي في السماء نرى فمن الضرب الثاني هي .. الاشياء على الارض في الضرب الاول تكون وفي الضرب الثاني تكون .. أُوبار ايها السائل يا ابن العم شوكليتو انت ؛ أوافيةٌ اجابتي هي ؟.

.. لو الغطاءَ عن العلّة الكامنة في ذات الشيء كنتَ كشفتَ لاجابتك وافيةً كانت. لو الغطاءَ عن العلّة الكامنة خارج ذات الشيء الساكن ، تانكم التي تعتملُ فيه فاذا هو يتحرك .. لو الغطاءَ عن تينكم العلَّة كشفتَ لاجابتك وافيةً كانت .

.. لكم كَشْفَ الاغطيةِ تركتُ .. كَشْفَ الاغطيةِ عن تينكم العلل لكم تركتُ ايها الصحاب الذين من جَمْع الحمير والبقر يأنفون .

ندَّت ضحكاتٌ خفيفة ، لم تلبث ان انتهت قهقهات مجلجلة من الجميع بعد ان اردف نمخاني يُعلِّق .. انت يا ابن العم سُرًار مَنْ منَ ذينكم الجَمْع المحترم يأنفُ لا نحن .. كل الراحة مرتاحون وسط ذينكم الجَمْع نحن .

واذا تبددت قهقهاتُهم . ومسح أُوبار دمعاً انبجس من عينيه .. لوسين ابن لولو ، فتانا اللّماح كاشف الاغطية أنتَ .. اليك بالسؤال اقذفُ ، فمَنْ سواك عن الزرع تحدث فنطق فقولتُه انها اشياء

تنمو ؟ .. الان ما قولتُك ؟.
..ما قولتك الان انت يا ابن عمِّنا شوكليتو ؟.
.. كل الصدق إيّاي تصدّقُ إنْ قولتي في أُذنك وقعت انني انا أُوبار ابن شوكليتو ليس لي في هذا من قولة .. العلة الكامنـــة في ذات الـــشيء الذي ينمو ، والعلة الكامنة خارج ذات الشيء الذي لا ينمو تـــانكم التي الشيئين تحرِّكان .. لاقولة لي فيهما .
.. مُتِّعتَ بالعافية والفطنة ياصاحبي أُوبار .. الكلمة التي في قلوبنا النارَ تضرمُ ، نفسي سأجهدُ حتى عليها أعثر .. يا ابن ايلوتي يانمخاني كَرّا ع الجعّةَ الذي كرّا عٌ لايضارعُه ؛ ما الذي لك يخطر في رمشة العين هذه اذ قولةً تسمعُ إنَّ هذا الشيء ينمو ؟.
.. إنْ المرءُ في شَرْب الجعّة يبلي فلا احد يضارعه فهذا صيتٌ مابعـــده صيت ، فنفسي عليه أغبطُ . وبعد أنْ من غَبْط نفسي أنتهي قولتي هي ان معنىً لي لايخطرُ سوى أنَّ هذا الشيء الذي ينمو ماهو الا شيء فيه الحياة تسري وليس من الحياة خالياً هو .
.. نصفَ الغطاء يا ابن ايلوتي قد كشفتَ .
..كوزي لي إملأ ، فبنفسي انا نمخاني ابن ايلوتي كَشْفَ النصف الآخر ساتولّى .
.. لا احدَ كوزَه الآن سيملأُ .. في هذه الساعة لا احد كوزَه سيملأُ .. قلوبَنا صاحيةً أُريدُ .. نمخاني ، أُوبار ، أُوردلاّ .. قلوبَكم افتحـــوا .. قلوبَكم على مصاريعها هلاّ فتَحتم .. ليس ثمّة من حق في قولتنا أنَّ كل ما فيه الحياة تسري ينمو .. والحق كل الحق معنا اذ قولتنـــا ان كـــل ماينمو يجب ان الحياة فيه تسري !.. البشر ينمو وينمو ثم بعد ذينكم لا ينمو مع أنَّ الحياةَ جسدَه تملأُ ما زالت ، وكذلكم جماعتنا الحمير والبقر

والطير والزرع ايضا .. جميعها تنمو وتنمو ثم في يوم مـــن الايـــام وفي ساعة محددة لا تعود تنمو .. ماذا ؟ هل الحياةُ ابدانَها فارقتْ ؟.. كلا كلا ومع هذا لم تعد تنمو ..

قاطعه أُوردلاّ كما لو انه شاء ان يثب .. حقّاً آخر عليَّ أنْ الى قولتك هذه أُضيفَ .. هذه الاشياء نموها في ذينكم اليوم وفي تيـــنكم الساعة المحددة لاينحبس فقط ، وانما يبدأ بالتهدم ماكان ينبني وهـــي تنمو .. أحاجةٌ بي الى أنْ انظارَكم الى الزرع ألفتَ ، وهو يصفرُّ او الى البشر وهو يشيخ وكذنكم جماعتنا الذين تعرفون ؟.

أجاب لوسين .. حاجةٌ ليست بك الى ذينكم الامـــر ، انمـــا الحاجة بي .. حاجة الى ان على رأسك أميلُ فقبلةً أطبعُ .. اجل ايهـــا الصِحاب .. ليست الحياة ماتُدهشُ .. كلا ؛لنا لا ينبغي أنْ بالحيـــاة نندهشَ ، وانما بما الحياة يُسيِّرُ وفقَ مقاديرٍ ينبغي أنْ نندهشَ .. هذه هي الكلمة التي في الحجر النارَ تضرمُ ، لا في قلوبنا حَسْب .

غرز أُوبار سُبّابته وسط جبهته ، او كأنه يريد ان يغرزها هناك .. على هذا فالكلمة هي (أنْ يُسيِّر) .. الكلمة المشعَل هي (أنْ يُسيِّر) .. أنْ الحياةَ يُسيِّر على وفق مقادير ، العبثُ إيّاها لايأتي ولا البطلان .. اليست كلمتك يافتانا اللّماح التي فوق رؤوسنا ستطلقُ هي هذه ؟.

.. اجل يا أُوبار أنْ بها نطقتَ فبأسٌ إيَّاك لا يمسُّ .. أنْ تُسيِّر .. أو لكَ أنْ ايّاها تسمي (ان تنظِّم) .. تلكم هي .. ان تنظم .. ان تُنظِّم علـــى وفق ناموس .. أبداً أبداً ذانكم الناموس لا يتغير.

.. والناموس ليس واحداً (اضاف أُوردلاّ) .. للبشر ناموسٌ حياتَه ينظِّمُ غير تينكم التي حياةَ الحمير او البقر او الزرع تنظِّمُ .. بمقدار كل شيء هنا مُقدَّرٌ ، وبمقدارٍ آخر كل شيء هناك مُقدَّرٌ .

رفع نمخاني كوزه أعلى من رأسه وأماله نحو فمه ، كما لو انه يستدرُّه ، عسى ان يحظى ببعض قطرات متخلِّفة في قعره . ثم تلمَّــظ وهو يُعيد الكوزَ الفارغة الى الارض المعشوشبة .. أيها الصحاب أإياي ترون أنّي ثرثرةً أطلقُ إنْ قولتي أنَّ الاشياءَ التي لاحياة فيهــا ، هــي الاخرى ، ناموسٌ ايضا اياها يسير .. ناموس في الاقل حركتَها يُنظِّمُ .. الى الشمس بأعينكم إقذفوا .. هل من الغرب يوما اشرقت؟.. الى الماء في النهر والريح باعينكم إقذفوا ، .. إقذفوا فقط ، فاذا بكم الناموسَ الذي حركتَها يُنظِّمُ ستجدون .

فهتف أُوردلاّ ابن سُرار : مُتِّعتَ بالفطنة يا ابن العم ايلوتي .. ذلكم هو .. العلة الكامنة خارج ذات الشيء ، تانكم التي فيه تعتمل فاذا هو يتحرك .. إي وحقك يانمخاني يا ابن العم ايلوتي أنتَ ؛ مَنْ في قولتك ثرثةً يرى أعمى .. الاشياء التي لا تنمو .. الاشياء التي لا حياة فيها ، حركتها ناموسٌ ايضا ينظِّمُ .. لا في داخلها كامنٌ بــل كــامنٌ خارجَها .. ناموسٌ البطلانُ منه لا ينال .

لم يتمالك لوسين نفسه ، فنهض من مجلسه وانحنى علــى رأس نمخاني وقبَّلهُ .. ثم .. مثلك كوزاً من الجعّة خارج النــاموس الــذي جلستنا هذه يُنظِّمُ يستحقُ .. كوزَك هات .. وحدك انــت لا احــد غيرك له كوزَه ساترغُ .. يا ابن العم ايلوتي ؛ في قلبي أنتَ الان قولــةً زرعتَ .. ماهي تانكم القولة ايها الصحاب ؟.. اليكم بها ، فآذانكم لها أذلّوا.. اذا كان أُوردلاّ الى أنْ الزرع يبدو ساكناً لكنه متحركٌ قد دلّنا، فأنا الى شيء آخر اياكم أدلُّ .. الى أنْ كل متحرك حيٌّ ، وإنْ كان لا ينمو .. الى هذا الحق انما إيّاكم أدلُّ .. بقبضاتكم قلوبَكم اضربوا مرّةً واثنتين وثلاثاً .. إيّاها إضربوا .. أيَّ أثرٍ للجعّة عنها أزيلوا .. مشيئتي

هي أنْ ابواب قلوبكم مشرعةٌ أمام ما سأقول .. ايها الــصحاب ؛ إنْ للشيء ناموسٌ حركتَه ينظِّمُ ، فالحياة في هذا الشيء تسري لا بــد .. ونفسي أسالُ قبل أنْ إيّاي تسألون : لماذا يا لوسين ابن لولو ؟. فأُجيب بأنْ لا اثرَ للناموس في الشيء ان كان هذا الشيء من الحياة خاليـــاً .. الميتُ إنْ بالعصا ضربتم ، فلا يتوجع ؛ الحي إنْ بالعصا ضربتم يتوجع .. وكذا الذي يسألُ ، إلاّ حيّاً إيّاه يجيبُ .. الجــواب إنْ اختفـــى ، للسؤال وجودٌ لم يعد .. ولأننا نعلم أنَّ السؤال موجودٌ .. حقّاً وحقيقةً موجود هو .. فالحق في قولتنا اذن أنَّ الجوابَ موجودٌ لابد .

قاطعه نمخاني .. مع أنَّك بعدُ بالكوز التي بها إيّاي قد وعدتَ لم تكافِيء ، ومع أنني بقبضتي قلبيَ ثلاثاً قد ضربتُ ، إلاّ أنني قولتَك ما فهمتُ يا ابن العم لولو .. يا ابن العم لولو انت؛ قلبي قولتَك لا يدركُ .. هل من احد منكم على قولة هذا الفتى إيّايَ يُعين ؟!. فانبرى أُوبار .. يا نمخاني يا ابن ايلوتي .. ايها المستغيث بنا .. اليك غوثي .. بقولة كلماتُها معدودة إيّاك أغيثُ .. الناموسُ لااثرَ له إنْ استجابةٌ له لاتكونَ .. ولأنَّ قولتَك انت نمخاني ابن ايلوتي ، قبل قليل ، ان للاشياء التي لا حياة فيها ناموس حركتها ينظم .. لأن تانكم هي قولتُك ، وكل الحق في قولتك ، فإنَّ صاحبك لوسين ابن لولو قولتُه أنْ ثمة حيـــاة اذن في تينكم الاشياء ، التي كنا أنْ لاحياة فيها نظنُّ .. ميتةً لنا تبـــدو ،او لا حياة فيها ، انما هي واقع الامر حيّةٌ .. كيف الى ذينكم لوسين تنبه ؟..

فسارع نمخاني يسابق أُوبار الى الاجابة .. اجل .. لا تكمل .. الامر واضحا بات .. فالشيءُ لناموس حركتَه ينظمٌّ لا يستجيبُ ، إنْ حياةٌ فيه لا تكون .

.. هذا هو نمخاني الذي نعرف (أردف لوسين).. اجل هكذا النباهـــة

فلتكن .. ثم اتحدثُ فأنطقُ فقولتي ..

وتثاءب لِيلَوم الملك ، فأمسك شوكليتو عن الكلام ..

شوكليتو لماذا سكتَّ ؟

.. كلامي لمليكي العظيم النومَ قد جلبَ .. علي ان انصرف .

.. بل تُكمل يا شوكليتو .. الى اولئك الفتية ما أحوجني والمملكة .. في حديثك إمضِ ، فلَكَم أتمنى انهم منتهون الى الذي في قلبي يعشِّشُ .

.. يا مَنْ لا عظيم سواه في سومر بأسرها ؛ هلاّ عليَّ ، شرفَ الظهورِ على هذا الذي تتمناه ، تسبغُ .

.. لا يا شوكليتو لا .. ليس قبل أنْ في أُذني باقي قصة زُرّاع الشعير ، أُولاء مُنقطعي النظير ، يقعَ .. إيّاك أنْ عن الحديث تتوقف قبل ان بذينك آمركَ . واذا أنشأ الحاجبُ يقول بأنَّ ابنه أُوبار وصحبَه قَطَّعوا ماتبقى من تينكم الليلة وما تلاها من ليال في المرور على الاشياء واحداً واحداً ، يقلِّبونها واحداً واحداً ، باحثين عن النواميس التي تنظِّمُ حركةَ كلٍّ منها وسلوكَ كلٍّ منها .. واذا أنشأ يمضي في هذا الحديث ، دخل كاجينا الوزير البلاطَ . فرفع لِيلَوم الملك كفَّه مفتوحة في وجه حاجبه .. الان يا شوكليتو الى شأنك انصرف ؛ فوراء وزيرنا ماوراءه لابد .

جثا شوكليتو أمام مليكه ، ثم انفتل يُيمِّمُ صوبَ باب البلاط يقف عليه. ولم يلبث ان جثا كاجينا ابن آينمر أمام العرش ؛ فما صبر بعد ذاك ولاتريث حتى ينهض من جثوته فيخبر لِيلَوم الملك بما وراءه ، بل وهو جاثٍ .. يا عظيم مدينتك دُرّةَ سومر ، أنتيمنا ابن آجا قليل الحظ هذا أماميً بسطَ قبل رمشات عينٍ معدودات مانفسي كدَّر .. وأنّي وحقِّك ايها العظيم لكارةٌ أنْ أمامك بما لسانه قد نطق أنطقُ .. انما هي الأمانة إيّاي تُرغم على إظهارك على ..

قاطعه الملك .. يا ابن آينمر أُنطقْ .. في كلامٍ منه شيئاً لا افهمُ لماذا الاسراف ؟.

.. ليتني الكدَرَ في صدري حبستُ ، فقلبي ينهشُ ..

.. أُنطقْ .. قولتي لك أُنطقْ .

.. ايها العظيم .. ابن آجا يدَّعي أنَّ ما في خزائنكم .. خزائن القصر أعني .. للانفاق على الحراس لم يعد يكفي وعلى اطعام مواشي القصر.

.. ما هذا العبث ايها الوزير ؟.. يا ابن آينمر ما هذا العبث ؟.. لماذا قبل اليوم مافي الخزائن كافياً كان .. واليوم اليوم كافياً لم يعد ؟؟!. عليَّ بالجواب سريعاً .. ما في الخزائن الحرّاسَ والماشية منذ اكثر من عام يعيلُ .. عشرة ومئة عليهم ننفقُ ولا ادري كم من رؤوس الماشية إيّاها منذ اكثر من عام نُطعمُ ولا شكوى من عُسْرٍ .. لماذا الان العُسْر؟.

نهض كاجينا من جثوته وراح يُعمِل يديه في حركات لعله أراد منها إعانته على توضيح ما يقوله .. عطاياهم هي هي لم تتغير .. عطايا الحرّاس ما تغيرت وكذا الحق في قولتي اذ عن علف الماشية أتحدثُ . انما هو الانفاق على الخروج الى المَزارع خارج سور المدينة .. ذانكم الخروج أيها العظيم .. خروج بوزو ابن سين بحراسه ، برجاله ، الذين عُودُهم اشتدَّ وعزائمهم قويت فباتوا يأكلون أضعافَ أضعافَ ماكانوا يأكلون يومَ لاول مرة إيّاهم استخدمنا .. ايها العظيم مليكنا لِيلَوم ابن إيناكلي ذانكم الخروج هو ما خزائنكم أنهكَ ..،، .. ولماذا ايها الوزير الى اطراف المزارع يخرجون ؟.

.. لانكم بالحماية لُمزارعي مدينتكم تعهدتم ، والحق معكم كان اذ تعهدتم .. والى علمي ، انا وزيركم ، قد تناهى أنَّ بعض هَمَج سومر ، اولئك المتبعثرة قُراهم في أصقاع سومر ، الاغارةَ على مَزارع اهل

مدينتكم يحاولون .. وفي حسباننا طامعون هُم سُـرّاقٌ .. ولعـل في صدورهم الغيرة تستعر .. أأدعهم هيبةَ مملكتنا يمسّون ؟.. ألا بـئس الطالع طالعي اذن .. اذن فبئس طالعي وأنا أدعهم هيبةَ مملكةِ عظيمنا لِيلَوم ابن إيناكلي يمسُّون .. فما لي جفنٌ غمض حتى قلبَ ابنِ سـين وقلوبَ حرّاسه حماسةً ملأتُ ، فبهم الى أطراف أطراف مزارع مدينتنا دفعتُ .

هبط لِيلَوم الملك من عرشه وخطا نحو وزيره ، وهـو يعقـد ذراعيه على صدره وجبينهُ مُقطِّبٌ يكاد يقطرُ غَمَّاً .. وماذا في رأسك يا ابن آينمر ؟.. يا كاجينا يا ابن آينمر ماذا في رأسك؟.. هل لإقناعي بجباية المزيد من أموال أهل مدينتي تسعى .. أُولاء البائسين ؟!.

.. بلا قبر أموتُ ايها العظيم ، إنْ هذا التدبير في قلبي يدور كان .. ما في قلبي يدور ايها العظيم أنْ الى بعض القرى المجـاورة لمـدينتك دُرَّة سومر ، نخرج فعلى اهلها حمايتنا نعرضُ مقابل أنْ ماعلى أهل مـدينتنا عليهم يكون ، فهم من رعايا مليكنا لِيلَوم ابن إيناكلي سيغدون .

ولّما يزل لِيلَوم الملك عاقداً ذراعيه على صدره مُقطِّبَ الجبين

.. وإنْ عرضَك رفضوا يا ابن آينمر ؟..

.. عند ذاك أحدٌ إيانا لن يلومَ إنْ على قُراهم حمايتَنا بسطنا بقوة رماح حُرّاسك ومديهم المرعبة .

انفرط عقد ذراعَي الملك وانقذفتْ كلتاهما تهتـزان بوجـه كاجينا الوزير ، وصار الغَمُّ يترُّ غيظاً من جبينه .. بل أنا الذي إيّـاك سيلومُ يا ابن تعيس الحظ آينمر .. يا ابن آينمر تعيس الحظ ، انا الذي على فعلة لا يعرف عقباها أحدٌ ايّاك سألوم .

كاجيناً قريب من الملك ، لاتفصله عنه سوى خطوة واحدة ..

حتى أنَّ رَذاذ زَبَد الاخير وهو يهز ذراعيه مُغاضباً قــد رشــقَ وجــه كاجينا. فأحنى هذا قامتَه المديدة على مليكه يُقبِّل كتفيــه ويمــسك بذراعيه المرتعدتين يهدئهما ؛ ثم يعيده الى كرسيٍّ عرشه يُجلسه عليه .. يوماً آخر لا بقيتُ وأنتَ مني ايها العظم غاضبٌ .. يا عظيمنا إنْ بوزو ابن سين مدَدَنا بمزيد من الرجال المتسلحين بولائهم لمملكتهم ومليكهم قبل أنْ برماحهم ومِديهم متسلِّحين يكونوا .. ان ذينكم فعلنا ، فاننــا ايها العظيم عُقبى فعلتنا لعارفون .. اجل ايها العظيم .. ايها العظــيم اجل .. أبوسعي أنْ حاجبكم السيد شوكليتو آمر ، فبــبعض نقيــع الاعشاب إيّاكم يأتي ؟ ؛ فنقيعُها الراحةَ لنفسكم العظيمة مُجلبٌ .

.. أنت أحداً في بلاطي يقفُ لا تأمرُ .. وفوق هذا ؛ بعد الذي منــك سمعتُ لا نقيعَ لعُشبةٍ في سومر بأسرها ولا في أي أرضٍ سواها الراحةَ لنفسي مُجلبٌ .

..يا مليكي الأعظم إنْ داخل مدينتنا تلبَّثنا فأُولئك الهَمَج وهم علــى مزارع مملكتكم يجترئون نَرقبُ ، طويلاً بعد ذاك لن ننتظرَ حتى علــى عرشكم يجترئون نرى .شوكليتو على باب البلاط يرى الى الرجلين . ملامح وجه ليِلَوم الملك تستبدل الان بالغيظ الذي كان يُسربلها حيرةً وقلقاً .. بالحيرة والقلق لا بالغيظ انما باتَ وجهُ ليِلَوم يتسربل .. يا ابن آينمر وكيف أمرَ عطايا الرجال الذين مَدَداً لابــن ســين تريــدهم ستتدبَّرُ؟.. عشرة ومئة هم الان عديدُ حُرّاسنا ، وأنتيمنا ابن آجا من شُحٍّ في خزائن القصر يشكو ؛ فكيف الحال سيمسي وأنت على ذينكم العديد تُزيدُ ؟!.. فهْ .. لهذا ألم تحتسب ؟.

ومن عَجَب شوكليتو ، كما يقــول ، إنَّ ابتــسامةً راحــت تتململ على وجه كاجينا الوزير، كأنما كانت تنتظر ذينكم الاوان كي

تعلن عن وجودها .. عظيمنا ايها الملك لِيلَوم ايـــن إينـــاكلي .. بـــل حسباني، حسبانُ وزيرك الأمين شيئاً لم يغفل .. عطايا الرجال أُولاء ، حُرّاسنا الجُدد ، بها أموال أهالي القرى التي عليها جُنَحك ستبـــسطُ ، ستتكفلُ .

ومن على تينكم المَبعدة .. مَبعدة باب البلاط الى العـــرش ، لاحت له .. لشوكليتو لاحت عينا لِيلَوم الملك تغطسان في لُجَّة دمـــعٍ تداعى كأنّه من نبع دافقٍ . ومن على تينكم المَبعدة .. مبعـــدة بـــاب البلاط الى العرش ، لاحت له .. لشوكليتو لاحت أصابع العَبرة ، وهي تعتصر عُنقَ لِيلَوم الملك فينتأ وِدجاه وينعقد لسانه.

أجد نفسي الان على الرغم مني ، ادنو من إحـــدى ركـــائز الدولاب الذي لن يتوقف .. الدولاب اللاصاحب لـــه .. الـــدولاب الذي سيبقى يلفُّ بالاولاد الى آخر الزمان دون ان ينتبه اليـــه احـــد فيوقفه . ادنو وانا استشعر صُفرةً داكنةً تتخطّف وجهي .. آخر قطرة دم تزايل وجهي الان ، بينما كركرات صغيري المُصأصئة لا تنقطـــع فوق رأسي أُميِّزها وسطَ دولاب محتشد بالكركرات . أتمسك بقاعدة الركيزة المعدنية ، ثم أتهالك الى الارض .. تنغرز عيناي في التربـــة .. عميقاً تنغرزُ .. الى حيث يستوطن أنليل تنغرزُ .. ولا ينطفيء بصري .

وقبل ان يكون هنالك أنليل .. قبل ان ينطق الشُبّان الاربعة بإسمه ، كانت مملكة لِيلَوم ابن إيناكلي تتسع : قُرىً وقُرىً تترى تلتحق .. برجالها وأموالها وماشيتها وحميرها وطيورها تلتحق بركب المدينـــة المملكة . كان يصرخ كاجينا الوزير والخمرةُ آخذةٌ به : جُنحَيك إفرِدْ يا عظيمنا واياها لاتضم الا على سومر بأسرها .. إفرِدْ .. إفرِدْ . لقد بات له قصرٌ هو الآخر .. قصر الوزير كاجينا غير بعيد عـــن قـــصر الملك، وفي فناء ذينكم القصر انما كان يصرخ . فناء كما الروضة كان .. تشقّقت تربته وتفتقت عن شُجيرات أزاهير لها عند شروق الشمس

عبقٌ وعبقٌ عند الغروب .. فناءٌ واسعٌ له جَنَبات ثمان ، وفوق كل جَنَبة يرتفع مخدع وإيوان ملحق به . مخادع ثمانية لنساء ثمان ؛ ماكان لسانُ كاجينا يلهج الاّ بإسم واحدة منهن ، نَنْ دادا، وبمخدع نَنْ دادا انما كان يقيم . نَنْ دادا بنفسها كانت تأخذه الى مخادع النساء السبع تُدخله على المرأة منهن وعلى مرأىً منها كان يُقبِّل هذه ويضاجعها . فاذا ما قضى وِطرَه منها قبضت نَنْ دادا على معصمه وجرَّته وراءها تعيدُه الى مخدعها .. فما تبقّى من تينكم الليلة لها وحدها لا تشاركها به امراةٌ وإنْ كانت أجمل نساء سومر .

إجترأ مرّةً ومرتين وثلاثاً فتسلل من ورائها ، دون علمها ، الى بعض من المخادع السبعة .. فما أفلحَ في أيٍّ من تينكم المرات وعاد اليها خاسئاً يتدلّى عضوُه وقد أنهكته خيبة الامل . وماكانت تزيد على أنْ تنفجر ضاحكةً وهي مستلقيةٌ على فراشها الوثير ، ثم تشير اليه بذراعٍ مائسة كأنها افعى أنْ منّي ايها الوزير إدنُ .. يا ابن آينمر ياكاجينا انتَ ؛ منّي إدنُ ، فلستَ بمؤتٍ فعلاً الا بإذني ..

عينان فاحمتان لسوادهما بريقٌ لا يخبو ؛ تبسطان طغيانهما على نصف وجهها .. سوادُهما شعلتان تُديم سعيرَهما هفهفةُ رموشهما تانكم التي اذا هفهف العلويان منها بديا كأنّهما جُنحا طاووسٍ اكتشف للتو غرورَه . تانكم العينان عينا نَنْ دادا ، ولم يرَ الرائي شيئاً بعدُ في وجهها .. وجهُها قطعة من فجر صيف كان .. بمخمل من ندى وجهُها قطعةً من فجر صيفٍ كان .. وللفجر ثغرٌ منفرجٌ بمقدار : مُسحتان من لَهَب تنفرجان بمقدارٍ ، كما لو انهما همسان بدعوة لا تنقطع .. همسان باستغاثة من عَطَش لا يُروى .. استغاثة يتردد صداها في وادي نهدَيها النافرَينِ ، وعلى انسراح بطنها وفي وِهدة سُرَّتها ومابين ظالمي وركيها

.. ثم تشير اليه بذراع مائسة كأنها افعى أنْ منّي ايها الوزير إدنُ .. يا ابن آينمر ياكاجينا منّي إدنُ ، فلستَ بمؤتٍ فعلاً الاّ بإذني .

سحرُها يدوِّخه ، فاذاه يهذي بما يراه منها ويسمع في ساعتها تينكم ، فيتناهى هذيانُه الى أُذن مليكه .. الى أُذن لِيلَوم الملك يتنــــاهى هذيانُه . نَنْ دادا ليست أُولى زوجاته ولا آخرهن .. من احدى القرى البعيدة عن مدينة لِيلَوم هي .. ومنذ ليلة دُخلته عليها قالت له وهـــي عاريةٌ تحته : منّي ولدٌ لكَ لن يكون ، فهذه البطن بها جنينٌ لن يعبثَ .. منّي ولدٌ لكَ لن يكون ، فاني قدرَكَ صانعةٌ ؛ والقَدَر والولدَ معاً إيّـــاك لن أهبَ .. الوِلدانُ من الأُخريات يأتون .. بيدي هذه اليهن إيّاك آخذُ .. فيهن ولدانك إزرعْ .. لاليلَ الاّ لنَنْ دادا ، أمّا لهنَّ فسويعات مـــن تينكم الليالي . ومن هذيانه . أنَّها ، وهو يضاجعها ، كانـــت ترفـــسه بعيداً عنها اذ تستشعر أنّه يوشك على قضاء وِطرِه منها .. تصحو من غيبوبتها فتفزُّ وترفسه بعيداً عنها : أنّي قدرَكَ صانعةٌ والولدَ والقدرَ معاً ايّاك لن أهبَ .

ولما نصحه أُوش ابن لوجال ، نديمُه ، وأثـــنى علـــى تيـــنكم النصيحة نديمُه الآخر أنتيمنا ابن آجا بأنْ يتزوج عليها قال لهما : اجل سأتزوج .. تلكما هي .. سأتزوج ومن امرأتين في آنْ ، فمنها دِعَتَها لا يترع والى نفسها الذُعرَ يُدخلُ الا زواجي عليها من فتاة أصغر منها سنّاً .. فما بالكما وزواجي من فتاتين سيكون ؟!. ثم ضحك الثلاثة ورفعوا أكوازَ الخمر ، غير عالمين بأن نَنْ دادا هي من ستُدخِل كاجينـــا ابـــن آينمر على عروسَيه في ليلتين متعاقبتين .. بيدها أدخلته على عروســـه الاولى ثم على عروسه الثانية ، وفي كلتا الليلتين كانت تقف ترقبه وهو يضاجعهما دون ان يطرف لها جفنٌ .. ولدَكَ فيها هل زرعتَ ؟.. من

أنَّكَ فعلت تأكَّدْ .. والآن هيّا . ثم تقبض على معصمه وتجرُّه وراءها ،
فلا ليلَ الا لنَنْ دادا وأمّا بعضه فلا بأس ان تمنحه للاخريات .
.. إي شوكليتو ايها الحاجب الامين أنتَ .. عينيكَ هاتْ مع عيني
تريان الى القَدَر الذي تانك المرأة للرجل ابن آينمر ، الذي هو وزيرنا ،
تصنعُ .
.. كُلّي عينان يامَنْ لا عظيم سواه في مدينة لِيلَوم وسائر قرى المملكة
السعيدة .
.. تعسا يا شوكليتو تعساً .. بهما إقذفْ اذن إقذفْ ؛ فلأيِّ الصروف
إيّاهما تدَّخرُ ؟!
..العمى إيّاي يتولى ايها العظيم لِيلَوم ابن إيناكلي إنْ عيناي تريان ما
عينا عظمتكم ترى .. فما هما اخر الامر الاّ عينيَ حاجبٍ .
.. بأسٌ إيّاك لا يمسُّ الان يا شوكليتو .. شوكليتو أبوسعنا أنْ على
تينك المرأة أنفاسَها نَحسبُ ؟.. ما اسمها يا شوكليتو ؟.
.. نَنْ دادا ايها العظيم .. ولا ادري إنْ مُجيباً سؤالَك كنتُ يا ايها
العظيم .. ماأدري ، وهذا أقصى ماأدري ، هو أنْ على امراة انفساها
لا يحسب الا امراة وأنتَ فينا الاحكمُ .
نهض لِيلَوم الملك من كرسيٍّ عرشه وهبط الى أرض بلاطه يقطعها
صامتاً ، رواحاً ومجيئاً ، وذراعاه معقودتان وراءَ ظهره. بعد هنيهةٍ ،
تراءت لشوكليتو دَهراً ، تسمَّرت ساقا الملك فوق واحدةً من
البلاطات وسطَ مسار رواحه ومجيئه كان هاتفاً صرخَ به بغتةً يستوقفه،
فذاك هو يجيبه .. على امراةٍ أنفاسَها لا يحسبُ الا امراة .. الحقُّ هذا
ولا حقَّ غيره في الذي به لسانُ شوكليتو قد نطقَ . ثم انفتل نحو هذا ..
شوكليتو يا حاجبنا الامين والحكيم معاً ؛ كم من الزوجات لديه هذا

الذي وزيرنا هو ؟. واذ أجابه بأهن ثمان زوجـــات ، أردف وعينـــاه تتلامعان: وزيرَنا من قبلُ هديةً لم نهدِ .. كثيرٌ ذانك الذي كاجينا ابن آينمر لمملكتنا قد بذلَ ، فأوان بذلنا نحن قد آنَ .. هدية منّي أنا لِيلَوم الملك ابن الحكيم إيناكلي نساءٌ ثمان وصيفاتٌ لنسائه مع عشرين عجلاً وخمسين خروفاً وزِقّ خمرٍ على حمله لا يقوى الا حمارٌ مُجرَّب ، وزِقَّـــي جعّة ممّا ولدُك وصحبُه يحتسون .. إي شوكليتو ، ماأخبار زُرّاع الشعير أُولاءِ .. الكثرُ الذي اليه عيناي ترنوان ، ذانك الذي علـــى الرابيـــة المعشوشبة؟ .. إي شوكليتو عني اخبارهم قد قطعتَ وما أنا بالمستبدل بأخبارهم أيَّ نبأ عظيم .
.. مُتِّعتَ بالمغفرة يا ايها الاعظم بين الناس ، فغفرتَ لي ما عليَّ أخذتَ .. إنْ هي إلاّ أخبارُ زيجات الوزير كاجينا ، وبعين الاعتبار أخبار تينكم المراة التي أنَّها صانعةُ قَدَره تدّعي .. إنْ هي الا تانكم الاخبار مـــاعن أخبار الشُبّان الاربعة إيّاي شغَلتْ . ثم صار يروي آخر ما أظهرَه عليه ولده أُوبار ..
.. ، بعد تينكم الامسية التي تصرَّمتْ عليهم حتى قالوا بأنَّ للاشـــياء نواميسها .. نواميس تنظِّم حركتها .. بعد تينكم الأمسية قال قائـــلٌ منهم ، وكان لوسين ابن لولو بأن عليهم أنْ يصوغوا ناموساً فيُجمعوا عليه يُنظِّم احتساءهم الجعَّةَ .. إنّهم منغمسون بشأنٍ لم يسبقهم اليـــه أحدٌ ، لا لغواً فيه ولا لهواً .. قلوباً صاحيةً نريدُ .. ثلاثة أكواز حَسْب بعد مغيب الشمس ، ثم لا احتساءَ بعد ذاك الا بمقدار محسوب أنا ابن عمكم لولو إيّاه أحسبُ .. إي نمخاني ابن إيلوتي ؛ بما أرى أتقرٌّ ؟.. إنْ أنتَ أقررتَ ، فلا من مُناكد بعدك الجدلَ إيّايَ يُناصبُ .
قهقه نمخاني بجَلجَلةٍ .. يا لصيتك يا ابن إيلوتي الـــذي هـــذه

الرابيةَ تجاوزَ ، فعلى الأفاق أطبقَ .. الناموسَ الذي تشاؤون صوغوا يا ابن العم لولو ؛ انما حسبكم أنّكم الصيتَ الذي على أخيكم ابن ايلوتي أسبغتم لن تبخسوا .. ولا أزيد .

وهكذا كان الإيذان بإقرار الناموس الذي وضعه لوسين لليالي الجعَّة. ثم راحت الليالي تنطوي على مزيدٍ مما ينتهي اليه الشُبّان الاربعة. فلقد طفقوا يُقلِّبون الاشياءَ في السماء كانت أم على الارض .. يُقلِّبونها على أوجهها يستقطرون منها النواميسَ الكامنةَ في ذاتها او الكامنة خارج ذاتها .. تينكم المُسيِّرة لحركتها وسائر سلوكها فضلاً عن تينكم التي تجبل طبيعتها . فلم يغفلوا شارداً او وارداً إلاّ وميَّزوا نواميسَه المُنظِّمة لكل شؤونه .. غير مكترثين بفتوحات بوزو ابن سين الذي بلغ عديد رجاله الفاً .. تانكم الفتوحات التي من ورائها الوزير كاجينا ابن آينمر . كانوا ذاهلين عما حولهم .. ساعةَ يرتقون الرابيةَ المعشوشبة يغدون ذاهلين عمّا حولهم ، فما كان ليشغلهم نبأٌ حتى ولو قيل لهم أنَّ مُلْكَ ابن إيناكلي قد تعدى مدينته والقرى المجاورة لها وشمل كاملَ سومر . إنهم ليجدون أنفسَهم مستغرقين في بحثهم حتى لتشرقَ عليهم الشمس وهم يتجاذبون أطرافَ رأيٍ قال به احدهم . كثير من تينكم الليالي كانوا فيها يهبطون الرابية الى مزارعهم دون ان تحظى اجفانهم بإغماظة وإنْ كانت وجيزة . كانوا ، كما يقول أُوبار لابيه شوكليتو ، يوشكون على كشف الغطاء عن معرفة ما .. معرفة لم يخبرها بشرٌ من قبلهم قط . نمخاني نفسه بات لايعبأ كثيراً إنْ تأخَّر عليه لوسين بصبِّ الجعّة في كوزه .. نمخاني نفسه بات منشغلاً بلملمة ذينكم الغطاء وطيِّه بعيداً عن المعرفة التي توشك ان تَبين . الواقع ان نمخاني ابن ايلوتي هذا هو مَنْ صرخ في تينكم الليلة وقد انتصفت وانزلق قمرُها نحو أُفق أُفوله

.. نهض وسط صحبه كأنَّ صدرَه قد ضاق فهو باحثٌ عن نَفَسٍ أي نَفَس يعيد اليه حياته .. نهض وصرخ كما يصرخ مستغيثٌ .. هذا يكفي .. يكفي هذا .. إيّاي إخبروا الان في رمشة العين هذه .. إيّاي إخبروا مَنْ الذي للاشياء نواميسَها قد وضعَ ؟

وكما لو ان الطير عشَّش فوق رؤوس الثلاثة ، او كما لو انَّ الموت ذاته جاء من آخر الدنيا ليُطبق على الرابية الغربية ، عمَّ صمتٌ وجحظت العيون وتحجَّرت على جحوظها وتهدلت الفكوك حتى كاد اللعاب يسيل من أطراف الالسن المندلعة . واذ اطلق صدر نمخاني صرخةً اخرى ، انما هذه المرة لم تكن صرخة مستغيث بل صرخة مذعور كانت ، تَفتَّتت كتلة الصمت فكان أُوردلاّ ابن سُرار اول مَنْ لمَ شتات نفسه .. قلبُك بخمر لا انتشى ولا جعَّة يا ابن إيلوتي .. ماأثقلَ الحجرَ وما أصلبه ذانك الذي رأسي به قذفتَ ..

ثم التحق لوسين يقاطع أُوردلاّ ، بل يُكمل قولتَه .. ببالي ما خطرَ ولا لي عَنَّ أنَّ ليلةً في ظهر الغيب كهذه الليلة للبشر ستبرزُ .. لو بوسعي كانَ أنْ أطرافَها أطوي وفي جوف آنية فخار إيَّاها أُدخلُ لفعلتُ؛ للبشر إيّاها أحفظُ نسلاً عُقبَ نَسلٍ ، على سؤالك فيها يُظهرَون يا كَرّاع الجعَّة ، ذانك السؤال الذي بمثله لا في السماء ولا على الارض لم يُنطَقْ .. فلهذه الليلة حُقَّ أنْ بسؤالك يانمخاني تتشبَّثَ لُقيةً بها سائرَ الليالي تُباهي .

نمخاني يُنقِّل عينَيه الان بين لوسين وأُوردلاّ ثم ينتقل بهما الى أُوبار .. ثم يعود ليُنقِّل عينيه بين الثلاثة .. ولكنْ .. ولكنْ .. انكما ألا تجدان ما به نطقتُ ، إيّاه قد حمَّلتما أكثرَ مما يحتمل ؟.. أو لم بمثل ما نطقتُ أُوردلاّ قد نطقَ ؟.. أو لم يَدعُنا الى أنْ أنفسَنا عن الحمير والبقر

نميِّزَ ، فنسألُ كيف الذي في السماء وعلى الارض يحدثُ وما الــذي جاعله يحدث ؟.. يا ابن عمنا شوكليتو يا أُوبار أنتَ ؛ بهذا السؤال أوَ لم ينطق .. أم تراني إليَّ قد خُيلَ أنّي إيّاه سمعتُ بذينكم السؤال ينطقُ؟!. .. سؤالٌ آخر يانمخاني به ابن سُرار قد نطقَ ؛ فعمّا به نطق غافلا كنت .. أُوردلاّ عن الشيء الذي هو جاعلٌ كلَّ مايحدث يحدث سألَ ؛ وعن شخصٍ إيّاه نُميِّزُ لم يسأل .. أنتَ عن شخص للاشياء نواميسَها قــد وضعَ سألتَ .. فنحن الان نعلم ان لوسين ابن لولو ناموساً لاحتسائنا الجعَّة وضعَ .. الشخصُ الذي للاشياء نواميسَها وضعَ إيّاه لا نعرفُ .. وأنتَ نمخاني ابن إيلوتي عنه تسألُ . سؤالك هذا به أُوردلاّ لم ينطق ؛ ففي وجَهَيَّ صاحبَيك هكذا لاتُحملقْ .

لا احد من الاربعة قد بلغ الثلاثين بعد . جميعهم متزوجــون وقد نسلوا . ثلاثة منهم رَبِعو القامات ، أمّا لوسين ابن لولو فقامتــه الاقصر بينهم ، والاكثر امتلاءً .. عبل الاطراف يكسو الشعر كامــل جسده ، فلا يترك له الا وجنَتين حمراوين تعلوهما عينان كعيني الصقر خازرتان أبداً او كأنهما لرجل مُغاضب ، مع انه حاضر الابتسامة تنشقُّ ابتسامته وسط لحية سوداء كثة . وتانكم هي ابتسامته تنشقُّ في رمشة العين هذه فتعيثُ بهيبة لحيته .. هل المجدَ تطردُ كأنَّ لا كاهــلَ لــك لحمله؟!.. مُتِّعتَ أبداً بالمجد يا ابن عمنا إيلوتي .. أُذنَيــك إذلــلْ اذن فأنت الواضعُ قَدماً على الطريق التي ننشد ؛ ولا أحَد ياكارع الجعّــة كرعاً اليها قد سبقك .. تانكم هي يانمخاني .. بكل الحق تانكم هي .. لاقَدمَ الى هذه الطريق قدمَك قد سبقتْ . فمن ساعتنا هذه وحتى آخر ساعة لنا في هذه الدنيا ، عَمَّن وضعَ للاشياء نواميسَها سائلين سنتلبَّثُ .. لا سؤالَ بعد هذه الساعة عن نواميس الاشياء ، وانما عَمَّن نواميسَ

الاشياء وضَعَ سؤالنا سيكون .

ثم نهض من حصير البردي المضفور ووقف الى جنب نمخاني الذي كان متسمِّراً وسطهم ، ومدَّ يداً لكل من أُوردلاّ وأُوبار يُنهضهما. واذ صاروا هم الاربعة لِصقَ بعضهم البعض ، وكانت السماء فوقهم مُنجمةً لا قمرَ فيها ، انحنى على زِقِّ الجعّة يُفرغ ما فيه في الاكواز الاربعة .. يامَنْ في سومر كلها لا صِحابَ مثلكم ، الثمالة هذه اكرعوا ، ثم كأنَّ اصواتكم الصدى لحقٍّ لا يندمغُ بعدي إصرخوا .. إكرعوا وبعدي إصرخوا : يا أنتَ .. يا أنتَ يا من إيّاه لا نعرفُ .. يا واضعَ نواميس الاشياء .. مَنْ أنتَ ؟ مَنْ أنتَ ؟ مَنْ .. أنتَ ؟؟؟.
والاصوات الصدى تُرجع الصرخةَ ، فاذا بالصرخة بِكراً لم تخطر بأُذن قَطّ .. لم تُمزِّق من قُبلُ فضاءً قَطّ .. لم تتلاقفها نجوم السماء من قبلُ فتعيدها الى الارض قَطّ .يقول أُوبار لشوكليتو ويروي شوكليتو لمليكه لِيلَوم أنَّهم هو ولوسين وأُوردلاّ ونمخاني كانوا يرتعدون فَرَقاً وقد شبكوا أذرعَهم بأذرع بعضهم ، يلوذون ببعضهم البعض ؛ ثم استشعر ترقرقَ عينيه وهدُّجَ صوته فكأنَّه طفلٌ ألفى نفسَه بغتةً في متاهة .

ويرتفع صوتُ لوسين ابن لولو بعد ان تتلاشى الصرخة وصداها ، وما برحت الأذرِع الثمانية متشابكة ،.. بالابتداء عليكم .. عليكم بالابتداء .. يا منبعثَ النور في سومر عليكم بالابتداء .

فانفلتت ذراعا أُوردلاّ ابن سُرار وتقدم الى خارج رصيص الاربعة يواجه صَحبَه .. بشرٌ هو أَم حمار أَم عِجل أَم طائر ام الشمس أَم القمر أَم أي من النجوم هو ، ذانكم الذي للاشياء نواميسَها وضعَ؟؟.. لا ندري .. علينا والحال هذه أنْ بالحق الذي به أُوبار ابن عمِّنا شوكليتو قد تحدث فنطقَ نَعتبرَ .. ذلكم هو .. الحق الذي به

تحدث أُوبار نعتبرُ ، فأعمارَنا لا نُقطِّعُ بالنظر الى الاشياء شيئاً عُقبَ الآخر .. إنما بوصف الاشياء البدايةُ تكون .. تلكم هي .. انما بوصف الاشياء البدايةُ تكون .. تفتت الرصيصُ المتبقي وتقابلت الوجوه فوق نثار الضوء الخابي ، فلقد كان سراجُهم يضيءُ وهو وسطَ العشب ، قِرب حصير البردي المضفور، لم يحمله أحدٌ . بأيِّ وصف نبتدي ؟ (أردفَ أُوردلاّ).. مَنْ لي بمَنْ بوصف نبتدي به إيّانا يأتي ؟. صَمتٌ ، ولاشيء غير الصمت .. العينُ التي يمسُّها نِثارُ الضوء تبرقُ .. عيون تتبارق والصمت كثيفٌ ثقيلٌ مخيف . قُطيرات عرَق تنبجس من جبين لوسين ابن لولو .. لا تلبث ذات القُطيرات أنْ تلصقَ على جبين أُوردلا نفسه ثم على جبين نمخاني فيستشعرها أُوبار تسحُّ على صدغَيه هو ايضا . قُطيرات العَرق تتداعى عند لوسين فتنضم الى بعضها فاذا هي خيوط تُخضِّلُ لحيتَه .. العرقُ يقطرُ الان من ذؤابات لحية لوسين .. لحى الآخرين لم تبدُ انها تخضلت بعد ، ومع هذا فأنفاسهم المذعورة صارت تُحسُّ . صمت صمت صمت . ومن دون أية رحمة يرتفع سوط أُوردلاّ ابن سُرار يجلدهم مرة اخرى : مَنْ لي بمَنْ بوصف به نبتدي إيّانا يأتي ؟ مَنْ مَنْ ؟ . ولا احد منهم يخطر له أنْ يجلس ، فكأنَّ حصير البردي غير موجود حذاءهم ينتظر مَنْ يقتعده .

واذ الصمت تمادى بينهم ، واذ لحاهم الان جميعها صارت تقطر عرَقاً ، وجدوا انفسهم يذهلون عن بعضهم البعض .. تحملهم أقدامهم كُلاًّ على سجيته . انهم الان ينبشُّون على سطح الرابية المعشوشبة .. ذاهلون عن انفسهم هُمْ الان . ذُبالة سراجهم تبعث بضيائها المُتعَب الخابي ، فلا يمس الا بالكاد أذيال أشباحهم المتزلقة الى جوف الظلام .. لقد ابتلعتهم الظلمة وظلوا في دياجيرها يتهجَّسون

دروبَهم الى أية فكرة ترتدُّ بالاجابة الى ابن سُرار .. ظلوا كذلكم حتى شقشق الفجر فاهتدوا الى موقع حصير البردي المضفور .

لم يكن شوكليتو ينظر الى لِيلَوم الملك وهو يروي ؛ وحين بلغ بروايته هذا المبلغ حانت منه انتباهة الى وجهه .. الموت ليته إيّاي أخذَ، فلا إيّاي تركَ ايها العظيم بحديثي هذا عينيك المبجَّلتين دمعاً أترعُ .

.. بل بالحياة مُتِّعتَ يا شوكليتو .. وهل أيٌّ منهم الى ضالتهم اهتدى؟.

.. الى ضالتهم أحدٌ منهم لم يهتدِ .. الى موقع حصير البردي ايها العظيم اهتدوا ، اذ شَمْلُهم ثانيةً التأم .. وسبعاً يعمهون تلبَّثوا .. على رابيتهم سبعَ ليالٍ يعمهون تلبَّثوا . يقول أُوبار انهم ذهلوا عن كل شيء ، حتى عن حقولهم ونسائهم وصغارهم ذهلوا . لم يهبطوا الى حقولهم ولم يختلفوا الى بيوتهم كما درجوا أنْ يفعلوا كل يوم .. وانما واصلوا توحدهم على الرابية المعشوشبة يغطسون في الصمت الذي بات له قوامٌ كأنَّه شبكةٌ تلفُّهم . نهضت الشمس من أُفق شروقها تعلن عن نهار جديد ؛ بَيدَ أنَّ النهار الجديد انطوى ، اذ سرعان ماانكفأتْ الشمس الى الأُفق الآخر مخلِّفةً وراءها فيضاً من ظلام غَمر السماء والارض . وبين طيات الظلمة تاهوا مجدداً ، وعند شقشقة فجر آخر اهتدوا الى حصير البردي مرة اخرى . لم يعد في سراجهم زيتٌ ، وما عادت فوق الحصير زُوّادات ملأى بزادٍ .. فضلاً عن أنَّ زِقَّ الجعّة بلا جعّة منذ أنْ صب لوسين بالامس الثمالةَ في أكوازهم .

غداة الليلة الثانية ، صبيحة النهار الذي تلا تينكم الليلة لم يفطن احد منهم الى نسوة وصغار يقفون فوق رؤوسهم ، وقد كانوا يفترشون الارض المعشوشبة يهدُّهم النعاسُ والجوعُ والاجهاد .. لم يفطن احد منهم حتى وهؤلاء يصرخون بأسمائهم . ومالانتبهوا من نومهم

إلاّ بعد ان راحت نساؤهم يخضضنهم خضّاً . فلما استيقظوا وجـــدوا صغارهم يقرفصون عند رؤوسهم يبكون . فهل تحركـــت ألـــسنتهم بكلمة تُطمئن هؤلاء المفجوعين بفقداهم ؟ . أبداً . نمخاني وحده مـــن نطق ولكن بعد لأيٍّ .. فما أفادَ اذ نطقَ ، ذلكم أنَّ ماقاله ماكان لأحد في سومر كلها ولا في أي أرض يسكنها بشرٌ أنْ يفقهه .. ماذا يقـــولُ هذا الرجل وبماذا يهذي ؟. ماكان تنبّه الى خلو الزوادات من الزاد ولا الزِقِّ من الجعّة ولا السراج من زيت البذور .. فما مس ذينكم لا من قريب ولا من بعيد وهو ينطق . زوجة أُوبار تنبَّهت الى ذينكم الامـــر بعد ان أفادَ نمخاني بكلمات مفهومة قبل ان يعود الى بِركة الـــصمت فيغطس جوار صحبه .. هنا وشأننا دعونا .. الى حقولنا واليكن لـــن نعودَ ، حتى لسؤال ابن سُرار جواباً نجد .

عند ذاك فقط تنبهت زوجة أُوبار الى أنَّ القوم بلا طعام ولا ماء ولا زيت لسراجهم ، ما ذكرت شيئاً عن زِقِّ الجعّة .. فبأي حال أزواجهن الان حتى يفكرن بملء الزِق بالجعّة ؟!. وهكذا كان : عُدنَ بالزوادات وبالسراج الى بيوهن ، فملأها طعاماً وماءً وزيتاً . كُلٌّ منهن ضمَّت رأس زوجها الى صدرها وقبَّلته ، وكذلكم فعل الصغار ثم هبطن الرابية بصغارهن وهن ينشغن دمعاً لم يقوين على حبسه .

ولسوف يُعاد ملء الزوادات بالطعام والماء ، والسراج بزيت البذور مرّات خمساً في نهارات خمسة أُخر ، دون ان تحظـــى أيٌّ مـــن النسوة ولا أيٌّ من صغارهن بانتباهة من رجالهن. في النهار الـــسابع ، قبيل انتهائه ، عند ساعة الغسق منه ، أعولَ نمخاني متوجِّعاً وهو يمسك برأسه يعتصره . ثم انقضَّ على زِقِّ الجعّة يرفعه أعلى من رأسه ويميـــل بفوهته الى فمه . لاقطرات .. حتى القطرات جفَّت وليس ثمة في يـــده

الاّ جلد عنزٍ متيبِّس ،.. بسببك أنتَ كل مانحن فيه يا ابن لولو يالوسين الذي على قتلهِ الآن أُوشك .. ناموسُك الذي لاحتساء الجعّة وضعتَ هو الذي الى حظيرة الحمير والبقر إيّانا أعادَ .. جواباً منك لن أنتظر .. كلا جواباً منك لن انتظر . وهبط يعدو بالزِقِّ ، الذي طواه وتأبَّطه ، يُيمِّم صوبَ المدينة .

هنا انفجر لِيلَوم الملك ضاحكاً ، ولم يمسك عن الضحك حتى اسند خاصرته بيده . ثم وهو على تينكم الحال .. وكيف الأمرُ بهـــذا اللعين انتهى ؟.. كيف ؟.

.. ولدي ايها العظيم قولتُه أنَّ الثلاثة الآخرين من سهومهم قد خرجوا، والى بعضهم البعض يرون صاروا فكأنهم بما نمخاني ابن إيلوتي به ثرثرَ يفكرون .. بما ابن إيلوتي به ثرثر يفكِّرون صاروا .

واذ غطس قرص الشمس وراء الافق ، فلم يبق منه الا خيط من حمرة ، ارتقى نمخاني الرابية ينوء بحمل زِقٍّ يترجرج فوق ظهـــره . على أنَّه هو ذاته ماكانت خطواته راسخة وهو يرتقي ، بل يبدو لصحبه كأنّه يوشك ان يترنَّح . فهبوا هم الثلاثة مرة واحدة يسرعون نحوه . واذ بلغوه وخفّفوا عنه حمله .. يا ابن عمنا لولو .. أما قولتي لـــك أنَّ ناموسَك الذي وضعتَ ، ذاك الذي عليه جميعنا الآن سنبـــصقُ هـــو السبب ؟. أما قولتي لك تانك قبل ساعة ؟. فكانت كلماتُه تخرج من طرف لسان أخذت به النشوة كلَّ مأخذ فـــإذاه متثـــاقلاً يـــستجيب لصاحبه . ثم ، والزِقُّ المترجرج يُنزَلُ كلياً عن ظهر نمخاني الى الارض ، .. ودليلي انما هو هذا .. الحقُّ في ماأتحدث .. كلُّ الحقِّ في ما اتحدث فإيّاه اسمعوا .. (والتفتَ الى أُوردلاّ) .. يا ابن عمنا سُـــرار .. ايهـــا السائل أُوردلاّ انتَ اليك جوابي .. الوصفُ الذي به نبتدي هو الموت

.. ذلكم هو .. الموت .. انما قبل ذاك عليكم انتم الثلاثة أنْ حـــديثي تصدّقوا ، فقولتي لكم ان هذا الذي النواميس للأشياء يضعُ ، الأشياء أولاً يصنعُ قبل أنْ نواميسها يضع .. (ثم صرخ بهم).. لماذا هكذا انتم واقفون ؟.. ماذا تنتظرون ؟.. هيا أكوازَكم هاتوا ، كي الحقّ يظهـــر فعلى السنتكم يَبين .

غير ان غيبة الوزير كاجينا ابن آينمر عن البلاط لاتطــول ، فهذا هو يدلف بقامته المديدة المحدودبة قليلاً وبوجهه الأملط الشاحب. ومن فوره يجثو أمام مليكِه ، فلا يملك هذا الا ان يصرف حاجبَـــه الى الباب .. الى حيث يقف خلل عمله. ثم ينهض كاجينا مـــن جثوتـــه ، واللهاث آخذٌ بصدره وقد ازداد شحوبُ وجهـــه شـــحوباً .. أيهـــا العظيم، رُمحاً في صدري نفذ ذانكم النبأ الذي الى مسمعي تناهى .. من هذه الساعة ايها العظيم ، عديدُ رجال ابن سين ، الحاجةَ التي بنا نزلت لن يلبِّي ..

صرخ بوجهه لِيلَوم الملك : قُتلتَ فلا قبرَ لك يا ابن آينمر .. أُنطقْ .. أيُّ خَطبٍ جئت بنبئه تنعب ؟!.

.. سومر يا ايها العظيم جُنَّت .. الهمجُ في تينكم القرى الـــتي جـــوار البحر العظيم هي .. الهمج أُولاء أمرَهم حزموا فمدينةً ابتنـــوا .. ثم لم يكتفوا .. إي يا عظيمنا ؛ ماقولتي عساها ؟!.. الهمجُ أُولاء برجل منهم ملكاً نادوا ، بعد أنْ عن المدينة التي ابتنوها تحدَّثوا فقولتُهم انها مملكـــةٌ وجرسونن اسمها .

طوَّحَ لِيلَوم الملك بذراعه أمام وجهه كأنّما يطردُ هَمّاً كـــان يشخص امام عينيه ؛ وبنبرة زايلها الارتباك .. أنفاسك ايها الـــوزير فلتهدأ .. ماذا اذن حسبتَ ؟.. أنْ مملكةٌ أُخرى في سومر لن تقـــوم ،

كنتَ تحسبُ ؟!

دنا كاجينا الوزير من كرسي العرش ، ويداه لا تستقران على حال .. سومر لمملكتين ايها العظيم لا تتسع .. لمملكتين يـــا عظيمنـــا لِيلَوم ابن إيناكلي سومر لا تتسع .. وأنَّ الذي في صدري النارَ يضرمُ هو أنَّ مَنْ به مَلِكاً عليهم نادوا ، الحكمةُ الى قلبه سبيلاً لا تعرفُ .

.. ما اسم ذينكَ الرجل يا ابن آينمر ؟

.. من عتاة قومه هو ، لا أباً له هو ، وننورتا اسمه .. ايها العظـــيم أنَّ اهل قريته الاولى التي فيها نشأ يعلمون .. بكلِّ الحقِّ يعلمون أنْ ليس له أبٌ إلاّ أنهم ننورتا ابن أُورجولا إيّاه يُسمُّون.

.. فكيف اذن به مَلِكاً عليهم نادوا ؟

.. إنَّ الذي في صدري النارَ يضرمُ هذا الشأن لا غيره .. عتوُّه بـــين قومه وشدة بأسه ما جاعلهم بإسمه ينطقون .. ايها العظيم يا مليكنـــا لِيلَوم ابن إيناكلي ؛ نفسٌ لنا لن تهدأ ، وقرارٌ لنا لن يقرَّ حتى عديـــدُ رجال بوزو ابن سين ألفاً آخرين نزيد ؛ ثم ..

انفلت لِيلَوم الملك من كرسيِّه ينتصبُ وهو يصرخ .. ثم ماذا أيها الوزير ؟.. ثم ماذا؟.. أعزمَكَ عقدتَ على أنْ بيدي تأخذ الى أن دماءَ أهلي أسفكَ ؟.. وقبل هذا وذاك من اين لك الألف الآخـــرون أُولاء ؟.

تهالك كاجينا ابن آينمر الى الارض حيث يقـــف وجثـــا ، لا تفصله عن قامة الملك الرِبعة المنتصبة فوق رأسه سوى خطوتين ، مـــا ألجأه الى أنْ يميل برأسه الى الوراء كيما تشرئب عيناه الى الملك وهـــو يتحدث .. الالف الآخرون بهاءَ طلعتِكم ينتظرون .. انهـــم في قـــرى الطرف الآخر من سومر ينتظرون .. فعن البحر العظـــيم مـــا أبعـــدَ

قُراهم!!.. والحال هذه ما أبعدَ أنف ذينكم الذي بلا أدنى حق بــإبن أُورجولا يُسمّى .. عن قراهم ما ابعد انف هــذا .. جُنحَــك انهــم لمنتظرون ايها العظيم حتى عليهم ينبسط .. مملكتنــا الأقــربُ لهــم فولاؤهم لنا يكون .. هذا الذي وزيركم الأمين ما رآه ؛ وبعين الحكمة ملكنا لِيلَوم ابن إيناكلي انما الى الألفي رجلٍ يرى، وبالحكمة انما عينيه يغلقُ فالالفَ رجلٍ لايرى .. هبط لِيلَوم الملك من دكَّــة عرشــه الى البلاط فائتاً كاجينا وراءه ما برح في جثوته يروم المضي في حديثه ذاك. الملك زامّاً شفتيه عاقدا ذراعيه وراء ظهره ، وما بين حاجبيه مُــشتبكُ الغضون ، يقطع البلاط رواحاً ومجيئاً ، ثم رواحاً ومجيئاً ، ثم .. لا يا ابن آينمر لا .. حَجَرُنا على كاهل الناس في مملكتنا قد ثَقُل ، وإنَّ أيَّ ضمٍّ لقرية أُخرى من قرى الطرف الآخر الى المملكــة النــاسَ سيــسحقُ وبالأرض إيّاهم سيسوِّي .. لا يا ابن آينمر لا .

كان كاجينا الوزير قد نهض من جثوته الثانية اذ رآى الملــك يُقلِّب ما رآه هو وما أشار به .. انا أنسحقُ وبالارض أُسوّى قبــل أنْ أهلي يا ايها العظيم ينسحقون .. انما هي واحدةٌ من اثنتين إمّا ان تينكم القرى نحن نضمُّ ، فألفا رجلٍ لدينا تحت إمرة بوزو ابن سين يكونون ، وإمّا أنْ منها لاندنو فإيّاها وشأنها ندعُ ، فذانكم الذي لا أبَ له إيّاها يلتهمُ .. تانكم الاثنتان أمامنا فلا ثالثةَ لهما .. لا ثالثةَ أمامنا لتيــنكم الاثنتين يا عظيمنا .. وانت الأحكم فينا .

.. انا فيكم الاحكمُ ؛ بَيدَ أنَّ الذي فيه نحن لأمرٌ جَلــلٌ .. وروح ابي إيناكلي الحكيم ماكنتُ إيّاه أعني في الحق الذي به قد نطقتُ في رمشة العين هذه هو أنَّ الذي أنتَ يا ابن آينمر اليه تسعى لدفعنا ، لأمرٌ جَللٌ هو ..

شبك كاجينا كفَّيه امام وجهه وأحنى قامته قليلا ، ثم قــاطع الملك .. مُتِّعت بالمغفرة يامليكي العظيم فغفرتَ لي اجترائـــي علـــى مقاطعتك .. بصري كَلَّ او العمى بعينيَّ قد نزل فلا أكاد أرى جلال الامر في حملة ابن سين برجاله الالف على تينكم القرى التي إيّانا اهلُها ينتظرون مثلما طائرَ سعدهم ينتظرون .

إدلهمَّ وجه لِيلَوم الملك وغذَّ خطاه يوسعها نحو كرسيٍّ عرشه . واذ تبّوأ مقعدَه جأر : عينَ الحقِّ قد اصبتَ عينَ الحقِّ .. فلا شيء غير العمى بعينيك قد نزلَ .. الامر الجَلَلُ ياوزيرنا الذي اذهلتـــه نـــساؤه الثمان عن إعمالِ قلبه في ما به لسانُه ينطقُ ويتدبَّر .. الأمر الجَلَـــلُ في حملة ابن سين برجاله على تينك القرى البعيدة غير كامن ، وانما في ما يعقب تينك الحملة سيكمنُ .. أيها الوزير اتحدثُ كنـــتُ فلـــسانَك أدخلتَ ، وأنّي مقاطعتَك إيّاي لغافرٌ .. ألا أُذنَيك فلتفتحْ وقلبَكَ .. انا الاحكم فيكم ، كما تزعمون ، وكلمةٌ بها انطقُ بشؤونكم تميدُ .. إنَّ أمراً جَللاً كهذا إيّاي جاعلٌ أنْ بطَلبِ بوزو ابن سين وأُوش ابن لوجال وانتيمنا ابن آجا أبعثَ ، وحتى لاما ابن زاجيري فضلا عن مجموعـــة جُلاّسنا ؛ ثم عليهم نزيد عشرةً من حكماء شيوخ المدينة وقرى المملكة .. بطلبهم أبعثُ ، فحولي يتحلقون ، فبالامر إيّاهم أشاور ؛ فلا مَلكاً عليكم دمتُ إنْ دماً سفكتُ او مالا أنفقتُ دون حقٍّ من مشورة يأتي . هَمَّ كاجينا ابن آينمر بالحديث ، الاّ ان لِيلَوم الملك رفع ذراعَه مفتوحةَ الكفِّ .. بأيما كلمة ايها الوزير الان عن النطق إمسكْ .. أمـــامي لا تمكثْ .. إسعَ .. إسعَ ، وأمرَ جَمْعِ مَنْ بطلبهم أمرتُ تدبَّرْ .

جثا كاجينا ثم نهض ينفتل خارجاً من البلاط . وقبل ان يبلغ الباب حيث يقف شوكليتو سمع الملك يستوقفه .. إي كاجينـــا ابـــن

آينمر وزيرنا .. لقصرك بهدية أمرتُ ، وأنَّك لواجدها في انتظارك اذ لنسائك ستؤوبُ . فبَهتَ الوزير ولم يحر بأي كلمة ينطق بها او أي فعل يأتيه، كما لو انه شُلَّ فهو ينظر الى مليكه لايريم . ولّما كان شــوكليتو لصقَه هَمسَ هذا في أُذنه: عظمتَه لشكرتُ ايها الوزير كاجينــا لــو مكانك كنتُ . عند ذاك فقط دبَّتْ الحركة في لسانه، ثم انصرف .

بُعيدَ ظهر ذينكم اليوم التأمت الحلقة التي دعا اليهــا الملــك ليلَوم ابن إيناكلي .. تماماً مثلما نطق بأسمائهم وبأوصافهم التأموا حلقةً حوله . لقد نافوا على العشرين بين متولٍّ مهمة من مهام المملكة وبين جليس من اولئك العُصبة التي جاءت مع كاجينا ابن آينمر قبل اكثــر من سنتين تنطقُ بلفظة الملك لاول مرة على أسماع البشر ، وبين شيوخ تطرفُ اعينهم وراءَ كثيف شَيبِ حواجبهم الُمرسَلة . تحلّقــوا حــول العرش ، الذي عافَهُ الملك وهبط يقف بين مَنْ دعاهم اليــه .. ايهــا الزُبدة التي وزيرنا من لبن مملكتنا إيّاها استخلصَ .. ايها الأجلاء انتم يامن مشورتَهم أنشدُ .. في هذا المقام شأنَكم لا تبخسوا ، فإنّمــا في كلمة تنطقون دمٌ سينحبسُ او يسفَكُ، ومالٌ سيُحفَظُ او يُبدَّد .. أنْ لا كلمةً بعد كلمتي أعلمُ انا ليلَوم ابن إيناكلي الذي به ملكــاً علــيكم ارتضيتم ، بَيدَ أنَّ كلمةً قبل كلمتي لا بدَّ تكون .. وانتم ايها الاجلاء بها لناطقون ، فليَ الكلمةَ إخلصوا ..

فارتفع صوتٌ من صف الشيوخ وكان لشيخ يتّكيء علــى عصا وقد انرسل بياض لحيته حتى غطّى نحرَه .. إي بُنَي ليلَوم .. أبوك من أترابي ، وفي قريتنا الاولى نلهو معاً كنّا .. إنْ الكلمةَ لك لم اخلص، تحت شمس لا عشتُ ولا هنأتُ .. ما لديك إبسطْ إبسطْ .

.. شيخي مِيسْلِم ابن شيش .. أبداً عشتَ وتحت شمس سومر هنأتَ ؛

وزيرُنا كاجينا ابن آينمر هدأةَ نفسي قطّ اذ الى علمي أنهى أنَّ القـــوم عند البحر العظيم شتاتَهم في مدينة قد جمعوا ، فقولتُهم انهـــا مملكـــةٌ وملكُها رجل عَتيٌّ ، الحكمةُ الى قلبه سبيلاً لاتعرفُ .. وزيرُنا هكـــذا تحدث .. ثم مقالةُ ابن آينمر كانت ، فعن حملة برجال بوزو ابن ســـين الالف على قرى الطرف البعيد عن البحر تحدَّثتْ .. فإلى مملكتنا ابـــن سين تينكم القرى يضمُّ ؛ ومن أهلها الفَ رجلٍ يصطفي فتحت جنحه حراسا يكونون ؛ فعديد حراس مملكتنا الفين يكون .. برجاله بوزو ابن سين على تينكم القرى البعيدة هل يحملُ ، أم ما لدينا مـــن حـــرّاس حسبُنا وحسبُنا من قرىً ما ضممنا ؟.

جمع مِيسْلِم ابن شيش كفَّيه ، الواحدة فوق الاخرى ، يتّكيء بهما على طرف عصاه وندَّتْ عن رأسه حركة كمن ينود وهو يُعمِـــل التفكير .. ولم ينبس بكلمة . واذ تأخر ردُّه قال شيخ آخـــر : قبَـــل ساعتنا هذه ، كلمتَنا إيّانا لم تسأل يا ابن إيناكلي لِيلَوم ايها الملـــك .. أفي حملتكم الجديدة هذه دَمٌ سيُسفَك اكثر من دم في حملات سابقات ، سفكتم ،.. حملات فيها قُرىً ضممتم تحت جُنحكم انتهتْ ؛ وهل مالٌ سيُنفَقُ أكثر من ذينكم الذي في الحملات السابقات أنفقتم ؟. فـــاذا بالوزير كاجينا ، الواقف الى يمين الملك ، يتقدم خطوتين ويلتفت نحـــو الاخير .. هذا وليس غيره يا ايها العظيم ما به تحدَّثتُ .. هذا الحـــقُّ وليس غيره ما به تحدَّثتُ يا عظيمنا لِيلَوم ابن إيناكلي .. دمٌ لن يُسفَك أكثر مما سُفك في حملات ابن سين التي الى مملكتكم القـــرى الرافلـــة بنعيمكم ضَمَّت ؛ ومزيدٌ من المال لن يُنفق .. ألا ان تيـــنكم القـــرى البعيدة حرّاسَكم تنتظرُ يقدمون لـــ ..

فصرخ لِيلَوم الملك : أيها الوزير الى حيث كنتَ عُدْ وبكلمة

لا تفهْ قبل أنْ عنها تُسألَ .. آذاننا انما لأشياخنا نذلٌّ وللآخرين ؛ الحقُّ في ما يتحدثون إيّانا يمحضون .. عُدْ .

وكاجينا يلبّي ، أرعدَ صوت ميسْلِم ابن شيش .. يا ابن آينمر سُفِّهتَ وأنتَ يا ابن أياناتم .. فإنْ الخَرَفُ ابن أياناتم كان أدركَ ، ما بالك أنتَ وأنتَ بعدُ صبيٌّ ؟!.. ألا أنَّ مليككما بعينيه الى ما وراء الافق ، الذي فيه الشمس تغطسُ ، يقذفُ .. ألا فاعلما .

.. مُتَّعتَ بطول العمر يا شيخي مِيسْلِم ابن شيش وانتَ الحصيفُ .. إيّاهما إظهِرْ والقومَ على ما عيناي وراء ذينكم الافق ترى .

.. ذانكم ماأنا فاعلُه وروحِ إيناكلي أبيك الذي وإيّاه معاً طائرَ الماء نصطادُ كنّا ، والفخاخَ لبنات آوى ننصبُ .. بُني لِيلَوم ماذا كنتُ سأقول ؟

.. كنتَ القومَ ستُظهِرُ على ..

.. بُني لاتُكملْ لاتُكملْ .. بخيط الحقِّ أمسكتُ لا تُكملْ .. ايها السيدان مليككما ، وانتم ايها السادة ، عيناه تبصرُ فالدمَ مسفوكاً ، كأنه الماءُ في نهرٍ يجري ، ترى ؛ وخزائنَ القصر خاويةً ترى ، فالريح فيها تصفرُ بعد أنْ الفين عديدُ الرجال يغدو تحت إمرة هذا .. بُني لِيلَوم ما اسمه؟..

.. بوزو ابن سين يا شيخي المُبجَّل .

.. تحت إمرة ابن سين .. أجل .. عديدُ الرجال اذ الفين يغدو تحت إمرة ابن سين هذا ،الدمُ كما الماء في النهر سيجري ، وسوى الريح شيءٌ في الخزائن لن يمكثَ .

واذا بإنتيمنا ابن آجا يجد نفسه طالباً الاذن بالحديث ؛ فلقد جثا حيث يقف ، ثم وهو جاثٍ يطأطيء رأسَه .. ايها العظيم مليكنا

شأني لا عَظُمَ فقبل أشياخي والآخرين تحدثتُ ؛ انما هو الجهلُ الـــذي نفسي ألفيتُ به أعمَهُ ، وأُذناي لشيخنا المبجل مِيسْلِم ابـــن شـــيش تستمعان .. فخشيتي أنْ جهلي عليَّ يُجهزُ إنْ انا تلبَّثتُ سمعيَ أُذلـــلُ دون أنْ قلبي ما يُقال يدركُ .. يا من لا عظيم سواه بين الناس ؛ هل لي أنْ الإذنَ من عظمتكم التمسَ فشيخَنا ابن شيش أسأل أنْ بقولةٍ قلبي يدركُها يمنُّ ؟.

لم يرد لِيلَوم الملك واكتفى بالنظر الى مِيسْلِم ابن شيش ؛ واذا بهذا يزمجر وعصاه تترنح تحت كفَّيه المغاضبتين .. قلبُك بـــالادراك لا مُتِّع .. مااسمك ؟ ومَنْ الذي بهذا المجلس إيّاك ألحَقَ ؟.

والابتسامةُ تنرسم على شفتيه .. انا إنتيمنا ابن آجا عامـــل عظيمنا الملك على خزائن القصر ، فعظمتُه شـــرفاً علـــيَّ أســـبغَ اذ بمجلسكم الموقَّر إيّاي ألحَقَ .

.. وما الذي في قولتي قلبُك لا يدرك يا ابن آجا ؟.

.. يا شيخنا المُبجَّل .. قلبي لم يدرك كيف أنَّ الدماءَ في النهر تسيل ، ثم خزائن القصر ، التي عليها عظيمنا الملك إيّاي إإتمنَ ، أفتحُ فلا علـــى شيء سوى الريح أقبضُ ان عديدُ رجال ابن سين ألفين غدا .

ولّما يزل صوت مِيسْلِم ابن شيش يرين لسامعه كأنَّه يزمجرُ .. بئس النسل أنتم .. أبكُم ظهورُنا جادت اذ نَسَلْنا ؟!.. يـــامَنْ قلبُـــه تبلَّدعِ أنَّ الرجل اذا ما لُه تعدَّد أخاه ظلمَ ، وإنْ قوتُه افرطت فعلـــى حاجته فاضت دمَ أُمه وأبيه سفك .. فما بالك يامتبلِّد القلب ومملكـــةٌ أُخرى الى جوار مملكتنا قامت مَلْكٌ إيّاها يسودُ ؛ وقولتُكم عنه انه عَتِيٌّ والحكمةُ الى قلبه سبيلاً لا تعرف؟!..

فأردف لِيلَوم الملك .. ليس هذا وحسب يا شيخي المُبجَّل ..

وزيرنا ابن آينمر تحدث فنطق فقولتُه أنَّ سومر لمملكتين لا تتَّسعُ ..
.. في وجهه بُني لِيلَوم ألم تبصق ؟!
تجاهل الملك تهكم الشيخ وتابع .. من قولته تينكم يا شيخي المبجَّل ابن شيش ماذا تفهم ؟.
.. أنه دمَ أُمه وأبيه سيسفكُ إنْ الفين عديدُ رجال صاحبه بلغ .. من قولته بُني لِيلَوم هذا الذي أفهمُ .

فلم يعد كاجينا يصبر على الصمت الذي فرضه عليه الملك ، وتقدم يجثو امام هذا طالباً الاذن بالحديث . واذا أذنَ له .. شيخي ميسْلِم ابن شيش وأنتَ المبجَّل فينا .. قولتي بها قصدي ذهب الى أنَّ ذَينكم الذي لاأبَ له ننورتا الى رجالنا إنْ رأى فعديدُهم ألفين هو ، والى خزائن القصر فإذا هي بأموال سومر تغصُّ ، ذيلَه بين ساقَيه سيضعُ وبجرسونن التي مملكةً إيّاها أسموا سيتروي عند جرف البحر العظيم ، فعينيه الى أي أُفق لايرفعُ .

ارتفعت عصا ميسْلِم بالكفّين اللتين تتكئان عليها ثم اندقَّتْ على أرض البلاط .. بالحَقِّ يا ابن آينمر لم تنطق ، وأنتَ الذي الى عينيه أرى فلا غير الدم أرى .. أمقنِعٌ الملكَ أنتَ والمجلسَ المبجَّل هذا بأنك الالفين أُولاء مُدَّخرٌ ليومٍ فيه ذانكم الذي إيّاه أسميتَ ننورتا يغزو؟.. بُني لِيلَوم ابن مَنْ ننورتا هذا ؟.. فأني إيّاه عارفٌ لابد .
.. قومُه ننورتا ابن أُورجلا إيّاه يُسمّون .. بَيدَ ان وزيرنا ابن آينمر قولتُه وعليها يصرُّ أنْ لذينكم الرجل لاأبَ الناسُ يعرفون .

بُني لِيلَوم ان اورجولا هذا ابن كاركلا هو ، صانعُ القوارب ، فابن آينمر على حق .. اذ لانسلَ من ظهر أورجولا ابن كاركلا خرجَ .. بُني لِيلَوم عمَّ كنتُ اتحدث ؟.

.. الى وزيرنا بلايقين كنتَ تتحدث من أنَّ ..
.. ذلكم هو .. ذلكم هو .. لا تُكملْ .. بطرف خيط الحقِّ أمسكتُ
.. يا ابن آينمر أقوَّتُك التي ستفرطُ إيّاها تدَّخرُ ؟.. أقولتُك انك قوتُك التي ستفرط مُدَّخرُها من اجل أنْ بها تخيف ننورتا ذينكم الذي أُورجولا ابن كاركلا منه براء .. من اجل أنْ إيّاه بها تخيف حَسْب ؟؟.. فلا رجلٌ يُقتلُ ولا مالٌ يُبدَّد ؟.
.. وحقِّك ايها المبجل هذا مابه تحدَّثتُ فنطقتُ فبقصده ذهبت .

بدا لشوكليتو أنَّ مِيسْلِم ابن شيش قد هدأ غضبه قليلا ، فذاك هو يتحدث دون ان تترنح عصاه تحت كفّيه المتكئتين .. يا ابن آينمر ، وأنتَ وزير ابننا لِيلَوم ؛ لا دافع لكم اقوى سيكون من أنْ ننورتا هذا ذيلَه بين ساقَيه يضع كما تحدثت أنتَ .. اقوى من ذينكم دافعاً لكم لن يكون ، فبالأفين رجال ابن سين على جرسونن واهلها تحملوا ؛ فقرارٌ لكم لن يقرَّ حتى إيّاها من على جرف البحر العظيم تمحون .. ألا فلتعلمْ .. ذلكم هو يا ابن آينمر ، ألا فلتعلمْ .. فإنْ لم تكن قولتك أنتَ ساعتها ، قولة غيرك ستكون بأنَّ هذه سانحةٌ وعليكم أنْ هتبلوا .. في حُرّاس ابن سين ستصيح او غيرك فيهم سيصيح أنْ به عليكم .. عليه إجهزوا قبل أنْ ذيلَه من بين ساقيه يجذبَ فيتنمَّرُ .. فعلى جرسونن تحملون ، فالدمُ في النهر يجري وعلى مصاريعها أبوابُ خزائن القصر تنفتح ؛ ففيها بعد ذاك غير الريح لا يمكثُ . والتفت مِيسْلِم ابن شيش الى إنتيمنا ابن آجا الذي نهض من جثوته منذ وهلة وَعادَ الى صف رجال القصر .. عسى أنْ قولتي الان يا ايها الفتى قلبُك قد ادرك .

وقبل ان يجيب ابن آجا تمتم أُوش ابن لوجال كأنه يتحدث الى

نفسه : دمُ غيرنا تانكم الساعة سيجري لادماء رجالنا .
فاذا باذن الملك تلتقط تمتمته.. بأيِّ الكلام نطق لسانُك يا ابن لوجال؟.
.. لا شيء التفاتة عظمتكم يستحقُّ .
..في المجلس المبجل هذا كلَّ قولة التفاتة الملك تستحقُّ وإنْ تمتمةً كانت عن صدر قائد حرّاسنا العشرة تندٍّ .. إنطقْ يا ابن لوجال إنطقْ ، فأنتَ بهذا المجلس مُلحَقٌ بأمري .. وبأمري ستنطقُ فأشياخُنا والاخرون إيّاك يسمعون .
.. يا مَنْ لا عظيم سواه بين الناس ؛ ما به مع نفسي تحدثتُ هو أنْ الدمُ الذي في النهر سيجري ساعة بوزو ابن سين برجاله على ننورتا يحملُ ، وهذا مختبيء ذيلَه بين ساقَيه يضعُ ، دمُ رجال ننورتا سيكون لا دمَ رجالنا .. فالخائف أيها العظيم هو من دمُه يُسفَكُ .. فلماذا التحسُّب؟.

يقول شوكليتو أنَّ وجه لِيلَوم الملك قد اصفرَّت منه الوجنتان وارتعد شاربُه .. لا بل حتى يداه كانتا تختضان وهو يستمع لقائد حرّاسه .. يا ابن لوجال إعلمْ اذن أني ما به الى نفسك قد تحدثتَ سمعتُ .. قولتُك الى نفسك أني قد سمعتُ كما إيّاك الان أسمعُ .. وعلى كُرهي لما سمعتُ ، في أنْ يسمعك كل مَنْ في مجلسنا هذا رغبتُ .. لا مُتِّعتَ برضاي عنك يا ابن لوجال.. أوَ لست بعالمٍ أنَّ البشرَ في سومر كلها هم أهلُنا سواء تحت جُنحنا كانوا أَم تحت أيٍّ جُنحٍ آخر ؟.. شيخُنا المبجل مِيسْلِم ابن شيش تحدَّثَ فنطق فقولتُه فيها أنَّه كارهٌ دمَ الناس في النهر يجري .. كلُّ الناس حتى الذين معهم نتعارك .. لا دمَ رجالنا حَسْب .

عقد مِيسْلِم ابن شيش حاجبَيه فتدلت كثيراً شُعيراتها البيض

الكثّة المُرسَلة حتى لم تعد عيناه تُرى .. لا بد أنَّ عينيه كانتا تخزران قائد حُرّاس الملك وهو يرعد .. لا قبرَ لك ايها الفتى وأنتَ الذي الى البشر يرى فغير نفسه لايرى .. إبننا لِيلَوم تحدث فنطقَ بأنَّ البشر كل البشر في سومر هُمْ اهلنا ؛ وأنا أزيد فأتحدث فأنطق فقولتي أنّ البشرَ حتى وهُم ليسوا تحت شمس سومر هُم أهلنا .. ألا فلتعلمْ وأنتم يا مَنْ تستمعون .

هنا طلب شيخٌ آخر .. لا ليس ابن أياناتم .. شيخٌ آخر طلب الاذن بالحديث وكان يبدو عليه انه من أتراب مِيسْلِم ابن شيش ، لا أصغر سنّاً ؛ واذ اذن له الملك .. يا مِيسْلِم مَهلَك بالصِبية أُولاء ترفَّق .. بالصِبية أُولاء ترفَّق يامِيسْلِم وبالحَقِّ إنطقْ إذْ انا سائلك .. بعينيك الى جرسونن إقذفْ .. أما القومَ هناك ترى ، وعليهم ذانكم العَتيُّ ، نفسٌ لهم لن تهدأ حتى ظلُّ مملكة ابن إيناكلي من على وجه أرض سومر يمَّحي ؟.. أذينكم لاترى ؟.. أما الدمَ ترى أنَّه اذن في النهر سيجري إنْ عديدَ رجال ابن سين زِدنا أم لم نَزد ؟؟. دماؤنا في النهر ستجري يا مِيسْلِم دماؤنا .. عديدُ رجال ابن سين إنْ الفين لم يغدُ ، صائحٌ في جرسونن سيصيح أنْ هِم عليكم ، أُولاء الذين لا عديدَ لهم وعليهم ملكٌ حكيمٌ قوماً بعراك لا يبتدي .. أنها سانحةٌ وعليكم إيّاها ان تهتبلوا .. قولتُك هذه باابن شيش تحدثتَ فبها نطقتَ قبل رمشة عين واحدة .. بقولتك هذه انما القوم في جرسونن سينطقون إنْ عديدُ رجال ابن سين لم نَزِد .

واذا بعصا مِيسْلِم ابن شيش تترنح تحت كفَّيه المرتعدتين ؛ واذا بالزَبد يطفحُ فوق شفتيه حتى قبل ان يتحدث ، ثم ..لا مُتِّعتَ بطول العمر يا ابن إينانش .. بُني لِيلَوم لماذا بمجلسنا هذا الخَرِفَ

أَلحَقتَ ؟.. (ولم ينتظر من لِيلَوم الملك جواباً بل تدفق يرعد).. هـذا الخَرِفُ تحدَّث فنطَقَ بكلمة الدم .. بكلمة الدم نطقَ إذْ تحـدث هـذا الخَرِفُ ، فالبشرُ قومان لديه ؛ والدم جارٍ في النهر لابد .. لابد الدمُ في النهر جارٍ .. القوم الذين رمشةَ عينٍ واحدةً يتريثـون ، فبرمـاحهم ومِديهم على القوم الآخرين لايظهرون ، أُولاء هُم مَنْ دمُهم في النهر سيجري لا بد .. البشرُ لاحكمةَ لديهم ، لا قلوبَ لهم .. أمـامهم لا شيء سوى ذينكم النهر يرون .. غير ذينكم النهر أمامهم لا يرون .. النهرُ فارغٌ الدمَ الذي سيسفكون ينتظرُ .. مَنْ الآخر برمحه او بمديتـه يبتدي حيّاً يتلبَّثُ .. هذا الخَرِفُ ابن إينانش فيكم بهذه القولة يصيح ، في رمشة العين هذه ، ولا بقولة اخرى يـصيح .. أَلا فـلا مُتِّعـتَ بالحصافة يا ابن إينانش ولا قبرَ آواك .

عمَّ البلاطَ صمتٌ اذ امسك مِيسْلِم ابن شيش عن الحديث .. وما كان يبدو عليه انه سيمسك لولا ان لازمته نوبة سـعال اخـذت بصدره وازرقَّ لها وجهه . وكما لو ان ابن اينانش لم يكن قادراً علـى الاصطبار حتى تزايل الرجل نوبة سعاله .. أيها العظيم لِيلَـوم ابـن إيناكلي بالسؤال سأقذفُ ثم بعد ذاك أحدٌ منكم إيّاي لن يلومَ .. إيّاي احدٌ لن يلومَ بعد أنْ اتحدث فبالسؤال أقذفُ (ومِيسْلم ابـن شـيش مابرح يسعل).. ماذا انتم فاعلون إنْ رؤياي ، كما بكلمتها نطقتُ ، قد تبدَّت ؟.. ماذا انتم فاعلون إنْ على عديد رجال ابن سين لبثنا فلا نزيد ؛ واذا بذينكم الرجل الذي لا أبَ له على رؤوسنا برماحه وبمِديه يقفُ ، ونحن في فُرُشِنا ، نفوسُنا لا حِراك لها ، حصافة ابن شيش إيّانا تحرسُ وحكمتُه ؟..

وهو على تينكم الحال ، منتفخ الاوداج مزرقٌّ الوجه يكـاد

ينطوي الى الارض ، رفع مِيسْلِم ابن شيش عصاه يضرب بها الارض .. فما تحدث بعد ذلكم احدٌ حتى أفرغَ ما في صدره في زاويـــة خلـــف العرش؛ ثم عاد يلهث وعيناه تدمعان . عاد الى حيث كان يقف قريبـــاً من الملك .. بُني لِيلَوم لا رأيَ لخَرِف ..فقاطعه لِيلَوم الملك بـــصوت أقرب الى الهمس : شيخي المبجَّل ولكِّني أهلي بالحمايـــة وعـــدتُ ، ولاجل ذينكم للقصر في أمواهم نصيبٌ باتَ .

واذا بالبِشْرِ يلوحُ على وجه كاجينا ابـــن آينمـــر ، يقـــول شوكليتو ، فيتململ في وقفته الى يمين مليكه ؛ ثم يجاري مليكَه فيهمس هو الآخر كأنه يُكمل المعنى : وبوعده عظيمنا لِيلَوم ابن إيناكلي لـــن ينكثَ .

فقبض لِيلَوم المَلك على ذراع وزيره الهامس وجذبه بعنف الى وسط حلقة الشيوخ والجُلاّس ورجال القصر ؛ ثم وهو مُطبقُ الفكّـــين يصرف بأسنانه .. لا مُتّعتُ انا ليلَوم ابن إيناكلي بيوم آخر في حيـــاتي وقد ارتضيتُ ، لك ولعصبتك أَنْ بي ملكاً تنادوا .. النهرُ جفَّ فلا ماءَ فيه .. دمَ القومِ ذانكم النهرُ التعيسُ ينتظرُ .

بعد ذاك انفرج فكّاه فتحرر لسانه .. على رأسك يـــا ابـــن آينمر صُروفُ الدنيا فلتجتمعْ . ومالَ على ذراعِه يستعين بها علـــى ألمٍ راح يعتصر أعلى بطنَه . بَيدَ انه ما قاء ولا تهالـــك الى الارض . انـــا تهالكت الى الارض ويداي تتزلقان على احدى ركيزتَـــي الـــدولاب المعدنية ؛ ثم وجدتُ نفسي أُفرغ معدتي عند قاعدة الركيـــزة دون أنْ يتنبّه إليَّ أحدٌ فيوقف الدولاب .

انتزع نمخاني السقاية من لوسين ابن لولو ، اذ احتفظ بـــزِقِّ الجعَّة الى جانبه بعد أنْ اترع الاكواز الاربعة . انهـــم الان يقتعـــدون حصير البردي المضفور وقرص الشمس اليقطر حُمرةً يتهاوى امـــامهم نحو حافة الافق . لقد لبّوا فكرع كل منهم كوزين ، الكوز تلو الآخر .. عند ذاك فقط اذن لهم نمخاني بأنْ يُقلِّبوا ما جاءهم به .. يا ابن العم سُرار يا أُوردلاّ يا ايها السائل، في رمشة العين هذه ، لا قبلها ، لكَ أنْ تتحدث فقولتَك تبسطُ .. انا تحدَّثتُ فبالموت نطقتُ .. ذلكم هـــو .. الموت وصفاً يكون .. قولتَك فلتبسط يا أُوردلاّ يا ايها السائل انت .

.. قولتُك أنْ هناك مَنْ الاشياءَ كلَّها صنعَ .. تنمو او لا تنمو ، كلَّهـــا صنعَ .. ثم لكل شيء منها ناموسَهُ وضعَ .. قولتُك هذه .. أليـــست هذه قولتُك يا ابن العم إيلوتي يا نمخاني أنتَ ؟.

.. مثلما أنا تحدثتُ ، أنتَ بالقولة نطقتَ .

.. ومشيئتُك أنْ الثلاثة نحن نتحدث فقولتنا تكون بأنْ هـــذا الـــذي الاشياءَ كلها صنعَ ونواميسَ لها وضعَ يموت او لا يموت .. مـــشيئتُك هذه .. أوَ ليست هذه مشيئتُك يانمخاني ؟.

.. مثلما منكم أردتُ ، أنتَ بمشيئتي نطقتَ يا ابن العم سُرار .

.. اذا كان هذا كلَّ الاشياء ، تنمو او لا تنمو ، قد صنعَ ، مثلما أنت نطقتَ ، فأنَّه لا يموت .. والان عليك يا ابن العم ايلـــوتي ان تـــسأل لماذا؟.

.. لماذا ؟.

.. لو انه يموت .. متى مات ؟.. والاشياء الجديدة إيّاها مَنْ صـــنعَ اذا كان قد مات ؟.

ادخل أُوبار لسانه بين لسانيهما .. في بدنه حياة مثلنا ومثـــل الحمـــير والبقر والشجر ، ثم لا يموت ؟ّ.. اهذا مابه تنطقُ يا أُوردلاّ ؟.. كيف يكون ؟..

فاثنى نمخاني على رأي أُوبار .. الحياة في البدن قبل الموت في البدن .. فاذا كانت في بدنه حياة ، هذا الذي الاشياءَ يصنعَ ونواميسَها يضعُ ، فموتُه لا بد .. عليك أنْ تبتدي فبالاجابة تنطق : هل حياة في بدن هذا الذي الاشياء يصنع ؟.

.. في بدنه حياة لا بد .. تانكم الاجابة .. فكيف الاشياءَ يصنعُ .. كلَّ الاشياء .. ولا حياةَ في بدنه ؟.. الحياة لا يهبُ مَنْ لاحياةَ له .

فكما لو انه يبغي الوثوب على أُوردلاّ ، أردف أُوبار : براحة البال هَنئتَ يا ابن العم سُرار .. أننا الآن نعلمُ أنَّ في بدن الذي الاشياءَ يصنعُ ثمة من حياة .. كلمة اولى الان إيّاها نعرفُ ، أم أنَّ للوسين ابن العم لولو كلمة اخرى يتحدث فبها ينطقُ ؟.

لم تكن الظلمة قد هبطت بعد على الرابية المعشوشبة ، ومـــع ذلكم كان لوسين منشغلا باشعال النار في ذُبالة السراج . التفت نحو أُوبار دون ان ينصرف عمّا في يديه .. مُتِّعتم أنتم الثلاثة بالحصافة .. لا كلمةَ أنطقُ بها بعد التي السنتكم بها قد نطقتْ .. كلمة اولى بها نبتدي

.. تلكم هي .. هناك حياة في بدن ذينكم الـــذي الاشـــياءَ يـــصنعُ ونواميسَها يضعُ .. إلاّ أنَّك يا ابن العم شوكليتو ياأُوبار انت كنـــت تتحدث فبالموت نطقتَ .. اين تانكم الكلمة في ما في رمشة العين هذه به تنطقُ ؟.

.. قادم انا بتينكم الكلمة .. تمهَّلْ وعلي اصطبرْ .. ما في صدرك مرتين إزفرْ ، فقولتي ستسمعُ .. انما هي قولةٌ لا تدري اين تحطُّ .. فيا أنتَ يا ايها اللمّاح فينا يا ابن العم لولو .. لوسين قولتي اين تحط ؟ وســؤالي فيها إنْ كان في بدن هذا الصانع حياةٌ ، فكيف لا يموت ، مثلما ابـــن العم سُرار أُوردلاّ نطقَ ؟ ؛ واذا هو يموت هل مات أم الحياةُ في بدنه ما زالت ؟؛ واذا مات صانعُ الاشياء هذا وواضعُ نواميسها ، متى مـــات ومَنْ الذي هو صانعُ المولودين في يومنا هذا وساعتنا هذه من صـــغار البشر والحيوان والشجر بعد موته ؟.. شياءَ جديدة كل يـــوم علـــى الارض نرى .. من الذي إيّاها صنعَ ، اذا كان هـــذا الـــصانع قـــد مات؟!.. وإنْ بَعدُ لم يَمُت فما أطولَ عمره اذن !!.. اسلافنا وأسلاف أسلاف أسلافنا هو الذي إيّاهم صنعَ ، وكلـــهم مـــاتوا ثم لا يموت هو! .. ماالذي جاعلٌ عمرَه بهذا الطول ؟.. لوسين ابن العم لولو .. ايها اللمّاح فينا ؛ هل لك أنْ قولتي هذه تدلَّ الى موضع فيه تحطُّ؟.. كوزا الجعَّة لا ادري اين ذهبا .. لا شيء منهما في قلبي قد تبقى .

شقَّت ابتسامةٌ كثيفَ شعر لحية لوسين وربَتَ علـــى بطنـــه المندلقة قليلاً كأنَّها كرشٌ ينمو .. لا موضعَ لقولتك فيه تحطُّ يا ابـــن العم شوكليتو .. هذا الصانعُ الواضعُ نواميسَ الاشياء عمرُه طويلٌ لا بد .. عمرُه أطول من أيِّ عُمر .. عُمرُ أيِّ شيء من عمره أقصرُ لا بد .. هل يموت ؟.. يا ابن العم شوكليتو إيّاي تسألُ هل يموت ؟.. اليك

جوابي ايها السائل .. انما بعد أنْ بكلمة الموت لجميع الأشياء ينطــقُ ، فلا حياةَ في بدَنٍ تبقى ، يموتُ .. إنما بعد أنْ بكلمة الـــدمار للنيِّــرين العظيمين في السماء ينطقُ ومعهما النجوم تتهشَّمُ وتنسحقُ ، يموتُ .. ثم إيّاي تسألُ لماذا يا ابن لولو يالوسين أنتَ هذا الــصانعُ ذو العمــر الطويل بكلمة الموت على الاشياء ينطقُ وبكلمـــة الــدمار لمـــا في السماء؟.. اليك جوابي ايها السائل .. ايها السائل لا ادري .. لعلَّه من رعايتها سيتعبُ .. سيتعبُ لا بد .. عندها وقبل أنْ بكلمة الموت على نفسه ينطقُ ، على جميع الاشياء في السماء وعلى الارض بكلمة الموت ينطقُ .

نمخاني يُمرر يده على الزِقِّ المترجـــرج الى جانبـــه وعينـــاه متسمرتان في شفتي لوسين لاتريمان .. إنْ كان هذا الصانع سيتعب يا ابن العم لولو ، كما أنتَ تتحدث ، فلماذا آخرين مثله لا يصنعُ ، له يدَ العونِ يمدّون ؟.. آخرين مثله لماذا لا يصنعُ ، فيدَ العونِ له يمـــدّون كيلا يتعب؟.

.. قولتُك هذه الى اين بها تذهب يا ابن العم ايلوتي يانمخاني أنـــتَ ؟.. آخرون مثله !!.. آخرون مثله كيف ؟.

.. آخرون مثله على أنْ الاشياءَ يصنعون لقادرون .. أُولاء له يدَ العونِ يمدّون فلا يتعب .. واحدٌ منهم هذا الصانع الكبير إيّاه يُكلِّفُ فالبشرَ يصنعُ ، وواحدٌ منهم هذا الصانعُ الكبير إيّاه يُكلِّفُ فالحميرَ يـــصنعُ ؛ وبصُنعِ البقرِ واحداً آخرَ يُكلِّفُ ، وللشجر صانعٌ آخـــر كـــذانكم ، وللعصافير والهوام صُنّاع آخرون ..

قال أُوردلاّ ابن سُرار كما لو انه يُكمل المعنى : .. فمن صُنْعِ الاشياء ورعايتها ، هذا لا يتعب ، فلا يموت .. ذلكم هو .. لا يتعب

فلا يموت .. انما يا ابن العم ايلوتي ، وأنتَ فينا المُجيبُ في رمشة العين هذه ، بقولة الجواب تحدَّثْ فانطقْ كيف الصُنّاعُ الصغار أُولاء صُنّاعا يكونون ؟.. كيف ؟.. هل هم الصانعَ الكبيرَ يشبهون ؟.. لماذا الصُنّاعُ الصغارُ أُولاء الصانعَ الكبير يشبهون ؟.. هذا اذا كانوا إيّاه يشبهون .. نحن البشرَ الصانعُ الكبير إيّانا صنعَ ، لكنَّ البشرَ على صُنْعِ الاشـــياء غير قادرين .

فهتف نمخاني : يا أنجبَ البشر في سومر .. أنتم يالوسين ابن لولو وأُوردلاّ ابن سُرار وأُوبار ابن شوكليتو .. أكوازكم هاتوا .. هذا الحديثُ شيئاً من الجعّة في قلوبنا لم يُبقِ . واذ أترعَ الاكوازَ الاربعـــة ، فكرعوا ما بها ، مسح نمخاني فمه بظاهر قبضته.. انا السائل فـــيكم ، فعليَّ بجواب لنا الطريق يُسلِّكُ إسبغوا .. أقربَ الناس شَبَهاً بالرجـــل مَنْ؟.

.. ابنه (قال أُوبار) .. الى اين مُنته أنتَ بنا ياكَرّاع الجعّة ؟.

.. الى الطريق التي إيّاها سنسلكُ ياً ابن العم شوكليتو ؛ فنفساً إهدأ .

علا صوت لوسين أجشَّ عميقاً : يا ابن العم شوكليتو ياأُوبار لا حاجةَ بكَرّاع الجعّة هذا الى أنْ بأيما كلمة ينطقُ .. فكما الـــشمس حتى للاعمى واضحةٌ ، واضحٌ الى اين بنا مُنته .. أُذنَك لي إذللْ وأنتَ يا أُوردلاّ .. ابن ايلوتي هذا .. ابن العم ايلوتيً هذا بكلمـــة الـــزواج سينطقُ .. بكلمة الزواج اما أنتَ ناطقٌ يانمخاني ؟.

فأطلق هذا قهقهةً هزَّتْ الرابية بأسرها وانطرح على ظهره ، وجعل يترافس ويضرب الهواءَ بذراعيه المتشنجتين . فانقضَّ أُوبار عليه يمسك بخصيتَيه اللتين بانتا للجميع من تحت جلد الغزال الرهيف الذي انزاح عن ساقَيه المترافستين . واذا بالآخرَين لوسين وأُوردلا يلتحقان

فينقضّان ، كلٌّ من جانب ، على اللُّقية السوداء التي بانت لهم خارج حسباهم .

ضحكات الثلاثة تصدح فتملأ المكان ، ومن تحت تينكم الضحكات كانت صرخات نمخاني وتوسّلاته تجهدُ كي تُسمِعُ آذاهم . ثم وبصرخة مجلجلة .. ميتٌ انا يا ابن شوكليتو إنْ في رمشة العين هذه إيّاهما لاتفلت . عند ذاك فقط أدرك أُوبار وأدرك صاحباه أنَّ الرجل كان يحتضر حقاً ، فنهضوا يمسكون عن مزاحهم ، وقد استوى نمخاني جالساً هو الآخر .. أُوبار يا ابن العم شوكليتو بعد اليوم لا نَسلتَ وانتما الاثنان .. فعلى قَطْع نسلي كنتم توشكون . وبعد هنيهة ،والمزاحُ يزايلهم فلا أثرَ له على لسان أيٍّ منهم .. ذلكم هو يالوسين وأُوردلاّ وأُوبار .. الزواج .. فإنْ كان هذا الصانع الكبير على صُنْع كل الأشياء قادراً .. إنْ نساءً لنا يصنع قادرٌ ، إيّاهن نُقبِّل ونضاجعُ فبالابناء يحبلن ، لا أدري ما الذي مانعُه هو من أنْ امراةً لنفسه يصنع ؛ اياها يُقبِّلُ ويضاجعُ فبأبناءٍ إيّاه يشبهون تحبلُ .. إمراةً له بأبناء تحبلُ لماذا لا يصنعُ لنفسه وهو الصانعُ الكبير ؟.. صامتون أنتم وأفواهكم مفتوحةٌ .. هل عَجَباً في الكلمة التي بها أنطقُ تسمعون ؟.. لوسين أنتَ يا ابن العم لولو .. ايها اللمّاح بيننا .. إنطقْ .. هل عَجَباً تسمعُ في الذي به ابن عمك إيلوتي ينطقُ ؟

.. انما العَجَبُ كل العَجَب أنْ قولتُك هذه التي بها نطقتَ إيّاها لانشتري بكل المال الذي نملكُ.. .. ايها الصحاب هلموا بالكلمات نطق تانكم التي بها لغاية هذه الساعة ارتضينا .. بالنواميس التي حركةَ الاشياء تُنظِّمُ وسلوكَها ألم نرتضِ ؟.. بكلمة أنَّ هناك مَنْ لجميع الأشياء نواميسَها يضعُ ، ألم نرتضِ بكلمة أنْ هذا الواضعُ للنواميس هو صانعُ

الاشياءَ قبلاً ؛ ألم نرتضِ ؟.. بكلمة أنَّ هذا الصانعُ الواضعُ للاشـــياء نواميسَها في بدنه حياة مثلما الحياةُ في أبداننا ، ألم نرتضِ ؟.. بكلمة ان هذا الصانعَ الكبيرَ من أجل أنْ لا يتعب من صناعة الاشياء ورعايتها ، فيموت ، صُنّاعاً صغاراً يصنعُ ، له يدَ العونِ يمدّون .. بهذه الكلمة الم نرتضِ ؟.. لماذا في رمشة العين هذه أيها الصحاب بكلمة أُخــرى لا نرتضي ، كلمة أنَّ الصانعَ الكبير له زوجةً يصنعُ ، إمرأةً إيّاها يُقبِّـــلُ ويضاجعُ فله تحبل بأبناءِ صُنّاعٍ صغار إيّاه يشبهون في أنَّ لهم القـــدرة على أنْ الاشياءَ يصنعونَ وللاشياء نواميسَ يضعون ؛ حركتها تـــنظم وسلوكها ؟؟.. لماذا ايها الصحاب بهذه القولة الكلمة لانرتضي ؟.

الظلمة تكثّفتْ الان على الرابية ، فلم تعـــد هـــذه تبـــدو معشوشبةً للناظرين . ذُبالة السراج تنثر ضوءَها الخابي يتراقصُ كلمـــا مرت بالقوم نَسْمة . وهذا هو يتراقص على وجه أُوردلاّ الذي عاد الى الحصير ينطرح فيتكيء على كوعه .. لوسين ابن عمنا لولو ياصاحبي لم نرتض بَعدُ بكلمة او كلمتين مما به نطقتَ .. مهلَكَ يا ابن عمنا لولو بنا تلطَّفْ ..

أُوردلاّ ابن سُرار كثير الشبه بأُوبار ابن شوكليتو ، كلاهمـــا أطول بقليل من لوسين وكلاهما أنحفُ منه على الرغم من ان كُلاًّ منهما يُعدُّ رَبِعَ القامة . كلاهما له وجهٌ بارزةٌ عظمتا وجنتَيه ولحيةٌ شعرُها الى الشُقرَة أقرب .. عيناهما لا تتشابهان ، وبهما انما ينماز أحـــدهما عـــن الآخر ؛ فأُوبار له عينان سوداوان مدورتان ، أمّا عينا أُوردلاّ فأشبه بحبة قمح نضجت ولها من العسل لونُه .. لوسين كُلُّ ما به ننطقُ في ساعتنا هذه إيّاه على ألسنتنا وجدنا بعد أنْ أنتَ تحدَّثتَ فنطقـــتَ بقولـــة أنَّ الصانعَ هذا يموت ؛ انما قبل أنْ يموت ، بكلمة الموت على الاشياء التي

إياها صنعَ ينطقُ ، وبكلمة الدمار والانسحاق والتهشيم على كل مافي السماء ينطق .. ولا أدري مَنْ منّا عليك بالسؤال رمى فنطقتَ بأنَّ هذا الصانعَ من رعاية الاشياء التي يصنعُ يتعبُ ؛ ثم أُوبار علـــى خـــصيتَي نمخاني قبضَ ، وكان هذا بكلمة الزواج يَهمُّ أنْ ينطقَ .. يا ابن عمنـــا لولو بكلمتك بَعدُ لم نرتضِ اذ قولتُك أنَّ هذا الصانع بكلمة الموت على جميع الاشياء التي صنعَ ينطقُ قبل أنْ يموت .. يا ايها المنصتُ لقولتي يا لوسين ؛ علينا لفعلة الصانع هذه سبباً إرمِ .. سبباً قلوبُنا إيّاه تدركُ .

..الاشياء في السماء وعلى الارض مَنْ إيّاها يرعى إنْ هـــذا الـــصانعُ مات؟. إنْ الصانعُ هذا مات ، رعايةَ الاشياء من بعده مَنْ سيتدبَّر ؟.. الشمسُ القمرَ ستنطحُ ، والنجومُ بعضها بعضاً ستهـــشِّمُ ؛ ولا مطـــرَ سيهطلُ ولا شعيرَ سينبتُ ولاجعّةَ ستكون .. البشرُ عن الحمير والبقر إيّاهم لا تفرِّق .. الثيرانُ نساءَنا تضاجعُ وأبناؤنا عجولاً يكونـــون ، فنحنُ الابقارَ نُقبِّلُ وإيّاها نضاجعُ .. البشر لهم ذيـــولٌ وقـــرونٌ .. لا أدري ما عسى قولتي تكون .. ابن العم سُرار لا .. لا .. على الصانع هذا أنْ بكلمة الموت لجميع الاشياء قبل أنْ يموتَ ينطقَ ؛ فهذا أهون .. أنْ الاشياء تموت، عليها أهون من أنْ في مثل هذا الذي به أنطقُ تعيشُ.

وكأنَّ الردَّ كان ينتظر على طرف لسان أُوردلاّ .. بكلمة أنَّ الصانعَ هذا للاشياء نواميسها يضعُ ، ألم نرتضِ ؟.. للشيء ناموســـا حركته وسلوكه يُنظِّمُ يضعُ بعد أنْ إيّاه يصنعُ.. .. أوَلم بهذه الكلمـــة نرتضِ ؟.. ابن عمي لولو يالوسين أنتَ .. اذا الصانع مات ، الناموس الذي إيّاه وضعَ يبقى .. فلا الشمسُ القمرَ تنطحُ ولا النجوم بعـــضها بعضاً تُهشِّم ولا البقرَ نضاجع فلا ابناء بذيول في اعجازهم يكونون .. الناموس ينظِّمُ والناموسُ باقٍ حتى اذا الصانع مات .. لوســـين ايهـــا

اللمّاح فينا ، بكلمة قلوبُنا إيّاها تدرك إنطقْ .
.. هذي بُغيتَك إُلبِّي .. أُوردلاّ أنا بُغيتَك مُلبٍّ ، فسمعَك إذلِلْ وانتما الآخران .. إنْ بقولتك هذه ارتضينا بقولة أُخرى نرتضي لابد .. القولة هي أنْ مملكة لِيلَوم ابن إيناكلي ستدوم إنًّ ابن إيناكلي مات فكما أنّه حيّاً ما زال .. اذ أنَّ لِيلَوم الملك ناموساً مملكتَه يُنظِّمُ وضَعَ .. الناموس هذا كلُّ مَنْ في المملكة يعيش يعرفه .. الالسن تتناقله .. ما حاجتنــا للملك يا ابن العم سرار وناموساً العيشَ في المملكة يُنظِّمُ قد وضعَ؟!.. انا السائل يا أُوردلا وانت المُجيبُ يا ابن العم سُرار ..
فلم يجب أُوردلا واكتفى بهزّ رأسه .
.. اذن فالكلمة التي بها أنطقُ قلبُك إيّاها أدركَ .. ذلكم هو .. الناموس حركة الاشياء وسلوكها يُنظِّم ، انما الناموسُ بحاجةٍ ايضاً الى مَنْ إيّــاه يحمي فيُبقي .. إيّاه يُبقي كما هو ، شيءٌ فيه لا يتغير .. ولا من مُبــقٍ على الناموس كمالَهُ وهيبتَه إلاّ مَنْ وضعَهُ . يا أُوردلا وانتما نمخــاني وأُوبار زُبدةُ قولي هي أنَّ الصانعَ هذا ، الذي جميعاً بكلمة أنَّه صــانعُ جميع الاشياء قد ارتضينا، إنْ مات فالنواميسَ التي وضعَ لن تبقى كما هي ولانظامٌ على الارض يبقى ولا في السماء .. والحال هذه ، الصانعُ بكلمة الموت على جميع الأشياء ينطقُ لا بد ، قبل أنْ يموت .. الصانعُ مشيئتُه أنْ لابنائنا بعد موته ذيولٌ لا تظهر . ما الكلمة الاخــرى يــا أُوردلا تانكم التي بها بَعدُ لم ترتضوا ؟.
فوثب أُوبار بلسانه يقذفُ به المتحاورَين .. الكلمةُ التي قَلبُ أُوردلا إيّاها لم يدرك فبها لم يرتضِ اوشك أنْ إيّاها أعــرفَ .. دونهــا أبوابُ قلبي مُغلَّقةٌ انا أيضا .. ايها السائل لوسين ابن عمنا لولو اليك بها .. قولتك ان الصانع يتعبُ فيموتُ فهو صُنّاعاً صغاراً يصنعُ ، له يدَ

العون يمدون فلا يتعبُ فلا يموت .. هذه القولةُ قلبي إيّاها لا يدرك .
وأردف أُوردلا : مُتِّعتَ بالفطنة يا أُوبار يا ابن عمي شوكليتو .. لوسين أنتَ اللمّاح فينا إلاّ أنَّ هذا الصانع لا يموت .. أبداً أبــداً .. معــك سنرتضي ومع نمخاني بكلمة أنْ امراةً زوجةً يــصنعُ فإيّاهــا يُقبِّــلُ ويضاجعُ، فبصُنّاعٍ صغارٍ له تحبلُ ؛ له يدَ العون يمدّون ، انما لــيس أنَّ الصُنّاعَ الصغار أولاءِ ، المُعينين له ، عنه الموتَ سيمنعون اذ إيّاه يُريحون .. لا .. السببُ هذا به لن نرتضي .. الصانعُ الكبير لا يموت . أبداً لا يموت .. لا يتعب ولا يموت .. سببٌ آخر به سنرتضي .. إنْ إيّــاي تسأل ماهو السبب الذي به ترتضون ياأُوردلا ابن سُرار ؟ إيّاك أُجيبُ .. فإليك بجوابي أتوجهُ .. الاشياء على الارض كثيرةٌ جداً ، ليس البشر والحمير والبقر والبط والطيور فقط والــ.. هناك النمــل والــذباب والدود ولا ادري ماذا ايضا في التراب يعيشُ والسمكُ في الماء والريح والعواصف والنار والامطار والغيوم والانهار والبحر العظيم وكلُّ شيء كلُّ شيء فضلاً عن النجوم والنَيِّرين العظيمين وكلُّ شيء كلُّ شيء .. هذه الاشياء كثيرة ولكل شيء منها ناموسُه .. فهذا الصانع الكبير بعد أنْ كل هذه الاشياء يصنعُ ، عليه سيصعبُ بمفرده وحدهِ أنْ الى كــل النواميس يرى بعينٍ واحدةٍ ثم إيّاها يحمي فلا هي تتغير .. أبناؤه الذين لا يموتون أيضا له يدَ العونَ سيمدّون في هذا الشأن .. كلُّ منهم بعينه الى شيء واحدٍ سيرى ، ثم ناموسَ هذا الشيء يحمي فالشيءُ لايتغير .. الكلمةُ التي يجبُ أنْ نتحدث فيها ننطقُ هي أنَّ الأبناء أولاء لايقدرون على أنْ الاشياءَ يصنعون مثلما أبوهم الصانع الكبير يفعلُ .. فقط فقط هم قادرون على أنْ نواميسَ الاشياء يحمون .. تانكم الكلمة علينا أنْ بها ننطقَ ..

فقاطعه نمخاني .. وهل المرأة زوجة الصانع الكبير قادرةٌ على أنْ له كلَّ ذينكم العدد من الابناء تلدَ ؟.. فأنتَ يا ابن العـــم سُـــرار بكلمةٍ تنطقُ هي أنَّ لكل شيء على الارض او في السماء إبنـــاً مـــن الابناءٍ أولاء ، الذين لا يموتون ، الناموسَ يحمون ذانكم الذي حركـــةَ الشيء يُنظِّم وصنيعَهُ .

.. لا مُتِّعتَ براحة البال يا ابن العم إيلوتي يانمخاني أنتَ .. هذا السؤال لستُ انا عليه بمُجيب .. لا أدري !! .. ما إيّاه أدري وهذا قُـــصارى مادري هو ان تينكم المراة بمفردها غير قادرةعلى ولادة كل ذيـــنكم العدد من الابناء الذين لا يموتون .. ولا حقَّ ابدا في كلمةٍ بغير ذينكم تنطقُ .. ماقولتُك ياأُوبار ؟.. هل أنت بمُجيب ابن عمِّنا شوكليتو ؟.

.. الحق كل الحق ما به تنطقُ .. إمرأةٌ واحدةٌ كلَّ هذا العدد من الابناء الذين لا يموتون لاتلدُ ، حتى لو انها إمرأة الصانع الكبير .. مـــا أرى اليهه فإيّاه أرى تحت ضوء هذا السراج هو أنَّ تينكم الزوجة أُناثاً ايضا تلدُ ، وليس ذكوراً حسب .. وكل ذكر من الذكور أُولاء من احداهن إمرأةً له يتَّخذُ ، إيّاها يُقبِّلُ ويضاجعُ فله عدداً من الابناء والبنات تلدُ .. وعلى هذه الطريق يمشي الجميع جيلاً بعد جيل .. غير هذا الحق يا ابن العم سُرار حقاً آخر لا أرى .

مال لوسين ابن لولو عليهما .. على أُوبار ابن شوكليتو مالَ وعلى أُوردلا ابن سُرار مال وقبل راسيهما الواحدَ تلو الآخر .. بمـــا نطقتما سأرتضي .. لا الصانعُ الكبيرُ يموت ولا ابناؤه وبناتُه يموتون .. لا الصانع الكبير يتعب ولاابناؤه وبناته يتعبون الصانع الكبير الاشياءَ جميعها يصنعُ ولكلٍّ منها ناموساً يضعُ ؛ ثم أبنـــاؤه وبناتـــه بعـــد ذاك النواميسَ يحمون ألاّ تتغير .. ولعلني على هذا الحق أزيدُ فبحقٍّ آخـــر

أنطقُ فقولتي أنَّ الصانعَ الكبير وحدَه لساناً يملك فبكلمة الموت ينطقُ فإيّاها يقذفُ .. على أي شيء يشاء كلمةَ الموت يقذفُ .. حتى ابناؤه وبناته الذين لا يموتون بمشيئته يموتون .. بكلمة الموت ينطقُ ثم عليهم يقذفُ فيموتون .. ذلكم هو .. اترتضون بهذا ؟. أبهذا الحقِّ الذي به في رمشة العين هذه نطقتُ ترتضون ؟؟.

.. شوكليتو هل بتينكم الكلمة له ارتضوا ؟.. شـــوكليتو إصـــطباراً ماعدتُ أطيقُ . إمّا أنْ بإبنك إيّاي تأتي وصحبه وإمّا أنْ بيدي تأخـــذَ شوكليتو الى تينكم الرابية .. ألا شيئاً فلتفعلْ .

ونزولاً عند ارادة لِيلَوم الملك ، كان شوكليتو متربعاً علـــى الارض أمام العرش تماماً طارحاً رمحه أمامه .. لـــيس في هـــذه المـــرة حسب، بل في مرات سابقات ايضا ، منذ ايام ، ولِيلَوم المَلِك يـــصرُّ على أنْ لا يلبث شوكليتو منتصباً أمامه وهو يروي له أخبار مايحـــدث على الرابية المعشوشبة . واذ قاطعه الملك بذلكم الامر ، هَبَّ شوكليتو واقفاً .. يا مَنْ لاعظيم سواه في سومر بأسرها ، لاننورتا ذانكم الذي لا أبَ له ولا غيره .. مُتِّعتَ يا عظيمنا بالمغفرة فغفرت لي ان اجترات بالسؤال عما ستفعل على تينكم الرابية بين كُرّاع الجعّة أُولاء .. والحق كل الحق في قولة أحسبُ فيها ذهاب عظمتكم اليهم بكثير أفضل من إتياني بهم اليكم ، فلا ندري متى كاجينا الوزير في البلاط يَحلُّ .

.. يا شوكليتو ستعلمُ .. كلَّ العلم ستعلمُ يا شوكليتو اذ تينكم الرابيةَ نرتقي معاً ، فأنّي أكاد لأقسمُ بروح ابي إيناكلي الحكيم بأنْ لاحابسَ للدم ولا حافظاً لمال الناس إلاّ بارتقاء تينكم الرابية . ما لدى أمارجي عليه إيّاي تُظهِرُ ؟.. أمارجي تانكم المـــرأةُ مـــا جديـــدُها ياحاجبنـــا شوكليتو؟. بالطريق الى أنفاس نَنْ دادا ، ألم تُمسك بعد ؟

أمارجي احدى الوصيفات الثمان ، هدية لِيلَوم الملك لوزيره مع زِقِّ الخمر وزِقّي الجعَّة والعجول والخِراف .. أمــارجي انتــهتْ وصيفة لنَنْ دادا ؛ بل أنَّ شوكليتو بعث بها حَسبَ مشيئة الملك لتنتهي وصيفةً لنَنْ دادا لا لغيرها من نساء كاجينا الوزير . إيّاكِ أنْ إنتباهاً لنَنْ دادا تُلفتين الى أنَّك تَسعَين الى أنْ وصيفةً لها دون غيرها تكــونين .. هكذا أوصاها شوكليتو ، ثم كان الاتفاق بينهما على أنْ يلتقيا مرَّةً كلَّ سبعة ايام في بيت شوكليتو ، في قصر الملك .
نَنْ دادا تانكم الساحرةُ التي جعلت كاجينا ابن آينمر يهذي بما يــراه منها ويسمع كانت تتعرى له كل ليلة بعد أنْ يفرغ مــن مــضاجعة احدى نسائه السبع الأُخريات على مرأىً منها .. تجرُّهُ وراءها وتُدخله الى مخدعها . في ركن الاغتسال تغتسل نَنْ دادا بماء الــورد ، بينمــا يكون كاجينا ينتظر على بساط ، قريباً من فراشها .. لا يبلغه منها الا عَبقُ طِيب ماءِ الاغتسال . امامٍ البساط تكون أمارجي قد هيّأت أطباق الطعامَ وزِقّاً صَغيراً فيه من خمر الملك ، فضلاً عن كُوزين فارغَين . بعد طول انتظار تطلُّ نَنْ دادا على كاجينا ابن آينمر لا تضعُ على جسدها سوى قِطعٍ من جلود الافاعي المعقودة الى بعضها البعض والهابطة مــن حافتَي كتفَيها نُزُلاً حتى ملتقى فخذَيها عند عانتها . فخذاها عَمــودا مَرمَرٍ بيضاوان ، ينكسر بياضهما كلما انزاحت أشرطةُ جلود الأفاعي فيَبين سوادُ شعرِ عانتها . واذ تتلوّى وتنفتلُ ، فلا تمكث جلودُ الأفاعي منسدلةً على اسفل ظهرها ، تشعُّ عجيزتُها بإتلاقٍ لم ترَهُ عينا أمارجي من قبل .. إإتلاقٌ هو مزيجُ أضواءٍ تنبعث مــن البيــاض والاكتنــاز والبَضاضة معاً .

تنطرح نَنْ دادا على فراشها .. ليس على ظهرها تنطرحُ وانما

هي على جانبها منطرحةً يتّكيء كوعُها على وسادتين منضودتين فوق بعضهما ، وشذى الورد يفوحُ من تحت كل ثنية من ثنايا جـــسدها . عيناها الطاغيتان على نصف وجهها متسمِّرتان بعينَيّ كاجينا ترميـــان بلَحْظ مُسدَّد ؛ وشفتاها الحمراوان المتلاهبتان منفرجتـــان بمقـــدار .. مقدار محسوبٍ يكفي للنَبْس بهمسة استغاثة حَسْب . ومن حين لآخــر ينتأ طرفُ لسانها عبر تينكم الفرجةِ المحسوبةً فيتهجَّسُ بطانـــةَ شـــفتها السفلى كأنَّه يديمُ استعارَ النارِ هناك .

تصب امارجي من زِقِّ الخمر في الكُوزين ، وتملأ طبقَين بطيور مشوية لكاجينا الوزير طبقٌ ولسيدها نَنْ دادا طبق . ثم تتلبث امامهما تنتظر الاشارة . وتأتي الاشارة اذ تتحرك إصبعان من كفٍّ تُرخيها نَنْ دادا على وركها المُنكشف . تفهم أمارجي حركة الاصبعين فتنصرف .. على أنْ تَمكثَ خارج المخدع عند الباب . لن تبقى أمارجي في منأىً عما سيدور في المخدع .. أمارجي سترى الى ما يـــدور في المخــدع وستسمع ما يُقال هناك عِبرَ ثُقبٍ في الباب إنوجـــدَ بإرادهـــا هـــي . سترشفُ نَنْ دادا من خمرها رشفةً ، ثم تضع الكوز أرضـــاً .. ثم لـــن ترتضي لكاجينا أنْ يحذو حذوها ، بل تشير اليه أنْ اقترب . فيقتـــرب حبواً بالكوز المُترع خَمراً . ثم تشير اليه وهي همس فلا تسمع أمارجي الكلمات التي همس بها ؛ الاّ أنَّ هذه سترى الى الوزير يـــدلقُ ممـــا في الكوز بمقدار .. يندلقُ من الخمر بمقدار .. على حُلمة نهـــد نَـــنْ دادا يندلقُ ذانكم المقدار من الخمر فينتهي رشفةً تلوَ الرشفة يلتقطها فَـــمُ كاجينا من على تكوِّر النهد . وتشير نَنْ دادا وهمـــس فـــلا تـــسمع أمارجي ما همسُ به سيدها بَيدَ أنّها سترى الى الوزير ينقلبُ بما تبقّـــى من الخمر في الكوز الى حيث انخساف خاصرة نَنْ دادا التي مابرحـــت

مُنطرحةً على جانبها . يدلق مقاديرَ خَمرِه ، مقداراً تلو مقـــدار .. في وهدة ذينكم الانخساف يدلق خَمْرَهُ مقداراً تلو مقدار إذْ سيرتشفه من على شفا سُرَّتها . ثم تسمع أمارجي سيدها .. بملء أُذنها المتنـــصّتة ستسمعها تحضُّه على إتراع كوزه الفارغ .. يحمل الوزير كاجينا ابـــن آينمر الزِقَّ ولِهاثُ الشهوة آخذٌ به ، فيترع كوزَه ويؤوب اليها حَبوَاً .. الى نَنْ دادا يؤوب الوزير حبوا وكوزه بالكاد يوصـــل الخمـــرَ الى حيث سينتهي دون أن يُهرَقَ . تشير نَنْ دادا اليه وهي همس ، فـــلا تسمع أمارجي ما همس به سيدتُها غير انها سترى الى الوزير يدلقُ خَمْرَهُ على مُرتفعِ ورِك نَنْ دادا الأعلى .. رشفةً رشـــفةً يدلقُـــه ثم يتتبـــع الرشفات وهي تسحُّ فتضيعُ في مثلث عانتها .. حيث يحُلُكُ الـــسوادُ تضيعُ الرَشفاتُ ؛ بَيدَ أنّها لن تضيع الى الابد فلسان الوزير كاجينـــا مُندسٌّ في احتشاد الشعر لا تفلتُ منه قطرةُ خَمرٍ واحدة . واذ يفرغ كوزه للمرة الثانية يطرحُه الى جانب البساط ويلقي بجسده فوق نَـــنْ دادا التي ستنطرح على ظهرها .. عند ذاك فقط ستغير مـــن وضـــعية انطراحها لتنطرح على ظهرها ، إلاّ أنَّ فخذَيها لن ينفرجا قط . ستثني إحداهما دريئةً تصدُّ صدرَ الوزير ، فلا هو بالغٌ مُبتغاه .. حـــتى أنّـــه سيشرعُ بالاهتزاز وهو على تينكم الحال ، دون أنْ يكون قد نال منها؛ ثم ينتهي الامر بأنْ ترفسَه بعيداً عنها ، وسَقيُّه مُتبدِّدٌ في غير أرضـــها . ثم المرة تلو الاخرى يُعيدُ الكَرَّةَ بعد أنْ يلتقط أنفاسَه ويمـــسح عَرقَـــه ويلتهم طيراً مشويا ويحتسي من الخمر مما يَسحُّ من ثنايا جسدها .. المَرّة تلوَ الاخرى يُعيد الكرة ، لا هو يملُّ ولا هي تكلُّ حتى يتقطَّع الليـــل ويصيحُ دِيكُ الفجر .

في ايام زواجهما الاولى، حيث كان يهذي بما يـــرى منـــها

ويسمع ، كانت تفسح له فينال منها الا أنّها ترفسُه بعيداً عنها وهـــي تستشعر دنوِّه من قضاء وِطرِه . كان الامر أهون عليه قبـــل أنْ تحـــلَّ أمارجي بينهما وصيفةً لنَنْ دادا . فمنذ أنْ حلَّت هذه في قصره لم ينل ابداً من نَنْ دادا . ولم يدرك الرابط بين الأمرين ، كما يبدو . أمارجي تدرك .. فغداةَ كل ليلة من تينكم الليالي يستيقظ كاجينا الوزير مـــن نومه مُنهكاً مخذولاً فيتناول فطورَه ويبرح القصر الى قصر الملك . بعد خروجه وقبل ان تتناول نَنْ دادا فطورَها .. بعد خروجه وهذه بَعـــدُ عاريةٌ في فراشها ، تتقاذفُ تكورّات جسدِها شرائطَ جلدِ الافـــاعي ، تنادي على أمارجي . تُلبِّي أمارجي ، فتدنو منها وتدنو حتى تقف عند فراشها ، وهي في فراشها منفرجة الفخذين . ثم تنطق عيناها قبـــل أنْ ينطق لسانُها .. وإذ ينطق لسانُها تسمع أمارجي استغاثةً مهموســـةً : أمارجي بقِطَعِ ردائِك هذا بعيداً إلقي .. أمارجي كاجينـــا كـــوني .. كاجينا كوني يا ايتها الوصيفة .. النارَ التي ترَين إيّاها إطفئي . في المرة الاولى تردَّدتْ أمارجي هُنيهةً ، ثم استوضحت من سيدها المنطرحـــة على ظهرها ، ثم لبَّتْ .. انما دون أنْ تنبس بعد ذاك بأية كلمة وهـــي فوق سيدها . بَيدَ أنها وبعد صباحات ثلاثة ، اذ لم تعد نَنْ دادا بحاجـــة الى أنْ همس بأيما كلمة للوصيفة التي تُلبِّي فتقف عند فراشها .. بعـــد تينكم الصباحات ، في الصباح الرابع ، تمهَّلتْ حـــتى تبلـــغ ســـيدها ذروتَها. عند ذاك ، وهي مُطبقةٌ عليها ، أدنَتْ فمَها من أُذن نَـــنْ دادا وهمست دون ان يظهر بين كلماها ما يشير الى انها ترى ما يحـــدث في المخدع كل ليلة .. هَمستْ : لماذا لم تدعيه إيّاها يُطفيء ؟.. ســـيدي الوزير هنا كان!!. واذا مافرَغتْ من تشنجها الـــساحق ، وعيناهـــا تكادان تتفتقان عن دمٍ يفور .. أمارجي أيتها الوصـــيفةُ أنـــتِ .. ألا

تنامين والحُلمُ خاطرٌ لكِ أنْ وصيفةً لملكة تكونين ؟.

كانت أمارجي قد رفعت رأسَها تنظرُ الى عينَيّ سيدها وهذه تُجيب ، دون أن تُنهضَ جسدها عنها ، فليس بوسعها ان تفعل ذينكم قبل ان تأمرها نَنْ دادا .. ياأجملَ السيدات سيدتي ياأكثر نساء ســومر فتنةً .. هلاّ لقلبي الذي قولتَك لايدركُ غَفرتِ .. قلبي ياسيدتي نَنْ دادا قولتَك لا يدركُ .

.. الجوعُ بسيدتك يا أمارجي يأخذُ .. بطعامي إليَّ هَلمِّي . ورَفــستها كما ترفس كاجينا الوزير في لياليه المُحبَطة .

ويفزُّ ليلَوم الملك من جوف كرسيٍّ عرشه ..من جوف كرسيٍّ عرشه يَثبُ ليلَوم ابن إيناكلي منتصباً .. شوكليتو تانكم المرأةُ علــى النطقِ بكلمةٍ ألا توشك ؟.. أني أكادُ أسمعُ وهي بها تنطقُ .

.. مُتِّعتَ بالمغفرة ايها العظيم فغفرتَ لي جهلي بمقاصد قولتك .

.. لا يا ايها الحاجب الامين .. جهلَك بمقاصدِ قولتي لكَ لن أغفــرَ .. عديدُ رجال ابن سين الالفين بلغَ بحُجَّة أننا بهم ننورتا ذانك الذي على جرسونن نُخيفُ ؛ وخزائنُ القصر بأموال الناس تغصُّ ، وعليها إنتيمنا ابن آجا .. وحرسُنا عديدُه خمسين رجلاً بلغَ ، وعليه أُوش ابن لوجال .. وابن لوجال هذا وابن آجا لابن آينمر نديمان ، معاً الخمرَ والجعّةَ في قصر الوزير يحتسون .. أجل للوزير ابن آينمر قصرٌ منيفٌ وفيه نساؤه، ثَمانٌ حسان ، بينهن ساحرة اسمها نَنْ دادا تطغى ، لرجُلها الاولادَ لا تصنعُ .. له قدرَه تصنعُ .. قَدرَ ابن آينمر رجُلها بيدها تعجنُ وبيدها تخبزُ ؛ ثم لوصيفتها هي الاخرى قَدَراً ترى .. قَدَرُ وصيفتها أنها وصيفة لملكة تكون .. لا مُتِّعتَ برضاي عنك يا شوكليتو إنْ قلبُك مقاصــدَ قولتي لم يدرك .. ألا أُذنيك فلتُذللْ وقلبَك فلتفتحْ .. فاذا مــا أُفُــقُ

الغروب قُرصَ شمسِ هذا اليوم إبتلعَ ، بيدي أخذتَ ، والظلمةُ عن أعين أهل المدينة إيّانا تحجبُ ؛ ثم بي لن تنتهي إلاّ على تينك الرابية حيث ابنك وصحبُه .. الى حيث الشُبّان الاربعة أُولاء .. الزمنُ بكامله قد إمَّحى ، فأمامَ ناظريَّ لم يتبقَ الاّ زمنٌ هُم صانعوه .. أمام ناظريَّ زمنُ إبنِك وصحبِه من كامل الزمن ما تبقى .. ألا لا مُتِّعتَ برضاي عنك يا شوكليتو إنْ قلبُك مقاصدَ قولتي ماأدرك فبيدي الى تينك الرابية أخذتَ .

شوكليتو يرتعد الان . لسانُه خلوٌّ من أيما كلمة . لسانُه محض خشبة ممدَّدة في جوف فمه . ثم يحارُ ماذا يفعل ، فلا يملك إلاّ أنْ يجثو امام مليكه ولسانه عَبثاً يحاول أنْ يتململ . ليلَوم الحكيم ابن إيناكلي الحكيم كَبير القوم ومليكُهم يرى الى حاجبه فيطرقُ هنيهةً ، ثم يرخي يده على رأسه .. يدُ ليلَوم ابن إيناكلي ، مَلِك القوم ، تمسحُ على رأس حاجبه شوكليتو الجاثي أمامه وعينا هذا تستتران بغلالتي دمعٍ .. عليك هون يا شوكليتو .. شوكليتو عليك هون .. مقاصدَ قولتي قلبُك إيّاها سيدركُ متى تينك الرابيةَ وطأنا .. الجَعّةَ معهم يا شوكليتو سنكرعُ ، ومن طعامهم يا شوكليتو سنطعمُ .. عليك هوِّنْ .

فاذا ما انطوى غَسَقُ ذينكم اليوم وتلاشت بقايا الضوء المتناثر وسط لُجَج الظُلمة الزاحفة نحو المدينة ، يَمَّم الرجلان صوبَ بوّابة غرب المدينة .. يتقدم الحاجبُ مليكَه بخطوتين حاملا سراجاً لن يشعل النارَ في ذُبالته حتى يجتازا البوّابة فيبرحا المدينة . فلمّا بلغا ذينكم المبلغ وتراقص ضوء الذُبالة كان وجه شوكليتو هو المنكشف .. وجه شوكليتو هو وحدُه الذي أُضيءَ ، ذلكم أنَّ الخطوتين اللتين تفصلُ ما بينهما صارتا أكثر من ذينكم حين شرعا يرتقيان الرابيةَ .. مع أنَّ

شوكليتو لم يوسع من خَطْوه . الصمتُ يحفُّ بهما ، لا صوتَ كان يندُّ عنهما إلاّ صوت لِهاث لِيلَوم الملك الذي لم يكن يُسمعُ سـواه حـتى ارتفع صوتُ أُوبار وقد تعرَّف على أبيه . كان الاربعة قد نهـضوا اذ لَفتَ انتباهَهم السراجُ ، وليس المشعلُ ،المرتقي نحوهم !. ثم والسراجُ على مَبعدة منهم وجد أُوبار نفسَه يعولُ : وحقِّ شوكليتو أبي هذا هو .. هذا شوكليتو أبي وحقِّه . وأردف نمخاني : ليس العـم شـوكليتو وحدَهُ .. هناك رجلٌ يتبعهُ .. بأعينكم الى ماوراء العم شوكليتو اقذفوا.

إلاّ أنَّ أحداً منهم لم يحزر مَنْ يكون ذانكم الرجل ، فقد كان هذا مُطأطيء الرأس يكاد يتعثَّر بخطاه وهو يرتقي ماتبقى مـن سَـفْحِ الرابية الى حيث مجلسهم . ثم حتى لو لم يكن هذا مطأطيء الـرأس .. حتى لو كان مُنكشفَ الوجه مُضاءَهُ ، مَنْ كان سيصدِّق منهم انه يرى الى الملك لِيلَوم ابن إيناكلي في رمشة العين تينكم ؟.

الاربعة جثوا من فورهم .. كلٌّ منهم جثا حيث يقف .. حتى أنَّ نمخاني ابن ايلوتي كان يحمل كُوزَه .. لم يتنبه الى كوزه في يده فجثا وهو يحمل كُوزَه . وقبل أنْ يهدأ صدرُ لِيلَوم الملك فيُزايلـه اللِـهاثُ تبسَّم .. نمخاني ابن ايلوتي أنَّك لابد .

.. مُتِّعتَ بالفطنة وطول العمر يا عظيمنا كيف إلي اهتديت ؟.

.. من جثوتك إنهضْ وأنتم .. الكُوزُ الذي بيديك بي يصيحُ ياليلَوم عن ابن إيلوتي لا تبحث .. هذا هو عنه لا تبحث .. هل لديكم كـوزان فارغان ؟.. ضيوفاً الا تتوقعون ؟.

فهبَّ الاربعةُ ينتصبون ؛ ودون إبطاء أمسك لوسـين بخـيط الحديث .. مُتِّعتَ بالعَظَمة بين أهلك ماحييتَ يا ايها الملك لِيلَوم ابـن إيناكلي .. أما والكوزُ الى نمخاني ابن ايلوتي إيّاك قد هدى ، يبقـى أنْ

لك يدَ العونِ أمدَّ فإلينا نحن الثلاثةَ إيّاك أهدي ..

قاطعه لِيلَوم الملك .. فطنتي مرّةً أُخرى فلأُجرِّبَ .. معك ايها المتحدث فطنتي سأجرِّبُ .. أوَلست ابن لولو ؟ مــااسمعكم ؟.. مــن هيئتك التي الى علمي وصفُها قد تناهى أتحدثُ فبإسم أبيك انطقُ .

.. الحق كل الحق في مانطقتَ يا ايها العظيم واسمي لوسين .. أمّا هذان .. فقاطعه لِيلَوم الملك مرَّةً أُخرى ، اذ التفت الى شوكليتو الذي كان يقف وراءه .. مَنْ منهما يا شوكليتو صــاحبَ العيــنين المــدوَّرتين السوداوين ؟.

.. لكَ ولابيك الحكمةَ يا أيها العظيم .. أُوبارُ ولدي صاحبُ تيــنكم العينين .

مَدَّ الملكُ يدَه يشير الى أُوبار .. هذا هو اذن ولدُك أُوبار يا شوكليتو ، ثم هذا ابن سُرار يكون..

.. ما اسمك يا ابن سُرار ؟.

.. أُوردلاّ يا عظيمنا .. ولكنْ مُتِّعتَ بالمغفرة فغفرتَ لي إذ ايّاك أسأل كيف لعظمتكم إتَّفقَ أنْ نمخاني بإسمه عرفتم واسماءنا لم تعرفوا ؟.. إني انا أُوردلاّ ابن سُرار لُغبطٌ هذا الفتى على الشرف الذي عليه أسبغتم .

فقهقه لِيلَوم الملك ، ثم يا أيها السائلُ أُوردلاّ أنتَ .. ألا كل العلم فلتعلمْ اذن أني لستُ مَنْ على صاحبك هذا الشرفَ أســبغُ .. الجعّةُ أسبغتْ . وعاد يستانف قهقهتَهُ . فجــاري قهقهتَــه الــشُبّان وكَذلكم فعل شوكليتو .

.. نمخاني أنتَ يا ابن إيلوتي بكوزك سأشرب ، اذ عليك أنْ عن الكَرْعِ تنقطعَ قليلاً ، وشوكليتو بكُوز ابنه سيشربُ فلا ينبغي لإبنٍ أنْ الجعّة يكرعُ وأبوه واقفٌ لاكوزَ بيده .. العلمُ كل العلم أعلــمُ والحــقُّ في

ماأعلمُ انكم حساباً للضيوف لم تحسبوا .. هيا يا نمخاني لنا أكوازنا إترعْ .
فاندفع نمخاني نحو الزق يرفعه من الارض المعشوشبة ، ثم يترع كوزه مما في الزِقِّ . وهو كذلك .. مابعد الغسق يا عظيمنا لا أحدَ من أهل المدينة من هذه الرابية يقتربُ .. والحالُ هذه ضيوفاً لا نتوقعُ .. وحَسناً نفعلُ أننا ضيوفاً لانتوقعُ ، وإلاّ هذا الشرفُ ماكان غلَّلني .. العظيم لِيلَوم الملك ابن الحكيم إيناكلي الكوزَ إيّاي يشاطرُ .. هذا الكوزُ لك ولي الكوزُ الذي يليه .. أعلى هذا نتعاهد ؟.
واذا بلِيلَوم الملك ينفجرُ ضاحكاً ثم يمسك بخاصرته ثم يتهالك الى حصير البردي المضفور . ودون ان يتوقف عن الضحك .. قُتلتَ فلا قبرَ لك يا ابن إيلوتي .. أجل على هذا نتعاهد .. الكُوزُ الذي يلي لك يا ابن ايلوتي .
وهدأتْ الرابيةُ بعد ان تبدَّدت الضحكات .. أمامي أيها الفِتيان تحلّقوا .. إجلسوا ، وشوكليتو الى يميني فليجلسْ ؛ انه كابن آينمر منّي في الساعة هذه . إجلسوا ، فأحدكم إيّاي يُظهِرُ على ماآل اليه مَسعاكم وأنتم أنفسَكم تُميِّزون عن الحمير والبقر .. إيّاي أحدُكم فليُظهرْ على الكلمات التي بها ارتضيتم الى ساعتكم هذه .
نظر الثلاثة ، نمخاني وأُوبار وأُوردلا ، الى لوسين الذي كان يتوسطهم متربِّعاً قِبالة المَلك .
.. اذن فأنتَ يالوَسين مَنْ الجماعة انتدبتْ .. أُذني لكَ أُذللْ ايها الفتى .. إنطقْ .
.. على أعلى غصن في شجرة الشرف قبضنا ونحن نسمع أنَّ العظيم لِيلَوم الملك ابن إيناكلي الحكيم على علم بأصل ما نحن فيه .. وأصل

ما نحن فيه ذانك الذي الى ما انتهينا الى النَطْقِ بكلماته قد حَمَلَ هـــو تَفجُّعٌ صَدرُ أُوردلا ابن عمنا سُرار نَفثَه .. ابن عمنا سُرار تَفجَّعَ وهو بالحق ينطقُ فلايرى أننا نحن البشر عن الحمير والبقر بشيء ننماز .

ومضى يمرُّ على مكابداتهم وهم يقلِّبون أخيُلةً كانت تخطر لهم فتلاحق بعضها بعضاً .. يسهَبُ تارةً ويمسُّ برفق تارةً أُخرى ، حـــتى انتـــهى يقول: .. فيا عظيمنا لِيلَوم ابن إيناكلي ، وأنتَ الحكيم فينا ، ابنـــاؤك زُرّاع الشعير أُوردلا ابن سُرار وأُوبار ابن شوكليتو ونمخاني ابن إيلوتي ولوسين ابن لولو قد ارتضوا بالنَطْق بكلمة أنَّ هناك صانعاً كبيراً واحداً للاشياء جميعها في السماء وعلى الارض .. صانعٌ كبيرٌ في بدنه حيـــاة مثلنا لكنه مثلنا لا يموتُ .. الاشياءَ يصنعُ ونواميسَ لها يـــضعُ تُـــنظِّمُ حركتَها وصنيعَها ؛ فحركةُ الاشياء وصنيعُها نواميسٌ إيّاهـــا تُـــنظِّمُ ، الصانعُ الكبيرُ إيّاها يضعُ .. الصانع الكبير لايسعه أنْ كلَّ الاشياء في السماء وعلى الارض بعينٍ واحدةٍ يرى ، فمن امرأة إيّاها صنعَ تزوَّجَ ؛ ثم إيّاها قَبَّلَ وضاجعَ فمنه بصُنّاعٍ صِغارٍ قد حبلتْ ذكوراً وأُناثاً .. ثم ذكورُهم من أُناثهم تزوّجوا ، الصُنّاع الـــصغار أُولاء ، فنَـــسَلوا ثم تناسلوا حتى عديدُهم غفيراً باتَ .. ثم لكلٍّ منهم مَهمَّةً الصانعُ الكبيرُ أوكلَ .. كل واحد من الصُنّاع الصغار الذين حياةٌ في أبدانهم لكنهم لا يموتون إلاّ اذا شاء الصانعُ الكبيرُ وبكلمة الموت عليهم نطقَ .. الصُنّاع الصغار أُولاء كلُّ واحدٍ منهم ناموسَ شيءٍ واحدٍ سيحمي حتى لايتغيَّر هذا فالفوضى في السماءِ وعلى الارض تعمُّ ..

هنا تداخل لِيلَوم الملك .. هل إسماً للصانع الكبير منحتم ؟..

.. إسماً للصانع الكبير لم نمنح أيها العظيم .. ايها العظيم الصانعَ الكبيرَ إسماً ما منحنا .

.. إيّاه امنحوا يالوسين ابن لولو إيّاه امنحوا . المملكةُ .. مملكتُكم الى إسمه بحاجةٍ .. السراجان وَسطَ حلقتهم يتوزَّعُ ضوءُهما الوجوهَ جميعها . فاذا بوجوهٍ الشُبّان الاربعة ترين عليها الحيرةُ وتتهدلَّ فكوكُهم . لابل أنَّ شوكليتو نفسه تستبدُّ به الحيرةُ الان ويستشعرُ تهدُّلَ فكِّه هو .

.. اجل ايها الفتيان .. مملكتُكم بحاجةٍ الى هذا الصانع الكبير الذي أحدٌ غيركم لم يرَه .. في أنْ ينمازَ عن الحمير والبقر أحدٌ غيركم لم يفكــر ، فلم يرَه .. وحدكم انتم الاربعة .. الفتيان الاربعة وحدكم انتم مَنْ اليه رأى فإيّاه وجدَ ، ثم اليه رأى فالمرأةَ التي ستنسلُ له وجــدَ .. أنــتم وحكم مَنْ الى هذا الصانع الكبير رأى ، فبكلمة أنْ هو مَنْ الاشــياءَ يصنعُ ويحمي نطقتم .. ومملكتُكم هذه شيءٌ من الاشياء مثل البشر هي ومثل الحمير والبقر والطير والهوام والبحر والريح والشمس والقمــر والنجوم هي .. شيءٌ من الاشياء مملكتكم .. الصانعُ الكــبيرُ إيّاهــا صنعَ، ولمصنوعه الذي بنفسه صنعَ لِيلَوم ابن إيناكلي أوكلَ أنْ إيّاهــا يحمي .. الصانعُ الكبير بوجه مصنوعه لِيلَوم صاحَ .. إي لِيلَوم .. ابن مصنوعنا إيناكلي أني أنا الصانعُ الكبيرُ لَك ارتضيتُ أنْ ملكاً على هذه المملكة السعيدة تكون ، فمنِّي ناموسَها هاك ، فأنت عليه حافظٌ .

جذب نمخاني فكَّه الى أعلى ثم انفتح فمُه .. إسمُه (آنْ) يكون .. الصانعُ الكبيرُ في رمشة العين هذه اليه أرى ، فلا إسماً سوى (آنْ) له أرى .. إسمُه (آنْ) يكون ، وبيتُه الذي اليه يأوي كبيرٌ كبير ، غير الــسماء لا تسعه .. (آنْ) اسمه وفي السماء بيته .. ذلكم هو عظيمنا .

برقت عينا لِيلَوم الملك .. إسمٌ مَهيبٌ يا ابن إيلوتي .. إلاّ أنَّ لارأيَ لي فيه وإنْ الملكَ فيكم كنتُ..

.. انتم الاربعة الذين اليه رأيتم فإيّاه وجدتم .. الحقُّ لكم كــاملاً لا

نَقصَ فيه ، وانتم إسمَه تمنحون .. بأيِّ قولة ياصحاب نمخاني تنطقون؟..
(آنْ) اسمَه يكون أم لا يكون ؟.

كان لوسين وأُوردلا وأُوبار ينودون برؤوسهم وهم يستمعون لنمخاني يتلفَّظ لاول مرة بإسم الصانع الكبير . فلما استنطقهم الملك نَطقَ أُوردلا ابن سُرار : ذانكم الاسم لا خيراً منه أرى .. هل خيراً منه يا لوسين ترى وأنتَ يا أُوبار ؟.

.. آنْ إسمٌ بصانعٍ كبير يليقُ (قال لوسين). وأردف أُوبار : بالصانع الكبير إسمٌ غير آنْ لا يليقُ .. الاّ أنّني أحسُّ كأنَّ حجراً ثقيلاً قد ابتلعتُ فهو على قلبي يدوس وأنا بكلمة الصانع الكبير أنطقُ .. ألا تحسُّون أيها الصحاب بما أحسُّ ؟.. (وتنبَّه الى أنّه نسيَ نفسه فهو في حضرة لِيلَوم الملك).. أيها العظيم مُتِّعتَ بالمغفرة فغفرتَ لي سرحان قلبي الذي حَسبَ أنّنا نحن الاربعة وحدنا فوق الرابية لانزال .. بالسؤال الى عظمتكم الذي ظلُّه إيّانا شرَّفَ ، أتوجه.

.. يا ابن شوكليتو يا ايها الفتى أُوبار هذا لن يكون .. مَنْ أنا أكون حتى أمرَكم هذا إيّاكم أُشاطرُ؟.. وإنْ حكيماً ابن حكيم كنتُ قبل أنْ ملكاً أكون ، إلاّ أنّي بَعدُ ، عن الحمير والبقر ، ماانمزتُ .. وحدكم أنتم الاربعة بين البشر جميعاً مَنْ عن الحمير والبقر إنمازَ .. فمنكم إيّاها لن أتقمَّصَ .. منكم ايها الفتيان الاربعة إيّاها لن أتقمصَ ، وما انا بينكم الا لأستمعَ وما انا بينكم الا لُمستغيثٍ .

انعقد حاجبا لوسين وزمَّ على شفتيه فانطويتا الى داخل فمه فتلاشى أيُّ أثرٍ لشقِّ شفتَيه ، اذ تداخل شاربه بلحيته الكثّة .. مُستغيث ؟!!.. أمَلكٌ يستغيثُ ؟ وبمَنْ يستغيثُ ؟.. أبزُرّاعِ شعيرٍ يستغيثُ ؟؟!.. مُتِّعتَ بالنطق بكلمة المغفرة .. أنني كثيراً لاجتريء

فبكلمة الاندهاش أنطقُ ، ثم عظمتكم أسالُ ماالخطـــبُ الـــذي منـــه تستغيثون ؟.
.. بُني لوسين عليكم هوِّن .. وسطَ حلقتكم البهيّة هذه ، كلَّ مـــا في صدري يمورُ ، سأبسطُ إنّما بشأنكم لاتستخفٌّ .. فأنتم وحدكم مَـــنْ الى آنْ رأى فإيّاه ، في بيته الذي في السماء ،وجـــدتم .. بـــشأنكم لا تستخفٌّ بُني لوسين .. ثم عليكم أوّلاً أنْ من السؤال تفرغوا ذيـــنكم الذي به ابن شوكليتو إيّاكم قذفَ ، قبل أنْ إيّاكم أُظهِرَ علـــى مـــا أستغيثُ منه .. لوسين هَلُمٌّ ؛ فبطَرف خيطِ الحديث إمسكْ .
.. سأمسكْ يا عظيمنا .. بطَرف خيط الحَديث سأمسكُ .. (ولـــوى عنقه نحو أُوبار). أيها السائل ياأُوبار يا ابن العمِ شوكليتو أنتَ ؛ ماذا عن الحَجَر الثقيل الذي إيّاه ابتلعتَ ؟.. إستفاضةً منك أنشدُ قبـــل أنْ الجوابُ إيّاك يأتي .
.. اذ بكلمة الصانع الكبير أنطقُ ، أمامي بشراً مثلنا أرى .. هكذا هذا الوصف قلبي يدركُ .. بشراً أرى .. بشراً يأكلُ ويـــشرب وحاجتَـــه يقضي ولا أدري ماذا أيضاً .. بشراً مثلنا أرى إلاّ أنّه كبير .. أكبر منا حجماً .. وهو ليس كذلكم .. انه كلَّ شيء كلَّ شـــيء يـــصنعُ في السماء وعلى الارض ، وهو ولا غيره مَنْ حياةٌ في بدنه إنما لا يموت .. الوحيدُ الذي لا يموت .. حتى نسلُه ونَسْلُ نَسْلِ نسله مـــن الـــصُنّاع الصغار ، بكلمة الموت عليهم ينطقُ فإذا هم يموتون ؛ وإنْ لا يموتون ، واقعَ الامر ، إنْ بتينكم الكلمة عليهم لا ينطقُ .. هو أبداً لا يُخطيء .. الوحيد الذي أبداً لايخطيء ؛ اذ كيف لواضع نواميسِ الاشـــياءِ ، جميع الاشياءِ ، أنْ يُخطيء ؟!.. هو ، ولا غيره من أحد ، الذي ليس في بدنه نقيصةٌ .. كاملاً متكاملاً إنْ لم يكن ، كيف جميعَ الاشياءِ يصنعُ؟..

هو بكلمة الارادة حَسْب ينطقُ فمصيرُ الشيء يكون : الشيءُ ينولد او الشيء يموت .. أيُّ شيء أيُّ شيء حتى النَيِّرين الكبيرين في السماء ، بكلمة الارادة نطقَ فإيّاهما سوّى ، وبيده أنْ بكلمة الارادة ينطقَ فإيّاهما يهشِّمُ والنجومَ .. كلاّ يا صِحاب الصانعُ الكبيرُ وصفاً لا يكــون .. الحقُّ كل الحق في وصفٍ بكَلمته أنطقُ فلا بَشراً أمامي أرى .. وصفٌ إيّاه أسمع فارتعدُ ثم اكادُ على الارض أهوي اذ في أُذني يَقعُ .. مَــنْ لي بمَنْ بكلمة ذينكم الوصف يأتي ؟.

ندَّ صوتُ نمخاني : لو الكوز بيدي في رمشة العين هذه كان .. في رمشة العين هذه لو كان بيدي الكُوزُ ، لما لساني عن نطق الكلمة تأخَّر .. إنّما أسفاً فالقابضُ على الكُوز مَلِكٌ ، ولاأحدَ من مَلِكٍ كوزَه ينتزعُ .

لاحت ابتسامةٌ باهتة على شفتَي لِيلَوم .. بل الكوزُ من يــد المَلك سيُنتَزعُ يا ابن إيلوتي .. من يد ملككم لِيلَوم ابن إيناكلي الكوزُ سيُنتَزعُ .. ولهذه العلة انما ملكُكم هنا على هذه الرابية وحاجُبه الأمين معه .

وبحركة واحدة ، كما لو ان الثلاثةَ حركَّهم حسٌّ واحــدٌ ، وضعَ لوسين وأُوردلا وشوكليتو (اجل شوكليتو ، فهو لحــد الان لم يكن لِيلَوم الملك قد أظهرَهُ على ما في نفسه ، فها هو يــستمع لهــذا البَوح لأول مرة).. وضع الثلاثة أكوازَهم أمام الملك وانبرى لوسين .. أكوازُنا بين يديك ايها العظيم ونحن .. آذاننا جميعاً نــذللُ .. أوانُ إذلالها آنَ للحقِّ الذي به عظمتكم ستنطقُ ؛ وأي أمرٍ سوى ذينكم ، به الى زمن آخر نطوِّحُ .. الحقُّ على لسانك أيها العظيم فبه وجوهَنــا إقذفْ.

.. ايها الفتيان إنْ سومرُ بأسرها ، وليس مملكتنا حَسْب ، بأحد من أبنائها تفخرُ فبكم أنتَ يالوسين ابن لولو ويأُوردلا ابن سُرار ونمخاني ابن إيلوتي ويأُوبار ابن الرجل الطيب الامين شوكليتو ، تفخرُ .. بالحقِّ كل الحق أتحدثُ فبكلمة الفَخر بكم أنطقُ ، إيّاي أغثتم أم عن إغاثتي أحجمتم ..

قاطعه لوسين ابن لولو .. بل مُغيثوك نحن وحقِّك وحقِّ آبائنا .

.. عهداً على أنفسكم قطعتَ ، في رمشة العين هذه ، لعلكم لا قِبَلَ لكم به .. اذ الموتَ بين يدي ماجئتُ إيّاكم أسأل ، فلو الامر كذلكم كان ، فالخطبُ لهانَ اذن ، فإيّاكم أنصفتم وإيّاي أنصفتم .. انما الشأنُ ، من أنْ الموتَ بين يدي إيّاكم أسالَ ، أشدُّ وأعظمُ جَلالاً .. من أنْ الموتَ إيّاكم أسالَ ، الشأنُ الذي إزاءه نقفُ أعظمُ جَلالاً .. بَيدَ أنَّ ما يُرتجى من مثلي في رمشة العين هذه هو الشحُّ في النطق والجُودُ في المعنى .. ألا فلتعلموا كل العِلم أنَّ مليككم لِيلَوم ابن إيناكلي في أعظم الغِنى كان عن الأمر الذي هو فيه .. في أعظم الغنى عن أنَّ أهلي إيّاي يضعون على مملكة أقاموا .. ما أكرَهَ ذينكم اليوم الى نفسي يومَ كاجينا ابن آينمر بعصبته خَرجَ ، فبي عليكم مَلكاً نادى .. اذ سرعان ما قلبي سيدركُ ، بعد أنْ الشكُّ إيّاه نهشَ أيّاماً عليَّ انطواؤها ثَقُلَ .. سرعان ما مقاصدَ ابن آينمر سيدركُ .. فما كان هذا قد أقامَ إذ أقامَ إلاّ مملكةً، هو نفسُه الملكَ عليها سيكون .. لِيلَوم ابن إيناكلي حكيمٌ ابن حكيم وكبيرُ قومه ؛ مَنْ الذي به مَلكاً لا يرتضي على أول مدينةٍ في سومر .. بل أول في مدينة سومر وسواها من أرضين ؟.. مَنْ ذانكم الذي به ملكاً لن يرتضي ؟.. ولكنْ إنْ الوجوهُ استدارتْ فالعيونُ رأتْ الى رجلٍ إسمه كاجينا ابن آينمر ، مَنْ ذا الذي به مَلكاً سيرتضي ؟..

فبليلَوم ابن إيناكلي مَلكاً ليُنادَ فالأمرُ الى حقٍّ ليتحوَّلْ ،.. الى حــقٍّ لا مَراءَ فيه لِيتحوَّلْ ، فقصرٌ لِيُنشَأُ وخزائنٌ تُبتنى وحُرّاسٌ غفيراً عديدَهم يكونون .. وابن آينمر لا أحدَ من الناس سيصيحُ مَنْ هذا الرجل حتى وزيراً يكون ؟ ، فالوزيرُ غير الملك .. أجل الى يمين الملك وزيراً لا اكثر يقفُ .. ثم .. ثم ...

وأمسكَ عن الكلام هنيهةً ارتشفَ خللها رشفَتين من جعَّــة الكُوز الذي لا يزال يمسكُ به. بعد ذاك انخرطَ يقصُّ عليهم كيفَ أنَّ الوزير كاجينا وعصبتُه باتوا قابضين على المملكة ، يتربَّعــون علــى خزائن تغص بأموال أهل المدينة وأهل قرى سومر التي يــستحوذون عليها كل يوم ، وبأيديهم عديدُ حرّاسٍ زادَ على الألفين .. قابــضين على المملكة كما يقبض امرؤٌ على لُقمةٍ يقذفُ بها الى فمه أنّى شاءَ .

.. يا نجباء سومر انتم ايها الفتيان ؛ إنْ اياي تسألون متى يا ابن إيناكلي ابن آينمر ، وزيرُك ، تينكم اللقمةَ الى فمه سيقذفُ ؟.. أتحدثُ فبالحقِّ مُجيباً أنطقُ .. ايها السائلون .. قبل أنْ ابن آينمر من تينكم الساحرة نَنْ دادا إمرأةً يتَّخذ ، اللقمةُ كانت في يده ستلبثُ ســنةً او ســنتين أُخريين ؛ أما وقد اتَّخذَ إمرأةً من الساحرة تينكم ، فلا أنا ولا أحكــم حكماء سومر بمقدوره أنْ يتنبأ في أية رمشة عين قادمة اللقمةَ الى فمه سيقذفُ ..

دمدم أُوردلا كأنَّه يتحدث الى نفسه : مَنْ تانكم المرأةُ تكون حتى كلَّ ذينكم تفعلَ ؟. واذ تنبَّه لِيلَوم الملك الى دمدمة هذا .. بُــني أَلَديك امرأةٌ أنتَ ؟.

.. لديَ امرأةُ يا عظيمنا ولي ابنان من امراتي .

.. امراتك لم تشغل قلبها بك اذن لحد هذه الساعة .. وإلاّ .. وإلاّ ..

عِ يا ابن سُرار وأنتم أنَّ المرأةَ في فراشها بوسعها أنْ على رَجُلِها تكون أعلى شأناً من الصانع العظيم الذي إليه رايتم فإيّاه وجدتم ، ذانكــم الذي الحياةَ للاشياء يهبُ ومنها يسلبُ .. أعلى شأناً مــن الــصانع العظيم المرأةُ في فراشها هي .. المرأةُ طوعَ يدها أنْ ناموساً آخر تضعَ للرجل الذي فراشها إيّاها يشاطرُ غير ذينكم الناموس الذي له صانعُه الكبيرُ قد وضعَ يوم إيّاه صنعَ .. ناموساً حركتَه يُنظِّم وصنيعَه ، كما انتم تنطقون ؛ وأنَّ نَنْ دادا لواضعةٌ ذينكم الناموسَ لابــن آينمــر .. ساحرة مثلها حقَّ العلم تعلمُ أنَّ الرجل الذي منه تزوجت وزيرٌ عينُــهُ على عرش مَليكِه .. حقَّ العلم تعلمُ تانكم الساحرةُ ، انما هي في عَجَلة من أمرها ؛ لغَدِها ثقتَها قطُّ لا تمحضُ .. لا أحدَ ضامنٌ غَدَهُ .. وهي في ذينكم من إيناكلي نفسه لأحكَمُ .. رجُلُها ، وزيرُنا ، ليس بمــدَّخرٍ نَفَساً في صدرِه ولهاثُه الأصمَّ يُسمعُ ؛ بَيدَ أنَّ عينه الى غده شاخصةُ ، ليس الى يوم نَنْ دادا تشخصُ .. وهذه في الزمن كلِّه لاترى إلاّ يومَها ذينكم الذي إيّاه تعيشُ .. لا يومَ عليه تقبض الا يومها الــذي إيّــاه تعيشُ؛ فلِمَ التريثُ يا ابن آينمر ؟.. أيُّ غَدٍ ذينكم الذي إيّاه تنتظرُ ؟!. انفجر أُوبار كأنَّه ضاق صدره فلم يعد يطيق صبراً .. ولِمَ الــسكوتُ عليهما ايها العظيم ؟.. جذورُهما لماذا في الارض باقيةٌ؟.

.. يا ابن شوكليتو إعلَمْ أنَّ الخطب أشدُّ وطأةً من أنْ وراءه ، رجــلٌ وامراةٌ ، يكون .. جذوراً للخطب باتت ، لاجذورَ رجلٍ وامراة اليها عيناي ترى فإيّاها أقتلعُ ..رماحٌ ومدي ورجالٌ هناك وأموالٌ ومَلَــكٌ آخر يظهر لا أبَ له ، بمملكته ، على خاصرة مملكتكم يتّكيء ، وعيناه الى يومٍ ترنوان .. يوم فيه دماؤكم على أيدي بعضكم البعض تجري .. إي ايها الفتيان .. إي ايها النجباء .. دماؤكم جاريةٌ ، كما سيل الماء

في النهر ، إنْ جذورُ ابن آينمر والساحرة امرأته تينكم إقتلعتُ أم لم أقتلعْ .. ففي الاولى لن أفلح حتى دماً أُجري ، وفي الثانية ، حيث متفرِّجاً أتلبَّثُ على ما تينكم المرأة ورجلها الوزير يدبِّران ، طرفاً لهما لا أمسُّ .. في الثانية تينكم ، دماءَكم ابن آينمر نفسُه إيّاها سيُجري بعد أنْ إيّاي يخلعُ ، ثم بكم على جِرسونِن وملكها الذي لا أبَ له يحملُ .. إي ايها الفتيان ، فما أضيقَ حيلتي اذن وانا الكارهُ لمرأى دمٍ يسيل !!.. انا الكارهُ لمرأى دمٍ يسيل حيلتي ما أضيقَها اذن وماأشدَّ حاجتي الى غوثكم يا مَنْ بكم ذانكم الصانع الكبير قد بَعثَ .. الصانع المؤلَّهُ القدير قد بعث الى هذه المملكة الآمنة .

هنا وثب نمخاني كما لو انه لايجلس متربِّعاً قبالة مَلكٍ .. فكأنَّ له جُنحَين وثبَ من تربيعته الى حيث انتصبَ وجعلَ يعول : ذلكم هو ايها العظيم .. ذلكم هو ايها الصِحاب .. ايها السائل يا أُوبار يا ابن العم شوكليتو أنتَ ، بسؤالك إيّانا قذفتَ وها انا المُجيبُ بالكلمة أنطقُ .. الاله .. الاله بدلاً من الصانع الكبير يكون .. الاله آنْ الذي بيته الكبير في السماء هو .. ذلكم هو .. لا حجرَ بعد اليوم ستبتلعُ يا ابن العم شوكليتو وأنتَ بكلمة الصانع الكبير تنطقُ .. هذا الوصف بكلمته بعد اليوم لن تنطقَ ، بالأله ياأُوبار ستنطقُ .. ولعظيمنا لِيلَوم الملك ابن إيناكلي الحكيم كلَّ الفضل يعود ، اذ لسانُه دلَعَ فعليه ذانكمُ الحق كان ..

الشُبّان الثلاثة والملك وحاجبُه كانوا جميعاً مُثنَين رؤوسهم الى الوراء يرَون الى نمخاني المنتصب بينهم ، فانفرد لوسين من بينهم .. مُتِّعتَ براحة النفس يانمخاني يا ابن العم إيلوتي أنتَ ؛ إجلسْ فهذا كوزي لك سأترعُ .. أُوبار ماذا ترى ؟.. هل بالحقِّ ابن عمك إيلوتي

قد نطقَ ياأُوبار ؟.

.. بكل الحقِّ نطقَ ، فهذه كلمة بها عظيمنا لِيلَوم الملك قد أتـــى مـــن عميق بَحرِهِ .. أُوردلا ذانكم الوصفُ تانكم الكلمة هل بالمهابة بوجه السامع تقذفُ ؟.

.. وحقِّ أبيك عمّي شوكليتو ؛ وحق أبي سُرار ليس على ألسنة الناس من كلمة أكثر مهابةً من هذا الوصف .. الاله .. إلاله آنْ .. مَـــنْ ذا الذي فرائصُه لاترتعدُ ، وأُذنُه بهذه الكلمة تمتليء؟.. انما مهلكم ايهـــا الصحاب .. مهلكم .. فلا بمُرتضين نحن هذا الوصف حتى نسمع من عظيمنا الملك ومن عمِّنا شوكليتو . فنادَ لوسين وأُوبـــار برأســـيهما مؤمنِّين على رأي أُوردلا ، بينما كان نمخاني يعود الى الأرض المعشوشبة يتربَّع عليها وهو يثني على ما سمعَ .

.. ايها الفتيان ياموئلَ فخري وفخر آبائكم .. بل ياموئل فخر البشر جميعاً .. لارأيَ لي ولا لشوكليتو الأمين بعد رأيكم .. بعد رأيكم لارأي لمليككم ولا لشوكليتو الأمين ، فالإله كلمةٌ بها أنطقُ وبكـــلِّ الحـــقِّ فرائصي ترتعدُ .. ذلكم هو ايها الفتيان .. (والتفـــت الى يمينـــه) .. شوكليتو عينيكَ إغمضْ .. أمِنْ وصفٍ آخر غير هذا الوصف إيّـــاك يُرهبُ ؟.

.. يامَنْ لاعظيمَ سواه في سومر بأسرها .. بكلمة إنْ كان لي أنْ أفه وأنا حاجبكم ، فلساني بكلمة غير الاله لن يتحركَ وصفاً لذينكم الـــصانع الكبير .. هذه الكلمة ، لاغيرها من كلمة ، بوسعها أنْ قلوبَ النـــاس تُرجفَ ومنهم اعداؤك أيها العظيم .

فمال لِيلَوم الملك على حاجبه وطبع قبلةً على جبينه .. بـــل أعداء مملكتكم ايها الامين النجيب .. لا أعدائي حَسْب .. الاله آنْ هو

الجاعلُ أعداءَ مملكتكم أذيالَهم بين أفخاذهم يضعون والى جحـــورهم ينكفئون ..

وعينا لوسين تبدوان كأنَّهما تــسهمان .. وكيــف ذانكــم يكون؟.. عظيمنا ايها الحكيم كيف ذانكم يكون ؟.

.. النعوتُ التي بها بعضكم بعضاً تنعتون ، الى علمي تنتهي كانــت .. وما الى علمي قد انتهى من ذينكم أنَّهم إيّاك باللمّاح ينعتون .. لا .. شيئاً لا تخشَ .. فيك لن أبخسَ ما به إيّاك ينعتون .. فــأنتم الاربعــة ولستَ أنتَ وحدك مابه منشغلون هو كيف عــن الحمــير والبقــر تنمازون، فالى الآفاق ترَون ، فتسألون فتجيبون .. أمّا ماالحميرَ والبقرَ يشغلُ فإيّاكم لايعني ، وهذا حقٌّ إيّاكم لا أسلبُ .. بَيدَ أنّي الطــرفَ اليكم أُرجع ففيكم أرى المُكترثَ بدماء الناس .. الا بُنَي وأنتم يا ايها الفتيان فلتعلموا أنّي سائلكم فضلاً ، لا من أجــل مُلْــك مَلــيكُكم التشبَّثَ به يودُّ؛ فقلوبُكم مترلةَ مليككم من مُلْكه تدركُ .. لا .. ليس من أجل ذينكم ، الفضلَ أسألُ ؛ وانما من أجل حَبْس دماءِ الناس إيّاكم أسألُ..

فخرجت عينا لوسين من سهومها .. عن أي فضلٍ بالحقِّ لسانُ عظمتكم ينطقُ ؟.. ومَنْ نحن نكون ففضلاً لمليكنا نُسدي ؟!.

.. يا ابن لولو إمسكْ .. إمسكْ .. الرابيةَ الــيكم ماارتقيــتُ لــو لم متفضّلين تكونوا .. يا ابن لولو هل تعلم وأنتم ، بأيِّ كلمــة ذانكــم الوزير ابن آينمر قد نطقَ يوماً ؟.. يوماً ابن آينمر تحدث فنطق بكلمة أنَّ المملكةَ خاطرٌ لهم خَطَرَ فأُولاء هم ذينكم الخاطرَ قد أنفذوا .. إي وروح إيناكلي الحكيم بتينكم القولة قد نَطقَ .. فإنْ الامرُ كذلكم كان .. كذلكم إنْ الامر كان ، فلم لا يا ايها الفتيان النجباء إنفاذَ الخاطرِ

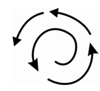
نُكملُ نحن ؟.. مشيئة ابن آينمر انها نبتةٌ البشرَ تفتن ، فدماءهم تُسيلُ وأموالهم تهدرُ ؛ لم لا رمحَه الى نحره نردُّ ؟.. ولا رادَّ لرمح ذينكم الرجل الى نحره إلاّ الاله آنْ .. أجل ايها الفتيان ؛ معي هذه الرابيةَ ستهبطون الى المدينة ، فبأعلى أصواتكم تصيحون .. بالحقِّ الذي رأيتم إليه فإيّاه وحدكم ستقذفون .. به في وجوه الناس ستقذفون ثم بكلمة تنطقون ؛ سامعٌ إيّاها لايردُّ ولا مريدٌ عنها ينكفيء .. كلمةٌ إيّاهـــا تنطقـــون ، فقلوبُ الناس في المدينة تدرك وفي سائر قرى المملكة ، حتى صـــداها جِرسونِن يبلغُ وذينكم الذي بكم يتربص ننورتا الذي لاأبَ له .. كلمةٌ إيّاها تنطقون فقلوبُ الناس تدرك أنَّ الاله آنْ لمصنوعه ليلَـــوم ابـــن إيناكلي قد أوكلَ إنفاذَ ما لأبنائه الآلهة الصغار يوكلُ .. لمصنوعه ليلَوم ابن ايناكلبي أوكلَ حمايةَ الناموس الذي بنفسه إيّاه وضـــعَ ، ناموســـاً شؤونَ الناس يُسيِّرُ .. وبهذا انما لِيلَوم بمصاف أبناء الاله آنْ أضحى ؛ وتعيسُ حظٍّ مَنْ لابناء الاله آنْ يُسيء .

الصمتُ مطبقٌ على مجلسهم ، وعينا لِيلَوم الملك تتنقَّلُ بـــين وجوه الشبان الاربعة . لقد قال الملك قولتَه وبسطَ نُشدَه أمـــامَهم ، وتلكم هي عيناه يُنقِّلهما بين الوجوه التي أطرقتْ فهربتْ العيون منها بعيداً عن عيني مُحدِّثهم . واذ تأخَّر ردُّهم ، .. عينَ الحقِّ أعلمُ ايهـــا الفتيان أنّي مُحمِّلكم ما لا قِبَلَ لكم به ؛ وعينَ الحق أعلمُ انكم ماكنتم برقابكم لتشحُّوا ، بها مليككم تفتدون .. اعلم ايها الفتيان أعلـــمُ .. فأنفساً طيبوا والبأسَ أبيتم .. انما هي بارقةٌ أمام عينيَّ برَقتْ ، وامامكم قد شئتُ أنْ إيّاها أُقلِّبَ .. فَملِكٌ مثلي به حريٌّ أنْ بارقةً لايدعَ ، أيةَ بارقة ، تتبدَّدُ . عهداً على نفسي قطعتُ ، انا لِيلَوم ابن إينـــاكلي ، أنْ دماءَ الناس أحبسَ ، أُولاء الذين بي مَلِكاً عليهم ارتضوا .. وها انا كُلَّ

سبيل طارقٌ حتى بذينكم العهد أفي .

همَّ لوسين ابن لولو بالحديث ، بَيدَ انه ما لبث أنْ أحجـــمَ اذ خنقته عَبرةٌ ، فتولى أُوردلا ابن سُرار عنه الامر .. يا عظيمنـــا .. يـــا عظيم سومر بأسرها نحن أبناؤك .. طوعَ بنانك كلنا وما نملك .. بَيدَ أنَّ أرواحاً رأتْ ما بشرٌ لم يرَ ، عصيّةٌ عليها خصلةٌ بعينها ، وعَظَمَتكم بها الأعلمُ .. إنَّ أرواحاً الصانعَ الكبيرَ رأتْ فإيّاه بالاله وصَفتْ ثم إسماً إيّاه مَنحتْ ، فالاله آنْ إسمُه ،.. أرواحاً كهذه ايها العظيم إنْ الصدق جناحاً لها لم يكن ، فأنّها بكلمتها أيَّ مَبلغٍ غير بالغة .. ونحن أبنـــاؤك ايها العظيم ؛ الاله آنْ إيّاه لم نرَ وإيّاه لم نسمع وهو اًليكم أمراً من أُمور الناس يوكلُ .. ألا سبيلاً غير هذه الى إنفاذ نُشْدك فلنتدبرْ .

والتفت الى صَحبه يستنطقهم فاذا هم يكابدون كَتْمَ نشيج ألَمّ بهم . فلم يتمالك نفسه وانخرط معهم يجهش ببكاء غير مكتوم .. بكاءٌ صريح جهور يأخذُ بقلوب سامعيه . ولقد أخذ بقلبيَ لِيلَـــوم الملـــك وحاجبه شوكليتو ، فما عاد أحدٌ من الـــستة بعـــد ذاك يُميَّـــزُ عـــن الاخرين: مَلكٌ وحاجبٌ وأربعة شبّان راءوا الى صانع كل شـــيء في السماء وعلى الارض فمنحوه صفةً ثم إسماً .. لايُميّزُ أحـــدُهم عـــن الآخر، فالوجوه تتشابه حين ينذرفُ عليها الدمع .



لابد ان الدولاب قد توقَّف عن اللفِّ بالاولاد . ثمة من أوقفه. هل كان له صاحب فأوقفه ؟. اجل ، لابد أنَّ الدولاب قد توقَّف عن اللفِّ بالاولاد ؛ وإلاّ كيف يقف صغيري على رأسي في هذه اللحظات وانا مُمددٌّ على الارض وعيناي لاتكادان تستقران على وجهه ؟.. لابد ان الدولاب قد توقف فهبط منه صغيري الى الارض ، وها هو يقف على رأسي . انا مُنطرحٌ على جانبي ، أُحاول أنْ أُنهِضَ رأسي أنتزعه من بِركة قيئي ، فتتنقَّل عيناي بين وجه صغيري الذي يقف على مَبعدة خطوات من رأسي وبين الركيزة المعدنية الأُخرى للدولاب .. ليست الركيزة التي تشبَّثتُ بها وأنا اتهالك الى الارض .. لا .. ليست تلك ، وانما ركيزةٌ أُخرى تنغرز في الارض على مرأىً مني. عيناي تترنحان ، فما أنْ تمسكا بوجه صغيري حتى تنزلقا الى حيث تنغرز تلك الركيزة في الارض .. تترنحان تترنحان لا تستقران على شيء. لابد ان الدولاب قد توقف عن اللفِّ ، ولكن ، مع ذلك ، ما أنْ أُغمضَ عيني حتى يظهر لي الدولاب تحت اجفاني يلفُّ .. يلفُّ .. يلفُّ..

..، فلقد انسلخت مئات السنين .. لا أقلَّ من اربعة عشر قرناً انطوت

بعد تينكم الايام التي منح فيها الشُبّان الاربعة الصانعَ الكبيرَ إسْمَه فقالوا أنّه الاله آنْ وأنَّ مسكنَهُ السماء . لا أقلَّ من أربعة عشر قرناً تنطوي بعد تينكم الايام ، فيُرغِمُ تارح ابن ناحور ولدَهُ إبرامَ على الذهاب الى بيت الالواح . لقد تأخَّر كثيراً ذهاب إبرام الى بيت الالــواح .. إنَّ أترابَه ليضعون ، ومنذ أكثر من خمسة أعوام ، في قلوبهم ، كلَّ ما جاء في الواح سومر . انَّ إبرام الان فتى وزَغَبُ لحيته وشاربه بدأ يخشوشن وغَلُظَ صَوتُه .. لا بل أنَّ أُمه لطالما أهمت الى تارح أبيه ماكانت تراه منه مع ساراي الجارة البعيدة ، مع أنَّ لاجوارَ بعيداً في أُور الهانئة في ظــل الاله (نَنّا) ذانكم الذي من صُلب أنليل هو وجدُّه الاله آنْ ، الــصانعُ الكبير . قال له تارح لن أخطبَ لك ساراي معشوقتك حــتى العــارَ تمحو، ذينك الذي أنا اليه دفعتُك ، فبه اباءك جَلّلتَ .. من فورك إسعَ والى بيت الالواح إذهبْ ، فيدَ الأُوميا أبي البيت تلثم .. يد أُوميا بيتِ الالواح تلثم ؛ عسى أنْ الى الاولاد يضمُّك فإبناً من أبناء بيت الالواح تكون . ولكن ياتارح أبي يا ابن ناحور أنتَ – قال إبرام – إنَّ الاولاد في ذينكم البيت مني سيسخرون ، فلا أحدَ منهم في وجهه لحيــةٌ ولا اَحدَ منهم في وجهه شارب ، وصوتي مثل الرجال هو ، لــيس مثــل الصبِية ياتارح ابي يا ابن ناحور .. انا لست إبناً من أبناء بيت الالواحَ أكوَن . بل تكون ياإبرام – قال تارح – ويدَ الأُوميا أبي بيت الألواح ستلثم ، عسى انْ الى الاولاد أُولاء يضمَّك ؛ وإنْ أبي عجلاً له سأذبحُ، وعليه رداءً حسناً سأخلعُ ، وكفيه بالنقود سأملأُ . ولكن ياتارح أبي يا ابن ناحور أنتَ – قال إبرام – ليس في بيتنا عجلٌ .. في بيتنا خروف ونعجة ، ولا رداءً حسناً في بيتنا ولا نقوداً . فاغتاظ تارح ابن ناحور ثم بكى ثم لإبرام قولتُه خروفاً ساذبحُ .. للأُوميا خروفــاً ســأذبحُ وفي

طُرقات أُور سأسعى فالناسَ أستجدي فللأُوميا بالنقود سآتي والــرداء الحسن . عند ذاك هوى إبرامُ على قدمَي تارح أبيه يُقبِّلهما ودمعُه يبلِّل خدَّيه . فجذبه تارح من كتفه وأنهضَه وأخذه الى حـــضنه ثم رأى الى عينيه الدامعتين .. إبناً من أبناء بيت الالواح كُنْ ياإبرام ولدي .. إبناً من أبناء بيت الالواح كن ياإبرام ولدي ؛ فمن بيت الالواح ســتكون أنتَ وآباؤك وأبناؤك . وقبل ان يبرحَ إبرامُ البيت استوقفه تارح أبوه .. الأُوميا بعد أنْ يدَه تلثمَ سيسألك كَم أباً من آبائــك أسمــاءَهم في قلبك تضعُ ياإبرام ابن تارح ؟ فقولتُك ماذا ستكون ؟. طَرَفَ إبــرامُ بعينيه .. قولتي ستكون أنّي إبرام ابن تارح ابن ناحور ابن سروج ابن رعو .. ثم صمت إبرام فأكملَ تارح له .. قلبك إفتحْ وقولتي فيه ضَعْ .. ابوك رعو ابن فالج ابن عابر ابن شالح ابن ارفكشاد .. بأسماء آبائك أُولاء إنطقْ قبل أنْ أمام الأُوميا تقف فيده تلثم . فنطق إبرام بتيــنكم الاسماء التي خلا منها قلبُه ؛ ثم عبر عتبة بيتهم ، وأُمه خلفه تدلق مــاء الجرّة على أثره .

فلما دلف إبرام الى بيت الالواح كان الاولاد يمرحون في باحة البيت ، ومنهم مَنْ كان يقضم من رغيف خبز يمسك بـــه . تــسمَّر الجميع .. لا أحد يمرح ولا أحدَ يقضم من رغيف الخبز ، اذ حـــسبوه واحداً من العرفاء جديداً ، او حتى أخاً أكبر جديداً . بَيدَ انهـــم لـــن يتلبثوا على تينكم الحال طويلاً بعد ان يجثو إبرام امام الأُوميا ويلـــثم يدَهُ، ثم يروح يتوسل اليه أنْ يضمَّه اليهم . هاجوا وماجوا وضـــجَّت الباحة بضحكاتهم ، فلم يمسكوا عن ذلكم حتى أَعمل صاحب السوط سوطَه بهم يعاضده العرفاء ، أُولئك المرشدون . مَنْ اباؤك يا إبرام ابن تارح ؟ - سأل الأُوميا . فأجابه إبرام بما يعرفه منهم ومالقَّنـــه تـــارح

أبوه. وأين يا إبرام كنتَ ؟ لِمَ تخلّفتَ حتى لك لحيةٌ نبتت وشاربٌ نبَتَ لك ، فأتيتني في يومي هذا ؟. ياأبا بيت الالواح أيها الأُوميا الجليل – قال إبرام – أبي شيخٌ ، التعبُ هدَّه والمرضُ أعياهُ ، فعصاً له صرتُ ، بها على شويهات الناس يهشُّ لقاءَ أجرٍ به نقتـــات .. إلاّ أنَّ شـــيخي خشيَ أنْ الموت يدركه قبل أنْ نفسُه تطمئن الى ان ابنه إبرام مـــا في ألواح سومر ، كل الواح سومر ، في قلبه يضعَ . والشَويهات ياإبرام ابن تارح – قال الأُوميا – الشويهات تانك التي عليها تهشُّ مَنْ لهـــا ؟ وبمَ أودَكم ستقيمون يا إبرام ابن تارح ايها الفتى ؟. ايها الجليل يا أبا بيت الالواح – قال إبرام – لاأدري ولا تارح ابن ناحور أبي يدري ؛ ولكني أحسبُ أنّي لدى الناس أسعى ، فعسى قلبٌ منـــهم اليَّ يهفـــو فبناصيتي عَملاً أُجزى عليه يعقدُ .. قولتي لهم أيّها الأُوميا الجليـــل أنْ عَملاً أنشدُ بعد أنْ بيت الالواح بابَه يغلقَ من كل يوم . ولكن بُـــني إبرام ابن تارح يا ايها الفتى – قال الأُوميا – ما أدراك أني الى بيـــت الالواح ضممتك فإبناً من أبنائه صِرتَ ، مـــع الاولاد أُولاء ، حـــتى بقولتك هذه تنطقُ ؟. نوراً في وجهك ايها الأُوميا الجليل أرى – قال إبرام – نوراً بصري غَشيَ فنافذاً صيَّرَهُ ، فها انا الى روحك الطيبـــة أرى وهي في قلبك . ضحك الأُوميا ويده أرخى على كتف إبرام ابن تارح الجاثي أمامه ، ثم ضرب عليها .. من جثوتك إنهضْ يا ابن تارح ابن ناحور أنتَ ايها الفتى إبرام .. نَنّا باركَ بكَ وبشيخك تـــارح .. مثلك ساعياً لا يمكثُ في طُرقات أُور ، جاهلاً بما الاولين سَطَّروا . واذ نهض إبرام غيرَ مُصدِّقٍ أنَّه أنقذ رقبة الخروف الذي في بيتهم ، كمـــا أنقذ أباه من التسوّل بين الناس كي يأتي بالنقود وبالرداء الحسن .. واذ نهض إبرام قال له الأُوميا .. بصرُك النافذ شيئاً آخر ألم يرَ في قلبي يـــا

إبرام ؟. حتى اذا بصري النافذ شيئاً آخرَ رأى ايها الأُوميا الجليـــل – قال إبرام – فلن أُصدِّقه .. شيخي تارح ابن ناحور قولتُه أنْ الرجـــلُ طمعُه قاتلُه .. لا يا ايها الجليل بأكثر مما حظيت لن أطمعَ . بُنَي إبرام – قال الأُوميا – لدي في هذا البيت هل تعمل ؟ يداً لي تمدُّ في نـــشر الألواح أمام الاولاد، أبناء البيـــت ، وفي إعادتهـــا الى الرفـــوف اذ ينصرفون . ولما رأى الأُوميا إبرام مُطرقاً والحيرة تطفح من عينيـــه .. كبرتُ وشختُ يا إبرام بُني فكلامي بيِّناً لم يَعُد .. كنتُ أعني في قولتي انك إبناً من أبناء بيت الالواح ستكون ، تُظْهِرُ على ألواح ســـومر ، كما معي تعمل لقاء اجر به شيخَك تارح ابن ناحور تـــنفحُ . فلـــم يتمالك إبرامُ نفَسه فطفقَ ، مندفعاً نحو الأُوميا ، يُقبِّلُ لحيتَه وكتفَيـــه ويلثم يدَيه ، ثم هوى الى الارض يُقبِّل قدمَيه .

ولاقِبَلَ لي بغثياني الذي صار يعاودني كلما أغمضتُ عينَـــي ، فتَحتَ أجفاني دولابٌ لا صاحبَ له يوقفُه .. تحتَ أجفاني دولابٌ يلفُّ .. يلفُّ ..

جُنَّ جنون نَنْ دادا تانكم الليلة حين نما اليها أنَّ لامـــا ابـــن زاجيري قد طاف في المدينة قبل أنْ يأوي الناس الى بيوهم ؛ وماعاد الى قصر لِيلَوم الملك حتى أبلغ كلَّ رجل وكلَّ امراة .. كلَّ شيخ وكـــلَّ طفل .. أنَّ هناك إلهاً إسمُه آنْ وبيتُه في السماء صنعهم جميعاً كما صنعَ الحمير والبقر والطير والبط والسمك وكل الاشياء على الارض وكل الاشياء في السماء .. كل الاشياء كل الاشياء حتى النيِّرين الكـــبيرَين والنجومَ والرياحَ والغيومَ والمطرَ والماءَ في البحر وفي النهر .. وأنَّ هذا الاله في بدنه حياة لكنه لا يموت .. أبداً أبداً لا يموتُ .. وهو ينطـــقُ على الشيء بكلمة الموت فيموت ذانكم الشيء .. حتى أبنـــاؤه مـــن

الآلهة الصِغار الذين في أبدانهم حياة ولا يموتون مثله ، ينطقُ علـــيهم بكلمة الموَت ، إنْ شاءَ ، فيموتون . أبناؤه أُولاء نزلوا من صُـــلبه ثم تناسلوا وهم جميعهم قد أوقفهم الاله آنْ على حفْظ النـــواميس الـــتي وضعها للاشياء ، جميع الاشياء ، تانكم التي تُنظِّمُ الحركةَ والـــصنيعَ ، فلا تعمُّ الفوضى والعبثُ على الارض ولا في السماء . أما متى جُـــنَّ جنون نَنْ دادا فذانكم انما قد حدث لّما بلغ ابن زاجيري في ندائه مَبلغاً نطقَ عنده بقولة أنَّ الملك ليلَوم ابن إيناكلي هو بمصاف أبناء الاله آنْ اذ أوكلَ له هذا الاله حفْظَ الناموس الذي وضعَه بنفـــسه للمملكـــة ولأهلها ، لافرقَ بين أُناس يعيشون في مدينة ليلَوم وبين الآخرين الذين يقطنون القرى . ثم ختم لاما ابن زاجيري بقولة أنَّ تعيساً ابن تعيس من أساء لمشيئة الاله آنْ .

تقول أمارجي أنَّ سيدها لم تَرِدْ ركن الاغتسال تانكم الليلـــة ولم تتضمَّخ بأيِّ عطر ولا وضعت على جسدها أشرطةَ جلد الأفاعي ، تانكم التي تتقاذف كلما تثنّى جسدُها وهي منطرحة على جانبها .. نَنْ دادا لم تفعل أيّاً من ذلكم تينكم الليلة وتلبثت عند مـــدخل مخـــدعها تنتظر الوزير كاجينا . وتُقسم أمارجي انها كانت تكاد تـــرى دخانـــاً يُنفَثُ من منخَري سيدها وهذه تضرب كفّاً بكفٍّ ؛وكانـــت كلمـــا سحقت كفَّيها ببعضهما سألت أمارجي عن كاجينا ابن آينمر .. أهذان اللذان خمراً لا يشبعان ، عند سيدك ما زالا يا أمارجي ؟. أيـــن غـــدا سيدك يا أمارجي ؟.. فتنطلق أمارجي بعد كل مرة تسألها فيها السؤالَ ذاته الى غرفةٍ واسعة في مدخل القصر . أمارجي لا تدلف الى الغرفة .. أمارجي ترى حسب عبرَ النافذة ، فترى سيدَها الوزير وقائدَ حُـــرّاس الملك أُوش ابن لوجال وأنتيمنا ابن آجا المؤتَمن على خزائن القـــصر

وهم يتضاحكون وأكواز الخمر بأيديهم . حتى انفجر صدرُ نَـــنْ دادا فوثبت تُيمِّمُ صوبَ تينكم الغرفة ثم ، وبمثل لمح البصر ، عادت تجـــرُّ الوزيرَ كاجينا وراءها وهو لمّا يزل يتضاحك مع نفسه ، انما بدون كوز في يده .

وما أنْ ولجت به مخدعَها صرخت نَنْ دادا : أمـــارجي ايتـــها الوصيفة أنتِ .. لا طيورَ مشويةً هذه الليلة ولا خمراً.. البابَ إغلقـــي وعنده تلبَّثي . ثم عبَر ثُقب الباب الذي انوجدَ بمـــشيئة أمـــارجي .. أضحكاً أعطافُك تهتزُّ ، وقَدَرُك في عَصفِ ريحٍ مذرورٌ ؟.. في عَصفِ ريحٍ قَدَرُك مذرورٌ وأعطافُك ضحكاً تهتزُّ ؟!.

لم يكن كاجينا ثَملاً إلاّ أنَّه كان قريباً من ذينكم . لقد تجاوز الانتشاء ، فذاك هو لسانُه متثاقلا يتخبَّطُ في جوف فمه .. أيتها الجميلةُ نَنْ دادا زوجتي أنتِ ؛ أما سمعتِ ؟.. ذينك المنادي لاما ابن زاجيري .. أما سمعتِ ؟.. بكلمة لا حقَّ فيها ابن زاجيري نَطقَ .. ابن زاجـــيري ذانك التعيس بكلمة لا حقَّ فيها نَطقَ .. الضحكُ إيّاي يلازمُ ، تانك الكلمة جَعلتْ .. نَنْ دادا أُذنيك لهذا إذللي .. اذنيك إفتحي نَنْ دادا .. هناك إله وهو رجلٌ لا يموت .. ماسمه ؟.. نَنْ دادا ماسمـــه ؟.. لا عليك .. بالكلمة ينطقُ فالشيء يكون .. بالكلمة ينطقُ فالشيء يموت .. كيف ؟ .. ابن زاجيري لعله يعلمُ ..

وأطلقَ ضحكةً مجلجلةً وهو يردد : ابن زاجيري ذانكِ المنادي يعلمُ .. ذانكِ الاله رحيمٌ ومُحسنٌ على البشر يشفق والحمير والشجر ويعطفُ .. اهذا نَنْ دادا أيتها الجميلة أنتِ لم تسمعي ؟.. عيناه سومرَ كلَّها تبصرُ ، وكلَّ الأرضيين غير سومر عيناه تبصرُ ذانكِ الاله الذي هو رجلٌ لا يموت .. نَنْ دادا هذه الكلمة التي بها ابن زاجـــيري قـــد

نطقَ، أما سمعت ؟!..

وراح يهتزُّ ضحَكاً من جديد ، فأوشك ان يهوي الى الارض ، اذ اختلَّ اتّزانه لولا أنْ قبضت نَنْ دادا على ذراعه وجذبته اليها .. إســتقمْ .. إستقمْ وأُذنَيك إذللْ ، فلا إسمَ لكَ .. خمراً هُداي بعد اليوم لن يقطرا ، ولا ما بين فخذَي يقطرُ إنْ لم تستقِم ولقولتي أُذنَيك تُــذللْ .. شـــهرٌ أمامي كان او بعضُه حتى أُوشك على ما كان لي فعله ينبغي .. أما وأنَّ ذينك الخَرِفَ إيّانا قد سبقَ ، فنفسَه صيَّرَ إبناً من أبناء اله ، مَنْ بسوءٍ إيّاه يمسُّ تعيسٌ هو وأبوه تعيسٌ .. أما وأنَّ الخَرِفَ ذينك قد فعل ، فلا أُوش ابن لوجال يداً لك سيكون ولا ذاك ابن آجا بكلِ الأموال التي عليها ينامُ .. يداً لك ، ابن لوجال برجاله الخمسين ، لن يكونَ ، ولا ابن آجا يداً يكون ..

كان كاجينا قد أمسك عن الضحك منذ انتهت ذراعُــه في قبضة نَنْ دادا ، وذانكم هو فاغرٌ فمَه يستمع اليها ؛ ثم انفتحت عيناه وكانتا تكاد أجفانهما تنطبقُ .. قُتلتُ فلا قبرَ لي إنْ كان قلبي قولتَــك يدركَ ..

فقاطعته بأنْ جرَّته وراءها مُجدَّداً نحو ركن الاغتــسال ، اذ دلفت معه . وبعد حين اخرجته تدفعه امامها عارياً . انهما على مرأى من عين أمارجي المتسمِّرة في ثقب الباب الذي انوجدَ بمشيئتها : الوزير كاجينا عارياً يقطرُ بدنُه ماءً وسيدتها نَنْ دادا بكامل ردائها لم تنضُ عنها قطعةً واحدة .. قلبُك هل خفَّ أم حجراً ما زال ؟. قلبُك أمنفتحاً أمام قولتي أم منغلقاً ما زال ؟..

ثم تابعت نَنْ دادا دون أنْ تسمع منه ردّاً .. ما الى مــسمعك قد انتهى ، سوى نداءِ ابن زاجيري لم يكن .. أمّا ذانك الذي في الناس

قد حلَّ ، الى مسمعك أيها الوزير كاجينا أنتَ لم ينتــهِ .. (لم ينــبس بكلمة وظل يلفُّ صدرَه الأملطَ بذراعَيه وعيناه تطرفان تحت الماء الذي كان يقطر من شعر رأسه. كان يواجه ، بوقفته ، عينَ أمارجي فبدا لهذه عضوُهُ منكمشاً بالكاد يطلُّ برأسه من كثيف شعر عانته المنكوش).. لو كان الى مسمعك ما حلَّ بأهل المدينة قد انتهى ، لما على قلبك إدراكُ قولتي استعصى. لا فرقَ بين رجلٍ وامراةٍ ، أهلُ المدينة مذعورين هــم يرتعدون .. الى مخادع نسائك هل يممتً قبــل أنْ ذينــكَ البائــسَين تُجالسَ؟..

هزَّ رأسه نافياً ، واكتفى بذينكم دون كلام .

.. صوبَ مخادعهن يمِّمْ ؛ على فَرجٍ بين أفخاذهن لن تعثرَ .. الحقُّ هذا ولاحقَّ غيره في كلمةٍ إيّاها أنطقُ في رمشة العين هذه .. تانكم حــال الناس في المدينة كانتَ ، ما بالك إنْ ابن زاجيري بندائه قذفَ الى قرى المملكة ؟.. الناسُ مأخوذين ، ببعضهم البعض ، يلــوذون .. أنــتَ نفسُك ولكَ من الزوجات ثمان ، أصاحبُك هذا بوسعه ، (ومدت يدها الى عضوه تمسك به وتجذبه الى خارج لَبدة الشعر المنكوش)، أنْ بعد اليوم رأسَه يُنهضَ ؟ .. انت يا مَنْ تضحك فتتــرنَّح ، فمــن فَــرْط ضحكك الى الارض تكادُ تهوي ،.. هل بوسع صاحبك هذا أنْ بعــد اليوم رأسَه ينهض ؟.. إلهٌ .. مقدّسٌ هو الشيء ذانك ، والشيء ذانك قادرٌ قديرٌ ؛ في بدنه حياة مثلنا لكنه لا يموت ؛ بالكلمة ينطقُ فيُحيي ، ثم بالكلمة ينطقُ فيُميتُ . إلهٌ هو ذانك الشيء وذانك الشيءُ الخَرِفَ ابن إيناكلي قد صيَّر واحداً من أبنائه ؛ وتعيسٌ ابن تعيس ذانك الذي الى واحد من أبنائه يُسيء .. كيف بعد رمشة العين هذه إيّاه ستخلعُ ؟ ويدَ مَنْ تانك التي صاحبَها ستطيعُ ، فإبنَ الالهِ تخلعُ ؟.. الاله ذانــك

الذي بالكلمة ينطقُ فيُميتُ ؟.. ثم وإنْ تانك اليدُ أطاعت فابن الاله ، ذينك الخَرِفَ ، خلعتْ ، كيف أهالي المملكة سيرتضون لتينك اليد الآثمة ، التي للاله أساءت ، فعلتَها ؟؟!.. مُصيِّرةً لكَ قَدَرَك كنت أحسبُ .. طيناً بنهدي أُشكِّله وبما بين فخذَيّ ، فَقدرُك يكون الذي ليس لأحد فكاكٌ منه ؛ بالقوم يترلُ في رمشة العين التي بكلمتها أنطقُ .. كذلكم كنتُ أحسبُ .. لا.. حسباني ذانك بعد اليوم لن يكونَ حقّاً في كلمة إيّاها أنطقُ ..

.. سرّاً أيتها الجميلة إيّاك لن أُخفي .. قادراً إيّاه لا أحسبُ على أنْ رأسَه يُنهضَ في رمشة العين هذه حتى وأنت إيّاه تعتصرين .. الحقُّ كلَّ الحقِّ في الذي به تحدثت فنطقت ؛ انما أليسَ بوسعنا أنْ الى قلوب الناس بكلمة نقذفُ ونحن عنها في منتأًى ؟.. كلمةٌ إيّاهم تُظهِرُ على السَفَه الذي قلبُ مليكهم اليه غدا .. على السَفَه الذي اليه قلبُ ابن إيناكلي قد غدا ؛ أليسَ في يدنا أنْ بكلمة تنطقُ بذينكم نقذفَ ، فقلوبُ الناس إيّاها تتلقفُ ؟. إنهم بذينك انما سيضحكون ويضحكون ثم يموتون ضحكاً من ذينك الشيء الذي لا يموت ، والذي بالكلمة ينطقُ فيميتُ .. وهم يكرعون الجعَّة كرَعاً سيضحكون ، والخمرَ يحتسون ويضحكون ..

.. السَفَهُ اليه قلبُك قد غدا وقلبا صاحبيك ابن آجا وابن لوجال .. ليلَوم ابن إيناكلي أنتم على الناس خرجتم وبه مَلكاً ناتديتم اذ كبيرَ قومه كان ، فهو حكيمٌ ابنُ حكيم .. والناسُ في المدينة به ملكاً عليهم قد ارتضوا اذ انَّه حكيمٌ ابن حكيم .. ثم في رمشة عين واحدة .. هكذا، في غفلة من إدراك قلوبهم ، بكلمة السَفَه تقذفون .. السَفَهُ الذي اليه مليكهم قد غدا ، فالكلمةَ يتلقَّفون ثم الجعَّة يكرعون

ويتضاحكون .. ألا بالخسران اذن فلتَبشرْ يا ابن آينمر .

عينا كاجينا الوزير تطرفان وتطرفان ، وذراعاه اللتان كانتا تلفّان صدرَه تهدلتا الآن الى جانبه ؛ وعضوُه ، الذي كان يبدو منه لأمارجي رأسه فقط يطلُّ من تحت كثيف شعر عانته المنكوش ، اختفى تماماً فلا أثرَ له .. أولاداً لي لاتصنعين ولا قَدَراً لي أنت صانعةٌ اذن ؟.. نَنْ دادا أيتها الجميلة التي في فمي هَداها خمراً يقطران وخمراً في فمي ما بين فخذيها يقطرُ .. اذن فلا قَدَراً لي أنتَ صانعةٌ ولا أولاد تصنعين !!.

فصاحت في وجهه : صمتاً صمتاً فلا إسمَ لكَ .. صمتاً .. إيّانا سبقَ فظنَّ أنَّه بادعائه البنوةَ لذينكَ الشيء الذي لا يموت إنما عَمَداً لمُلْكه أقامَ ؛ تحتَه أرضٌ لا تَميدُ .. إذللْ سمعَك يا ابن آينمر كاجينا أنتَ .. من غدك تجثو أمام مليكك لِيلَوم ابن إيناكلي فتزيدُ ، فتلثمُ يدَه فتزيدُ ، فتنطقُ بكلمة أنَّ البشرَ ، أُؤلاء الذين الاله آنْ قد صنعَ ، حَريٌّ هم أنْ إيّاه يعبدون .. أقلبُك هذا قد أدركَ ؟.. الكلمةَ التي إيّاها نطقتُ أقلبُك أدركَ ؟.. إنْ لم يدرك ، فأُذنيك إذللْ يا ابن آينمر .. عليكَ وأنتَ وزيرُه أنْ أوَّلَ الصائحين بالحقِّ الذي به نطق تكون .. اول الصائحين بالاله آنْ عليكَ أنْ تكون .. أوَلستَ وزيرَه أنتَ ؟.. إي كاجينا ابن آينمر ألستَ وزيرَه ؟..

فنادَ كاجينا الوزير برأسه موافقاً ، وعيناه تحملقان بها .

.. أوَلستَ الرجلَ الذي الى يمين لِيلَوم الملك ابن إيناكلي الحكيم يقفُ؟..

فنادَ كاجينا الوزير برأسه ثانيةً وعيناه تكادان تَثِبان من محجَريهما .

.. على قلب الوزير أنْ أوَّلَ المُدركين لما به مليكُه ينطقُ يكونُ .. مكانٌ

كما القصر هو ، عينُ بشرٍ من قَبلُ لم ترَ ؛ بكلمة بنائه ستنطقُ فالملــك إيّاها يسمعُ .. الى جَنْبِ قصره ، أهلُ المملكة ذينك المكانَ سيبتنون .. عينُ أحدِهم من قَبلُ إيّاه لم تَر . أنتَ كاجينا الوزير مَنْ سيرى فتنطــقُ فيسمعون ما به تنطقُ فيبتنون .. مَنْ دَكَّةً مرتفعةً سيرى ، وعليها الالهُ آنْ العينَ يملأُ ، أنتَ .. أنتَ لا غيرك مَنْ روح الاله ان ســيرى ، في حَجَرٍ على تينكَ الدكَّة تنتصبُ ، وأمامَها مَذبحٌ للقرابين ، كائنات تثغو وكائناتٍ ترغو تُذبحُ ، فروحُ الاله تهدأُ وترضى .. وفي ركن من ذينك المكان سترى ، فالناسُ ما ترى يبتنون أيها الوزير كاجينا أنــتَ .. في ركنٍ من ذينك المكان خلوةً سترى يقطُنها مَنْ هو آلْ ..

فتمتم يقاطعها : آلْ ؟ .. ما ذانك الال ؟..

.. آلْ كلمةً إيّاها من قَبلُ لم أسمعْ ، ولا أنتَ او غيرك أذنُــه الكلمــةَ (آلْ) هذه قد طَرقتْ .. بها نطقتُ وبها كنتُ أعني كبيرَ هذا المكان ، رأسَ هذا المكان الذي فيه الناسُ إلهَهم الذي إيّاهم صنعَ يعبدون .. آلْ قريبٌ من الاله .. قريبٌ قريبٌ منه فكأنَّه ما في صدر الاله يــسمعُ .. تحت عين آلْ رجلٌ إيّاه نُسمّي سَنجا .. ليس قريباً من روح الاله سَنجا هذا ، إلاّ أنَّه من الناس قرابينهم يتسلم بعــد أنْ آلْ إيّاهــا يتقبَّــلَ . والسَنجا له فتيانٌ يداً يمدّون .. وأُعطيات السَنجا وفتيانــه آلْ إيّاهــا يجري ، لا الملك ليلَوم إيّاها يجري ؛.. كاجينا ايها الــوزير في ذينــك المكان رُكناً سترى ، خزانةً للمال يكون ؛ وماسترى به ستنطقُ فالناسُ ماترى يبتنون ..

ودون ان يرفع صوته ، وما برحت ذراعاه متهدلتين الى جانبه وعضوُهُ منكمشٌ لا أثرَ لرأسه في لَبدة شعر عانته المنكوش .. المالُ مَنْ مُعطيه أيتها الجميلة ؟.. خزانةُ آلْ خاويةٌ ايتها الجميلة ستبقى .

.. لا شيء خاوياً سيبقى غيرُ قلبك الذي حَجَراً صارَ ، الإدراكُ إيّاه لا يأتي .. أنا والسبعُ الاخريات على إدراك قلبك أتينا لا بد .. مرضـاةُ الاله آنْ ، ذانك الذي حياةٌ في بدنه لكنه لا يموت ؛ ذانك الذي بكلمة الموت على الشيء ينطقُ فالشيءُ يموتُ .. مرضاتُه عصيَّةٌ علـى مَـنْ سخيّاً من الناس مع خزانة معبده لايكون .. الاله آنْ الصَدقَةَ من الملك لا يقبلُ ، وإنْ كان لِيلَوم هذا بمصاف أبنائه .. المالُ في خزانتـه مـن الناس عُبّاده يكون .. هكذا أمام لِيلَوم ياكاجينا تحدّثْ .

ثم انقلبت الى ركن الاغتسال وعادت بقِطع رداء كاجينـا .

كان مُطاطئاً رأسَه ، ولا تدري أمارجي لماذا تنبَّه في رمشة العين تينكم فقط الى عُريِه اذ غطّى عورتَه بكفَّيه الاثنتين معاً . فلمّا ابتدأت نَنْ دادا بوضع قطع ردائه عليه ، رفع رأسَه لها .. نَنْ دادا ايتها الجميلة إمرأتي أنت هلاّ علماً لي أنهيت .. هلا لي علماً ايتها الجميلة نَنْ دادا أنهيـت فبكلمة نطقت .. بكلمةَ كيف لي قَدَري ستصنعين بمُعبد ، الناسُ لهذا الشيء الذي لا يموت يبتنون ؟؟!.. معبداً بالمـال والقـرابين النـاسُ سيملأون ، كما نطقت ،.. أين قَدَري في كل ذينك ايتها الجميلة نَـنْ دادا ؟.. هذا قَدَرٌ لآلْ المعبد لا لكاجينا ابن آينمر هذا القَدَرُ .

.. على لسانك كلمة (هذا الشيء) لا تضعْ وأنتَ الالهَ آنْ تعـني .. الوزيرُ قلبُه أوَّلُ المدركين للحقِّ الذي به مليكُه ينطقُ .. هذا تـذكَّرْ وإيّاه لاتنسَ .. مليكُك بكلمة أنَّ هناك إلهٌ إسمُه آنْ نطقَ ؛ إلهٌ إيّانـا صنع وكل شيء .. هذا الحقُّ لقلبك لا ينبغي أنْ إيّاه يجحدَ .. ذينكم تذكَّرْ يا ابن آينمر ، وقَدَرَك لا تقوِّضْ .. قَدَرُك الذي علـى صُـنْعِه أُوشكُ .

.. على صُنْعِه توشكين !!.. نَنْ دادا اما زلتِ تحسبين هذا حقاً فبكلمته

تنطقين ؟!.. أمراً الى علمي إلهي ؛ فقولتُك لتكنْ في كيف على صُنْع قَدَري توشكين ، وكل الذي يدك عليه تقعُ هو بيتٌ لا غير ، الناس إيّاه سيبتنون .

.. بالحق الذي في صدري سأنطقُ ، فلا تتعجل ..(ورفعت صوتها) .. أمارجي ايتها الوصيفة الينا بالخمر والطيور المشويّة .

وقبل ان ينفتح باب مخدعها فتدلف أمارجي اليها ملبِّيةً ، اشارت لكاجينا أنْ ينتظرها مُقتعِداً البساطَ ، ذينكَ القريب من فراشها .. ثم انطلقت الى ركن الاغتسال .

بعد وقت طال عَبَقَ المخدعُ ، هكذا بغتة ، بشذىً لم تشمّه أمارجي من قبل ، لا في مخدع سيدها ولا في أي مكان آخر . ثم أطلّت نَنْ دادا من ركن الاغتسال تتلوّى عاريةً تماماً ، لا يوارب جسدُها هذه المرة وراء أشرطة جلود الافاعي .. عاريةً تماماً وقد أخفت نهدَيها بذراعها اليمنى بينما استترت عانتُها وماتحتها بكفِّ ذراعها اليسرى . وعلى ذينكم النحو انما ماست بعودها نحو البساط حتى وقفت على رأس كاجينا . كان هذا مُشرئبَّ العينين الى قامتها التي عرَّشت عليه ولسانُه مندلعٌ يكاد يقطر لُعاباً . وهنا رفعتْ ذراعَيها معاً الى اعلى فارتفع شعرها الرطيب فوق كفَّيها ونطَّ نهداها كأنهما ينفران من صدرها كل صوب أُفق : أبيضين باذخي التكوّر لاحا لعين أمارجي المتلصِّصة وعلى سَمت كلِّ تكوِّرٍ تشهق مؤتلقةً حلمةٌ تتلاهب حُمرةً .. كاجينا ايها الرجل أنتَ .. (قالت نَنْ دادا بصوت خفيض غنوج).. إنهض وادلق مافي الزِقِّ على نَنْ دادا .. عليَّ مافي الزِقِّ إدلقْ ثم خمرَك إرتشفْ مما بين فخذَي حتى تثمل ؛ فاذا ما ثملت عليَّ ارتمِ واليك إيّاي ضُمْ .. في رمشة العين تينكَ ، انما كلَّ العِلم ستعلمُ كيف أنَّ نَنْ دادا

على صُنْع قَدَرَك توشكُ .

وكما لو انه في حُلم خشي ان يفيق منه أنْ هو نطق بحرف ، لم ينبس بأيما كلمة ونهض يُلبِّي ، ثم القى بالزِقِّ الفارغ الى الارض امام جسدها أليقطرُ خمراً ودسّ لسانه في الانفراج الذي فسحَتَه له بمقدار ، في حين كانت يداه تلتفان حول فخذَيها تتشبّثان بتكوِّري عجيزتها . ثم لم يلبث ان اطلق لسانه يجوب سائرَ ثنايا جسدها من عنقها نُـزُلاً الى كتفَيها الى نهدَيها ، الذين ما برحا نافرَين كُلٌّ الى أُفـقٍ ، الى بطنـها وسُرَّتها الى كفلَيها الى فخذَيها وساقَيها ، ثم الى قدميها قبل ان يعـود ثانية الى حيث ابتدأ .. الى العين الدافقة في ذينكم الموضع الظليـل . كان يفعل كلَّ ذلكم ونَنْ دادا ، كأنَّها قُدَّتْ من حجر ، لاتندُّ عنـها تأوهةٌ واحدة .

فاذا ماراحت كفّاه المتشبثتان بتكـوّري عجيزتهـا ترتخيـان فتتزالقان الواحدة تلو الاخرى ، أخفضت ذراعَيها وأمسكت بفـروة رأسه وجذبته الى أعلى ، تُنهضه وتأخذ جسدَه الى جسدها .. صاحبُك اين ياكاجينا ابن آينمر ؟.. أين صاحبك ؟.. أمذعوراً مختبئا من إلـه لِيلَوم ابن إيناكلي ما زال ،رأسَه لايُنهضُ .

لم يرد اذ كان يلهث فوق كتفها وهو يلحس عُنقَها . لفَّـت ذراعَيها حوله وضمَّته اليها .. أُذنَك إذللْ .. على سعتها أُذنَك إفـتحْ فأني اليك بالكلمة مُفضيةٌ .. أيها السائل يا ابن آينمر أنتَ ، اليـك بالجواب . ووضعت فمها في أُذنه وتلبثت كذلكم هنيهةً وهو متسمِّرٌ بها لايريم . لم تفهم أمارجي مما قالت سيدتها شيئاً .. فحتى لـو كـان الباب مفتوحاً أمامها ماكانت لتسمعَ أي صوت ندَّ عن نَنْ دادا ؛ كما وأنّها ، وهي تتلصَّصُ عِبرَ الثقب المنوجد في الباب بمـشيئتها ، لم تـرَ

ملامحَ وجه سيدها فتفهم بعينها ما عصيَ على أُذنها ، فلقد كان هــذا ملتصقاً بجسد نَنْ دادا وظهرُه الى الباب .

صباح اليوم التالي بكَّر كاجينا الوزير في حضوره الى بــلاط قصر الملك .. حتى انه لم يلفِ هناك سوى شوكليتو مُستلقياً الى جانب الباب والحُرّاس جُلُّهم ما زالَ يشخر . اعتدل شوكليتو جالساً اذ رأى الوزير يقف فوق رأسه ، ثم نهض يستند على رمحه .. مُتِّعــتَ بيــومٍ للفلاح أيها الوزير كاجينا .

.. الفلاحُ في يومك يا شوكليتو .. الملك العظيم ما استيقظَ بعد ، كما أرى .

..وكما ترى ايها الوزير كاجينا ، حتى الحُرّاس بَعدُ مااستيقظوا .. فقبل أنْ الشمسُ تستيقظ ، الوزير كاجينا استيقظَ .

.. ليلتي لا نومَ فيها كانت .. النومُ عينيَّ جفا .. مَنْ ذا الذي له جفنٌ غمضَ خارج القصر الليلة الفائتة ؟.. على لسان ابن زاجيري ذينكم النداءَ ما وضعتُ ، عظمةُ الملك ليلَوم ابن إيناكلي مَنْ إيّاه وضعَ لابد .. شوكليتو أتينك الكلمةَ قلبُك قد أدركَ ؟.. كلمة أنَّ هناك إلهٌ إسمُه آنْ وفي السماء بيته ، حياةٌ في بدنه الا أنّه لا يموت .. جميعاً إيّانا صنعَ وكلَّ شيء صنعَ وعلى الشيء بكلمة الموت ينطقُ فالشيءُ يمــوت .. أتينك الكلمة قلبُك أدركَ يا شوكليتو ؟.

وهو يجهد في كبح تثاؤبةٍ دهمته .. ايها الوزير كاجينا مُتِّعتَ بالفطنــة ففطنتَ الى أنَّ قلبَ حاجبِ الملك ما قلبُ الملك يدركُ إيّاه هو يــدرك .. وقَلبُ الملك ليلَوم العظيم ابن إيناكلي الحكيم تينك الكلمــة قــد أدركَ، فأنا حاجبُه شوكليتو قلبي إيّاها يدركُ لابد .

.. وكذلكم هو قلبي يا شوكليتو .. كذلكم هو .. كلُّ ما به لاما ابن

زاجيري قد نادى إيّاه قلبي أدركَ .. لاشيء مما به نادى من إدراك قلبي قد أفلتَ .. انما شوكليتو أنتَ ايها الطيب كلمةً في أُذني ضَعْ .. مَــنْ ذانك الذي الى عِلم عظيمنا لِيلَوم ابن إيناكلي كلَّ ذينك العلــم قــد أهى؟.. كُلُّنا الى السماء يرى .. إلهاً إسمهُ ان لم نجد في تينك الانحاء .. الى عِلم العظيم ابن إيناكلي ذينك الحقَّ مَنْ أهى ؟

يقول شوكليتو أنَّ جواباً لسؤال كهذا لم يتم تــدبُّره علــى الرابية المعشوشبة في الليلة السابقة على الفائتة . كل ماتمَّ تدبُّره هو أنْ لا يهبط أيُّ من الشُبّان الاربعة الى المدينة فينادوا بما طلبه لِيلَوم الملك منهم ، مع أنْ لا اعتراضَ لديهم على أنْ يتولى ذينكم الامرَ أيُّ امريء آخر غيرهم .. المهم هو ان لا يتورطوا في ذينكم الادعاء .. ادعاء أنَّ الاله آنْ قد أوكل الى لِيلَوم ابن إيناكلي مهمةَ صونَ الناموس الــذي وضعه هو بنفسه للمملكة بعد أنَّ عدَّ هذا بمصاف أبنائه الالهة الصغار . وعند ذاك أطرقَ لِيلَوم الملك ولم يفُتِ براي ، حتى أسعفه شوكليتو .. يا أعظم مَنْ في سومر هل لحاجبكم في هذا ما يرى .

.. واقفٌ الى يميني أنتَ يا شوكليتو ، ولستَ بحاجبي مُذْ هذه الرابيــةَ وطأنا .. تانكم القولةُ انما هي قولتي .. مَنْ لي بمَنْ قولتي هذه يافتيان قد سمعَ ؟.

فابتدأ نمخاني وتوالى الاخرون يؤمنون على أنهم سمعوا تيــنكم القولةَ من الملك .

.. اذن فرأيٌ لكَ في هذا إيّاه نسمعُ يا شوكليتو ما دمــتَ الى يمــيني تقفُ.

.. مُتِّعتَ بالحصافة ياأعظم الناس .. إنَّكم لاما ابن زاجــيري أجــراً تنفحون لقاءَ مناداته بأوامركم .. بهذا الشأن الذي عظمتكم إيّاه يرى ،

لِمَ لا ينادي ؟.. ألا وروحِ أبيك الحكيم إيناكلي أنَّ الذي به سينادي هو للملكة وأهلها أعظمُ نَفعاً من كلِّ ما به من قبل قد نادى .

التفت لِيلَوم الملك الى الشُبّان الاربعة ، ثم وقعت عيناه على أُوبـــار .. أحقاً ذينك الذي من أبيك قد سمعتَ ياأُوبار ؟.

.. مُتِّعتَ بالمغفرة ايها العظيم فغفرتَ لي تَمنُّعي عن النطق .. شوكليتو ابي ايها العظيم فحقٌّ هو كلُّ ما به ينطق لابد .. مَنْ بالجواب ينطـــقُ صَحبي .. فإليهم يا عظيمنا بسؤالك إقذفْ .

.. بوركت أُوبار من إبنٍ .. والى صحبك بسؤالي لن أقذفَ ، فها انـــا الى شوكليتو في عيونهم أَرى كما اليه في عينيك أرى .

تبسَّم لوسين ابن لولو وارخى ذراعه على كتفَـــي أُوبـــار .. الكلمةُ التي بها العم شوكليتو قد نطقَ ايها العظيم حقٌّ ، ليس لأنه عمُّنا ابو هذا الفتى القريب الى نفوسنا ، وانما لانَّ نُشْدَك يا عظيمنا وماتبتغي في هذا هو أنْ أعداءُ المملكة ذيولَهم بين افخاذهم يضعون وهم يعلمون بأنَّ لِيلَوم الملك ابن إيناكلي الحكيم عَصيٌّ على أطماعهم ، اذ انه تحت جُنح إلهٍ يهنأُ .. اله في السماء بيته واسمُه آنْ ؛ على الـــشيء بكلمـــة الموت ينطقُ فالشيءُ يموت .. نُشْدُك هذا ايها العظيم ومبتغـــاك ، ولا شيءَ آخر ماتبتغي ، ولا سبيلَ الى إنهاء ذينكم العلم الى قلوب أعدائك وأعداء المملكة إلاّ سعيُ ابن زاجيري به في طُرقـــات مدينـــة لِيلَـــوم وشِعاب قرى المملكة .

وأدخل أُوردلا لسانَه كأنَّ ماسينطق به جزءٌ من كلمة لوسين .. فحتى نحن ايها العظيم ، لامُبتغىً لنا في كل الكلمات التي بها ارتضينا الاّ أنْ عن الحمير ننمازَ وعن البقر .. لا شيء آخر غير هذا مُبتغانا .. فمن من الناس شاءَ أنْ يعي ، اذ على رؤوسهم لاما ابـــن زاجـــيري

سيعلن ما به من الكلمات قد ارتضينا ، فلَهُ ذانكم ، ومن المُترعةِ بالحقِّ قلوبُهم سيكون .. من المترعة بالحق قلوبهم سيكون ، مَنْ من الناس يعي فعن الحمير والبقر ينمازُ .

ضوءُ السراج الذي بيد شوكليتو يُضيء الشطرَ الايمن من وجه لِيلَوم الملك ، أمّا الشطر الآخر من وجهه فكان مضاءً بنثار ضوءٍ يأتي من سراج الشُبّان الموضوع على الارض ، الى جنب حصير البردي المضفور .. وإنْ بالامر جادلوا فمَنْ لها يانجباء سومر أيها الفتيان أنتم ؟. ردَّ لوسين : الناسُ بأمرٍ به ابن زاجيري ينادي لن يجادلوا ، فذانكم أمرٌ قلبُ الملك إيّاه أدركَ فبه ارتضى .

ومع هذا جادل الوزير كاجينا ابن آينمر ، فما كان من شوكليتو الا ان يبتدر فيقول : ايها الوزير كاجينا ايها السائل أنتَ .. أحكيمٌ ابن حكيم يُسألُ عمَّن الى علمه أنهى حَقاً ، قلبُه قد أدركَ ؟.. عظيمنا لِيلَوم ابن إيناكلي حكيمٌ ابن حكيم قبل أنْ مليكنا يكون .. ذانكم أمرٌ لا ينبغي لوزير أنْ إيّاه ينسى .. أيها الوزير كاجينا ايها السائل أنتَ .. إنَّ لِيلَوم الحكيم ابن الحكيم هو الذي بعينيه الى السماء قذفَ فإلى السماء رأى فالاله آنْ وجدَ .. هناك في السماء الاله آنْ وجدَ في بيتٍ كبير يسكنُ والبشرَ يصنعُ والحميرَ والبقرَ والطيرَ والسمكَ والشجرَ والهوامَ والشمسَ والقمرَ والنجومَ والريحَ والمطرَ والماءَ في النهر والبحر .. كلَّ شيء كلَّ شيء يصنعُ .. فالاله آنْ تحدث فنطقَ فعظيمنا سَمعَ .. عظيمنا لِيلَوم الملك قولةَ الاله آنْ سَمعَ .. تانك القولةَ قلبُ الملك أدركَ ، فإيّاها على لسان المُنادي وضعَ حتى قلوب الناس جميعاً إيّاها تدرك ، لا فرقَ بين وزير اسمه كاجينا او حاجب إسمه شوكليتو او عجوز في بَرية سومر لاأدري ما اسمها .. لا فرقَ .. الجميع

اليومَ يعلم أنَّ تعيساً ابن تعيس مَنْ شرّاً بمُلْكِ ابن إيناكلي عظيمنا أرادَ .. ألا يا ايها الوزير كاجينا فاعلمْ .

كاجينا ابن آينمر يستمع وينود برأسه . ثم وهو على تيـــنكم الحال انقطع الشخيرُ وفزَّ النائمون من الحرّاس ، اذ دلفَ لِيلَوم الملك الى البلاط .

.. مُتِّعتَ بيومٍ للفلاح يا ايها العظيم .

وقبل ان يقتعد كرسيَّ عرشه .. الفلاحُ في يومك ياوزيرنـــا كاجينا .. صباحُك اليوم ليس ككلِّ الصباحات يا ابن آينمر .. قبـــل صباح زُرّاعِ الحقول صباحُك ابتدا يا ابن آينمر .. أجلَلٌ بكَ نـــزلَ أم بإحدى نسائك قد نزلَ ؟.

.. مُتِّعتَ بالدعة وأنتَ كرسيَّك تتخذُ ، فعرشك تملأُ يا عظيمنا .. سِرّاً ايها العظيم إيّاك لن أُخفي .. لا وزيرُكم نامَ ولا أيٌّ من نسائه نامـــت اللليلة الفائتة ، فليس كل ليلة المرءُ يسمع أنَّ هناك إلهاً في السماء إسمُه آنْ صانعُ كلَّ شيء ، على الشيء بكلمة الموت ينطقُ فالشيء يموت .. إلهٌ له ابناء ، آلهةٌ صغار ، ومليكُنا لِيلَوم العظيم بمصاف أحد أبنائه .. ليس كل ليلة يسمع المرء بهذا الحق يا عظيمنا .. فإذْ لاننام فلا غـــروَ اذن .

..وهل ذينكم الحقَّ قلبُك أدركَ ياوزيرنا ؟.

.. أمامكم أجثو (جثا أمام الملك) ، ثم أزيدُ فألثمُ الطاهرةَ يدكم (انحنى على يد الملك وهو جاث ولثمها) ، ثم أتحدثُ فأنطقُ بكلمة أنَّ قلـــبي شيئاً من قبل لم يدرك مثلما أمس أدرك كلَّ ما به مناديكم ابن زاجيري قد نادى .. سِرّاً ايها العظيم إيّاك لن أُخفي .. الذُعرُ قصري ملأَ أمسِ وأنا وزيركم ، فما أفضعَ ما الناسُ لاقوا إذن وهُم فَرَقاً يرتعدون أمام

إله عليهم من السماء بغتةً أطلَّ ، التعيسَ منهم يحذِّرُ من المساس بمُلْك ابنه لِيلَوم الملك عظيمنا ..

لِيلَوم الملك يُمرر اصابعَ كفِّه بين خصلات لحيتــه وعينــاه متسمرتان بوجه وزيره ، كأنَّهما لفرط توجّسهما تخشيان أنْ تفلــتَ منهما نأمةٌ قد تندُّ عن ملامح ابن آينمر .. مُبارك لقلبك إدراكَه يا ايها الوزير كاجينا .. أيها الوزير كاجينا بورك إدراك قلبِك ، فتباركتَ من وزير .. من جثوتك إنهضْ .

.. بل ما في صدري يا عظيمنا أُفرغ قبل أنْ واقفاً أستوي .. وزيــرُك كاجينا ابن آينمر ليس مباركاً حتى بيتاً للاله آنْ يقيمَ غير بيته ذينكم الذي في السماء .. بيتاً للعبادة يكون .. بيتاً لِصقَ قــصركم المهيــب يكون .. الناسُ من أقطاب المملكة إيّاه يؤمُّون .. من اقطاب المملكــة بأسرها الناسُ مع قرابينهم إيّاه يؤمُّون .. ثاغيةً راغيةً قرابينهم ومــع أموالهم لخزانة بيته الناسُ إيّاه يؤمُّون .. بيتُه على الارض معبداً له يكون .. في المعبد دكَّةٌ مقدَّسةٌ وعلى الدكَّة شامخٌ حَجَرُ روحه .. والى يمين حَجَر روحه آلْ المعبد يقفُ ؛ القرابينَ من العُبّــاد يتقبَّــلُ وأمــوالَهم فالسَنجا منه إيّاها يتسلَّمُ .. فأمّا القرابين الثاغية الراغية ففي المذبح ، امام حَجَر روح الاله ، تُنحرُ وأمّا الاموال ..

فقاطعه لِيلَوم الملك : مهلَك يا ابن آينمر .. مهلَك .. آلْ أُذني سَمعتْ وسَنجا سَمعتْ ؟؟!.. ماهو آلْ ؟.. ماهو السَنجا ؟.. (ورفــع صوته) .. شوكليتو ايها الحاجب على باب البلاط ؛ أسمعــتَ مثلمــا سمعتُ أنا ؟.. آلْ والسَنجا ؟!.. أكلمةٌ مثل هاتين أُذنَك من قبل قــد جاست يا شوكليتو ؟.

جاء صوت شوكليتو مرتفعاً من حيث يقف .. لا وحقِّك يا عظيمنا :

.. لا الملكُ ولا حاجبُه ، كلماتُك التي بها نطقتَ يا ابن آينمر ، أُذنيهما من قبل قد جاست .

.. مُتِّعتَ بالمغفرة يا عظيمنا فغفرتَ لي وأنا أسألكم أنْ عليَّ تصطبروا رمشةَ عين واحدة ايها العظيم .. رمشةَ عين واحدة فالداكنــةُ مــن السماء تنجلى .. ايها العظيم ؛ على أرض البشر ، قبل هذه الساعة ، بيتٌ يُعبدُ فيه إلهٌ لم يَقمْ .. الاله آنْ نفسَه البشرُ ، ســوى اهلكــم في مدينتكم ، إيّاه لم يعرفوا .. والناسُ أُولاء إيّاه لم يعرفوا الا قُبيلَ غَسَقِ أمسٍ .. ولساعتنا هذه وهم يرتعدون ، الهلعُ قلوبَهم يأكــلُ . فكمــا كلمةَ الاله ، من قبل ، آذانَهم لم تجس ، كلمة آلْ وسَنجا تكــون .. وكما كلمة الاله آنْ ، من قبل ، آذانَهم لم تجس ، كلمة البيتُ المعبــدُ تكون .. ايها العظيم .. آلْ من روح الاله هو بمنزلة الوزير من مَليكه .. انه رأس المعبد ، قائمٌ على شؤونه ؛ الى ما به روح الالــه تنطــقُ يُصغي، روح الاله تانكم الساكنة في الحجر الذي فوق الدكة المقدسة سيرتفع .. من العُبّاد القرابينَ يتقبَّلُ وأموالَهم إنْ الالــهُ آنْ رضــيَ ؛ وتعيسٌ من العُبّاد مَنْ الالهُ بمرضاته إيّاه لا يغمُر ؛ اذ الآلْ بوجهه أموالَه سيقذفُ ، وعلى ظهر قربانه بالعصا سيــضربُ .. العُبّــاد مــن آلْ يسمعون ، وآلْ من روح الاله يسمعُ .. لأحدَ غير آلْ من روح الاله يسمعُ يا عظيمنا .. أمّا السَنجا فتحتَ عين آلْ المعبد يكون .. له فتيانٌ يداً يمدُّون ، ومن خزانة المعبد أُعطياتُهم تكون ..

.. آلْ هذا أعلى شأناً منك وزيرنا ابن آينمر كاجينا أنتَ .

(بل أعلى شأناً منك أنتَ بُنيَ لِيلَوم)، قال مِيْسلِم ابن شيش حين بعثَ ليلَوم الملك بطلبه ضُحى ذينكم اليوم يُقلِّبُ معه ما سمع من كاجينا ابن آينمر . اذ حتى لو كان لأمارجي الوقت الكــافي فتثــبُ الى بيــت

شوكليتو فتُنهي إليه مارأت من سيدهّا وما سمعت ليلة أمس .. حتى لو حصل ذلكم ، كان لِيلَوم الملك قد حسم أمرَه فأبلغ وزيره إرادتَـــه : علي بشيخنا مِيْسلِم ابن شيش .

بعد أنْ انصرفَ الوزير كاجينا يسعى باستقدام ابن شـــيش ، طلـــب شوكليتو الاذن بالحديث ، فأذن له الملك .. أشار اليه أنْ اتركْ بـــابَ البلاط وادنُ منّي .

.. يا مَنْ لاعظيمَ سواه في سومر ؛ لم لا سويعةً نتريثُ حتى تانكم الفتاة وصيفة نَنْ دادا إيّاي تفيدُ بما لديها .. كثيرٌ ما لديها ايها العظيم لابد .

.. شوكليتو ايها الحاجب الامين .. الى ما لدى تينك الفتاة لاحاجةَ بي .. فما لديها أكاد أرى وأسمعُ وأنا في مجلسي هذا .. ما لـــدى تينـــك الفتاة لاحاجةَ بي اليه ، فكل ما به ابن آينمر قد فاه من تدبير تينـــك الساحرة لابد .. ومترلة كتينك التي لآلْ قد وصفَها ، من بينهما لـــن تخرجَ لابد .. الى باب البلاط عُدْ يا شوكليتو ، وأمراً دعني أتدبَّر .

لّما انتهى مِيْسلِم ابن شيش الى بلاط الملك أعلن الاخير خلوتَه بالشيخ ، فانصرفَ الوزير كاجينا ومعه انصرف الحُرّاس . لا احد في البلاط غير الملك ومِيْسلِم ابن شيش وشوكليتو الذي أوصدَ البـــابَ وتلبَّث وراءه من الداخل ، وأُذنُه تتسمَّع دنوَّ أيِّ متلصِّصٍ منه . لِيلَوم الملك هابطٌ من عرشه يقف بإزاء الشيخ .. مُتِّعتَ بطول العمـــر يـــا شيخي ابن شيش .. ساعةَ صفوك هُتكتُ ، ولا شفيعَ لي إلاّ حاجةٌ بي استبدَّت..

.. بمَلك حاجةٌ بُنيَ لِيلَوم لاتستبدُّ .. من أثقال لسانِك خَفِّف ، فمـــا لديكَ إبسطْ .. أشأنٌ هو ممّا نما اليَّ مساءَ أمس ؟.

.. .. وما الذي اليك نما شيخي المُبجَّل ؟.

.. كونُك بمصاف أبناء إله في السماء ظَهَرَ ، كلَّ شيء يصنعُ ، وبيتُـه هناك كبيرٌ ، الحياةُ في بدنه والحياةُ بدنَه لاتفارقُ ؛ وبيده أنْ الـشيءَ يُميتَ بعد أنْ الحياةَ إيّاه قد منحَ .. والاله ذانكم إيّاك قيِّماً قد وضعَ .. قيِّماً على ناموس المملكة ذانكم الاله إيّاكم قد وضعَ ؛ وتعيسٌ ابـن تعيس مَنْ مُلْكَكَ يمسُّ .. ذانكم ماحفظتُ مما إليَّ نما .

.. وهل قلبُك ما نما اليك أدركَ شيخي المُبجَّل ؟.

.. أنْ في السماء إلهٌ يكُ .. مااسمه بُنَي لِيلَوم ؟..

.. الاله آنْ .. آنْ اسمه يا شيخي ابن شيش .

.. ذلكم هو آنْ .. أنْ في السماء إلهٌ يكُ ، إسمُه آنْ ، او أي إسمٍ آخر، لا يهم ، مايهم انه صانعُ كل شيء ، بكلمة الارادة ينطقُ فيُحيـي ، وبكلمة الارادة ينطقُ فيميتُ .. أنْ في السماء إلهٌ مثل هـذا يـكُ ، فذانكم الحقُّ الذي قلبي إيّاه يدركُ لابد .. فإنْ الصانعُ لـيس هـو ، الصانعُ مَنْ يكون ؟.. وبعد هذا لا تَسلْ إنْ كان قلـبي ، أيَّ كلمـة أُخرى بها نادى مناديكم ، قد أدركَ ..

قاطعه لِيلَوم الملك .. قلبُك نصف القولة قد أدركَ إذن شيخنا المُبجَّل .. قلبُك اذن لايدرك كلمةَ أنَّ لِيلَوم ابن إيناكلي بمصاف أبناء الاله يكون ؟!.

.. مَنْ إيناكلي أبوه عن أبٍ آخر لا يبحثُ وإنْ كان ذانكم في السماء إلهاً .

.. بل يا شيخي المُبجَّل يبحث من أجل أنْ دمٌ بدلاً من الماء لا يجري في أنهر سومر .. من أجل أنْ في أنهر سومر دمٌ لايجري بدلاً مـن المـاء ، لِيلَوم عن أب آخر غير إيناكلي يبحثُ .. أبٌ بكلمة المـوت علـى الشيء ينطقُ فالشيءُ يموتُ .. أوَ لستَ الرائي لذينكم الدم يجري في

أهر سومر يا شيخي مِيْسلِم ابن شيش ؟؟ أوَليــست تــانكم القولــةُ قولتك؟ .. بل أنَّك الى حيث إيناكلي يرقدُ إقذفْ ففوق رأسه بكلمــة السؤال إنطقْ ؛ ثم إذنَك لقولته إذللْ .. أُذنُك يا شيخي المُبجَّل إيّــاه ستسمعُ ينطقُ بكلمة أنْ يا مِيْسلِم إيّاه دَعْ عن أبٍ آخر غيري يبحثُ ، فإيناكلي الدمَ عن النهر لا يحبسُ .. أبٌ آخر غيرُه ، في السماءِ بيته ، الدمَ عن النهر يحبسُ .

كان مِيْسلِم ابن شيش مُطرقاً وهو يستمع ، فرفع رأسه وزَمَّ على شفتيه ، فاذا هُما تختفيان تحت بياض لحيته المُنداح . ثم .. ما الحاجةَ التي بك استبدَّت بُنَي لِيلَوم ، فبطلبي من أجلها بعثتَ ؟.

.. قبل أنْ اتحدث فبالكلمة أنطقُ ، هل قلبُك شيخي ابن شــيش الان أدركَ كاملَ القولة التي بها ابن زاجيري أمسِ نادى ؟

.. بُنَي لِيلَوم أنّي لأتذكَّرُ أنّك تحدثتَ فنطقتَ ، فعلمتُ انا مِيْسلِم ابن شيش أنَّ حاجةً بابننا لِيلَوم ابن العزيز إيناكلي تستبدُّ .. ماحاجتُــك تانكم بني لِيلَوم ؟.

شوكليتو يرى ابتسامةً تبغتُ شفتَي لِيلَوم الملك .. البأسَ أبيتَ شيخي ابن شيش .. البأسَ أبيتَ.. أمّا حاجتي اليك فهي أنّي شئتُ أنْ معــك أمراً اتدبَّرَ .. شيخي المُبجَّل .. وزيرُنا ابن آينمر ذانكم الذي جَيــداً خَبَرْتَهُ وأنتَ اليه في ذينكم اليوم تتحدَّثُ ..أإيّاه تتذكَّرُ ؟

.. الى أُناس كثيرين في ذينكم اليوم تحدَّثتُ بُنَي لِيلَوم .. مَنْ منهم ؟.

.. ذانكم الذي في عديد رجال ابن سين كان يجادل ؛ فنــافحَ حــتى عليهم ألفاً آخرين زادَ .

.. لعله ذانكم النحيفُ الطويلُ الذي لالحيةَ له .

.. ذلكم هو شيخنا ابن شيش .. ابن آينمر وزيرُنا هذا ..

وراح يخبره بكامل ماجاء على لسان كاجينا ابن آينمر ذينكم الصباح في شأن ابتناء المعبد لصق قصر الملك ووضع آلْ قائما عليه مع سنجا تحت عينيه ، هو والفتيان الذين يمدُّون له يدا . وكيــف ان آلْ سيكون قريبا من روح الاله آنْ الساكنة في حَجَر يقوم علــى دكــة مقدّسة ؛ لاأحدَ غيره ما به الاله ينطقُ يَسمعُ .. وبيده خزانةُ المعبــد والقرابين .

.. شيخي الجليل .. ابن آينمر هذا له ثمانُ نساء ، إحداهن ساحرةٌ إيّاه تفتنُ وبيدها على رِسَنه تقبضُ .. بأنْ تصنع له قَدَره كانت إيّاه تُمنّي ؛ وإلى علمي قد تناهى أنّها نفسَها كانت تُمنّي قبل أنْ ابن آينمر تُمنِّــي بعرشنا هذا . فلمّا المنادي بما أمسِ نادى ، على لسان وزيرنا وضَعتْ ما به إليَّ أفضى .. تانكم القولةُ التي بها نطقتُ فإيّاها سَمعتُ قبل رمشة عين واحدة .. آلْ هذا يا شيخنا المُبجَّل أعلى شأناً من الوزير نفــسه سيكون .

.. بل أعلى شأناً منك أنتَ بُنَي لِيلَوم .

صمت لِيلَوم الملك كأنَّه يتأملُ ماقاله ابن شيش .

.. اجل لِيلَوم بُني .. أعلى شأناً منك ، ذانكم الآلْ سيكون .. انما من تينكم الكلمة التي بها ابن آينمر قد نطقَ لامندوحةَ لكَ .. المعبدُ ابتناؤه لابد .. لو كنتَ على لسان مناديك قد وضعتَ كلمةَ أنَّ هناك إلهاً اسمه آنْ ، بيتُه في السماء ، صانعُ كل شيء وبيده أنْ يُحيي وبيده أنْ يُميت .. لو كنتَ على لسانه تينكم الكلمةَ قد وضعتَ وبها اكتفيتَ ، لمــا حاجةٌ بك كانت الى ابتناء بيت لعبادة الاله .. انما أسفاً بُنَي لِيلَوم كلمةً اخرى وضعتَ .. أنتَ اليوم على نواميسَ الالهُ آنْ وضعَ للملكةِ قَيِّمٌ .. جُنحُ الاله آنْ إيّاك يُظلِّل .. وتعيسٌ ابن تعيس مَنْ إيّاك بسوء يمس

او ملكك .. اسفا بني لِيلَوم هذه الكلمة وضعتَ ايضا .. المعبد ابتناؤه لابد ..

قطَّبَ لِيلَوم وتغضَّن ما حولَ عينيه .. شيخي المُبجَّل مُتِّعــتَ بالمغفرة فغفرتَ لي وَهْناً بفطنتي أخذَ.. هلاّ إليَّ أحسنتَ فنطقتَ بكلمة لماذا المعبدُ ابتناؤه لابد ؟.. إذْ على لسان ابن زاجيري وضعتُ أنّني كذا وكذا ؛ لماذا المعبد ابتناؤه لابد ؟.

.. ذانكم الشيء الذي هو في السماء ، ذانكم الاله الذي اسمه آنْ حقٌّ هو لايجحده إلاّ مَنْ قلبُه عَميَ .. بعد أنْ الى علمي نما مانما مساء أمس من تينكم الكلمة التي بها مناديكم نادى ، الفكرَ أعملتُ فعلمـــتُ أنَّ ذينكم الاله حقٌّ ولاأملكُ أنْ ذاته أجحدَ وجبروتَه إلاّ اذا قلبي أعمـــى كان .. ذانكم الاله الحقُّ ليس بحاجة الى مَنْ إيّاه يعبدُ ، ولا الى بيـــتٍ فيه الناسُ إيّاه يعبدون .. المعبدُ بُنَي لِيلَوم انما لتذكير الناس بأنك أنتَ لِيلَوم ابن إيناكلي في مصاف أبناء الاله ، وتعيسٌ ابن تعيس من إيّـــاك مسَّ او مُلْكَك بسوء .. ونِعمَ مارأى ابن آينمر اذ رأى أنْ بيت عبادة الاله آنْ لصقَ قصرك يكون ؛ فبذينكم انما سيتذكر مَنْ ينسى مترلَتك من الاله آنْ .. بُنَي لِيلَوم هذا المعبد لك لا للاله آنْ يكون ..

قاطعه لِيلَوم الملك منذهلاً مما يسمع .. والقـــرابين الثاغيـــة الراغية تينكم التي العُبّاد في مذبح المعبد سينحرون ، والاموال تينكم التي لآلْ المعبد سينفحون ، فإيّاها هذا يودعُ في خزانة المعبد .. أكـــلُّ ذينكم لي ؟.. لي كل تينكم القرابين وأموال الناس الـــتي إيّاهـــا الآلْ خزانةَ المعبدِ سيودعُ ؟.. ابن آينمر ،يا شيخي ابن شيش ، يتحـــدث فبكلمة أُخرى غير هذه ينطقُ .. كلمة ابن آينمر هي أنَّ المعبـــد ، وإنْ لِصقَ قصر الملك هو ، ليسَ من يدٍ للملك عليه .. لا مالاً من الملـــك

إليه يدخلُ ، ولا مالاً الى الملك منه يخرجُ ، وامّا القرابين فهي محـــضُ هِبات العُبّاد لآلهِهم ابتغاءَ مرضاته .. لا قربانَ منها ثاغٍ او راغٍ الملكُ ينالُ .. شيخي المبجل كيف المعبد لي وليس للإله آنْ يكون ؟.

الحُمرةُ يختنق بها وجه مِيْسلم ابن شـــيش .. هكـــذا كـــان شوكليتو يرى . فاذا ماشرع ابن شيش يجيب ، دهمه سعالُه الـــذي لا يزايله حتى تتقطع أنفاسُه . هنا أخذ لِيلَوم الملك بيده ، وتلبَّث كذلك يسنده .. ثم طلب من شوكليتو أنْ يسعفَ الشيخ بكوز ماء . وحـــتى يأتي كوزُ الماء أجلسَ لِيلَوم الملك الشيخَ مِيْسلم ابن شيش على واحد من مقاعد الجُلاّس ، تينكم التي بمظهرها الى الدكَّة الصغيرة أقرب . ثم والسعالُ يتبددُّ شيئاً فشيئاً .. لِيلَوم ابن العزيز إيناكلي ماذا بفطنتك يا ابن العزيز حلَّ؟.. فتىً لما تزل يا ابن العزيز ؛ فطنتُك الى أين صارت؟.. بُنَي شيخُك ابن شيش لا يتحدث فينطقُ بكلمة القرابين والأمـــوال .. هذه لآلْ كلُّها ستكون .. أنتَ الملكُ لآلْ طرفَك عنها تغضُّ ، مقابـــل أنْ هذا الآلْ عُبّادَ الاله يُذكِّرُ ، كلما نسوا ، أنَّ الههـــم آنْ الماســـك بكلمة الارادة لفعل أي شيء يشاءُ ومتى يشاءُ .. يُذكِّر كلما نسوا أنَّ هذا الاله باسطٌ عليكَ جُنحَه وعلى مملكتك ، فلا من طامع منكما ينالُ .. مثل بيع الشيء وشرائه ما تفعلانه أنتَ لِيلَوم الملك وآلْ ، ذانكـــم الذي على المعبد يقومُ .. لساناكما بكلمةِ تينكم البيعةِ لن ينطقا ، انما الحالُ تنطقُ .

.. ولكني ، وانا على لسان ابن زاجيري الكلمات أضعُ ، الى ذينكم لم أرمِ .. شيخي ابن شيش ايها المُبجَّل أنتَ .. معبداً لا أُريدُ .. معبـــداً الناسُ جوارَ قصري يبتنون وخزانته بأموالهم يملأون لا أُريدُ وقرابينهم ؛ فأنّي بابتنائه إنما آخذاً الناسَ بالغفلة أكون .. وذانكم لشرفي هَدْرٌ ايها

المُبجَّل .

.. البأسَ أبيتَ بُنَي .. على لسان مناديك كلمةً ضَعْ ، اذن ، بها على الناس يدورُ .. كلمةَ أنَّك لستَ بمصاف أبناء الاله آنْ ، ولا الإله آنْ عليك باسطٌ جُنحَه وعلى مملكتك .. ذينكم إفعلْ ؛ وعندها بأسٌ إيّاك لا يمسُّ أنْ أنتَ ردَدتَ على ابن آينمر أمرَ ابتناء المعبد .. أمّا أنَّ نُشْدَك أنْ في عيون الناس تكونَ بمصاف أبناء الاله آنْ ، فذانكم لايستوي إلاّ ومعه معبدٌ جوارَ قصرك يُبتنى .. بالكلمة بُنيَ نطقتُ ، فلابأساً يكون إنْ بها مرّةً اخرى أنطقُ عسى أنْ في أُذنك فُسحةً لها تكون فقلبُك إيّاهــا يدركُ : ابتناءُ المعبد هذا شأنٌ من شؤون البيع والشراء هو ، تماماً مثلما هو ادّعاؤك أنَّ الالهَ آنْ واضعُك على نواميس المملكــة قيِّمــاً ؛ وأنَّ كلمة الاله بها سينطقُ على كلِّ مَنْ إيّاك بسوءٍ يمسُّ او مملكتَك .

إدلهمَّ وجه لِيلَوم الملك .. ولكن يا شَيخي ..

فزعق به مِيْسلِم ابن شيش : إذنَك إذللْ ايها الفــتى .. مــن نفسك لا تسخرْ بكَلامٍ لاأفهمُ .. كلُّ العِلم أعلمُ ، وما أعلــمُ حــقٌّ صُراحٌ هو .. أعلمُ أنَّ ارتضاءك ببناء معبد إبنُ آينمر إيّاه يرى ، انمــا هو للشرف هَدْرٌ ، عُهْرٌ إيّاه لايضارعُ .. غير أنَّ عُهْراً يماثله كنتَ بــه ارتضيتَ يومَ بالمُلك ارتضيتَ .. البذرةُ إيّاهــا في الارض نبــذرُ ، ثم شجرةً تكون ، وكذا المُلْكُ اذ ينمو فليس الى شيءٍ يصيرُ بل الى العُهرِ يصيرُ ..

وأمسكَ عن الكلام اذ عاودته نوبةُ سُعاله فلم تزايله هذه المرة حتى أفرغَ مافي صدره في ركنٍ وراء العرش .

وبينما كان وراءَ العرش ، إنهدَّ لِيلَوم الملك الى الارض متهالكاً وهو منخرطٌ ببكاءٍ يخضُّه خضّاً . فنسيَ شوكليتو أنَّ عليه أنْ لا يبرح

مكانَه عند باب البلاط الاّ بأمرٍ من الملك .. نسيَ شوكليتو ذيـــنكم ، وهرَعَ الى حيث لِيلَوم ابن إيناكلي يقرفص مأخوذاً بنشيجه .. ايهـــا العظيم .. ايها العظيم .. يا عظيم سومر ..

ولم يجتريء على أنْ يزيد . وتلبَّث يحملــق بمليكـــهِ ، يـــدُه لاتطاوعه فيُنهضُه ولالسانُه يطاوعه فيزيد بكلمـــة أُخـــرى . يقـــول شوكليتو أنَّه في رمشة العين تينكم فطَنَ ، ثم وجد نفسه يثب الى ماوراء العرش .. شيخنا المُبجَّل مِيْسلِم ابن شيش .. يداً لي مُـــدٌّ .. عظـــيم المملكة مثل ثاكلٍ يبكي .

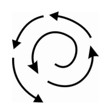
وأنفاسُه تعودُ الى صدره .. إيّاه دَعْ ايهـــا الفـــتى والى مـــا استؤجرتَ له عُدْ .. انه ابن إيناكلي ، فإنْ مثل ثاكلٍ بكى لاغروَ .

لبى شوكليتو وعاد الى باب البلاط ؛ بَيدَ أنَّ مِيْسلِم ابن شيش تريَّث ماكثاً وراء العرش حتى لم يَعُد من صوت بكاء يُسمعُ . عند ذاك فقط أطلَّ برأسه على الملك ، فألفاه مقتعداً أحدَ مقاعد جُلاّسه . تقدَّم منه وانحنى على رأسه وقبَّله ؛ ثم أخذَ بيدِه الى حيث عرشه وأجلـــسه على كرسيِّه .. بُنيَ لِيلَوم هنا انما هو موضعُك من النـــاس .. مثلـــك شرفٌ له لايُهدرُ .. بنازلة إنْ ابتُليتَ فظّهراً لها لا تَذرْ ، ولباسَها إلبَسْ وعنكَ ايّاه لا تنضُ وإنْ خَلقاً كان .. فلا عينَ لَمنْ اليك رأى فما رأى منك الا لباسَك .. حَسبُك بُنيَ أنَّكَ مُترعُ القلب بِنيَّةِ أنْ الدمَ تحـــبسَ ففي أنهرِ سومر لايجري .. لاشيءَ آخرَ في أنهر سومر يجري غير الماء .. نُشْدُكَ ذانكم يا ابن إيناكلي ، وحَسبُك نُشْدُكَ مُجمِّلاً مـــاخَلُقَ مـــن لباسِك .

انفرجت أسارير لِيلَوم الملك .. مُتِّعتَ بالحكمة يـــا شـــيخي المبجل فبكلمة هناء سومر نطقتَ وسكينتها .. على ابن آينمـــر أمـــرَ

ابتناء المعبد لن أردَّ .. بيتٌ لعبادة الاله آنْ الى جوار قصري النـــاس يبتنون .. أمرَ ابتناء ذينكم البيت على ابن آينمر لن أردَّ .. على أنّـــي قاطعٌ السبيلَ عليه وعلى الساحرة إمرأته .. سبيلَهما الى المعبـــد أنّـــي قاطعُها عليهما .. شيخي المُبجَّل ابن شيش مِيْسلِم أنتَ .. حاجـــةٌ بي تستبدُّ يا شيخي ابن شيش وليس لها إلاّكَ في سومر بأسرها ..

ثم لم يُكمِل فكأنَّه يستجمع جُرأةً استدعاها . رَمَقَه مِيْسلِم ابن شيش بنظرة من وراء شعر حاجبَيه المُرسَل .. كثيفُ شَـــعَرِ حاجَبَيـــه الابيض المُنرسل أصلاً ، إنسدلَ اكثر على عينيه حـــين زوى مـــابين حاجبَيه ؛ فمن وراء ذينكم الشَعر المُنسدل انما رمَقَه ابن شيش بنظرة . ثم تقدَّم منه وأرخى كفَّه على ذراعه المُنبسطة على مُتّكـــأ كرســـيِّه .. حاجتُك انقضتْ بُنيَ لِيلَوم .. انما المعبدُ فليُبتنَ أولا .



أعادَ إبرامُ ابن تارح ابن ناحور الالواحَ الى الرفوف ، تماماً مثلما كان يشير عليه الأُوميا .. اذ أنَّ الغثيانَ قد تولاّني ، مع أني كنتُ في بيتي على سريري مُمدّداً وصغيري وأُمُّه الى جانبي . الغثيان لم يزايلني. ليس بوسعي أن اقول ذلك .. الغثيان ينقطع حيناً ، إلاّ انه لا يلبث أنْ يعاود القبضَ على بطني ، كلما اغمضت عينيَّ وماكنتُ نائماً. في نومي لا استشعر انغراز أظافره في معدتي ؛ ففي نومي ليس ثمة من دولاب يلفُّ تحتَ أجفاني . بَيدَ أنّي ماأنْ أصحو ، ثم يتَّفقُ لي أنْ أُغمضَ عينيَّ حتى يروح ذلكم الدولاب يلفُّ تحت أجفاني .. ذات الدولاب الذي كان يلفُّ بصغيري والاولاد ، هو ذاتُه يروحُ يلفُّ تحت أجفاني ، فتطفقُ كُرتا عينيَّ بالتزالق والترنُّح بين الركيزتين المعدنيتَين المُنغرزتَين عميقاً في الارض . عيناي الآن يُعييهما التزالقُ والترنُّح فتنهدّان متشبِّثتَين بأسفل الركيزة الأُخرى ، تلك التي لم أُفرِغ معدتي عندها ..

..، بلغتَ شأواً يا ابن تارح إبرامُ بُني في الوقوف على كتابة سومر - قال الأُوميا - شهرين إصطبرْ او ثلاثةً أُخر ثم يدُ أحد لن تعوزك ، لا أخاً كبيراً ولاعريفاً ولاحتى الأُوميا نفسُه . فتىً آخر قد ساراي يخطبُ

– قال إبرام – شهران او ثلاثةٌ أُخر حتى على كتابة سومر أقــفَ ؛ ثم كَم من الشهور عليَّ أنْ أصطبرَ بعد ذينكم حتى على ألــواح ســومر أُظَهرَ ، كُلِّ الواح سومر؟!.. ايها الأُوميا الجليل ، شيخي تارح بأرواح آبائه أقسَمَ على أنْ لي لايخطبُها حتى قلبي يمتليء بكل مــا في ألــواح سومر .. أيها الأُوميا الجليل ، ساراي فتىً آخر سيخطبُها . فتىً اخر لن يخطبها إبرام بُنيَ – قال الأُوميا وهو يضحك . هوى إبرامُ علــى يــد الأُوميا ولثَمها ، ثم رفع رأسَه الى الأُوميا وقال : إنْ فتىً آخر لن يخطبَها جرارَ بيت الالواح ماءً سأملأُ كل يوم ، وكلَّ يوم أرضَ بيت الالواح سأُنظِّفُ ثم أجراً لاأسأُلك .. ولكن أيها الأُوميا الجليل كيف علمتَ؟. تارح ابن ناحور اليه سأتحدثُ – قال الأُوميا – فقولتي له يا ابن ناحور ابن سروج ياتارح أنتَ إبنُك إبرام إبناً من ابناء بيت الالواح لن يكون إنْ لم له ساراي تخطبْ .. الفتاةَ التي يعشقُ .

يقول إبرامُ لامه فهويتُ مرّةً اخرى على يد الأُوميا ألثمُهــا وألثمُها وألثمُها ثم لحيتَه البيضاءَ لثمتُ وجبهتَه حتى صــار يــضحك ويضحك ، ثم جِرارَ بيت الالواح ماءً ملأتُ ، الجرَّةَ بعد الجرَّة ملأتُ ، ثم أرضَ بيت الالواح كنستُ وفي البيت لم يكن أيُّ ولدٍ .. ثم الأُوميا أجراً لم أسأل . أخذته أُمه الى حضنها وقبَّلته على خدَّيه وقالت تــارح أبوك سارايَ سيخطبُ لابد . أُمّي يا مَنْ تقبِّليني أنت – قال إبرام – الأُوميا كلامه لم ينته .. الأُوميا تكلَّم وقولتُه إبرامُ بُنيَ الى تارح أبيــك ساتحدثُ فقولتي له أنَّ إبرامَ بساراي الى بيتك لن يأتي ياتارح يا ابــن ناحور ، فامراةً له تكون حتى على ألواح سومر كلِّها يُظْهَرَ ؛ سأجعله معي في بيت الألواح يبيتُ ، وعلى ضوء السراج سأجعله كتابةَ سومر يقرأُ .. إبرامُ ليس مثل الاولاد .. إبرامُ له في وجهه لحيــةٌ وشــاربٌ

وصوتُه مثل الرجال ؛ سأجعله في بيت الالواح يبيتُ وعلـــى ضـــوء السراج سأجعله الواحَ سومر كلِّها يقرأُ . فلما تحدث الأُوميا الى تارح ابن ناحور في ذينكم الامر قال له هذا أنَّ أبا ساراي لـــن يرضـــى .. الرجلُ سيسألني ياتارح ابن ناحور إبن سروج أنتَ ؛ ولدُك إبرامُ هل يعرف كيف يكتب ؟ هل يعرف كيف يقرأ ؟ هل على ألواح ســـومر كلِّها قد أُظْهِرَ ؟. فقولتي له ياابا ساراي ايها الرجل الموقَّر أنتَ ولدي إبرام كلَّ صباحٍ الى بيت الألواح يذهبُ ، فعلى كتابة سومر سيقفُ ، وبعد أنْ على كتابة سومر يقفَ ، على ألواح سومر ، كـــلِّ ألـــواح سومر، سيُظْهَرُ ؛ ثم الرجلُ قولتُه لي يا ابن ناحور ابن سروج ياتـــارح أنتَ ولدَك خُذْ .. إبرامَ هذا خُذْ ومن هذا البيت إرحلا فلا تعودا حتى يكون على ألواح سومر ، كلِّ ألواح سومر ، قد أُظهِرَ .. فـــساراي ابنتي الجميلة يدَها لاأعطي الى جاهلٍ بألواح سومر . بغلاً حروناً يا ابن ناحور ياتارح أنتَ لا تكنْ – قال الأُوميا – معكَ الى ذينكم الرجـــل سأذهبُ ، وله سأُقسمُ بنَنّا وبأبيه الإله أنليل وبجده الاله الكـــبير آنْ ، وسأُقسم له بأرواح آبائي أنا اوميا بيتِ الالواح على أنَّ إبرامَ هذا ابن تارح ابن ناحور ساراي لن يأخذَ الى بيت تارح أبيه ،فامراةً له تكـــون حتى أُظهِرَهُ على ألواح سومر كلِّها .. فقولتي لذينكم الرجـــل ياأبـــا ساراي يا ايها الرجل انت سأجعلُ من إبرام ابن تارح هذا يبيـــتُ في بيت الالواح معي ؛ وعلى ضوء السراج على ألواح سومر سأُظهِرُهُ .. يا ايها الرجل ياأبا سراي أنتَ – قولتي له – بغلاً حروناً لا تكـــنْ .. إبننا إبرام إفرِحْ وسأكون أنا أُوميا بيت الالواح بشأنه كفيلاً . عنـــد ذاك صمت تارح ابن ناحور ، فقال له الأُوميا : لسانُك من أيِّ كلام خلا يا ابن ناحور تارحُ أنتَ .. بكَ سأمرُّ بعد ظهر الغد اذ أبناء بيت

الالواح ينصرفون .. ياتارح يا ابن ناحور مغتسلاً سأجدُك ومتطيِّباً أمامَ بيتك تقفُ .. يدي بيدك سأضعُ ، والى بيت الرجل أبي ساراي ذينكم نمضي ، أمّا إبرام ولدك ففي بيتك لن يمكــثَ .. في بيــت الالــواح سيمكثُ .

بعد ظهر اليوم التالي ألفى الأُوميا تارح ابن ناحور مغتــسلاً ومتطيباً يقف امام بيته بانتظاره . وضع يده بيده ويَمَّما صوبَ بيت أبي ساراي الذي كان يعلم بقدومهما اليه .. أُم إبرام أنهت صباح ذينكم اليوم علماً الى أُم ساراي بذينكم الامر . فلما دلفا الى بيت الرجل ثم دلفا الى غرفة مضيفه واقتعدا بساطَ الصوف العابق برائحــة الغــنم المُعافى، ذانكم البساط الذي لايمُدُّ إلاّ لضيوف ، تحدَّث الأُوميا فقــال هذا الرجل يُدعى تارح ابن ناحور ابن سروج ابن رعو .. ثم صــمت فأكملَ له تارح .. ابن فالج ابن عابر ابن شالح ابن ارفكشاد ، والتفت نحو الأُوميا فاستانف هذا حديثه .. هذا الرجل هذا نسبُه أمّا أنا فتعرفني أنا اوميا بيت الالواح مع هذا الطيب جئت فابنتكم سراي لولده إبرام نخطبُ .. وإبرام ابنه في بيت الالواح تركتَه فهو ابن من أبناء البيــت يسعى الى أنْ على ألواح سومر ، كل الواح سومر ، يظهر . إبرامُ ابنه ابنٌ من أبناء بيت الالواح هو – قال الرجل باندهاش- أإبنتي لــصبيٍّ أعطي ؟!.. فقال الأُوميا : ليس صبياً ايها الرجل الموقَّر .. إبرامُ ابــنُ تارح ابن ناحور ليس صبياً ففي وجهه لحيةٌ وله شاربٌ وصوتُه مثــل الرجال اذ يتكلم . فكيف مع الاولاد هو ايها الأُوميا الجليــل اذن ؟. قال ابو ساراي – اين كان قبل أنْ لحيةٌ في وجهه نبتت وشــاربٌ ؟. لأبيه تارح ابن ناحور يداً يمدُّ – قال الأُوميا – أبوه المرضُ أعياه فعــن العمل أقعده ، فله عصاً صار بها على غُنيمات الناس يهشُّ لقاءَ أجرٍ به

يُجزى . فلمّا خشيتي باتت أنْ أموتَ قبل أن أراه في قلبه كلَّ الــواح سومر يضعُ – قال تارح ابن ناحور يُتمم ماابتدأه الأُوميا – بــأرواح آبائي أقسمتُ على أنْ فتاةً له لاأخطبُ فيتزوجها حتى الى بيت الألواح يذهبُ ، فعلى الواح سومر ، يُظْهَرُ . ومَنْ لك يداً يمدُّ ايها الشيخ – قال ابو ساراي – بعد أنْ صار الى بيت الالواح يذهبُ ؟. معي جعلته يعمل – قال الأُوميا – في بيت الالواح ايها الطيب الموقَّر أنتَ .. بعد أنْ أبناء البيت ينصرفون ، وقبل ان ينصرفوا ايضا ، فهو الالواحَ أمامَ الاولاد ينشرُ ثم يجمعها فالى الرفوف يُعيدها .. هذا الفتى رجلٌ بحــق كما ترى ، لشيخه تارح يداً يمدُّ وهو على ألواح سومر يُظهَرُ .. انــه نعمَ الصهر صهرُك إبرامُ ابن تارح هذا فأفرِحْهُ والامرَ عليه لاتــردَّ . أنعم به من صهر ابن تارح إبرام هذا – قال ابو ساراي – ولكنْ قبل أنْ على ألواح سومر كلها يُظهَرَ ، ساراي ابنتي الى بيت شــيخه لــن يأخذَ . يا ايها الموقَّر ايها الطيب أنتَ – قال الأُوميا – أنّــي بــشأنه لكفيلٌ .. أوميا بيت الالواح نفسُه إبرامَ ابن تارح ابن ناحور يكفلُ .. إني أمامك أكفلُه ولن أدعَهُ ساراي ابنتكم يأخذُ حتى على الواح سومر كلِّها يُظهَر . أمنّي ايها الأُوميا الجليل تسخرُ ؟ - قال ابو ســاراي – انت تعلمُ والشيخ الطيب تارح ابن ناحور يعلمُ وكل مَنْ في سومر وفي ممالك الارض الاخرى يعلمون أني على حَبْس ابنتي ساراي لن أقدرَ عن إبرام ، إنْ به رجلاً لها ارتضيتُ .. أمنّي ايها الجليل تسخر ، وانــت أُوميا بيت الالواح؟ .. كلمةٌ هي قولتي وبعدها لساني من أيِّ كلمــة يخلو : بإبرام ابن تارح ابن ناحور ابنكم صِهراً لن أرتضي حتى أنــتَ بنفسك تُظْهرني على أنَّه كلَّ الواح سومر في قلبه قد وضــعَ . ايهــا الطيِّب الموقَّر إعلمْ أنَّك إنما بإبرام أُمَّه ستثكلُ وأباه – قال الأُوميا – إنْ

أنتَ بسواه صهراً ارتضيتَ ، قبل أنْ يوماً يأتيك وفي قلبه كلَّ الـــواح سومر يضعُ .. إعلمْ هذا ايها الطيِّب الموقَّر . هذا علمتُ ايها الأُوميـــا الجليل ، ولكني بابَ بيتي لن أغلقَ دون الخاطبين .. مَنْ لي بضامنٍ أنْ ابن تارح ابن ناحور إبرام هذا يوماً في قلبه كلَّ الواح سومر سيضعُ ، حتى باب بيتي أغلقَ دون الخاطبين سواه ؟.. مَنْ ؟. انا لك ضامنٌ .. انا أُوميا بيتُ الالواح وأنا الذي ذينكم لك يضمنُ ايها الطيِّب المـــوقِّر ، فبغلاً حروناً لا تكن فإبرامَ إفرِحْ ابن الشيخ الطيِّب تارح إبن نـــاحور هذا . بل بغلاً حروناً سأكونُ ، فلا ضامنَ لي في هذا حتى أنتَ يا ايها الأُوميا الجليل .

هوى إبرام الى الارض وصار يبكي على قدمي الأُوميا ويقول أَلَم أقُل لك ايها الجليل أنَّ فتىً غيري سيخطب ساراي .. أَلَم أقُل لك هذا ؟. ثم يبكي ويبكي ، وهو يمسك بقدمَي الأُوميا . دمعَك يـــاإبرام بُنيَ كفكفْ – قال الأُوميا – فساراي أنتَ من ذينك البغل الحـــرون أبيها ستخطبها .. انت لا سواك من الفتيان سيخطبها . واذ لم ينهض إبرام وتلبث يبكي على قدمي الأُوميا ، أمسك هذا بكتفه وجذبه اليه . فلما نهض أمامه أخذَ بذراعَيه يهزُّه .. يا ابن تارح يا ابن ناحور أفقْ أفقْ .. أفقْ وبأُذنَيك كلتيهما اسمعني يا ابن تارح أنتَ .. لا تنامُ سأجعلُك .. يقظاً أنتَ سأجعلُكَ يا ابن تارح إبرام يقظاً ســـأجعلُكَ لاتنـــام .. الوسَنُ كلما تملَّككَ ملحاً تحت أجفانك وضعتُ ، فعيناك إنفتحتْ .. يقظاً سأجعلُكَ لاتنام يا ابن تارح ياإبرام أنتَ .. يقظاً الليلَ بالنـــهار تصلُ ، حتى على كتابة سومر تقفُ في سبعة أيام ؛ ثم شهران آخـــران حتى ألواح سومر ، كلَّ ألواح سومر ، في قلبك تضعُ ؛ وبعدها بساعة واحدةٍ مع تارح ابن ناحور أبيك سأذهبُ فساراي ثانيةً أخطبُ مـــنَ

ذينك البغل الحرون . أيها الأُوميا الجليل – قال إبرام – وإنْ فتىً اليها سبقني في ذينك الشهرين والسبعة أيام ، فأبوها به صهراً ارتــضى !!.
روحَ ذينك البغل بيديَ سأزهقُ – قال الأُوميا – إنْ بغــيرك صــهراً ارتضى روحَه بيديَ سأزهقُ ولتلعني بعد ذاك نانشه ومن فوقهــا نَنّــا وآباؤه الآلهة العظام .

ولا أكادُ أُطيق ذلك الدوران المريع تحت أجفاني .

..، فلقد واصل الشُبّان الاربعة ، قبل ايام إبرام تينكم بقرون عديدة ، خَلواتِهم فوق الرابية المعشوشبة بعيداً عمّا كان يعتمل لِصقَ قصر لِيلَوم الملك . فبينما هبَّ الناسُ فقدِموا من المدينة ومن قرى المملكة جميعهــا يُلبّون نداء لاما ابن زاجيري إبتغاءَ مرضاةَ الاله آنْ ؛ فابتناءُ بيت لــه غير بيته ذينكم الذي في السماء ، بيت يُعبدُ فيه ، انما هو منتهىً مــا يتقدم به الناس فيرضى عنهم إلههم .. كذلكم كان ابن زاجيري ينادي .. بينما هبَّ الناسُ فانكبّوا يعلون المعبد ، كما كان يــراه كاجينــا الوزير، انشغل لوسين ابن لولو وأُوردلا ابن سُرار ونمخاني ابن إيلوتي وأُوبار ابن شوكليتو بكَرْعِ الجعَّة واطلاق العنان لمخيلاتهم .. ففي ليلة قمراء ، ما كان سراجُهم ليضيفَ فيها الى مجلسهم مايبزُّ بــه ذيــنكم الضوءَ الباردَ المُنتزَع من قلب الظلمة .. الضوءَ الذي لاصفرة فيــه ، المُنثال رَخّياً عليهم من السماء ،.. في تينكم الليلة ابتــدرهم نمخــاني والزِقُّ تحت يده لّما يزل .. يانجباء سومر ، بكلمة أنَّ الاله آنْ امــرأةً صنعَ وزوجةً له منها إتَّخذَ ، قد ارتضينا .. هذا حَــسنٌ ولكننــا (ثم صمت وتجشّأ) .. يا ابن لولو أنتَ ايها اللمّاح فينا .. يا ابن العم لولو ما اسم تينكم المرأة ؟.. ما اسم تينكم المراة يا ابن عمِّنا لولــو ايهــا اللمّاح انت ؟.

.. لقلبك هذا الذي الجعَّة على كفوفها إيّاه تحملُ الأمرَ برمَّته أتركُ .. آنْ نفسُه أنتَ الذي الى اسمه اهتديتَ ، فلجِرسِه فَرَقاً ارتعدنا .. يا ابن العم إيلوتي تحدَّثْ فانطقْ .

.. بأي كلمة أنطقُ ؟.. إي لوسين ابن لولو .. قُتلتَ فلا قبرَ لكَ ، بأيِّ كلمة أنطقُ ؟.. أُوردلا وأُوبار انتَ يا ابن العم شوكليتو ؛ أين دلواكما؟.. بدلويكما إلقيا .. بدلويكما إلقيا عسى أنْ في البئر كلمةٌ تكون بها تنطقان .

صفق أُوردلا كفّاً بكف .. كلمةٌ أمامَ عينيَ كانت تتراقص ، واذ إيّانا سألتَ اختفت يانمخاني..(واطلق ضحكةً).. ماذا عنك أنت أُوبار يا ابن العم شوكليتو ؟.

.. لا دلو الاّ دلو ابن عمِّنا إيلوتي نمخاني كَرّاع الجعَّة .. دلاؤنا اذ بها نلقي ، فارغةً الينا ترتقي (واطلق ضحكة تلتحق بضحكة أُوردلا).

نهض نمخاني وراح يتمشّى يحومُ حول مجلسهم ،الصمتُ يطبق عليهم ، ثم وجد رِجلَيه تحملانه بعيداً عنهم .. القمرُ لم يكن في سَمت السماء تينكم الساعة .. القمرُ يُضيء ظَهَرَ نمخاني كان ، وهذا يمشي بعيداً عن صحبه . يقول أُوبار لابيه شوكليتو بأنَّ أحداً منهم ، هم الثلاثة الذين ظلوا يقتعدون حصير البردي المضفور ، لم ينبس بأيما كلمة حتى عاد نمخاني يعدو ، وضوء القمر يتطافح من وجهه . وقبل أنْ يبلغ نمخاني مجلسهم رفع صوته .. اسمها (كي) .. (كي) اسمها تانكم المراة التي آنْ إيّاها سيُقبِّل فيضاجعُ .. صوتٌ من هناك قَدِمَ (وأشار الى السماء) .. صوتٌ بي زعقَ فأجفلتُ فإليكم أعدو عدتُ .. اليكم أعدو عدتُ اذ ذانكم الصوت أجفلني الذي بي زعقَ .. قولتُه كانت أنْ أدراجَك عُدْ يا ابن إيلوتي ياكَرّاع الجعَّة أنتَ .. أدراجَك عُدْ .. (كي)

إسمُها ، فعُدْ .

نهض الثلاثة واحتضنه أُوبار ، فأحسَّ بقلبه يكاد يفرُّ من بين أضلاعه .. من بين أضلاعك نمخاني هذا هو قلبك يَثب .. أحقّاً كان ما سمعتَ ؟.

.. مثلما أُوبار إيّاك في رمشة العين هذه أسمعُ ، ذينك الصوتَ سمعتُ الذي أجفلني .. من بيت آنْ جاءَ .. من السماء من هناك في الأعالي الصوتُ جاء ، فأجفلتُ واليكم عدوتُ .

ابتسم لوسين .. بكلمة أُخرى نطقَ لابد .. بأيِّ كلمة أُخرى ذينك الصوت قد نطق يا ابن العم إيلوتي يانمخاني أنتَ ؟.

.. أمنِّي يالوسين تسخرُ ؟.. حَسنٌ الى ذينك الكثيب يَمِّم ، وأُذنَيك إذللْ .. أُوردلا وأنتَ ياأُوبار ، لكما عليَّ أنْ زِقًّا بكامله إيّاكما أسقي .. زِقَّ الجعَّة بكامله إيّاكما أسقي ، إنْ لوسين ابن العم لولو هذا الينا لم يعد زحفاً ، والصوتُ من السماء فوق رأسه يجأرُ .

ضحكات ثلاث جَلجَلتْ فوق الرابية ، ثم انفرد صوت لوسين يشق الضحكات .. منك يانمخاني لاأسخرُ ، والاسم الذي الينا به عُدتَ إسمٌ بإلهة يليقُ .. إلهة تحت إله تضطجعُ فَحلٍ مثل آنْ ، ذانك الذي بيته السماءَ يملأُ .. منكً لاأسخرُ لابد .. أكوازَنا لنا إترعْ يا ابن لعم إيلوتي ؛ فبيتُ آنْ وكي كبيرٌ ، وعلينا أنْ بآلهة صغارٍ إيّاه نملأُ .

اردف أُوبار : حقٌّ هذا الذي به يالوسين قد نطقتَ .. بتينكم الكلمة أوَلم نرتضِ ؟ كلمة أنَّ الاله آنْ أبناءَه الصغارَ سيُكلِّفُ بصوت له السماءُ ترعدُ والارضُ . ذانكم الصوت سينطق فقولتُه إي ابنائي لاً تموتون إلاّ بكلمة عليكم أنطقُ ؛ إسعوا ، فعلى الاشياء نواميسها تحفظون تينكم التي لها وضعتُ .. حقٌّ ذانك الذي به يالوسين قد

نطقتَ ؛ فأين الآلهة الصغار أُولاء ؟.
انبرى أُوردلا يقطعُ علىَ صحبه الحبلَ الذي ألقاه أُوبار .. مهلاً .. مهلاً .. رمشة عين واحدة تمهّلوا .. بيت الاله آنْ الذي في السماء هو ، قبل أنْ إيّاه بآلهة صغارٍ تملأوا ، علينا أنْ بالسؤال على أنفسنا نقذفَ .. اين هي تانكم الأشياء التي لها الاله آنْ نواميسَ قد وضعَ ، فبأبنائه الآلهة بعد ذينكم يأتي فبنواصيهم يعقدُ ذينكم التكليفَ الذي به إيّاهم سيكلِّفُ ؟؟ اين هي تانكم الاشياء ؟.
كان نمخاني يحمل الزِقَّ يدورُ به على الأكواز الأربعة الفارغة .. ثلاثة منها كانت بأيدي صحبه تنتظر جعته والكوز الرابع ، كوزه ، كان على الارض المعشوشبة وقد استحال بلون القمر .. أُوردلا هل ثملتَ ؟.. أثملتَ أُوردلا أنتَ ؟.. كوزَك لك لن أترَع إنْ كنتَ ثملتَ ؟.
فأجاب أُوردلا بـ(لا) قاطعة .
.. كيف لا ؟ .. وأنتَ تسألُ اين الاشياء هي .. كيف لا تكون ثملتَ؟!.. ألسنا نحن الاربعة أشياء ؟.. أليس الناسُ في المملكة وفي سومر بأسرها أشياء ؟.. أليس البقر والحمير والطير والرعد والبرق أشياء ؟.. كيف يا ابن العم سُرار لا تكون ثملتَ ؟.
التفت أُوردلا الى لوسين .. في حيرة أنا وأنتم في حيرة لابد .. من أمر هذا الذي الآلهة اسماءَها يمنحُ ، ثم يتحدث فبكلمةٍ ينطق .. كلمة ما ذهبت اليه قولتي لاتلمّح .. يداً مدَّ لي يا ابن العم لولو لوسين أنتَ .
.. بصاحبك ارفقْ ياأُوردلا .. يا أُوردلا بنمخاني إرفقْ ، فقولتُك الى البعيد ذهبت دون أنْ بالقريب تمرَّ .. فرفقاً بنمخاني وبنا يافتانا .
.. حسنٌ ايها اللمّاح لوسين أنتَ .. حَسنٌ .. ماليه قولتي قد ذهبت ، وبالقريب سأبتدي ، هو أنَّ الاله آنْ قبل أنْ للاشياء نواميسَها يضعَ

إيّاها يصنعُ لابد .. وقبل أنْ (كي) يصنعَ ، تينكم المرأة ، فإيّاها يُقبِّلُ ويضاجعُ فأبناء آلهةً صغاراً له تلدَ ، فبحِفْظ نواميس الاشـــياء إيّـــاهم يُكلِّفُ ،.. الاشياء يصنع لابد .. في رمشة العين هذه ، وقبل أنْ ما في أكوازكم تكرعوا ، هلاّ آذانكم أذللتم ، فبالسؤال انما اليكم أنا قاذفٌ .. آذانكم هل أذللتم ؟..

نادَ لوسين برأسه وكذلكم فعل أُوبار ، بينما كان نمخاني يشدُّ ليـــفَ الشجر المبروم على فوهة الزِقِّ .

.. حسنٌ .. بالسؤال اليكم .. كيف الاله آنْ الاشياءَ قد صنَع قبل أنْ (كي) يصنعَ ، فامرأةً له تكون فأبناءَ له تلدُ ؟.. كيف ؟.. إنْ ســؤالي عليَّ رَدَدْنا ، مُنمازين نحن عن البقر والحمير بحق نكون .

يقول أُوبار لأبيه انه أحسَّ بأنَّ الجعَّة التي يكرعها طوال تينكم الليلة اختفت من قلبه مرَّةً واحدة ، ثم استشعر بتقطيبة تأخذُ بجبينه ، وكذلكم رأى تينكم التقطيبةَ على جبينَي لوسين ونمخاني .. بيد الاله آنْ يا ابن العم سُرار أنْ بكلمة الارادة ينطقَ فالاشياءُ كلها تكـــون ، مثلما أعيننا نغمضُ ونفتحُ هكذا ، (وطرَفَ بعينيه) ،.. أسؤالكَ عليك ياأُوردلا قد رددتُ ؟.

لم يجب أُوردلا اذ سبقه لوسين الى الاجابة .. حتى الاله آنْ يا ابن العم شوكليتو أُوبار أنتَ .. حتى الاله آنْ القادر علـــى فعـــل أي شيء يشاء ومتى يشاء ، الاشياءَ كلَّ الاشياء في السماء وعلى الارض لا يصنعُ مرّةً واحدةً هكذا (وطَرفَ هو الآخر بعينَيه).. ففي ذيـــنكم انما منزلةَ الاشياء يبخسُ .. منزلةَ الاشياء انما الالهُ آنْ يبخسُ ، إنْ هو بنُطْقِ كلمة ارادة واحدة إيّاها صنَعَ . فاذا ما الاله آنْ منزلةَ الاشـــياء التي إيّاها يَصنعُ قَد بخسَ ، منزلة ذاته بَخسَ أيضاً ، وهذا لايكـــون ..

الالهُ آنْ ، الذي في السماء بيتُه ، ذاتَه لا يبخسُ .

وعَجَباً لَحظَ أُوبار اذ لَحظَ نمخاني لايرفع كوزَه الى شفتيه فيرتشف بعد أنْ أترعه بالجعَّة . لم يفعل ذينكم من قبل ولا حتى مرّةً واحدة ؛ فحالما يترع كوزَه يرتشف منه . كوز نمخاني ليس بيده الان ، وانما على الارض المعشوشبة كوزُه ، وعيناه متسمّرتان بفم لوسين .. ثم .. قولتُك اذن هي أنَّ الاله آنْ الاشياءَ قد صنعَ شيئاً بعد الآخر ..

.. لو مكانَه كنتُ يا ابن العم إيلوتي .. أنا لوسين ابن لولو ، مكانَ الاله آنْ لو كنتُ لذينكم فعلتُ.. لاينبغي للاله آنْ ، صانع الاشياء كلِّها ، أنْ أيَّ شيء يبخسَ مهما منزلة ذينكم الشيء ظؤلتْ .. وانه انما هو فاعلٌ ذينكم لو شيئين اثنين لا غيرَ صنعَ بكلمة ارادة واحدة .

فرَدَّ نمخاني دون ابطاء : لكنَّ الاشياء لا حصر لعديدها .. فاذا كان الحق في القولة التي بها نطقتَ ، فانك ستتحدث فتنطق بقولة أنَّ سنين طوالاً الاله آنْ استغرقت حتى الاشياءَ جميعها صنعَ .

.. حتى نحن ، يانمخاني ، أُولاء الذين أنفسَنا اخرجنا من جماعة البقر والحمير ، ليس بمقدورنا أنْ على عدد السنين نقفَ ، تينكم التي الاله آنْ استغرقت ، وهو الاشياءَ جميعها يصنعُ ..

فقاطعه أُوردلا .. ولكن لو الاشياءَ أخذنا شيئاً شيئاً ، لنا قولةٌ ربما تكون. هنا أعلنَ أُوبار عن حاجتهم الى الابتداء بشيء .. بأيِّ شيءٍ ذانكم الاله الذي في السماء بيته ابتدأ ، فإيّاه صنعَ ؟. بهذا السؤال انما اليكم أقذفُ .

أسرعَ لوسين الى الامساك بالجواب الذي كان ، كما بدا لأُوبار ، متلبِّثاً على طرف لسانه .. بالاشياء الكبيرة ابتدأ ، لا بالاشياء الصغيرة .

أردفَ أُوردلا .. كان عليه ان السماء اولا يـــصنع ، ففيهـــا مسكنُه يكون .. (ثم امسكك عن الحديث كأنَّه أطرقَ هنيهةً) .. ولكن يانجباء سومر أين الاله آنْ كان قبل أنْ السماءَ يصنعَ ، فمسكنه فيهـــا يكون ؟ اين ؟.

واذا بالصمت يطبق على الرابية بأكملها ، لا على مجلـــسهم حسب ، كما لو انَّ الهوام التي كانت تصرُّ في هدأة ذيـــنكم الليـــل صمتت هي الاخرى .. صمتُ مجلس الشُبّان الاربعة اليهـــا تنـــاهى فصمتت هي الاخرى . ثم الصمتُ طال واستطال حتى شغل أياماً ثلاثة بلياليها . في اليوم الرابع ، قُبيلَ ساعة الغسق ، اذ التأم جمعُهم وقـــد عادوا من مزارع الشعير مغتسلين متطيِّبين ، ابتدرهم أُوبار : ماذا لـــو قولتي كانت ، ايها السائل ابن العم سُرار أُوردلا أنتَ ، أنْ الالـــه آنْ كان فوق البحر العظيم .. كأنَّه النور يطوفُ فوق البحـــر العظـــيم يحومُ؟.. ماذا لو قولتي هذه كانت ايها السائل أُوردلا أنتَ ؟.. هـــل عليك سؤالك أكونُ قد رددتُ ؟..

.. لو كان هناك مكان آخر اليه أرى ، لقولتي لك كانت لا يا ابن العم شوكليتو .. لا .. عليَّ سؤالي لم ترد .. إلاّ أني مكاناً آخر غير البحـــر العظيم لا أرى .. لوسين وأنتَ يانمخاني ؛ أمكاناً آخر غـــير البحـــر العظيم تريان ؟.. هلما بالجواب انطقا .

تمتم نمخاني مع نفسه :الاله آنْ البحرَ العظيم أولاً يصنعُ ، ثم رَدحاً من الزمن يتلبَّثُ فوقه يحومُ .. مثل النور فوقَه يحومُ .. قولةٌ الحقُّ إيّاها يأتي ربما .

وكما لو انَّ نمخاني قد وضع على لسان لوسين مايحتاجه هذا كي يمسك بطرف الحديث .. فحتى الاله آنْ الضجرُ منه ينالُ والمللُ إنْ

قعدَ فشيئاً لم يفعل .. بكلمة ارادته أوَّلَ مانطقَ نطقَ فالبحرُ العظيمُ انصنعَ ، ثم تلبث فوقه مثل النور يحومُ .. كذلكم زمنا طويلاً تلبَّثَ ؛ ليس لأحد ان على طول ذينكم الزمن يقف ، فالاله آنْ ضجَرَ ومنه المللُ نالَ ، فهو شيئاً لايفعل غير أنْ مثل النور يحومُ على شيءٍ واحدٍ إيّاه صنعَ . في تينكم الساعة .. ساعة ملله وضجَرِه تينكم ، بكلمةِ الارادة نطقَ فمن ماء البحر العظيم شيءٌ إنصنعَ .. الشيءُ يكبرُ يكبرُ صارَ ، حتى بكِبَرِه تلَّةً كبيرةً كبيرةً بلغَ ، لا عينَ على كِبَرها تشتملُ .. الاله آنْ فَرِحَ لابد .. الاله آنْ فَرِح وهو الى شيءٍ ثانٍ صنعَ يرى غير البحر العظيم ، فإلى نفسه تحدَّثَ فنطقَ فقولتُه كانت : لماذا بكلمة إرادة ثالثة لاانطق فشيءٌ ثالثٌ ينصنعُ ؟.. وهكذا بتينكم الكلمة نطقَ فالتلَّةُ الكبيرةُ الكبيرةُ إنشقَّتْ ، تانكم التي على مرآها عينٌ لاتشتملُ إنشقَّتْ فصارت الى شطرٍ في الأعلى فالسماءُ كانت ، والى شطرٍ آخر في الاسفل مكثَ فالارضُ كانت ،.. الارض التي بأقدامنا عليها في رمشة العين هذه نقفُ .. وكان الهواء الذي نتنفسُ .. الهواءُ الذي له شأنٌ سيكون في كلمة إرادة لاحقة .. ذانكم الهواء مُنحبساً كان بين شطرَي التلة الكبيرة الكبيرة ، تينكم التي على مرآها عينٌ لا تشتملُ .. بين الشطر الاعلى الذي السماء هو والشطر الاسفل الذي الارض هو، الهواءُ مُنحبساً كان ، فمن مَحبَسِه انطلقَ .. الاله آنْ فَرِحَ لابد ، وهو يرى ماذا صنَعَ ..

فأدخل نمخاني لسانَه .. لو مكانَ الاله آنْ كنتُ في تينكم الساعة لزِقّي جعَّة بأكملهما كرعتُ ولرقصتُ حتى عليَّ الصبحُ يطلعُ ، اذ بحرٌ عظيمٌ لديَّ باتَ ، ومنه الارضَ صنعتُ والسماءَ والهواءَ مابينهما .. إنما أسفاً مكانَه لم أكن .

ضحك الثلاثة وعقَّب أُوبار : الاله آنْ ما كان الصبحَ قد صنعَ بعد ، يا ابن العم إيلوتي ، فالشمسُ بَعدُ لم تكن إنصنعتْ ، حتى بالصبح إيّـــاك تأتي ..

وأردف أُوردلا : وشيءٌ آخر من بين أصابعك مرَّ يانمخاني ، فاليـــه لم تتنبه .. الجعَّةُ بَعدُ ما كانت انصنعتْ في ذينك الحين ، اذ الشعيرُ مـــا كان الاله آنْ صنعه بَعدُ ، ولا البشرَ صنعَ ولا الزِقَّ يا ابن العم إيلوتي .. فكيف كنتَ بلا جِعَّة سترقصُ ولا صبحَ إليه تتطلعُ ؟؟.

.. أسفاً أسفاً .. على الاله آنْ أنّي لأشفقُ لابد .. من غير صبحٍ اليه يتطلعُ ومن غير جعَّةٍ إيّاها يكرعُ ، كيف يفرحُ كان ؟!.. في قولتك يا ابن العم لولو إمضٍ .. في قولتك إمضٍ ؛ عليك رحلتَك قد قطعتُ .

.. بل الى قولتي كلمةً أضفتَ يانمخاني أنتَ .. رحلتي ستتوقف كانت عند ذينكم الاشياء الأربعة التي الاله آنْ صنعَ وبصُنعها فَرَحَ .. انمـــا الان فلا .. بعد الذي منك سمعتُ ، ماضيةٌ رحلتي لن تتوقفَ .. الاله آنْ ، وبعد أنْ بيتَه ابتنى ، ذينكم الكبير في السماء ، هناك في الأعلى ، برأسِه من بيته أطلَّ .. من هناك من الأعالي برأسه الى الاسفل أطلَّ .. الى الارض والبحر العظيم برأسه من السماء أطلَّ ، فالظُلمة دامـــسةً رأى فكلَّ الذي إيّاه صنعَ تخنقُ .. الى تينكم الظلمة لم يكن يفطنُ قبل أنْ الى السماء يصعدَ فمسكناً له فيها يتخذُ .. الى الظُلمة ما فطنَ حتى من الاعلى إيّاها رأى ؛ من السماء هناك اليها رأى .. في رمشة العين تينكم ، بكلمة الارادة نطق فالقمرُ انصنعَ ثم بكلمـــة أُخـــرى نطـــقَ فالنجومُ انصنعتْ .. إلاّ أنَّ ضوءَ القمر والنجوم كافياً لم يكن حـــتى تينكم الظلمة الدامسةُ يُبدِّد .. تانكم الظلمةُ لا بضوء القمر ولا بضوء النجوم لتَتبدَّد .. ففي نفسه قولتُه أنْ شيءٌ أصفر مثل شعلة الـــسراج

لابد .. فبكلمة إرادته نطقَ فالشمسُ إنصنعتْ . ولما كان نورُها ضوءَ القمر قد غشيَ والنجوم ، فالإله آنْ ماعاد الى القمر يرى فيجدُ ولا الى النجوم يرى فيجدُ حيث إيّاها وضعَ ، بكلمة إرادة أُخرى نطقَ فالشمسُ مع القمر والنجوم اليومَ تشاطرتْ .. الاله آنْ إيّاها الصُبحَ مَنَحَ مع كامل النهار ، ثم الليلَ للقمر والنجوم مَنَحَ ؛ فما بعد ذاك بضوئه أحدهم الآخر تغشّى ..

وهنا رفع لوسين ابن لولو كوزَه وارتشفَ من جعَّته رشفةً ورشفةً ثم اخرى ، ثم مسح فمه بظاهر قبضته ؛ وقبل ان يمسك بطرف الحديث فيستأنف النطقَ بما يرى ، أدخل أُوبار لسانَه .. وبعد أنْ الارضُ أُنيرتْ والبحر العظيم ، بالنيِّرَين الكبيرين وبالنجوم ، هل الاله آنْ بكلمة إرادته سينطقُ فالبشرَ يصنعُ والحميرَ والبقرَ والطيرَ والشجر وتانكم الاشياءَ الاخرى التي الارضَ تملأُ والسماءَ ؟.. يا ابن العم لولو يالوسين أنتَ ، هل بكلمة ارادته الاله آنْ سينطقُ فتانكم الاشياء تنصنعُ بعد أنْ الارضُ أُنيرتْ والبحرُ العظيم ؟.

.. لا يا أُوبار .. لا .. ليس بعد ؛ ففي تينكم الساعة ماءٌ البشرُ إيّاه يشربُ على الارض لم يكن ولا البقرُ إيّاه يشرب والحميرُ ولا منه الشجرُ يستقي .. ماء البحر العظيم كان ، وهو أُجاج كلَّ ما هو حيٍّ يقتلُ .. الاله آنْ بشراً لايصنعُ ولا بقراً او شجراً يصنعُ قبل أنْ ماءً لايقتل الحيَّ يصنعَ . فقولتُه كانت كلمة ارادة أُخرى ، فاذا بالارض تتشقَّقُ عن أنهار وسواقٍ ، الماءُ العَذب فيها يترقرقُ .. هذا الذي اليومَ إيّاه نشربُ ومواشينا وحَميرُنا ، ومنه الشجرُ يستقي ..

قاطعه نمخاني وكان ارتشف هو الآخر من كوزه .. وكيف الماءُ عذباً رقراقاً غدا ، ولا ماءَ جوار الارض غير الماء الأُجاج ، ذانكم

الذي في البحر العظيم هو ؟.. تحدَّثْ يا ابن العم لولو يا لوسين أنتَ ، فبالجواب إنطقْ وأنا سائلك .

زوى لوسين ما بين حاجبَيه وتلعثم فلم يحر جواباً ، ثم ارتكن الى كلمة ارادة أُخرى نطقَ بها الاله آنْ .. لابد لابد لابد .

رفع أُوردلا صوتَه يسمع نمخاني ولوسين مابدا لـــه في هـــذا الشأن .. لوسين يا ابن العم لولو ، الحقَّ لم تجانب .. الحقَّ لم تجانب يا ابن العم لولو يالوسين أنتَ ، إلاّ أنَّ الامر على هذا النحو لم يجـــرِ .. آذانكما إذللا وأنتَ يا أُوبار ، فالامرُ لي قد تبدّى كما لم يتبدَّ للوسين .. كيف لي تبدّى ؟ .. حَسنٌ ،، بعد كلمة الارادة التي بها نطقَ الالـــه آنْ ، فذانكم الشيءُ الكبيرُ الكبيرُ الذي يشبه التلة الكبيرة هو ، الذي على مرآه عينٌ لا تشتمل ، ..فذانكم الشيء الى أرضٍ وسماءٍ سينشطرُ بكلمة ارادة اخرى من الاله آنْ ؛ ذانكم الشيء ، ومثلما لوسين إيّاه رأى ، تلّةً كبيرةً كبيرةً في داخلها ماء احتَبسَ .. ماء هو ماءُ البحـــر العظيم ذاته .. الماء الذي منه تانكم التلَّة الكبيرة الكبيرة انصنعتْ .. إلاّ انه ماءً أجاجاً لم يَعُدْ ، فملحُه بتراب التلَّة الكبيرة امتزج فمنه صارَ .. ايها الصحاب يانجباء سومر أني شيئاً عجباً لأرى اذ أرى مأرى في رمشة العين هذه .. يانجباء سومر ايها الصحاب انتم ؛ مـــاءُ البحـــر العظيم ذانكم الماء الأُجاج ماءَ بحرٍ لم يَعُد بعد أنْ عليه الارض اشتملت في ترابها .. ماءً بلا ملح غدا ، فملحُه الى الارض صارَ .

واذا بنمخاني يثب منتصباً فيحمل السراجَ ، اذ كانت الظلمةُ قد خيَّمت على الرابية ، ويندفع يبحث في الارض عن شيء . ثم عاد وهو يقبض على حفنة تراب . ففهم أُوبار ان نمخاني ماكان يبحث الاّ عن بقعة أرض لا عشبَ فيها ، فيغترف بقبضته من تربتـــها . وقـــف

امامهم وفتح قبضته .. كلَّ العلم أعلمُ أنّي انما متذوقٌ ملحاً اذ لساني في هذا التراب أدسُّ ؛ لكنَّ قلبي فليطمئن قبل أنْ الكلمةُ التي بها نطقَ ابن العم سُرار يدركَ .. ودس لسانه في حفنة التراب التي في قبضته ؛ ثم لم يلبث أنْ صرخ كأنَّه يُسمِعُ كلمتَه آذانَ البشر جميعه ، ليس صحبَه حَسْبَ : الحق كل الحق في الكلمة التي بها ابن العم سُرار أُوردلا هذا نطق ، وأرواح آبائي .. هذا الملحُ ابنٌ والبحرُ العظيم أبوه ، والارضُ أُمّه ..

وانحنى على رأس أُوردلا وقبَّله .. لا كلمةَ بعد التي بها نطقتَ يا أُوردلا أنتَ . ولوى عنقَه وهو بَعدُ منحنٍ على رأس أُوردلا .. لوسين ايها اللمّاح فينا يا ابن العم لولو ؛ أبكلمةٍ أُخرى تنطقُ بعد تينكم التي بها أُوردلا قد نطقَ ؟.

.. لا وأبي لولو .. مالم أرَ قد راى .. ابن عمنا سُرار قد رأى كيف أنَّ الاله آنْ بكلمة ارادته نطق فالأنهارُ إنصنعتْ والسواقي بمائها العذب الرقراق .. لقد رأى كيف الاله آنْ الشيءَ السابعَ صنعَ .. (وصمت حيث كانت أعينُهم ترنو اليه).. أجل انه الشيء السابع أيها الصحاب .. الأنهار والسواقي الشيءُ السابعُ الذي الاله آنْ قد صنَع بعد البحر العظيم ، والارض والسماء (والهواء مابينهما) ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ..

أدخلَ أُوبار لسانه مقاطعاً .. أحقّاً أرى اذ أرى ايها الصحاب أنَّ الاله آنْ تينكم الاشياءَ السبعةَ في سبعة أيام قد صنعَ ؟.

تنقلت أعين الثلاثة المُصغين في ما بين اصحابها ، دون ان ينبس أي منهم بكلمة واحدة . ثم انبرى لوسين .. الحق في ما بكلمته تنطقُ ربما . وأردف أُوردلا .. أمّا انا يالوسين .. ففي قولتي (ربما) هذه لا تكون ..

ربما هذه التي أنتَ إيّاها وضعتَ لا تكون .. الحقُّ في ما بكلمته أُوبـــار قد نطقَ ، فالاشياء السبعة التي الاله آنْ إيّاها صنعَ هي أكبر الاشـــياء طُرّاً .. لاشيءَ منها أكبرُ .. صُنْعُها ليس يسيراً حتى علـــى الالـــه آنْ الناطق بكلمة الارادة .. يا ايها الصِحاب ستةُ نهارات وســـبعُ ليـــالٍ بالكاد كافيةً كانت .. الاله آنْ اني إيّاه لارى ، بعد أنْ صُنْعَ تيـــنكم الاشياءَ قد أتمَّ ، التعبُ إيّاه هدَّ في النهار السابع فـــإلى بيتـــه آوى في السماء يستريح ؛ ولعل النومَ به قد استبدَّ ، فما إيّاه عتقَ حتى ردحٌ من الزمن إنسلخَ .. ماذا انتم راؤون أيها الصِحاب ؟. أقولةٌ أُخرى على لسان أيٍّ منكم ؟؟..

استبقت الالسن الثلاثة ، فكان لسانُ نمخاني الذي طغـــى .. تحت ضوء السراج هذا أرى الذي إيّاه رأيتَ يا ابن العم سُرار أُوردلا أنتَ .. وأنَّ تعباً كالذي الالهَ آنْ أعيى بعد أنْ صُنْعَ تيـــنكم الاشـــياء السبعة أتمَّ ، ثانيةً إيّاه لن يُعيي حتى وهو بكلمـــات ارادتـــه ينطـــقُ ، الواحدةَ تلوَ الاخرى فالاشياءُ جميعها تنصنعُ .. كل الاشياء الاخـــرى على الارض او في السماء .. فالاشياءُ الاخرى بكاملها مجتمعةً لاتعدل البحرَ العظيمَ والسماءَ والارضَ والقمرَ والشمسَ والنجومَ والانهـــارَ والسواقيَ .. الاله آنْ إيّاه لايعيي أنْ كلَّ تينكم الأشياء الصغيرةَ يصنعُ ؛ فما الى بيته الذي في السماء هو قد آوى فبه النومُ ثانية استبدَّ حـــتى ساعتنا هذه .. ماذا راؤون ايها الصِحاب انتم ؟.

تبسَّم لوسين .. في قولتك آنْ الاله آنْ لم ينم الا مرَّةً واحدةً بعـــد أنْ التعبُ أَعياه ، اذ صُنْعَ الاشياءِ السبعة أتمَّ .. يا ابن العم إيلوتي نمخاني أنتَ ، أنّي أمراً آخر لأرى .. في قولتي أنَّ الاله آنْ مرّةً أُخرى قد نامَ .. مرَّةً واحدة أُخرى الاله آنْ نامَ يومَ صُنْعَك أتمَّ يـــا كَرّاع الجعَّـــة .

وقذف بجسده عليه يطرحه على الحصير مُطبقاً عليه ، وأصابعُه كأنَّها تخنقُه . واذا بالاثنين الآخرين يحذوان حذو صاحبهما لوسين فيقذفان ، كلٌّ من جهة ، بجسدَيهما على المتمازحَين .

وبعيداً عن الرابية المعشوشبة ، هناك جوار قصر لِيلَوم الملك ، كان الناس قد تجمعوا من المدينة ومن اطراف المملكة .. لم يبقَ رجل او امرأة ، شيخ او طفل إلاّ ولبّى نداء لاما ابن زاجيري . فإعلاءُ بيت آخر للاله آنْ يُعبَدُ فيه على الارض مَجلَبةٌ على المرء رضاً للاله لاً يُضارَعُ .. ذنكم الاله الذي في بدنه حياة إلاّ انه لا يموت ، ينطق بكلمة الموت على الشيء فالشيء يموت . الناس حَشْدٌ ، والحَشْدُ امواج من البشر تتلاطم .. وكاجينا الوزير يقف على كومة أحجار يشير بيده فتتحرك الموجة إثرَ الموجة على النحو الذي يشاؤه هو . لم يكن تناهى الى علمه ماانتهت اليه خلوة الملك لِيلَوم ابن إيناكلي بالشيخ مِيْسلِم ابن شيش .. كلُّ ما تناهى اليه هو أنَّ الملك وضع على لسان مناديه مشيئتَه ، فدار هذا بها في طرقات المدينة ثم في شعاب قرى المملكة . واذا بمشيئة الملك لاتخرج عمّا رآه هو ، كاجينا ابن آينمر الوزير ، بكلمة واحدة : معبدٌ للاله آنْ يبتنيه الناس لِصقَ قصر الملك ، له مهابة قصر الملك ، وفي عمق فنائه المتَّسع دكَّةٌ مقدسة عليها سيعلو حَجَرٌ .. ليس أي حجر ، ففيه ستسكن روح الاله ؛ وأمام الدكَّة مَذبَحٌ للقرابين الثاغية والراغية ؛ وفي ركن الى يمين الدكّة مسكن يليق بآلْ المعبد والى جواره مسكن أحقرُ شأناً لسَنجا المعبد وفتيانه ؛ وهناك خزانةٌ في ركن آخر من المعبد تُبتَنى ذات بوّابة عصيَّة على مَنْ يجتريء اذ تسوِّلُ له نفسه سرقةَ مال الاله آنْ . لا كلِمةً واحدةً خرجت على ما رآه ابن آينمر كاجينا الوزير فكأنَّ لاما ابن زاجيري كان ينادي

بكلمات وضعها كاجينا الوزير ، لا الملك وضعَها . فلما بلغت اصداءُ النداء مخْدَع نَنْ دادا أهلَّ وجهها وأمرت وصيفتَها أمـــارجي بـــشيِّ الطيور وإعداد زِقِّ الخمر قبل مجيء سيدها . واذ جاء هذا ودلفَ الى قصره ، يصحبُه أنتيمنا ابن آجا وأُوش ابن لوجال ، هرعت نَنْ دادا الى الثلاثة وهُم بَعدُ عند بوّابة القصر .. ايها السيدان يا ايها القائم علـــى خزائن قصر الملك وياقائد حُرّاس الملك أنتما ؛ الوزير كاجينا الليلة لا نديمَ له سوى نَنْ دادا .. سوى نَنْ دادا لا نديمَ لكاجينا الوزير الليلة .. فمُتِّعتما بالفطنة ففطنتما الى ماأرمي اليه . وقبضت على معصم كاجينا الوزير ، وانتشلته من بينهما ودَرَجَتْ به تجرُّه وراءها حـــتى ادخلتـــه مخدعها وأوصدت عليهما الباب . فما سَبَر غورَ مخدعها تينكم الليلـــة بعد ذاك إلاّ أُذن أمارجي وعينُها التي ستتسمَّر بالثقب الُمنوجِد بمشيئتها .. يا ابن آينمر لا نُدماءَ لكَ بعد اليوم .. من فمك هـــذين الـــرجلين إبصقْ .. اليهما بعد اليوم لا حاجةَ بك .. لا مالَ خزائنِ الملـــك ولا حُرّاسَ الملك الخمسين أنت اليهم بحاجة بعد اليوم .. قَدَرُك قد انصنع ، ألا فابشرْ .. نَنْ دادا قَدَرَك صنَعتْ ، ولسانُ ابن زاجيري في الآفـــاق إيّاه طيَّرَ .

كانت صُفرةُ وجهه قد استحالت شحوباً منذ انتشلته من بين صاحبيه ، فتدفَّقت بعض حُمرةٍ في وجنتَيه وهو يستمع لـــنَنْ دادا .. كيف ذاك ايتها الجميلة نَنْ دادا ؟.

.. قولتي بالغةٌ أُذنَيك .. لاتتعجَّلْ .. انما الآن بساطَك تَملَّكْ وذينـــك الزِقَّ وكومَ الطيورِ المشويَّةِ ، فأنتَ الليلةَ متملِّكي .. بكل الحقِّ أنـــتَ الليلةَ متملِّكي .

وفاتته يُلبِّي ماأمرته به ولعابُه يقطرُ من شِدقَيه ، ويمَّمت صَوب

ركن الاغتسال . ولسوف يطول انتظار كاجينا ابن آينمر حتى تبـــزغ عليه يحملُها فيضُ شذىً تشمَّمته أمارجي وهي وراءَ البـــاب . عـــينُ أمارجي ترى الان الى نَنْ دادا عاريةً إلاّ من ثلاثة جلود أرانب صغيرة ، بالكاد كانت تغطي نهدَيها ومابين فَخذَيها .. كلُّ جلد منـــها كـــان مربوطاً بشريط مأخوذٍ من جلد أفعى التفَّ حول صدرها وآخر التفَّ حولَ وركَيها ، فانعقدَ مع مثيل له في ماوراء ظهرها .

أمارجي كانت أحصتْ ، خلل فترة انتظار كاجينا ابن آينمر لنَنْ دادا ، خمسةَ أكواز خمر كَرعَها هذا ؛ فلما انكشفت له نَـــنْ دادا تتلوّى بذينكم المَلبَس الذي لم ترتديه إمرأةٌ من قبل ، كـــرَعَ كـــوزَين اخرين الواحد تلوَ الآخر ، على عَجَلٍ ، وتلبَّث يتطلع الى وصـــولها ، بينما كانت عيناه تجاهدان كيما تبقيا منفتحتين .

بلغت نَنْ دادا فراشها وانطرحت عليـــه .. علـــى ظهرهـــا انطرحت نَنْ دادا ولوَت عُنقَها اليه ورَمَته بلَحْظ . ثم مدَّت ذراعها اليه تُرخيها وتشير بسبّابتها نحوه ان إدنُ منِّي .. تعالَ . إلاّ انهـــا لم تنطـــق بكلمة واحدة . فما صَدَّق كاجينا ابن آينمر انها أتتْ تينكم الاشارةَ ، فهمَّ بالنهوض ، غير أنَّ ساقَيه خذلتاه وظلَّ متهالكاً على بـــساطه . لم يقنط ، واندفع بجسده نحوها يحبو على أربعٍ ، بل على يديه يحبو جارّاً ساقَيه وراءه جرّاً ، ولسانُه دالعٌ يسحُّ لُعاباً . ألا انَّه قد بلغهـــا علـــى ذينكم النحو ؛ ومن فوره اعتلاها ، وطفقَ يطرد الارنَبين مـــن علـــى صدرها وذاك الثالث الذي يستر مابين فخذَيها . اما هي فكانت تتأوَّه وتتلوّى حتى قبل أنْ ينضو عنه قطعتَي ردائه . واذ أفلح أخيراً بالتجرّد من ردائه وهو يفحُّ ، فاهت بصوت لا هَمْسَ فيه .. صوت غنوج ، انما لا همس فيه .. فاهت بصوت سَمعَتْهُ أمارجي .. كاجينا ايها الـــوزير

أنتَ .. إيّاي لا تتملَّكْ حتى تعد .
فقبَّلها .. قبَّلَ عنقَها وشفتَيها ، ثم هبط الى جيدها يعطرُه بلثماته .. أيَّ وعدٍ بكلمته تنطقين أنّي قاطعُه .
فلمْ يتخلِ صوتُها عن غَنَجه .. انها كلمةٌ واحدةٌ بها أنطقُ .. أيها الوزير كاجينا أنتَ .. إيّاي عُدْ بأنْ أنا ، نَنْ دادا ، آلْ المعبد أكــون .. آلْ المعبد نَنْ دادا تكون .
وهو يمسك بأحد نهدَيها يلتقمُ حُلمتَه .. بل الاله آنْ ذاته تكونين .. لي إفسَحي .. إفسَحي . ودسَّ أسفلَه مابين فخــذَيها . ثم لم تلبــث أنْ صرَخَتْ وهي تضمُّه اليها ، وتُردِّد على مسمعه : بوعــدك إيّــاك أنْ تنكث يا ابن آينمر .. مقتولُ أنتَ ولاقبرَ لكَ إنْ بوعدك نكثتَ يا ابن آينمر . وهو منشغل عن قولها ، كأنَّ صَمَماً أخذ به .. فاذا ماانفــكَّ عنها يسبحُ بعرَقِه ، إنطرحَ الى جانبها .. اين قَدَري ياامرأة في أنْ أنتِ آلْ المَعبد تكونين ؟؟.
استوت جالسة وقبضت على لبدة شعره وراحت تهزُّ رأسَه هزّاً .. انا الجميلة نَنْ دادا ولستُ (يا امرأة) .. أقولتي هــذه قلبُــك أدركَ ؟.. أقولتي هذه قلبُك إيّاها أدركَ ؟.
وجعلت تُكرِّر كلماتِها عليه ، حتى استوى جالساً هو الآخر مُنتزعاً رأسه من قبضتها . وهو يضحك .. أنت الجميلة نَنْ دادا لابد .. وأنتَ آلْ المعبد لابــد .. انمــا أيــن قَــدَري في كــل هــذا ؟. .. بعينيك العمى أخذَ فلا تبصرُ أم ماذا ؟.. قدرُك هذا فعينَيك إفتحْ .. بعينيك الى ماأرى إقذفْ، فإلى قدرك سترى مثلما إيّاه أرى .. أغيركَ في المملكة مَنْ هو وزير الملك لِيلَوم ابن إيناكلي ، القابض على خزائنه ، ورَجُلُ نَنْ دادا التي آلْ المعبَد هي .. في المعبد عند حَجَر روح الالــه

إيّاها يضاجعُ ، وعلى خزانة المعبد يقبضُ ؟ .. أغيرُك في المملكة مَــنْ قابضاً على خزائن قصر الملك وخزانة المعبد سيكون ألا به إكبرْ مــن قَدَرِ ، أحدٌ سواك إيّاه ما بلغَ .

فأرخى ذراعه على كتفَيها وجذبَها اليه ، ثم وضعَ كفَّه علــى نهــدها القريب منه .. وبأيِّ كلمة أمام الملك سأنطقُ ، فبعــدها آلْ المعبــد تكونين ؟.

.. أما والعمى عينَيك قد زايلَ ، أُذنَيك اذلل ، فتانك هي قولتي التي في قلبك إيّاها ستضعُ ، وبها مليكك تقصدُ .. أمام لِيلَوم الملك تجثــو ، ثم كفَّه تلثُم ، ثم بكلمةٍ تنطقُ .. كلمة أنَّ روحَ الاله آنْ ذينكم الحَجَر لا تسكن حتى تهدأ ، وروحُهُ لاتهدأ حتى أنفاسُ امرأةٍ جميلة إيّاها تغمرُ .. بعدها عينَيك الى مليكك ترفعُ وأنتَ أمامه جاثٍ .. مثل متوسِّلٍ جاثٍ أمامَه أنتَ ، فقولتُك يا ايها العظيم لِيلَوم الحكيم ابن إيناكلي الحكيم أإمرأةً عيناك رأتْ ذات جمالٍ جمالَ نَنْ دادا يصرعُ ، المرأة تانكم التي امرأتي هي ؟؟ .. عنها يا ايها العظيم سأتخلّى .. لروح الاله آنْ أبيكم عن نَنْ دادا سأتخلّى . عندها لِيلَوم الملك سيتحدث فبكلمةٍ ســينطقُ ، فقولتُه إي ايها الوزير كاجينا قلبي لايدرك كيف عن الجميلة نَــنْ دادا ستتخلى .. لا .. ذانك أمرٌ قلبي إيّاه لايدرك يا ابن آينمر . فاذا قولةُ الملك هذه كانت ، من جثوتك لاتنهضْ ، ومتوسِّلا كما أنتَ إبــقَ .. متوسِّلا إبقَ كما أنتَ ومن جثوتك لاتنهضْ ، وعليه قولته رُدَّ بكلمــة أنَّك انما عن نَنْ دادا تتخلّى من اجل روح الاله آنْ .. فيا ايها العظيم ، يا مَنْ لا عظيمَ سواه ،(كذلكم إيّاه ستتوسل) ، لا مجنونَ في مملكتكم الهانئة بظلكم عن تانكم الجميلة يتخلّى .. عن نَنْ دادا الجميلة حــتى المجنون لايتخلى لو انها امرأتَه كانت ، غير أنّي انا كاجينا ابن آينمر ،

وزيرَكم ومُطيع اوامركم ، عن نَنْ دادا سأتخلّى ، التي جمالُ امرأة على هذه الارض جمالَها لايصرعُ ، من أجل هدأة روح الاله آنْ ، أبيكم .. إيّاها يا ايها العظيم باركْ .. نَنْ دادا تانكم الجميلة إيّاهـــا بـــاركْ يـــا عظيمنا، وآلْ المعبدِ إيّاها سَمِّ ، روحُ الاله آنْ تهدأ فذينكم الحَجَـــر ، الذي مرآه القلوبَ يأسرُ ، تسكنُ . ثم إبكِ .. يا ابن آينمر ايها الوزير كاجينا أنتَ إبكِ قبل أنْ ليلَوم الملك اليك بأيِّ كلمةٍ يقذفَ .

صباح اليوم التالي ، وبينما استُدعيَ شوكلّيتو الى بيته ، على عَجَلٍ ، ففهم أنَّ أمارجي في انتظاره هناك ، كان لاما ابـــن زاجـــيري يدور على الناس في طُرقات المدينة وشِعاب القرى ، يدعو منهم مَنْ هو قادراً على أنْ يضع يده على الشيء فيغدو الشيء جميلاً .. مَنْ هو قادر على فعل ذينكم ، فإلى بلاط عظيمنا لينتهِ .. الى بلاط عظيمنا لِيلَـــوم الملك لينتهِ .. كذلكم كان ابن زاجيري ينادي .

انتهى الى بلاط الملك خمسةُ رجال .. جاءوا تباعاً قُبيلَ حلول ظُهر ذينكم اليوم ، وكُلُّهم من ساكني المدينة كانوا . فاذا مااختفى ظلَّ العصا تحت شمس الظهيرة تينكم ، التأم جمعُهم أمام كاجينا الـــوزير ؛ وماكان هذا قد ابتدأ بَعدُ إنفاذَ تدبير نَنْ دادا . سيبتديء إنفاذ تدبير نَنْ دادا بعد عشرة أيام من يومهم ذاك ، حيث يكون المعبدُ قد علا وارتفعَ فيه حَجَرٌ تسكنُه روحُ الاله آنْ .

ابتدر كاجينا الوزير الرجالَ الخمسة .. هـــاهو النـــهارُ قـــد انتصف ، ولا رجلَ قَدِمَ الينا إلاّ كُم .. ايها الرجال عُوا انكم صُنْعاً لم يسبق اليه أحدٌ ستأتون .. من البشر أحدٌ إيّاكم اليه لم يسبقْ .. روحُ الاله آن ذانكم ، صانعُ كلِّ شيءِ الذي في السماء بيتُه هـــو .. روحُ الاله آنْ التي إيّانا جميعا تُظلّلُ ، في حَجَرٍ أصمٍّ شديد القـــوام إيّاهـــا

ستُسكنون .. فإلى أيِّ شكل ذينكم الحَجَرَ ستُصيِّرون ، فمسكناً لروح الاله آنْ يكون ؟.. أمامي في رمشة العين هذه استبقوا ، فأني أُذني لقولاتكم مُذلٌّ . فتدافعت كلماتهم على مَسمَعٍ من كاجينا الوزير ، انتقى منها هذا كلمتَين قصدَ بهما مليكَه . وبين يدَي لِيلَوم الملك اصطرعت الكلمتان حتى انعقدتْ بناصية إحداهما الغَلَبَةُ ، فكانت لرجل إسمه كارشيما . وحين سأله كاجينا الوزير عن اسم أبيه ، أبى لِيلَوم الملك عليه أنْ يسمى بإسم أبيه .. لايا ابن آينمر .. لا .. هذا مُصيِّرُ الحَجَر مَسكَناً لروح الاله آنْ .. كارشيما هذا إسمٌ إيّاه لايعلو وإنْ إسمَ أبيه كان .. كارشيما صاحبُ الحَجَر .. ذانكم هو .. كارشيما صاحبُ الحَجَر إيّاه ستدعون ، فذانكم هو اسمه ياوزيرنا ابن آينمر أنتَ . أمّا الشكلُ الذي سيصير اليه الحجر ، بعد ان يضع كارشيما صاحب الحجر هنا يدَهُ عليه ، فهو على هيئة لرجلَين أحدهما شيخٌ جالس على مقعد ، صاحب لحية طويلة ، كبير الحجم ، يضع يدَهُ على رأس رجل يقف أمامه أصغر منه حجماً ولحيتُه أقصر طولاً .

لقد رأى كاجينا ابن آينمر أنْ يبتديء الناس بإرساء الدكَّة المقدسة اولا ، حتى قبل ان يقيموا جدران المعبد . فاذا مافرغوا من إرسائها حملوا الحجرَ الكبير ووضعوه فوقها ، فيتسنى عند ذاك لكارشيما صاحب الحجر ان يشرع بتصيير الحجر الى الشكل الذي وصفه الملك . سيُعمِلُ هذا ازميلَه بالحجر ، بينما يكون الناس منكبين على ابتناء جدران المعبد وغُرَفه وباقي ملحقاته . فأمَّن لِيلَوم الملك على رأي وزيره ، ثم خرج بنفسه الى أمواج البشر المتلاطمة المحتشدة امام باب قصره فباركها وأطلق اشارة البدء بالعمل على وفق مايشير به عليهم الوزير كاجينا .. لياليَكم بنهاراتكم صِلوا وأنتم تعملون ، فما

أسرع ما الاله أنْ برضاه إيّاكم سيغمرُ .

يقول شوكليتو انه لم يرَ كاجينا الوزير من قبل بتينكم الاريحية التي استخفَّته وهو يتلقَّف الأمر من فم الملك . حتى انه لم يطلب من أوش ابن لوجال أنْ يسعفه ببعض رجاله يصطحبونه برماحهم ومِديهم الى حيث سيقف فوق رؤوس الناس ، كما دَرَجَ على فعله كلما انبرى الى مهمة من هذا القبيل . ويقول شوكليتو ايضا انه تحدَّث الى نفسه بكلمة هل سيبقى ابن آينمر على اريحيتيه تينكم بعد أنْ يقوم المعبد ، فيأتي بتدبير نَنْ دادا فيبسطه امام الملك ، فيسمع من هذا عَجَباً ؟.. هل سيبقى ابن آينمر محمولاً على جُنح أريحيته وهو يسمع من لِيلَوم الملك ما سيسمع ؟؟.

ولن ينتظر شوكليتو بعد ذاك سوى عشرة أيام . في اليوم الحادي عشر ، وبعد ان اشرف كاجينا الوزير بنفسه على نحر العجول واقامة الولائم امام المعبد ، ابتهاجاً بارتفاع المعبد المهيب بجدرانه التي عَلَت جدران قصر الملك بما يقرب من نصف قامة رجل ، وبجلوس ذينكم الشيخ الحجري هائل الحجم بلحيته الطويلة على مقعد الدكَّة المقدسة ويدُه تمسح على رأس رجلٍ واقف امامه أصغر منه حجماً ولحيتُه أقصر من لحيته .. في ذينكم اليوم وبعد ان اشرف كاجينا ابن آينمر على كل ذاك ، جثا أمام مليكه ثم لثمَ كفَّه ثم زادَ بأنْ جمع ذراعَيه الى بعضهما أمام وجهه وشبكَ أصابعَه ببعضها ، وانطلق صوتُه متهدِّجاً كأنَّه ينوء تحت وطأة عَبرة أخذت بصدره .. مُتِّعتَ بطول العمر يا عظيمنا ، فالفَرحُ أيامَك أترعَ .. انه يومٌ ليس ككل الايام .. ليس ككل الايام يومكم البهيج هذا .. فأبوكم الاله آنْ الى جواركم يؤمُّون فإيّاه يعبدون .. لا بيتَ للاله آنْ على الارض غير بيته هذا ،

ابنه الملك العظيم لِيلَوم ابن الحكيم إيناكلي له أقامَ ، فأيامكم بـــالفرح مُترعةٌ يا عظيمنا .. من الغد الناسُ بقرابينهم الثاغية الراغية سيتقدمون فآلْ المعبد إيّاها يتقبَّلُ بعد أنْ الكلمةَ يسمعُ .. الكلمةَ بها روحُ الالـــه تنطقُ فإيّاها يسمعُ ، ثم السَنجا القرابينَ ينحرُ وفتيانُه تحـــت عـــين آلْ المعبد .. من الغد ، الناسُ بأموالهم سيتقدمون ابتغاء مرضاة الههم الإله آنْ ، فآلْ المعبد إيّاها يتقبَّلُ بعد أنْ كلمةَ روحِ الاله يسمعَ ، فإيّاها هو بنفسه خزانةَ المعبد يُودعُ .. ذانكم وتانكم من الصنيع ماســيحدث غداة يومنا هذا ، انما بعد أنْ روحُ الاله آنْ في ذينكم الحجر تسكنَ .. الحجرُ الذي مرآه القلوبَ يأسرُ .. وروح الاله ليست بساكنة ذينكم الحجر حتى تهدأ ، ولن تهدأ روحُ الاله حتى أنفاسَ امراة جميلةٍ إيّاهــا تغمرُ ..

عند ذاك لم يحتمل لِيلَوم الملك اصطباراً فتبسَّم ، هو المُظهَـــرُ على ما سيلي من كلام وزيره .. فتبسَّم دون أنْ يفه بكلمة . غـــير ان كاجينا الوزير لم يتوقف عن تينكم الابتسامة ، ولعله عدَّها إمارةَ رضا وانفراجَ سريرة تأخذُ بيده الى المضي في كلامه الى أقصاه .. يا ايهـــا العظيم ، أجَمالاً عيناك رأتْ لإمرأةٍ على الارض تمشي جمالَ نَـــنْ دادا يصرعُ .. نَنْ دادا تانكم التي إمرأتي هي ؟.

فهزَّ رأسَه لِيلَوم الملك نافياً ، والابتسامةُ مابرحت عالقةٌ بشفتَيه .

.. يا ايها العظيم هل رجلٌ يتخلّى ، وإنْ مجنوناً كان ، عن امرأةٍ له نَنْ دادا اسمها ؟.. عن الجميلة نَنْ دادا ، تانكم المرأة التي امراته هي ، هل الرجل يتخلى ، وإنْ مجنوناً كان ؟.

فبدا لشوكليتو ، حينئذ ، أنَّ لِيلَوم الملك قد قمع تيـــنكم الابتـــسامة فانتزعها من شفتَيه انتزاعاً ، ثم.. كيف ذاك يكون ؟.. لامجنوناً يفعـــلُ

ولا سوياً يفعلُ .

.. يا ايها العظيم وزيركم كاجينا ابن آينمر ، انا الجاثي أمامكم ، يفعل .. انا كاجينا ابن آينمر مَنْ عن الجميلة نَنْ دادا سيتخلّى من أجل هدأة روح الإله آنْ .. تانكم الروح اللائبة لاتهدأ حتى أنفاسُ امرأة جميلــة إيّاها تغمرُ .. واذ مملكتكم الهانئة بظلكم لاأجملَ فيها من نَـــنْ دادا ، تينكم التي امراتي هي، فأنّي متخلٍ عنها من أجل هدأة روح الاله آنْ..

وكان هدج صوته قد تفاقم وهو يبلغ ذينكم المَبلغ من حديثه؛ فلما قال : يا مَنْ لاعظيمَ سواه في سومر بأسرها إيّاها بارك .. نَنْ دادا الجميلة تانكم المرأة إيّاها بارك ، فإيّاها سَمٍّ آلْ المعبد ، روح الاله آنْ هدأُ ، فذينكم الحجرَ تسكنُ .. لّما قال ذاك انخرط يبكي فكأنَّه ثكلَها ، فلقد راح يختضُّ وهو يبكي ؛ ثم لم يقوَ على المكوث بهيئة الجثو وهــو على تينكم الحال ، فهوى على قدمَي مليكه يُخضِّلُها بدمعه .

لِيلَوم الملك على عرشه ؛ وعلى مَبعدة عنــه ، عنـــد بـــاب البلاط، يقف حاجبه ؛ فعبَر ذينكم البُعد انما تبادل الرجلان نظرةً دون سواها. ثم زمَّ الملك على شفته وانعقد حاجباه وانطلق صوتُه عميقــاً جهوراً كما لو انه هابطٌ من السماء .. دمعَكَ كفكفْ ياوزيرنا ومـــن جثوتك إنهضْ فلقد طالت .. دمعَكَ كفكف ؛ فعلى نَنْ دادا أنّي مُبقٍ زوجةً في حضنك إيّاها تُقبِّلُ وتضاجعُ ..من جثوتك ثبْ الى معبد الاله آنْ ، جوارنا ، وبغرفة الآلْ مُرْ .. شيخاً حكيماً هناك تلفي .. أبتينَك الغرفة لم تَمرْ ياوزيرنا يا ابن آينمر أنتَ ؟!.. قبل أنْ بين يدينا تقـــف فتجثو ، أما قدماك إيّاكَ حَملتْ الى غرفة آلْ المعبد ، تانكم التي أنتَ إيّاها رأيتَ ، فالناسُ ابتنوا مثلما رأيتَ ؟؟.

رفع كاجينا ابن آينمر رأسَه الى مليكه وعيناه على وِسعهما تحملقان ،

فكأنَّه لايعثر على لسانه في جوف فمه .
.. حسنٌ يا ابن آينمر .. الى تينك الغرفة ثبْ ، شيخنا المبجل مِيْسلِم ابن شيش تلفي هناك يتهندمْ فيتطيَّبُ قبل أَنْ أُذنَه لكلمات روحِ الالَه آنْ يُذللَ .
عند ذاك هدل فك كاجينا الوزير فعثر على لسانه .. أتتحـــدث يـــا عظيمنا فتنطق بكلمة أنَّ رجلاً شيخاً مَنْ آل المعبد باتَ ؟!.. ولكن يا عظيمنا روحُ الاله آنْ لاهدأ فحجرَها تسكنُ حتى أنفاسُ امرأةٍ جميلـــة إيّاها تغمرُ !.
.. أو حتى أنفاس شيخٍ مُبجَّل حكيمٍ إيّاها تغمرُ يا ابن آينمر .. يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ، لاآسرَ لَملكٍ مثل وَعد إيّاه يقطعُ ؛ فوعداً للشيخ ابن شيش قطعتُ إيّاي قد أسرَ قبلَ جثوتك هذه التي الى صدري نَفذَتْ فقلبي هزَّتْ .. قبل أنْ جثوتُك الى صدري تنفذُ فقلبي هزُّ اياي وعدي له قد أسرَ ، انا لِيلَوم الملك ابن إيناكلي الحكيم ، وعداً للشيخ ابـــن شيش قطعتُ ..
انتصب كاجينا منذهلاً وقد شحب وجهه ، فـــلا قطـــرةَ دم واحدة فيه . وتلبَّث هنيهةً مُطرقاً امام العرش ، فخُيِّل لـــشوكليتو أنَّ الرجل لايدري بم يردُّ . ثم بغتةً طلب الاذن بالانصراف ؛ وكان قادراً على أنْ يتعذَّر بأنَّه خارجٌ يقفُ على احتياجات المعبد في يومه الاول .. إلاّ انه لم يفعل، وانفتل يبرحُ البلاط موسعَ الخطى ، كأنَّه سيعدو حال عبوره عتبة الباب .
وما أنْ اصطفقتْ درفة الباب وراءه حتى انفجر لِيلَوم الملك ضاحكاً ؛ ثم وهو يقهقه .. شوكليتو ؛ ذيلَه أرأيتَ ؟.. وكان شوكليتو قد جارى الملك بضحكهِ فكان يضحك دون قهقهة .. بين ساقَيه ذيلَه كان يـــا

أعظمَ مَنْ في سومر .
بعد ساعتين ، لا اكثر ، كان على شوكليتو أنْ يهرعَ الى بيته فقد ورده أنْ افرِدْ جُنحَيك وطِرْ حالاً ، فالضيفةُ لايسعها أنْ تمكث في انتظـــارك سوى رمشات عين معدودات ..
..، اذ كاجينا ابن آينمر الى قصره فزَعَ ، مُنقطعَ النفس ، وجهـــه لا قطرةَ دم فيه ، ودون ابطاء يمم الى مخدع نَنْ دادا ، فألفاها منكبَّةً على رداءٍ ابتكرته ، تمدُّ لها أمارجي يدَ العون في ربط قِطَعِه بعضها الى بعض .. وما كانت قِطَعُه الاّ جلود صغار الثعالب . فلما انتهى الى وســط المخدع ، صار وجهاً لوجه مع نَنْ دادا التي كانت تختبر الرداءَ عليهـــا للمرة الرابعة ، كما تقول أمارجي . فكانت في كل مرة تضعه علـــى جسدها تسأل أمارجي : أرداءً لآلْ باتَ ؟. أما وانها تقفُ الان امـــام كاجينا الوزير ابتدرته والفرحةُ تستخفُّها ، حتى لتبدو أنّها تكاد تطير ابتهاجاً .. مَنْ ؟.. ابن آينمر كاجينا الوزير في مخـــدعي ! وقبـــل أنْ الغسقُ يحلُّ ؟!.. البأسَ أبيتَ إنْ إيّاي بغتَّ .. رداءً لآلْ نَنْ داد صنَعتْ .. لنفسها هذا الرداء نَنْ دادا صَنعتْ ، اذ هي آلْ المعبد باتت ؛ فبآلْ المعبد لايليق أنْ على بدنه يضع ماالناس على ابدانهم يضعون .. فمـــا بالك وآلْ المعبد إمرأةٌ جميلةٌ ، بل هي نَنْ دادا المرأةْ الجميلة تانكم !!.. في رمشة العين هذه اذ الى نَنْ دادا ترى ماذا ترى ؟.. لا .. لا .. تمهَّلْ .. بكلمة لاتَفهْ قبل أنْ حول عنقي قلادةَ الأحجار الملوَّنة اضع ..
وثنت رأسها الى أسفل ؛ نحو أمارجي المقرفصة عند ساقيها ثنت رأسها .. ايتها الوصيفة أمارجي أنتِ ؛ حول عنقي تينك القـــلادة ضَـــعي .
وأشارت بيدها الى قلادة حبّاتها بلون السماء منطرحة على وسادتها .
فلمّا همَّت أمارجي بوضعٍ القلادة حول عنق سيدتها ، انبعث صوتٌ من

ناحية كاجينا ابن آينمر ، لم تُصدِّق أمارجي انه صوت الوزير .. فلقد كان أقرب الى الصأصأة منه الى صوت رجل .. صوتٌ منكسرٌ كأنّـــه منقوعٌ بالدمع ..

.. لا عليكِ بالقلادة ولا بالرداء عليك .. ابن شيش ذانكم الخَرِفُ آلْ المعبد هو وليس نَنْ دادا أنتِ .

كانت القلادة قد انتهت حول عنقها فعلاً ، فأمسكت بها وجذبتـــها بعنف فانقطع ليفُها المبروم وانفرط عقـــدُ حبّاتهـــا علـــى الارض . ثم طوَّحت بأمارجي التي كانت مابرحت تقف أمام جانبها الايمن ، فهوَتْ هذه على الأرض هي الاخرى ؛ واندفعت نحو كاجينا الـــوزير تأخـــذُ بتلابيبه .. مقتولٌ أنتَ فلا قبرَ لك .. بكلمة قلبي إيّاها يدرك إنطقْ .. بكلمةٍ قلبي يدرك إنطقْ فلا قبرَ لك أيّها المقتولُ أنتَ .

.. عليَّ لساني ليس من كلمة إلاّ قولةٌ لليلَوم الملك ، تحدَّث فبها نطقَ .. لِيلَوم ابن إيناكلي ملكنا مأسورٌ بوعدٍ لمِيْسلم ابن شيش إيّاه قطعَ ، اذ لإبن شيش بشأن آلْ المعبد عَهَدَ .. بشأنْ آلْ المعبد عهـــدَ ملكُنـــا لِيلَوم ابن إيناكلي لذينك الخَرِف ابن شيش .. قبل أنْ أمامه أجثو وكفَّه أَلثمْ فأبكي ، له بذينك الشأنْ قد عَهدَ .. نَنْ دادا ليست آلْ المعبد .. الجميلة نَنْ دادا إمرأةً لوزيرنا كاجينا ابن آينمر تكون .. كذلكِ ملكُنا لِيلَوم ابن إيناكلي تحدَّث فنطقَ .

أفلتت تلابيبَه ورفعت عينَيها عنه وسهَمتْ ؛ تلبثـــت هُنيهـــةً ساهمةً . ويبدو انها تنبَّهت الى وجود أمارجي بينهما .. أمارجي وصيفتي أنتِ ؛ على بعض شؤونك قِفي .. البابَ وراءك إصفقي اذ تخرجين .

وبعد ان اصطفقَ بابُ مخدعها ، .. إي كاجينا ابن آينمر .. أقولتي لكَ كانت أنْ من فمك إبصقْ ذينك الرجلَين ابن لوجال وابن آجـــا ؟..

حَسنٌ .. ذانك الرجلان إيّاهما لاتبصقْ في هذه الساعة .. عليهما في فمك إبقِ لبعض وقت .

.. ها أنتِ عند مارأى تترلين !!.. مارأى ها انت عندَه تترلين .. خمسون رجَلاً برماحهم ومدِيهم تحت عين ابن لوجال ، ومن ورائهم خزائن ابن آجا .

صمتت إلاّ ان ملامح وجهها ماكانت باديةً لعين أمارجي . ثم .. بوزو ابن سين صاحب الألفي رجل .. صاحب عديد الألفين ، ابن سين ذانك الذي لِيلَوم الملك بنفسه انتقى ؛ ابن سين الذي الوزير إيّاه ماانتقى وانما لِيلَوم الملك من إيّاه انتقى .. أواقفاً سيتلبّثُ ابن سين بوزو ذاك ؟!!.

.. خزائن أنتيمنا ابن آجا جاعلةٌ إيّاه يتلبَّثُ .. عينَيه يغمضُ وأُذنيه يصمُّ ثم في أقاصي المملكة يتلبَّثُ .

عند ذلكم المبلغ من حديث سيدها ، واذ رأتْ انفراج أسارير سيدها التي نادت عليها تأمرُ بزِقِّ الخمر والطيور المشوية ، ثم تخطو نحو ركن الاغتسال .. عند ذاك استشعرت قلبَها ينقبضُ فلا يخفق ثانيةً .. سيدي الحاجب مأنْ وضعتُ ما به سيدتي أمرَتْ أمام سيدي الوزير حتى اليك طِرتُ ، فالأمرُ جَلَلٌ كما قلبي الصغير إيّاه قد ادركَ .

.. مُتِّعتْ بالفطنة تانك المرأة يا شوكليتو حاجبنا الامين أنتَ .. بالفطنةُ مُتِّعتْ المرأةُ أمارجي إذ جَلَلاً الامرَ رأتْ ..

وقبض على لحيته وأطرقَ . لم يجترء شوكليتو على أنْ يقطع عليه إطراقتَه ، والا لكان لديه مايفيدُ به ، كما يقول هو . مهما يكن من أمر ، لِيلَوم الملك نفسُه قطعَ اطراقتَه وأفلتَ لحيتَه من قبضته ونهض من كرسيه يهبط الى ارض البلاط ، كأنَّه يهمُّ بالإقدام في آنْ واحد على

أفعالٍ احتشدت في رأسه .. شوكليتو .. قبل أنْ الخمرةُ إيّاهما تزايل ، لي بطًلب بوزو ابن سين إبعثْ ، وبظلِّ شيخنا المبجَّل ابن شيش لنتشرفْ ، علينا يكلكل .

وما أسرع ما كَلكَل عليه ظلُّ مِيْسلِم ابن شيش ، على حين انطوى بعضُ وقت قبل أنْ يمثل ابن سين بين يدي مليكه .

.. مُتِّعتَ بالسكينة وهنأتْ مملكتُك بظلِّك بُنَي لِيلَوم .. ما الخطب ؟.

كان لِيلَوم الملك واقفاً امام عرشه وظهرُه الى باب البلاط ، ونظرُه متسمِّرٌ بنقطة ما في العمق. فلوى عنقُه الى يساره ثم استدار يواجه ابن شيش .. مُتِّعتَ بطول العمر يا شيخنا المبجَّل .. ابن آينمر وزيرُنا وتانكم الساحرة امرأتُه أمراً دبّراً والليلُ بَعدُ ما حلَّ .. تحت عين الشمس أمراً دبَّرا ؛ حتى اذا الخمرة قلبيهما زايلت ، القومُ من حولَهما لهما الامرَ أنفذوا .

.. القومُ من حولهما مَنْ هُم أُولاء ؟.

.. أقربُ الناس إليَّ يا شيخي المُبجَّل .. يا شيخي ابن شيش أقربُ الناس اليَّ بعد شوكليتو والوزير .. قائدُ حرّاسي الخمسين ، ومؤتَمَني على خزائن القصر .

.. وهل على تدبيرهما أُظهِرتَ ؟.. على تدبيرهما هل أُظْهِرتَ بُنَي لِيلَوم؟.

.. الساحرة ورجلُها ابن آينمر لم يسرفا في النطق ، فأُظهَرُ على ماانتويا؛ وما يدي انا مددتُ الى صدرَيهما فالبواطنَ ظواهراً اقلبُ .. انما الذي لاريبَ فيه هو أنَّ رجالاً برماحٍ ومدي لتدبيرهما ذراعاً سيكونون ؛ ثم لتدبيرهما ذراعٌ اخرى تكون اذ أموالَ خزائن القصر ينثران ..

وصمتَ ثم أردفَ .. ومُتِّعتَ بالفطنة يا شيخي الجليل ففطنتَ الى الذراع الثالثة لتدبيرهما ، فبدونها لا مأرباً لهما بالغاه ..

وصمتَ ثانيةً وظلَّ يرمق مِيْسلِم ابن شيش بنظرات ناطقة ..

.. بُني لِيلَوم على شيخك مِيْسلِم بعينيك لاتقذفْ ، واليه أُذنَيك إذللْ .. كلتا أُذنَيك إيّاهما إذللْ لشيخك مِيْسلِم ، بُنَـــي لِيلَـــوم .. ألا أنَّ لتَدبيرهما الى الخسران صائرٌ ؛ فمِيْسلِم ابن شيش ، آلْ المعبد ، ذانكم الذي لاأحد سواه ، الكلمةُ التي بها الاله آنْ ينطقُ ، يـــسمعُ ؛ علـــى الناس لن يخرجَ ، وإنْ تحت سِنان الرماح وأنصال المدي ، فمليكَه لِيلَوم ابن إيناكلي يخلعُ .. مِيْسلِم ابن شيشش ، آلْ المعبد على الناس لـــن يخرجَ ، وإنْ تحت سنان الرماح وانصال المدي ، فجُنحَ الاله آنْ يرفعَ عن الملك لِيلَوم ابن إيناكلي .. قولةُ الاله آنْ هي تعيسٌ ابن تعيس من ابننا لِيلَوم الملك بسوء مسَّ ومملكتَه .. وتانكم القولةُ قولتُه مابرحت .

وبينما تقدم لِيلَوم الملك من مِيْسلِم ابن شيش يأخذه في حضنه ويردد : ذلكم هو .. ذلكم هو .. اعلن شوكليتو عن وقوف بوزو ابن سين على باب البلاط يطلب الاذن بالدخول . فصاح الملك ولّما يـــزل ابن شيش بين ذراعَيه :

ابن سين بوزو قائدُ حرّاس المملكة بين يدينا فليكنْ .

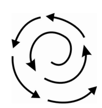
دلف ابن سين الى البلاط هَميماً ، ثم جثا أمام مليكِه ، وتلبَّث مطأطئاً رأسَه دون كلام .

.. يا ابن سين إنتصبْ .. من بين رجال مملكتي وحدَك أنتَ وشوكليتو مَنْ لِيلَوم الملك ابن إيناكلي الحكيم بنفسه إنتقى .. أفَليومٍ كهذا إيّاك انتقيتُ ؟.. ايها السائل أنتَ .. أيها السائلُ أيّاً تكون أنتَ .. أتحدثُ فبالاجابة أنطقُ ، فقولتي هي لاأدري تكون .. لعلّني إيّاك إنتقيتُ يا ابن

سين بوزو أنتَ ليومٍ كهذا ؛ ويومٍ كهذا رجالُه حابسو الدم عن أنهـــر سومر هُمْ .. مُجرو الماء في أنهر سومر هُم .. قولتُهم الى السماء تصدَحُ .. قولتُهم الاصمَّ تُسمِعُ أنْ لا دمَ في أنهر سومر يجري ، وفي صـــدورنا أنفاسٌ كلَفْحِ النار هي .. ألا أنَّ صنيعَكم يارجال هذا اليوم لخَبَـــرهُ في الأصلاب عابرٌ من نَسلٍ الى نسل .

فشمخ بوزو ابن سين برأسه ، وصدرُه مثل تلَّـــة تُخفـــي الـــشمسَ وراءها..

.. يا مَنْ لاعظيمَ سواه في سومر بأسرها ؛ يديك إبسطْ فهذا هو رُمحي ومِديتي عن ألفي رجلٍ من خلفي طوعَ مشيئتك .



جرسونِن من جرف البحر العظيم نشأتْ وعليه قامت . ناسُ القرى هدُّو قراهم فالتأموا فأقاموها .. على جرف البحـــر العظـــيم أقاموها ، بعد أنْ ردَّدت الآفاق رَجْعَ اخبار مدينة لِيلَوم . مدينة لِيلَوم اول مدينة في سومر وفي سائر الأرضين ؛ فكانت جِرسونِن الثانية . وفي اقصى بقعة من جِرسونِن عن الجرف أعلى ننورتا ابن أُورجولا قصرَه ؛ فاذا ما دلع البحر العظيم ألسنتَه لم تبلغ السنتُه القَصرَ . لقد بعث براءٍ يرى قصرَ لِيلَوم ابن إيناكلي فيأتيه بما يرى ؛ فجيء له بنُشْدهِ ، فماثلَ ذينكم القصر اذ أعلى قصرَه وزادَ عليه .

الدالف الى بلاط قصر ننورتا يحجبه رجلٌ عظيم القامة ، كأنَّه احد أعمدة البلاط ؛ جَهِمُ الوجه يُنادى عليه بـــ (كوشاشْكِر) فيُلبِّي. فإنْ اجتاز الدالفُ كوشاشْكِر هذا ، ولن يجتازه الا بشقِّ الأنفـــس ، يسير بعد ذلكم فيحصي على نفسه خمسين خطوة قبل أنْ يجثو امـــام العرش الذي يفوق عرش لِيلَوم الملك ارتفاعاً . كرسيَّ العرش يبلغـــه ننورتا فيقتعده ، ولا يبلغُه حتى يرتقي دكَّةً متَّسعةً ثم اخـــرى تعلوهـــا ذات خمس دِرجَات . وعلى كل دِرجَة ثمة فتاتـــان مـــن حـــسناوات جِرسونِن . عشرُ حسناوات يرتَمين بغنَجٍ على يمين ويسار ننورتـــا اذ

يرتقي الى كرسي عرشه ؛ لايسترنَ من أجـــسادهن ســـوى نهـــودهن وأوراكِهن . فإنْ نادى ننورتا على الساقية ، وهذه حـــسناء أيـــضاً ، تقتعدُ الدكَّة المتَّسعة مع زقٍّ الخمر وكوز الملك المُرصَّع بأحجارٍ ملونة ، تأتي الساقيةُ بالكوز مُترَعاً فتضعه في يد أقرب الحسناوات اليها .. ومن يد هذه يرتقي الكوز الدرْجاتِ الخمسَ منتقلاً من يد حسناء لاخـــرى حتى ينتهي في قبضة ننورتا . فيَرتشف هذا مما في الكوز ثم يطلق قهقهةَ رضاً .. هكذا .. لايهدأ للساقية بالٌ حتى تسمع قهقهة الرضا تينكم . حتى في أشدَّ حالات تكدُّره يطلقُ قهقهة رضاه عن الـــساقية وعـــن الحسناوات العَشر اللائي يفترشن دِرْجات مرتقاه الى كرسي عرشه .

ننورتا ابن اورجولا تجاوزَ الاربعين ، تكاد قامتُه تضارع قامة حاجبه عَظَمةً .. وعلى الرغم من كثافة شعر لحيته الاّ أنَّ الصَلَع قـــد أخذ بجُلِّ رأسه فلم يدع له سوى خِصَلٍ منكوشة على جانبَي يافوخـــه وعند منبَت القُذال . ننورتا ابن أُورجولا بلا شارب هو ، اذ لاشـــفةَ علويةً له .. فيُروى عن امه انها قالت بأنَّ حجَراً مسنوناً هوى علـــى وجه ابنها الصبيِّ ننورتا وهو نائم فكاد يسحقُ وجهَه كاملاً ، غير انَّ الحجرَ لم ينل الا من شفته العليا فاقتطعها كما يقتطعها نَصْلُ مديـــةٍ . ومنذئذ وننورتا يبدو مُكشِّراً عن كامل أسنان فكه العلوي ، لاأنيابَـــه حسب ؛ فكما لو انَّ ابتسامته دائمةُ الخضرة وقد يُخيَّل لمن يراه لأول مرَّة انه يَهمُّ بالضَحِك . ولعل كاجينا ابن آينمر قد تراءى له ذلـــك ، كما تراءى لنَنْ دادا التي لم تَخفِ ماتراءى لها عن أمارجي .

أجل لقد حدث ذلكم حين التقى ابن آينمر ننورتا ، تصحبُه نَنْ دادا ومن ورائهما أمارجي . انما قبل ان تطأ اقـــدام الثلاثـــة ارض بلاط ملك جِرسونِن لاقى هؤلاء من كوشاشْكِر عَنَتاً . صرخ بهم حتى

قبل ان يلقوا التحية عليه : مكانكم .. لاتخطوا خطوةً اخرى ، ويا ايها النحيل أنتَ .. من حيث تقف إنطقْ ايها النحيل بكلمة مَنْ تكونون .
.. مُتِّعتَ بالصبر فصبرت علينا يا ايها الرجل الحاجب .. يا ايها الحاجب أنتَ ؛ مُتِّعتَ بالصبر فصبرتَ علينا .. انا كاجينا ابن آينمر من مدينة لِيلَوم ووزيرُ ملكِها لِيلَوم ابن إيناكلي وهذه إمرأتي نَنْ دادا وتانك وصيفتُها أمارجي . فجأرَ كوشاشْكِر كأنَّ رَعداً أمسكَ بالسماء: قولتُك أنك وزيرُ لِيلَوم ابن إيناكلي ذينكم الخَرِف الذي يدَّعي أنّه ملكٌ مثل عظيمنا ننورتا ؟؟..
فنادَ كاجينا برأسه .. وهذه هي الجميلة نن دادا إمرأتي ووصيفتُها أمارجي ،تانك التي وراءها تقف .
فَتلَ كوشاشْكِر عنقَه الى جانبه ؛ومن فوق كتفه أرعدً صوته عبرَ باب البلاط .. بالبشارة قادم اليك كوشاشكر يا عظيمنا ننورتا .. ولم يفصح عن البشارة ، بل ألقى رُمحَه على الارض .. واذ تحرَّرت ذراعاه لفَّ احداهما حول كاجينا ورفعَه يتأبَّطه ، كما يتأبَّط شيئاً كان مُلقىً على الارض . ثم قبض بكفٍّ ذراعه الاخرى على معصمي نَنْ دادا ووصيفتها .. زعَقَ بوجهيهما : بأيديكما إعطيا . فمدَّتْ كلٌّ منهما يدها له ، فجمع معصمَيهما الى بعضهما وقبض عليهما بكفه الطليقة ، ثم سار بهم يتأبَّط الرجلَ منهم تحت ذراعه اليمنى ويجرُّ باليسرى وراءه المرأتين . فاذا ما دنا من عرش الملك ننورتا أفلتَ الثلاثة ودَعَّهم نحو العرش . وبنبرة مظفَّرٍ جأرَ ، فاهتزَّت أركان البلاط .. كوشاشْكِر يا ايها العظيم ننورتا .. حاجبكم الباسل كوشاشْكِر لكم أسرَ وزيرَ ذينكم الخَرِف ابن إيناكلي الذي قولتُه انه مَلكٌ مثلُكم .. وزير ذينكم الخَرِف إيناكلي هاهو أسيركم ؛ لكم إيّاه أَسرَ حاجبكم

الباسل كوشاشْكِر ومعه جميلتان بين نسائكم تكونان .

في تينكم الاثناء ، بينما كان كوشاشْكِر يعلن عـــن ظَفَـــره ، كانت الحسناء الساقية تضع كوزاً مُترعاً بيد أقرب الحسناوات العَشْرِ اليها ؛ فذلكم هو كوزُ الخمر يرتقي الدِرْجات الخمس مُنتقلاً من يـــد حسناءٍ لاخرى . فاذا ماانتهى الى قبضة ننورتا ، ارتشفَ هذا من خمرة الكوزٍ واطلق قهقهةَ الرضا .

هنا رفع كاجينا صوته ، ربما ليبزَّ صوتَ القهقهة وأيَّ صوت مدوٍّ آخر قد يصدره الحاجب كوشاشْكِر .. مُتِّعتَ بالفطنة يا عظيم جِرسونِن ، ففطنتَ الى أنّي لستُ أسيرَ هذا الرجل حـــاجبكم المحتـــرم .. فأمـــام عرشكم المعظَّم لاجئونَ ، ومعي امرأتي نَنْ دادا هذه لتَجثو ووصيفتُها أمارجي .. (وجثا حقّاً وجثَت المرأتان خلفه)..

ثم وهو جاثٍ .. اليكم أقدامُنا إيّانا حمَلتْ ، أحدٌ اليكم إيّانا ما حمَلَ .. مُلْكاً ورائي تركتُ لا أُفقاً له ، ومعي اجمل نساء سومر إمرأتي نن دادا ، اليكم قدمنا .

ننورتا لّما يزل مُكشِّراً عن اسنان فكِّه العلوي – هكذا كـــان يبـــدو لاولئك الثلاثة الذين يرونه لأول مرَّة – مكشرا على الرغم مـــن ان قهقهتَه تلاشت ، فلا أثرَ لها في فضاء البلاط - ، .. أقولتُـــك مُلْكـــاً وراءك تركت ؟!.. إيّانا لا تزور أنتَ اذن يا ايها الرجل ؟.. مُقيمٌ بيننا أنتَ اذن يا ايها الرجل ؟.

.. مُتِّعتَ بالبهجة يا عظيم جرسونِن فأنتَ المُبتهج دوماً باسم الوجه .. على حميرٍ خارج قصركم أمتعتي تركتُ .. لاشيءَ من متاعنا وراءنـــا تخلَّف في قصري الذي في مدينة لِيلَوم هو .. في قصري الذي هـــو في مدينة لِيلَوم لاشيءَ من مِتاعنا وراءنا قد تخلَّف ؛ فإخلاصُ وزيرٍ مثلـــي

وأمانتُه ، مَليكٌ مثل لِيلَوم ابن إيناكلي ذاك إيّاهما لايستحقُّ .
.. اذن فالحقُّ في ماتنطق ، اذ قولتُك أنَّك وزيرُ لِيلَوم ابن إيناكلي ؟!.

ولّما يزل جاثيا ونَنْ دادا وأمارجي خلفَهُ جاثيتان .. انا يا عظيم جِرسونِن كاجينا ابن آينمر لا وزيرَ قبلي في سومر بأسرها .. يا عظيم جِرسونِن ؛ كاجينا ابن آينمر هو مَنْ له خاطرُ المملكة خَطَرَ ، فبـــإبن إيناكلي ملكاً نادى وصَحبِه .. لا قلبَ في سومر بأسرها خاطر المملكة قد أدركَ إلاّ قلبُ ابن آينمر كاجينا انا .. إلاّ قلبي انا ، كاجينا ابـــن آينمر في سومر بأسرها ، الذي خاطرَ المملكة قد ادرك .

قاطعه ننورتا مُكشِّراً عن أسنان فكِّه العلوي .. بقولتك لاتسرِفْ .. إنْ كنتَ ابن آينمر كاجينا حقّاً ، فكلُّ العلم اعلم مَنْ تكون .. إنهضْ من جثوتك والمرأتان ، وفي رمشة العين هذه بالكلمة التي أنتظرُ إنطـــقْ .. بكلمة ماذا حلَّ إنطقْ .. ماذا حَلَّ فوراءك ابن إيناكلي تركتَ ؟؛ وفي مملكتي ماالذي أنتَ فاعلُه ؟.

تقول أمارجي أنَّ سيدها وسيدها قد كرعا زِقَّ خمرٍ كاملاً في تينكم الليلة ، بعد أنْ أطلَّت عليه من ركن الاغتسال إطلالًتها الاولى وكانت عصراً ، ثم اطلت ثانيةً وثالثةً من ذينكم الركن وساعات الليل تتلاحقُ . لقد قَبَّلها كثيراً وضاجعها طوال الليل وهو يردِّد كُلّما صار فوقَها : هذه آخر ليلة لنا في قصر الوزير ابن آينمر الذي هو أنا .. نَنْ دادا مرَّةً أُضاجعُ ومرّاتٍ ؛ والليلةُ بنا لاتمرُّ بعد اليوم حتى في مخدع ابن إيناكلي نكون . وما اهدّا فانرشقا نائمَين حتى شقشقَ الفجرُ ؛ وما ناما الاّ بعد ان تدبّرا أمرَ لقاء كاجينا الوزير بأُوش ابن لوجال وإنتيمنا ابن آجا ، الذي كان سيحدث أوَّل شيءٍ في الصباح . الا أنَّهمـــا ظـــلاّ منرشقين كأنَّهما جثّتان لاحراك فيهما الى ظهر اليوم التالي .

وتقول أمارجي ايضاً انها كرهت أنْ توقظهما قبل ذاك ، هي العارفةُ بأنَّ ذينكم اليوم لن يكون يومَهما الذي يتمنَّيان .. فلماذا توقظهما ؟. والحقُّ ان نَنْ دادا وكاجينا ابن آينمر ماكانا سيستيقظان عند الظهر لولا أنْ قَدِمَ ابن لوجال وابن آجا في تينكم الساعة الى قصر الوزير مفجوعَين هلعَين لاتكاد سيقاهما تحملهما . ولم يتلبَّثا في غرفة مدخل القصر كما دَرَجا ان يفعلا كل مرة وهما ينتظران قدوم الوزير ، بل واصلا مضيِّهما مُوسعَي الخطى نحو مخدع نَنْ دادا ، فيطرقان بابَه بنفسَيهما . ثم بعد لأيٍّ ظهرَ لهما الوزير كاجينا نصفَ عارٍ ، مُنتفخَ الاجفان متيبِّس الشفتَين . فابتدرته أمارجي .. سيدي ، وروحِ أبي وحقِّك وحقِّ سيدتي نَنْ دادا ، إيّاهما حجبتُ فأبيا .. انهما قولتي لا يسمعان حتى .

.. لا عليكِ .. طعاماً لسيدتك إصنَعي ..

ثم أشار على صاحبَيه أنْ ينتظراه في غرفة مدخل القصر ، كما يفعلان كل مرة يقدمان فيها الى القصر .. هناك انتظرا ريثما على صدري قطعةَ رداءٍ أضعُ .

فولول أُوشٍ ابن لوجال : لو الانتظارَ كنا نطيقُ لفعلنا !!.

وأردف انتيمنا ابن آجا : عن زمنٍ يأوي تدبيراً إيّاه أتدبُّر أبحثُ ، لا أجدُ . فانتفض كاجينا ابن آينمر وصرخ بهما ، كما لو انَّ كل ما كرعَه من خمر الليلةَ البارحة زايلتْ قلَبه الان مرة واحدة .. مقتولان انتما فلا قَبراً لأيٍّ منكما .. ماالخطبُ ؟!.. إنطقا .

رَمَقَ احدهما الآخر ، ثم امسك ابن لوجال بخيط الجواب .. عظيمنا الملك بكلمة مشيئته قد نطقَ ، فذانك هو بوزو ابن سين يُلبِّي ، فبرجالي الخمسين رجالاً آخرين يستبدلُ .. رجالاً إيّاهم لا اعرفُ ..

رجالي أخذَ فإلى حُرّاسه الألفين إيّاهم ضمَّ ، ثم رجالاً آخـــرين إيـــاي أعطى ؛ وقولتُه أنَّ الرجال أُولاء من اليوم حُرّاساً للملك يكونـــون .. رجالاً إيّاهم لاأعرفُ أُولاء .. لا يداً لي عليهم أُولاء ؛ فهل من تدبير يا ابن آينمر ايها الوزير أنتَ ؟.

وقبل ان يجيب كاجينا الوزير ، طفق انتيمنا ابن آجا يغمغم كأنَّه يتبرم لنفسه .. لا يدَ لي بعد اليوم على خزائن القصر .. لِيلَوم الملك ابـــن إيناكَلي بكلمة مشيئته نطقَ ، فقولته عظيمنا أنَّ رجلين آخرين إيّاهما لا أعرفُ ، على خزائن القصر يكونان .. انتيمنا ابن آجا وحدُه إيّـــاه لا يأتمنُ على خزائن قصره .. ابن آجا ومعه رجلان الملك إيّاهم يأتمنُ ..

وجه كاجينا الاصفر يحمرُّ شيئاً فشيئاً وهو يستمع لصاحبَيه ، وعيناه اللتان أورثهما السهرُ تورُّماً منفتحتان على وِسْـــعهما تكـــاد كرتاهما تجحظان . ثم وهو يُنشيء يتحدث للرجلين ، ارتفع صوتٌ من وراء سور القصر عرفت أمارجي فيه لاما ابن زاجيري .

فأذلَّ الجميع أسماعَهم . ثم دمدم كاجينا ابن آينمر : ذانكم الخَرِف ابن شيش من الناس ماذا يريد ؟؟.. أأمام المعبد هذه الساعة إيّاهم يجمـــعُ والطُرقاتُ بلَهبِ الشمس تصطلي ؟!..

والتفتَ الى ورائه .. الى ركنٍ مُلحقٍ بمَخدع نَنْ دادا التفتَ وأعولَ : أمارجي .. ايتها الوصيفة انت .. في رمشة العين هـــذه ، بـــشيءٍ لا تنشغلي وبنفسك الى حيث الناس يتجمعون أمام المعبد إقذفي .. وقَبل أنْ عينٌ لي تطرَفَ ، أمامي تكونين ومعك قولةُ ذينك الخَرِف .

.. سيدي الوزير .. ولكني لسيدتي طعاماً أصنعُ .

.. قولتي أنْ ما في يدك تَذَرين والى المعبد تنقذفين .. لاقولةً اخرى قلبُك يدركُ إلاّ قولتي هذه..

.. سيدتي نَنْ دادا منّي ، سيدي الوزير ، ستغضبُ .
فصرخ في وجهها : قُتلتِ وسيدتُك فلا قبرَ لأيٍّ منكما .. انقــذفي .. انقذفي ، وبنفسي لسيدتك طعامها سأصنعُ .

تقول أمارجي انها حين عادت من المعبد كان كاجينا ابن آينمر والرجلان الآخران في انتظارها عند بوابة القصر .. سيدي الــوزير ، اهل المدينة جميعهم امام المعبد كانوا .. وآلْ المعبد الشيخ مِيْسلِم ابــن شيش امامهم وقف ، وقولتُه أنَّ الاله آنْ روحُه الساكنة ذِينكم الحجَرَ نطقتْ ، فكلمتُها أنَّ الاله يُذكِّر و يُذكِّر و يُذكِّر بأنَّ مليككم لِيلَــوم ابن ايبناكلي واحد من أبنائه هو ، ولا أتعسِ من رجل منكم الى نزْعِ المُلْك منه يسعى .. كلمتي عُوا ، وكلمتي قلوبُكم فلتدرك .. ســيدي الوزيركذلكم آلْ المعبد تحدث فنطقَ ، فتانكم قولتُه هي .
.. أمارجي أيتها الوصيفة الى مخدع سيدتك إدلفي .. (وهي تنــصرف الى حيث أمرها كاجينا سَمعتْه يقول للرجلين :) .. مُتِّعتما بالــصبر ، فعليكما أنْ طويلاً تصطبرا .. مثلما مشيئة الملــك تكــون إمكثــا .. عظيمنا الملك إيّاكما لم يعزلْ ..إمكثا ورابطا .. أمّا أنا فليَّ تدبيرٌ ، جَعَّةَ شعيرهِ لن تكرعوا إلاّ بعد صَبرٍ .واذ انصرفا ، انفتل يغذُّ خطاه نحــو مَخدع نَنْ دادا فيدلفُ اليه ؛ ومن فورهِ ، وهو على الباب .. علــى جسدك شيئاً ضَعِي ، وثِبي متاعَك تجمعين ووصيفتُك فلا بقاءَ لنــا في هذه المملكة ..

كانت مابرحت عاريةً منطرحة على فراشها تتكيء على ذراعٍ مثنية ونهداها ، على الرغم من انطراحها على جانبها ، متوثبان يأبيان تهدّلاً . تخلّت عن انطراحها فاستوت جالسة ، فازداد نهدادها توثُّبــاً . وقبل ان تستر جسدها برداء ، تقطَّب مابين حاجبيها .. قولتك لابقاء

لنا في هذه المملكة ، وليست قولتُك لا بقاء لنا في هذه المدينة !!.
.. تانك قولتي هي .. فما عليه البارحةَ غَفونا ، من بين أصابعنا تبـــدَّد ونحن عنه غافلون .. ذانك الخَرِف ابن إيناكليي قَطُّ لاينـــام .. (وراح يُنبؤها بما أُظهرَ عليه) .. ويبدو انها تنبهت الى وجـــود أمـــارجي في المخدع . فلا ينبغي له ان يتحدث بسوء عن مليكه على مَسمَعٍ مـــن هذه الوصيفة .. أمارجي أنتِ .. بشأنٍ من شؤونك انشغلي والبـــابَ وراءك إصفقي .

فرفع ذراعَه يُشيرُ بها الى أمارجي أنْ إمكثي حيـــث أنـــتِ .. أمارجي وصيفتُك لاتنصرفُ .. أمارجي ستنشغلُ معك بجمع أمتعتـــك وأمتعتي .. حمارُ وصيفتك خلفَ حمارك يسيرُ ، أمارجي على حمارٍ ثالث تكون .

كانت تضع على جسدها قطعتَي الرداء وهي تستمع اليه .. حميرٌ ثلاثة تحملنا وحميرٌ لا عدَّ لها لأمتعتنا .. الى الصحراء بنا ستفرُّ يـــا ابن آينمر ؟.
.. بل الى البحر العظيم نُيمِّمُ .. الى العظيم ننورتا ابن أُورجيلا ابـــن كاركلا نُيمِّمُ .. الى جرسونِن ، تينك المدينة التي إيّاها سأجعلُ عـــينَ الشمس تفقأُ ، نُيمِّم .. تعيس هو وأبوه تعيسٌ مَنْ عليك أباك انكر يا عظيم جرسونِن .. مَنْ اباك عليك أنكَر تعيسٌ هو يا عظيم جِرســـونِن وأبوه تعيسٌ .

مستورة الجسد نهضت من فراشها ، ووجهُها تَسمُه الصرامة .. وانا الذي إيّاك خلتُ لَهّاثاً وراء فروج نسائك ، أمامَ عينيك لاأُفقاً اليه ترى ؛ المُلْك إيّاه تتشهّى ، انما لاسبيلَ الى ذينك قلبُك يدركُ .. نَنْ دادا أنا لا حقَّ في قولتي اذن .. نَنْ دادا بالخطأ كلمـــتي تتـــسربلُ ..

حمارُك يا ابن آينمر فليَسرْ .. كاجينا يا ابن آينمر ، حمارُك فليَـــسرْ .. حماري إيّاه يتبعُ لابد .

بَيدَ أنَّ كاجينا ، الذي كان وزيراً والان ينهض من جثوته ، اذ أمرَهُ ننورتا ابن أُورجولا بذينكم ومعه تنهض المرأتان ، تدفَّق لـــسانُه بكلام آخر .. ماخَطبٌ حلَّ ولا أمرٌ جَلَلٌ حلَّ في مملكة لِيلَوم ، فإيّاها ورائي تركتُ ؛ انما هو الذي في منامي رأيتُ ، ما بي قذف الى مملكتكم الهانئة في ظلكم .

ثم صمت هنيهةً وشمخَ برأسه يُسمِّر عينَيه بعينَي ننورتا المُعتلي عرشَه ، والنساءُ العَشرُ يغطين بعُريَهن دِرْجات مُرتقـــاه ؛ ثم واصـــل بجِرسٍ راسخٍ .. نورٌ خَطّافٌ بي مَرَّ وانا نائم ، فأمامي تجسَّد كأنَّه بشرٌ عظيم البنيان صوتُه القلوبَ يُرجفُ .. تحدثَ فنطقَ وبكلمـــة ارادتـــه سمعيَ أترعَ .. قولتُه لي وأنا في منامي أرتجفُ أنْ من فراشك إنهضْ .. من فراشك الحقير هذا إنهضْ .. يا ابن البشرِ كاجينا ايها الحقير أنتَ ؛ وزيراً نفسَك حسبتَ .. وزيراً نفسَك حسبتَ وما أنتَ الا ذراعٌ لملك عاجز .. من فراشك الحقير إنهضْ وحميرَك اعتل وامراتك نَنْ دادا تانك الجميلةُ ؛ فلا تترجَّلْ إلاّ في أرض ابن ابننا ملك جِرسونِن .. ثم لانورا خطّافاً امام عيني تلبَّث .. عيناي لا نوراً خطّافاً امامهما تلبَّث ؛ فقلبي ادرك انما الاله آنْ هو مَنْ مناميَ تغشّى ..

وصمتَ هنيهةً اخرى وصار يرتجف وهو يلفُّ صدرَه بذراعَيه كمَنْ أخذَ به البرد ، حتى أنَّ اسنانه راحت تصطكُّ .. كـــذلكم مـــن فراشي مذعوراً أرتجفُ فزِتُ .. ارتجف وارتجف كذلكم من فراشـــي فززت ، إذ صوتَ الاله آنْ سمعتُ يا عظيم جِرسونِن .. فَرَوْعي آخذٌ بي ما زال ، حتى الى حضن نَنْ دادا إمرأتي أويتُ .. فقولتُها ، وهـــي

بأنفاسها تنفثُ على رَوْعي فإيّاه تُطفيء ، أنّني الى مملكتكم الهانئـــة في ظلكم راحلٌ لابد .. وأنّني امام عرشكم المهيب جاثٍ لابد .. وانها نَنْ دادا امراتي وأمارجي وصيفتُها على حمارَين في رحلتي تكونان لابد ..

والتفت الى نَنْ دادا وكانت فاغرةً فاها ، كما تقول أمارجي ، لاتريمُ .. نَنْ دادا ايتها المرأةُ انت ؛ لولاك ما في رمشة العين هذه قـــد صرتُ الى بلاط العظيم ننورتا ابن أُورجولا ابن كاركلا الذي تحـــت جُنحه سومر بأسرها ستسكنُ ، لا جِرسونِن وحدها .. بكلمةٍ تحـــدّثي فانطقي ايتها الجميلة نَنْ دادا .

كانت تقف وراء كاجينا ابن آينمر وقد نهضت لتوِّهـــا مـــن جثوها ، فتقدمت خطوتين فانتهت الى يسار كاجينا تُكاتِفُه .. يا عظيم جرسونِن يا مَنْ لاعظيمَ سواه في سومر بأسرها .. إنْ هيَ لفتةٌ من الاله آنَ ذينكم الذي في السماء بيتُه .. من الاله آنْ لفتةٌ هي أنْ إيّاكم جعلَ بمنزلة ابن إبنه لابمنزلة إبنه فما أعظم منزلتكم عند الاله الذي في السماء بيتُه ، والى قلبه مأأقربكم .. ابنُ الابن الى القلب من الابن أقربُ وأنتم الأعلمون .. إي يا ايها العظيم ولا عظيمَ ســـواه .. إي يـــا عظـــيم جِرسونِن ، الاله آنْ بنفسه برَجُلي كاجينا ابن آينمر الى سبيلكم رمى .. فقولتُه له يا ابن البشر ايها الحقير بمُلْكك إزهَدْ وأنتَ وزيرُ الملـــك لِيلَوم ابن إيناكلي .. به إزهدْ وعنه لا تَسلْ بعد يومك هـــذا .. بعـــد يومك هذا عن منزلتك سَلْ عند ابن ابننا الملك ننورتا ابن أُورجولا ابن كاركلا .. ذانكم الملك الذي تعيسُ مَنْ بسوءِ مُلْكَه مَسَّ .. ذانكـــم الملك الذي تعيسٌ مَنْ بسوء إيّاه مَسَّ .. منزلتُك الاعلى يا ابن البشر آينمر ايها الحقير كاجينا أنتَ .. الأعلى منزلتُك تكون اذ أنتَ يدٌ لابن ابننا الملك ننورتا ذينكم الذي جُنحُه على سومر كلها سيسودُ .. يـــا

ايها العظيم ننورتا ابن ..

قاطعها مكشِّراً عن أسنان فكِّه العلوي .. ايتها الجميلة نَــنْ دادا أنتِ ويارجُلها ابن آينمر كاجينا أنتَ .. الى أسماعنا تناهى أنَّ إلهاً في السماءِ بيتُه كلَّ شيءٍ على الارض صنعَ وكلَّ شيء في الــسماء ، حياةٌ في بدنه الاّ أنّه لا يموت ؛ على الشيء بكلمة الموتِ ينطقُ فالشيءُ يموتُ ، وقولتُهم أنَّ إسمَه آنْ .. نَنْ دادا ايتها الجميلة ، وأنتَ يا ابــن آينمر رجُلها أنتَ ؛ ؛ اتتحدثان فتنطقان بكلمتكما عن هذا الالــه أم عن إلهٍ آخر بكلمتكما تنطقان ؟.

فسارع كاجينا يردُّ .. الاله آنْ ذانكم الذي في السماء بيتُــه وصانعُ كل شيء على الارض وفي السماء ؛ حياةٌ في بدنه الاّ انــه لا يموت ؛ بكلمة الموت على الشي ينطقُ فالشيءُ يموتُ .. إنَّه هو لاغيره .. عن هذا الاله انما نتحدث فننطقُ .

.. انما الى اسماعنا تناهى ايضا أنَّ الاله آنْ هذا جُنحَه على ابن إيناكلي يمدُّ ومملكتَه وتعيسٌ ابن تعيس مَنْ الى مُلْك ابن إيناكلي أساءَ .. ومعبداً للاله آنْ أقامَ هذا ، والى المعبد الناس يُيمِّمون فالالهَ آنْ يعبدون ؛ والى المعبد بقرابينهم يأتون وأموالهم .

هنا كانت الساقية الحسناء تعيد ملء كوز الملك الفــارغ ، فتتقدم به الى أقرب يدٍ من أيدي الحسناوات العَشر حيث سيرتقي الى يد ننورتا عبرَ أيديهن . واذا بنَنْ دادا تنطُّ نحو الساقية ، فتنتش الكوزَ من يدها ،ثم تندفع به مُوسعةً لنفسها بين صفَّي النساء نصف العاريات، مرتقيةً الدرْجات الخمس الى كرسي العرش .. من يدي ارتشفْ .. من يد الجميلة نَنْ دادا إرتشفْ يا ابن ابن الاله آنْ .. إرتشفْ فالالــه آنْ عن عهده لذينكم الخَرِف ابن إيناكلي قد تخلّى .. صادٌّ عن العــاجزين

هو ذانكم الاله آنْ ؛ من يد الاجمل في سومر إرتشفْ .

كانت تقف بين عاريتَي الدِرْجة الخامسة ، تماماً بين ساقَي نورتا المنفرجتين ؛ فارخى هذا ذراعَه اليسرى يلفُّها حول خصر نَنْ دادا ، بينما همَّتْ الذراع الاخرى بتناول الكوز . غير أنَّ نَنْ دادا فَجأته .. لا .. على الكوز لن تقبض .. نَنْ دادا حاملةُ كوزك ومن خمرة نَنْ دادا ترتشف . فلم يملك إلاّ أنْ أرخى ذراعه اليمنى ايضا حول خصرها الآخر ، فصار يقبض على كامل وسطها . عند ذاك فقط إرتشفَ . وبدلاً من أنْ يطلق قهقهة الرضا التي كانت تتطلع اليها الساقية وباقي النساء العشر ، أعولَ بكلام غير مفهوم ، فتجرَّدت دِرْجات العرش من العُريِّ الذي يغطيها ، اذ انسحبت الحسناوات بمَنْ فيهن الساقية من البلاط .

تلبَّثت نَنْ دادا واقفةً بين ساقَيه المنفرجتين تحمل له كوزَه يرتشف منه أنّى يشاء ، تميسُ بعودها كأنَّ نسمةً رخيّةً هفهفها ، وهو مُرخٍ ذراعَيه حول خصريها ؛ تنزلق أصابعه من حين لآخر فتداعبُ وُركَيها ، وقد بات كلامه مفهوماً على الرغم من أنَّ الشهوةَ قد سَفَعتْ بلهيبها لسانه وشفتيه فأيبستها .. لا امرأةً غير نَنْ دادا تضطجعُ بعد هذه الساعة على مُرتقى عرشي .. مُرتقى عرشي بعدَ رمشة العين هذه ، لا امراةً غير الجميلةَ نَنْ دادا أنت عليه تضطجعُ ، ولا خمرة إلاّ من يد الجميلة نَنْ دادا أرتشفُ .. ابن الاله آنْ ، ذانكم الذي جُنحَه الآن يبسطُ فإيّاي ومملكتي يظلّلُ ؛ ماأسمه ؟.

وهي تتلوى بين كفَّيه ، التفتَتْ الى ورائها .. الى كاجينا ابن آينمر التفتَتْ ، فسارع هذا يسعفها .. يا عظيمنا ايها المبجل نورتا ابن اورجولا ابن كاركلا ، الاله آنْ إيّاي لم يُظهِر على اسم ابنه اذ نُوره

بَصري خطفَ وانا نائم .. لعلني اغفو ، فنورُه إيّاي يتغشّى ، فبما كتَم عنّي ينطقُ.

بَيدَ أنَّ الشُبّان الاربعة ، اولئك الذين ماكانوا يهبطون رابيتهم المعشوشبة ، مُعتزلهم ، إلاّ ليباشروا فلاحة مزارعهم ويعاشروا نساءهم .. الشبّان الاربعة أُولاء كانوا في تينكم الايام قد رأوا الى أبناء الاله آنْ فوجدوهم فمنحوهم أسماءهم . ليس نمخاني ابن إيلوتي وحده مَنْ كان يمنحهم الاسماء ، بل أُوردلا ابن سُرار فعل ذلك ايضا ، فضلاً عن أُوبار ابن شوكليتو الذي منح إله المياه العذبة إسمه فكان (إيا) ..

..، بعد ان صنع الاله آنْ ، ذانكم القدير ، زوجةً له ، تينكم التي أسماها نمخاني ابن إيلوتي (كي) ، اسكنها معه في بيته الواسع .. في السماء أسكنها وقبَّلها وضاجعها فحبلت بابنهما البكر الذي مدَّ يد العون لابيه آنْ بعد ان ولدته ثم ترعرع حاملاً من ابيه قدرات صُنْع الاشياء ووضع نواميسها . ابنهما البكر هذا وقد منحه أُوردلا ابن سُرار اسم (أنليل) مدَّ يد العون لابيه ففصل مابين الارض والسماء اذ كانتا بدناً واحداً .. تلَّةً كبيرةً كبيرةً ، صنعها آنْ من البحر العظيم . لقد أوكلَ الاله القدير آنْ لابنه البكر أنليل مَهمةً صُنْعِ الهواء الذي سخَّره أنليل للفصل مابين الارض والسماء . ثم وبعد أنْ يُتمم الاله آنْ صُنْع الاشياء الكبيرة السبعة في ستة أيام وسبع ليالٍ ، وبعد ان يضع لها نواميسَها سيُحيل لأنليل ، إبنِه البكر ، كلَّ قدراته فيكون هذا كبيرَ جَمْع الآلهة ، كبارها وصغارها ، بيده مصائرُها وقد امتلك عن أبيه كلمة الارادة اذ ينطق بها فيُحيي الشيءَ والشيءَ يُميتُ . أنليل ذانكم ما كان له إسمٌ حتى منحُه أُوردلا ابن سُرار اسما . أمّا نمخاني ابن إيلوتي، وقد رأى صاحبَيه أُوردلا وأُوبار يدلوان بدلوَيهما سارع يقف

في طريق لوسين ابن لولو ، فينتزع منه فرصةَ مَنْحه آلهة الارض إسماً .. اذ نطق بكلمة قبل أنْ ينطق بها لوسين . لقد نطق بكلمة (ننخرســاج) فاستحسنها الجميع . وبعد ان كرع كوزَيّ جَعّة كاملين ومسحَ فمــه بظاهر قبضته تجشأ ثم .. يانجباء سومر يالوسين وأُوردلا وأُوبار انــتم ، اسماعَكم لي إذللوا فأني اليكم مُفضٍ بما أرى .. بما أرى اليكم مُفضٍ ، انا نمخاني ابن إيلوتي : الالهة ننخرساجٍ هذه ذاتها (كِيْ) .. فقاطعه أُوبار ابن شوكليتو .. قولتُك هذه لاتكون !!

.. بل تكون وتكون يا ابن العم شوكليتو .. فبعد أنْ في بيت الاله آنْ كانت .. ذانك الذي هو في السماء ، منه بالاله أنليل حبلــت .. أوَ ليس هذا إسمُه يا ابن العم سُرار ؟.

.. ذلكم هو .

.. بعد أنْ أنليل ولدتْ ، فشبَّ هذا والهواءَ سيَّرَ ، ومــابين الــسماء والارض فصَلَ ، قولةُ الاله آنْ لامرأته كانت أنْ الى الارض إهبطــي فعليها قومي هناك ولجميع الاشياء ، التي حياةٌ في أبدانها ، أُمَّا تكونين .. كِيْ إهبطي .. إهبطي ، وولدُك أنليل معك (وقطع يوضِّح لهم: إنْ أُوردلا ابن سُرار اليه رأى فاذا به إسمُه أنليل ، الاله آنْ وهو أبوه يعلمُ أنَّ اسمه أنليل لابد) .. وفي قولة الاله آنْ أنَّ الاشياءَ السبعة الكبــار صُنْعُها إيّاي أضنى .. مشيئتي أنْ استريح .. المرأةُ إيّاي تُضني والولدُ .. على لسان ولدك أنليل كلمةَ إرادتي وضعتُ . الاشياءَ يصنعُ ولــدُك أنليل وللاشياء نواميسَها يضعُ .. كلمة إرادتي بها ينطــقُ ، فالاشــياءُ تنصنعُ ونواميسُها تنوضع .. فقولة الالهة كِيْ وهي تبكي أنْ لاأحــدَ إيّاي سيُقبِّلُ ويضاجعُ .. اليك بعد الساعة هــذه لاأتحــدثْ ولا أُذني تسمعُ كلمةً بها تنطقُ .. إسمي الذي به إيّاي تنادي في قعر بيتِك إيّــاه

سأرمي .. كيْ إسمي هو ، واسمي هذا في قعر بيتك إيّاه سأرمي ، فــلا أحداً به إيّاي على الارض ينادي .. ثم ولدَها الالهَ أنليل جـــذبتْ .. على يده قبضتْ ، ثم إيّاه جذبت وبه الى الارض هبَطـــتْ .. وعلـــى الارض بيتاً له أقامت في موقعٍ صوب الرأس من مدينة لِيلَوم هـــذه .. موقع إسماً له منَحتْ فهو (نُفَّرٍ) كان ، بعد أنْ إيّاه أوصَت :إي ولدي أنليل ، ابوك الاله آنْ بعين الزاهد بنا الينا رأى ، فبإسمي الذي يعرفُ إيّاي لاتنادي .. بإسمي الذي في قولتي هذه إيّاي نادِ .. ننخرساج إسمي يكون ، فبه نادِ ولدي أنليل .

ثم جعل نمخاني يُنقِّل عينَيه بين اصحابه وابتسامةٌ تـــسكن شـــفتَيه .. تحدَّثتُ فنطقتُ ؛ أبالكلمة التي نطقتُ ترتضون ؟.

انبرى أُوبار .. وإنْ كوزَي الجَعَّة لم أكرع ، فأنا أُوبار ابن شـــوكليتو بالكلمة التي نطقتَ أرتضي .. أُذني اذللتُ لها ، فخيراً ، القلبُ إيّـــاه يدرك .

واردف لوسين ابن لولو : بها أرتضي .. بالكلمة التي تحدثتَ فنطقـــتَ أرتضي يا ابن العم إيلوتي ؛ ولكنْ هل لقلبك بعد ذيـــنكم أن يـــدركَ كيف باقي الآلهة انولدتْ ؟.. باقي الآلهة أُولاء الذين ابناء الاله آنْ هُم .. الآلهة الصغار هُم ؛ كيف سينولدون ، والإله آنْ الالهةَ ننخرساجَ لن يُقبِّل ويضاجع بعد ذينكم اليوم الذي فيه الى الارض نزلت مع ولدها أنليل؟.

حمل نمخاني زِقَّ الجَعَّة وسكبَ مما فيه فأترعَ كوزَ لوســـين .. إرتشفْ وإرتشفْ وارتشفْ يا ابن العم لولو ، ثم أُذنَيك إذللْ ..

واذا ماارتشفَ لوسين وارتشفَ وارتشفَ ، طفـــق نمخـــاني يتحدث .. يا ايها السائل يا ابن العم لولو يالوسين أنتِ ، أنّي باجواب

اليك قاذفٌ ، فصدرك إفتحْ له قلبُك إيّاه يدركُ .. الاله آنْ من كِـــيْ امرأته لم ينجب الاّ الاله أنليل ذينكم ، اذ صُنْعُ الاشياءِ الكبيرة السبعة إيّاه أضنى ، حتى انه بعد ذينكم الايام السبعة ماعاد قادراً على مضاجعة كِيْ .. الحقُّ ذانكم وذانكم هو الحقُّ .. الاله آنْ ذانكم القدير لّما علِمَ ، وهو العالم بكل مايُعلَم ومالايُعلَم ، .. لّما علِمَ بانـــه ماعـــاد علـــى مضاجعة كِيْ بقادرٍ ، اليها تحدث فنطقَ فقولتُه أنّه مُضنىً ومـــشيئتُه أنْ يستريح .. بتينكم القولة انما كان يريد لقلب كِيْ أنْ الحقَّ الذي يعنيه يدركُ .. إلاّ أنَّ قلبَ الآلهة كِيْ ذينكم الحقَّ لم يدرك ، فمنه غـــضبتْ ورمَت إسمَها الذي به إيّاها ينادي في قعر بيته ثم به استبدلت إسماً آخر .. يا ايها السائل ، يا ابن العم لولو لوسين أنتَ اني بـــالجواب اليـــك قاذفٌ ، فصدرَك إفتحْ له قلبُك إيّاه يدركُ وأنتَ السائلُ عـــن كيـــف الآلهة الصِغار سينولدون بعد كل الذي حدث بين الاله آنْ وامرأتِه كِيْ .. الآلهة الَصغار أُولاء منهم مَنْ الإلهُ أنليل صنعَ .. بكلمة ارادته نطقَ فانصنعوا ؛ ومَنْ هُم من نسل أنليل ذاته .. الاله أنليل ذاته إلهات يُقبِّلُ ويضاجعُ فيحبلن منه وله آلهةً صغاراً يلدنَ .. وكل الالهة أُولاءٍ هـــم ابناء الاله الكبير آنْ .. ابوهم الكبير هو .. ذانكم هو الحقّ يا ايهـــا السائل لوسين أنتَ .. فالذي ابوه الاله أنليل ابوه الاله آنْ لابد .

وعلى هذا فان إبرام ابن تارح ابن ناحور ، وقد وقفَ على كتابة سومر وقراءها خلل ذينكم الاسبوع ..

آه من ذلكم الدوار ؛ لن يزايلني قَطُّ مادام ثمة ركيزتان معدنيتان تحت أجفاني أراهما كلما أغمضتُ عينَيَّ .. ما دامت تانكم الركيزتان هناك تتناوب عيناي على التشبّث بكلٍّ منهما على حِدة ، لن يزايلني الدوارُ، ومايتبعه من غثيان قطُّ ..

..، لقد وعده الأُوميا أنْ سيجعله يصل الليلَ بالنهار .. لن يدعَهُ ينام .. سيضع له مِلحاً تحت اجفانه كلما اغراه الوسن ؛ ولن يتوقف عند ذينكم حتى يقف على كتابة سومر وقراءتها .. وانه لُمنجزٌ ذينكم خلل إسبوع . وهكذا كان . إبرام ابن تارح ابن ناحور واقفٌ الان ، بعد انقضاء ذينكم الاسبوع ، على كتابة سومر وقراءتها ، ولقد دخل الشهرين ، الفترةَ التي حدَّدها الأُوميا حتى يضع ألواح سومر ، كلَّ الواح سومر ، في قلبه . وهاهو اليوم ، بعد أربعة عشر قرناً من الزمان .. بعد اربعة عشر قرناً من زمان نمخاني ابن إيلوتي ولوسين ابن لولو وأُوردلا ابن سُرار وأُوبار ابن شوكليتو ، يقرأ لابيه تارح ابن ناحور ، وأُمه تستمع ايضا ، في الواح ينسخها في بيت الالواح ويأتي بها الى بيت ابيه ، يحفظها في خزانة . تقول أُمّه أنَّ تارح ابن ناحور ، أباه ، كان بنفسه ينتقي الالواح التي تدخل تينكم الخزانة .. فليس كل مايأتي به إبرام الى بيت ابيه يحفظه هذا في خزانته . إبرام يقرأ في الالواح لأبيه تارح وأُمِّه ، ثم يشير تارح ابوه عليه أنْ إحفظْ هذا اللوح ولاتحفظْ ذاك .

.. ياتارح ابي يا ابن ناحور أنتَ لك سأقرأ ولأُمي في هذا اللوح :ننبار شيكونو إلهةٌ كان الاله آنْ صنعها . قبل هذه الساعة —قاطعه تارح أبوه - قولتي لك أنَّ الاله آنْ ومن بعده الاله أنليل ابنه لايصنعان وانما يخلقان .. هذا إبرامُ بُنيَّ لا تنسَه .. البشر نحن مَنْ الاشياءَ نصنعُ ، وأمّا الالهة فتخلقُ .. الشيءُ غير موجود حولنا فالآلهة توجده ، فهي تخلقُه . ولكن يا تارح ابي — قال إبرام — هذا ما في اللوح أقرأه ، فكيف لي أنْ كلمةً أقرأُ غير التي عينَيَّ ترى ؟. أوَلست أنتَ — قال تارح ابن ناحور — الذي بيده هذا اللوح نَسخَ ؟. أجل ياتارح أبي ، اجل انا الذي هذا

اللوحَ نسخَ . اذن ياإبرام بُنيَّ إنْ عيناك كلمةَ (الاله أنليل يصنعُ) رأتا ، او (الاله آنْ ابوه يصنعُ) رأتا لاتنسخها وغيرها أُكتبْ .. بُنيَ إبـــرام إنسخها فتقرؤها بعد ذاك ويقرؤها من بعدك يراها على الهـــا (الالـــه يخلق) . كيف ذاك يكون ؟ -قال إبرام – ياتـــارح ابي ؛ كيـــف ذاك يكون؟ الأُوميا بذينك لي لن يرتضي ، ومنّي سيغضبُ . فأخذَ الانفعالُ بتارح ابن ناحور وقال لإبرام ولده : منك لن يغضبَ الأُوميا ، فهـــذا اللوح ، الذي تستنسخه ، في بيت الالواح هناك لن يكـــون .. هـــذا اللوح الذي تستنسخه في خزانة أبيك تارح يكون .. أُذنَيـــك إفـــتَحْ وقلبَك إبرام بُني وانا اليك اتحدث .. أوَلستَ من كلِّ لوحٍ تقرؤه هناك في بيت الالواح نسختين تنسخُ ، واحدةً تدعها على رفـــوف بيـــت الالواح والثانية بها الينا تأتي فعلينا تقروها ؟. اجل ياتارح ابي أجل – قال إبرام . الواحدة التي بها الينا تأتي ، عينا الأُوميا اليها لن تـــرى ، فالأُوميا منك لن يغضبَ – قال تارح – نسخة اللوح التي بها إلينا تأتي خزانتي نُدخلها ؛ وخزانتي لن أُدخلها حتى عمّا هـــو مكتـــوب فيهـــا أرضى. فهوى إبرامُ على يد تارح أبيه يلثمها ويَعدُه انه سيفعل . سيعيد نَسْخ هذا اللوح في الغد من يومهم ذاك وسيكتب فيه أنَّ ننبار شيكونو إلهةٌ كان الاله أنليل قد خلقها من قبل ، ومن ثم لإله صغيرٍ آخر إمراةً صارتْ ، فمنه ابنةً جميلةً ولدت واسمها ننليل . ننليل إلهةٌ صغيرة قوامها جميل ووجهها جميل – قال إبرام لابيه وأُمه - الاّ أنَّ الاله أنليل اليها لم يتنبَّه ، فأُمّها ننبار شيكونو علَّمتها كيف تجعله الى جمالها يتنبَّه . قال لها تطيَّبي وشعرَك سرِّحي وعلى شفتيك وخدَّيك لونَ الزهر ضعي ، ولـــه عند النهر إلبدي ؛ فاذا النهرَ ورَدَ ثيابَك إخلعي والى النـــهر إهبطـــي أَمامه. ففعلتْ ننليل ، فإلى جمال وجهها وقوامها الاله أنليل تنبَّه ، فمن

ماء النهر لم يشرب ،.. من ماء النهر كان ينتوي أنْ يشرب الاّ انه الماءَ من كفَّيه رمى ، وأخذَ الالهةَ ننليل بين ذراعيه وقبَّلها كثيراً .. كـــثيراً كثيراً قبَّلها ثم على جرف النهر ضاجعها ، فحبلت منه بإله صـــغير . وحين ولدته أسماه ابوه نَنّا . الاله نَنّا هذا ، له ابوه الاله أنليل أوكـــلَ صَوْنَ نواميس القمر .. القمر من الاشياء السبعة الكبار التي جدُّه الاله الكبير آنْ صنعَ . فقاطع تارح ابن ناحور ولده إبرام ووبَّخه لأنه قال (صنع) الاله آنْ وما قال (خلق) . فهوى إبرامُ مرَّةً أُخرى على يد ابيه تارح يلثمها ويَعدُه انه سيُعيد نَسْخَ اللوح في الغد من يومهم هـــذا . وحين جاء الغد دلف إبرام الى بيت أبيه تارح ، وكان الغسقُ يكـــاد يتلاشى من اليوم .. دَلفَ وهو يتأبَّط كيساً فتحـــه ، فـــاذا بلـــوحين يبرزان. إبرام أظهرَ اباه على أحد اللوحين ، وقال انه اللوح ذاته ذانك الذي كنتُ فيه أقرأ لك ياابي تارح وأمي أمسِ .. كمـــا وعـــدتُك ، نسخَهُ أعدتُ .. على هذا الموضع عينيك ضع وهذا الموضع . ففعـــل تارح ابن ناحور ما سأله ولده إبرام أنْ يفعل ؛ ثم سأله هذا أنْ يـــضع على ذات الموضعين في اللوح الذي أتى به اليهما في اليـــوم الفائـــت ؛ففعل تارح .. الا ترى – قال إبرام – كيف نَسْخَ هذه الكلمة أعدتُ ياتارح ابي يا ابن ناحور أنتَ ؟. فأخذه أبوه تارح الى صـــدره وقبَّـــل جبينَه . هذه الالواح – قال تارح ابن ناحور – إرثَكَ ستكون ، لاإرثَ غيرِك ستكون .. لا أحدَ غيرك في سومر كلّها مَنْ في خزانتـــه هـــذه الالواح . فبشَّ وجه إبرام ولمعت عيناه ، كما تقول امه ؛ وأدخلَ هذا اللوح الخزانة تم تناول اللوح الآخر وجعل يقرأ فيه : بعين الشفقة الاله أنليل الى ولده الاله نَنّا رأى ، فله القولةَ ماأغلظَ وهو يُذكِّر بأنْ امرأةً له يتخذ .. جدُّك الاله آنْ حين الاشياء السبعة الكبار خَلَقَ ، الشمسُ

كانت واحدةً منها .. (وهنا اثنى تارح على إبرام ولـــده لانـــه تنبَّـــه فاستبدل بكلمة (صنع) كلمة (خلق)).. قَلبَ جدِّك إفرِحْ يا ايها الولد نَنّا ، فإلهةً جِدْ إيّاها تُقبِّلُ وتضاجعُ فلكَ بولد تحبل ، إلهاً للشمس يكون .. الشمسُ لا الهَ نواميسَها يصون .. ولدُك واسمُـــه أُوتـــو نـــواميسَ الشمس يصون . فالاله نَنّا من مجلس ابيه قام .. مجلس ابيه الاله أنليل الذي هو في نُفَّر يكون ، والى ماحوله رأى ؛ واذ إلهةً وجدَ ، إيّاها قَبَّل وضاجعَ ، فمنه بولده أُوتو حبلتْ ، .. أُوتو الذي نواميسَ الـــشمس سيصون . بُنيَ إبرام – قال تارح ابن ناحور – على لوح طريٍّ اكتب أنَّ كلَّ الذي ابناء الاله أنليل وأبناء ابنائهم والاخرون يفعلـــون ، الى قدرة الاله أنليل عائدٌ .. الاله أنليل وحده ، قدرةٌ عن أبيه آنْ أخذها .. تانك القولة بُني إبرام تكتبُ ، وفي الخزانة تضعُ .. إنّها إرثُك لاإرثَ غيرك بُنَي إبرام ستكون. فإبرامُ فعلَ .. في الغد من يومهم ذاك فعل . ثم همس في أُذن أُمِّه من الشهرين كم تبقّى ياأُم أنتِ ؟.. الأُوميا قولتُه لي أنّه وتارح أبي بعد ساعة واحدة من تينك الشهرين ســـيذهبان الى ذينك الحرون أبي ساراي فثانيةً منه يخطباها . تقول أُم إبرام انها هدّأتْ من روعه ، فلا فتىً من أُور غيره سيخطبها .. عينَيك إغمضْ بُني إبرام ونَمْ – قالت له.

وتتأرجح عيناي حتى لتكادا تزوغان لولا أنْ تشبَّثتا بالركيزة المعدنية الاخرى الناتئة تحت أجفاني ، تلك التي مع نظيرتهـــا تحمـــلان الدولاب اللافّ أبداً ، وإنْ هبطَ منه الاولاد .

..، فلقد راح كاجينا ابن آينمر ونَنْ دادا يتباصران في البيت الصغير الذي أمر لهم به ننورتا ابن أُورجولا ، ملك جِرسونِن . حالما خرجا من بلاطه في ذينكم اليوم ، ومعهم أمارجي الوصيفة ، الى البيت الذي أمر

لهم به ، كمستقرٍّ مؤقت ، راحا يتباصران حول إسم الاله ابن الالـــه آنْ، ذينكم الذي مَدَّ جُنحَه على جِرسونِن فظلَّل المملكة فيها والملك .

لم يكن لديهما خمر تينكم الليلة .. لديهما خبز منقوع بلـــبن شاة وسمن وُضِعَ على نار فسال ودُلِقَ على الصحون الثلاثة . كاجينا أكلَ ما في صحنه ، وكذلكم أمارجي فعلت ، ثم لحسا الصحنَين . أمّا نَنْ دادا فظلت في باحة البيت الصغير تدور تضرب كفّاً بكفٍّ .

تقول أمارجي أنَّ وجه سيدهما قد تغضَّن بكامله ، وهي علـــى تينكم الحال ، ليس جبينها وحسب؛ ثم بغتةً توقفت كأنَّ أحداً أمسك بها فسمَّرها في مكانها ، وجعلت تتحدث الى نفسها .. ابن إينـــاكلي حكيم .. هذا حقٌّ وابوه إيناكلي حكيم وهذا حقٌّ ايضا ؛ الاّ أنَّ قلبي لا يدرك قولة انه هو مَنْ الى الاله آنْ رأى ففي السماء إيّاه وجدَ .. هو مَنْ الى الاله آنْ راى فإيّاه في السماء وجدَ ، فحقّاً عَلِمَ أنَّ آنْ اسمه .. هذه قولةٌ قلبي إيّاها لايدرك ..

ثم التفتت الى كاجينا ابن آينمر الجالس على بساط ممدود على أرض باحة البيت .. ابن آينمر كاجينا أنتَ ، تانك قولةٌ قلبي إيّاها لا يدرك .. نَنْ دادا قلبُها تينَك القولةَ لايدركُ .. لا حقَّ في تينك القولة اذن .. ابن إيناكلي بنفسه الى السماء مارأى ، فالإله آنْ وجدَ هناك في بيته الواسع ، وإسمَه عرفَ .. يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ؛ في الـــساعة هذه الى مدينة لِيلَوم يَمِّم ومن وراء سورها الى أُوش ابن لوجال إبعثْ ، فإيّاك يوافي حيث تتوارى .. في أُذنه قولتَكَ ضَعْ ، وقولتُك أنْ يا ابـــن لوجال أُوش أنتَ ، ياقائد حُرّاس الملك .. قائداً مابرحتَ لحرّاس ذينك الخَرِف .. يا ابن لوجال عن أصل الحقِّ الذي به ابن إيناكلي نطقَ إبحثْ لي ، وبيد مَنْ تأتمنُ يا ابن لوجال إبعثْ بما اليه تنتهي ، ، فرسولُك إيّاي

في جِرسونِن سيجدُ الى سبيله عيناي تتطلعُ .. ثم بزِقٍّ خمرٍ لابن لوجال إدفعْ قبل أنْ الينا تنقلبَ .

.. وإنْ ننورتا إيّاي طَلبَ .. الذي لاأبَ له إنْ إيّاي طلبَ ، قولتُكِ له ماذا تكون ؟.

.. ذانك المكشر أبداً إيّاك لن يفتقدَ ، فنَنْ دادا ساقيتُه وأمام كرسيِّه تضطجعُ ؛ وإنْ فعلَ وبالكلمة نطقَ فكاجينا ابن آينمر ، الذي رجُلي هو ، سعى الى أمرٍ يُدبِّرُ مع مَنْ إيّاهم استخلفَ في بلاط ابن إيناكلي .. أمراً صالحٌ فيه لعظيم جِرسونِن ننورتا ابن اورجولا ابن كاركلا .. تانكم قولتي هي لذينكم الذي لا أبَ له .

وعلى عَجَلٍ أعدَّت له أمارجي زُوّادةً وزِقَّ ماء ، فانطلق بهما والليلُ سادلٌ أستارَه على جِرسونِن . بعد ساعتين او نحو ذينكم من رحيل ابن آينمر كاجينا الذي كان وزيراً ، جاء نَنْ دادا مَنْ يُنهي اليها مشيئةَ الملك ننورتا : الملك ننورتا في انتظارها . ومازِيدَ على تينكم الكلمات .

.. الى عظيمنا إرتدْ .. نَنْ دادا في الأثر قادمة .

وأغلقت الباب .

ليس ثمة من ركن للاغتسال في ذينكم البيت الصغير ومع هذا نضَتْ عنها قطعتَي ردائها وأمرتْ أمارجي أنْ تدلقَ عليها من جِرار الماء ثلاثاً . ثم تطيَّبت ووضعت حول جيدها عقداً من أحجار ملونة غير ذينك الذي انفرط يوما في ساعة من ساعات غضبها فضاعَتْ حباته .. أمارجي ايتها الوصيفة أنتِ ، أزهراً على وجنتَي أنثرُ وشفتَي ؟.

.. بل من شفتيك ووجنتيك ، سيدتي ، زَهْراً العطارون يأخذون ولنساء سومر يبيعون .

.. يالشقائي بك أيَّتها المُرائية .. في سومر بأسرها لامرائيةَ غير أمارجي وصيفتي . فخطَتْ أمارجي نحوها والتَصقتْ بها تحتضنها فتمطرُ وجنتَيها وعُنقَها بالقبلات ؛ ثم قبَّلت شفتَيها .. في قولة أمارجي الصدقَ كل الصدق سيدتي .. بعينيك سيدتي على أمارجي وصيفتك إقذفي .. أليس من زَهْرِ شفتيك شفتاها تصطبغان ؟.

فاخذها نَنْ دادا الى صدرها تلفُّ ذراعَيها حولها وتشدُّها اليها تعتصرها ، كأنّها تبغي الالتحام بها ، وطفقت تمصُّ شفتَيها . فاذا بالشفاه الأربع تتداخل وتتعاصر كما لو انها في عراك . ثم لم تحتمل نَنْ دادا تصبُّراً فراحت تنضو عنها ماتزيَّتْ به للتو وجذبت أمارجي اليها وهي تنطرح على ظهرها فوق البساط الذي كان تحت كاجينا قبل قليل . وهي تئن وتتلوّى .. أمارجي تحتك نَنْ دادا نارَها إطفئي .. نارَها إطفئي أمارجي .. نار نَنْ دادا إطفئي ، فلا شيءَ في نَنْ دادا سوى رمادٍ تُخلِّفين .

علىً باب بلاط ننورتا كان كوشاشْكِر ينتصبُ ، لم ينل منه تعب النهار بأكمله وذانكم الرَدْحُ من الليل الذي انطوى لحد تينكم الساعة .جأر بوجه نَنْ دادا ، ووصيفتها خلفها ، أنْ انصرفن وفي صباح الغد عُدْنَ ، فعَظَمة الملك ليس على عرشه .

لم تنكسر شوكة نَنْ دادا وردَّتْ عليه جئيرَه بزعيقٍ بلغ مَسامعَ مَنْ في القصر . فقصر ننورتا ، تماماً مثلما هو قصر لِيلَوم ابن إيناكلي ، يكتنفُ البلاط من الخلف .. ايها الحاجب التعيس أنتَ ، أبوجه نَنْ دادا تنهق ؟؟!.. من رمشة العين هذه تنطُّ الى حيث سيدك عظيمنا الملك ننورتا ابن اورجولا ابن كاركلا ، فلا وجهَك ثانية أرى حتى الملك تُظْهِرَ على أنَّ جميلة سومر نَنْ دادا حَسْب مشيئتك قد حضرت .

واذا بذينكم العمود يكاد يتهشَّم ، كما تقول أمــارجي ، اذ راحت أجفانُه تطرفُ وأعلى وجنتَيه تختلجان . ثم انفرجَ فمه ، فتهدل فكُّه وتلبَّث على تينكم الحال لايريم ، حتى ظَهَر من ورائه رجل ميَّزتْ به أمارجي ذينكم الذي جاءهما الى البيت الصغير يُبلغهما بمشيئة الملك .. نَنْ دادا ايتها السيدة ووصيفتُك .. بكوشاشْكِر لاعليكما .. عظيمنا في مخدعه ، والى مخدعه بكما سأُيِّمُ .. بأذيالي ايتها السيدة نَــنْ دادا تعلّقي ووصيفتُها أنتِ .

مخدع ننورتا لايضارعه مخدع نَنْ دادا ، حــسبما رأت اليــه أمارجي فألفته . كانت هذه تظن أنَّ لا مخدعَ يبزُّ بسعته وبهائه مخــدع سيدهما . فتبين لها خطأ ظنها ذاك وهي تدرج دالفةً مخدع نورتا : سريرٌ واسعٌ متسعٌ وسطَ المخدع ، لايظهر من كتلة دكّته شيء اذ يــدثّرها الفَراء من كل جانب .. فراء ثعالب وأرانب مختلفٌ ألوانه . يرتقــي نورتا دِرْجاتٍ ثلاثاً فيكون فوق سريره .. فحتى تينكم الدِرْجات كان الفراء يغطيها . وامام السرير حوض من فَخار أملس البطانة تتلألأ فيه الخمرة بحُمرتها اذ ينفذ فيها نثارُ ضوء السراجين المرفوعين على عَمَدين عند رأس نورتا ، حين يضطجع على سريره ، وعنــد قدمَيــه . والى جانب ذينكم الحوض ثمة طبق من حَجَرٍ ملوَّن يسعُ خروفــاً مــشوّياً بكامله .. ولقد كان هناك خروفٌ ، فعلاً ، تتبارقُ أعطافه تحت ضوء السراجين وسطَ ذلكم الطبق . حوض الخمرة وطَبَقُ الخروف المشوي مرفوعان على دكَّة امام سرير نورتا ؛ فاذا كان الطبقُ موضوعاً على سطح الدكَّة فأنَّ الحوض مُنحفرٌ في كتلة الدكَّة والى جانبــه أكــوازٌ منجَّدةٌ بأحجار ملوَّنة . وفي عمق المخدع بدت لأمارجي ابواب ثلاثة لأركان ثلاثة ، خمَّنتْ أنَّ احدها لابد ان يكون ركنَ الاغتسال .

نورتا يضطجع وسطَ سريره ، نصفَ عارٍ ، تتكيء ذراعُـه المثنية على وسادتين منضودتين على بعضهما . جذعُه العاري غزيـرُ الشَعر ، لا صدره حَسْب .. اذ انَّ الشَعر يكسو ذراعَيه وكتفَيه ، وما كان ظهرُه ليظهرَ الى أمارجي وسيدتها وهما تدنوان من مائدته ومـن خلفها سريره . على أنَّ الشعر سرعان ماسيظهر كاسياً ظهرَه ايضا . لم يعتدل مستويَ الجلسة ، وقد رآهما تدلفان الى المخدع ثم وهما تدنوان منه ؛ وظلَّ مضطجعاً على جانبه وكوزُه بيده . بَيدَ أنَّه ما لبثَ أنْ ابتدرَ نَنْ دادا وأسنانُ فكِّه العلوي لا ساترَ لها .. من عمري هذه الليلـة لا تكون ، ونَنْ دادا الجميلة ليست الى جانبي .. لا سعيدَ في سومر هذه الليلة وفي سائر الارضين من حولها الاّ نورتا ابن اورجولا .

توقفت نَنْ دادا قبل ان تبلغ دكَّة المائدة ، فصارت هذه بينها وبين سرير نورتا ؛ فعبرَ المائدة انما جَعلتْ تحدِّثُه ..لا سعيدَ ، يا عظيم جِرسونِن ، في سومر وفي سائر الارضين من حولها الا نَنْ دادا ، هـذه الليلة ، ووصيفتُها فهما أمام العظيم نورتا ابن اورجولا ابن كـاركلا تقفان .

.. منِّي إدني نَنْ دادا .. إدني منّي ، أمّا وصيفتُك فسواها على حاجتك سيقومُ .. بالوصيفات مُحتشدٌ قصري .. وكلُّهن على حاجة نَنْ دادا سيَقُمنَ .. الى بيتك فلتبعثي بوصيفتك اذن ايتها الجميلة نَنْ دادا .

وعبرَ طبَقَ الخروف المشوي المتبارق الأعطاف وحوض الخمرة المتلالئة الحُمرة .. الى بيتي بأمارجي لن أبعثَ يا عظيم جِرسونِن ، وسواها على حاجة نَنْ دادا لن يقومَ .. حاجتي لايقومُ عليها الا تـانكم الوصـيفة أمارجي .. مُتِّعتَ بالمغفرة يا ايها العظيم فغفرتَ لنَنْ دادا ماترى .

اتَّسعتْ تكشيرة نورتا فبانت اسنان فكِّه الاسـفل ايـضا ،

واعتدل يستوي جالساً على سريره .. ماتراه نَنْ دادا ليكن .. منِّـــي إدني يا مَنْ ما رأت عيني الى أجمل منها .. يا مَنْ ما رأت عين ننورتا ابن اورجولا أجمل منك .. منّي إدني ، وكوزي فلتترعي .. كوزي خاويـــاً بيدي ينتظر نن دادا منذ سنين .

هنا فقط تقدمت نَنْ دادا فاجتازت المائدة تصيرُ بين يديه ، ثم تناولت كوزَه الفارغ واغترفت ملِأَه من حوض الخمرة وراءَها . مـــا كانـــت ارتقتْ الدرْجات الثلاث ، وما كان ننورتا قد هبطَ اليها فمدّت لـــه ذراعها بالكوز المُترَع .. وقتاً تُزجِّي بخمرة هذا الكوز حـــتى أنقلـــبُ اليك..

ثم صمتت ، وقد تناول الكوز منها ، ثم .. أركناً للاغتسال تحظى به نَنْ دادا في مخدعكم ؟.

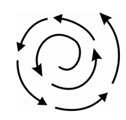
.. ثلاثة وليس واحداً .. بعينيك إقذفي الى تينك الأبـــواب هنـــاك . فالتفتت الى أمارجي واكتفت بالنظر اليها ، اذ فهمت هذه وخَطَـــتْ نحوها بالصُرَّة التي كانت تحملها ، تينكم التي جاءت بها مـــن البيـــت الصغير .. بل معي ركن الاغتسال تلجين أمارجي . وهكذا كـــان : ولَجَتْ نَنْ دادا ووصيفتُها احد اركان الاغتسال ؛ وبعد ان تعرَّت نَنْ دادا تماماً ، وقبل ان تنطقَ بمشيئتها فتنفذها أمارجي قالـــت بـــصوت مهموس : أمارجي .. أقلبَه سيضربُ مثل مجنون اذ جسدي يـــرى ؟. فهمست أمارجي : بل من بين أضلاعه قلبُه سيفرُّ اذ جـــسدَ ســـيدتي يرى؟. فأخذها نَنْ دادا الى صدرها بنهديه النافرَين ووضعت فمها في أُذنها .. أمارجي يامُطفئة ناري أنتَ .. في جسدي عن بقية نار إبحثـــي فاطفئي .. أطفأتيها قبل ساعة ، وخشْيَتي ان بقيةٌ منها تلبَّثت فكمُنتْ .. في رمشة العين هذه عن تينك البَقية إبحثي فاطفئي .. لا لساناً مـــن

ألسنة ناري في جسدي تُبقين .. جُثَّةَ ميت جسدي فليكن .. بين يدي ذينك الذي لاأبَ له جُثَّة ميت جسدي فليكنْ أمارجي .ولم تـــضطجع لها على ظهرها كما درجتْ أن تفعل ، وانما بَقيتْ واقفةً امامها وقـــد باعدت مابين ساقَيها .

تقول أمارجي انها لم تُبقي ثنيةً في جسد نَنْ دادا ولا طيّـــةً الا وأمررت أصابعها او لسانها عليها ؛ واذ بلغت ما بين فخذيها الُمنفرجَين صار لأصابعها ماتفعله غير المداعبة . بعد ذاك .. بعدما تلاشى أي اثرٍ لأنين او لصرخة مكتومة ، واذا ماهدأتْ الرعشة التي أخذت بكامـــل جسد سيدتها فتبدَّدت ، دَلقتْ جرَّتَي ماء على هذه ثم جفَّفتها وطيَّبتها .. بعطرها الفريد ضمَّختها ووضعت عليها الرداء الذي جاءت به في تينكم الصرة : أشرطة جلود الافاعي التي ستتدلّى من كتفَيها نُزُلاً على رَدفَيها ، فلا تتجاوزهما الى أسفل من عانتها . ثم اخرجتها من ركـــن الاغتسال تتلوّى بخطىً وئيدة صوبَ السرير ، وعيناها ترمي بلَحْظٍ في الصخر ينفذُ .

وثبَ ننورتا من السرير ، حالَ بزَغَتْ عليه من فِرجة بـــاب ركن الاغتسال ، قاذفاً بنفسه نحوها وهي على تينكم المَبعدَة عنه ، فلم يتنبّه الى الدرْجات الثلاث التي ينبغي له ان يهبطها فتعثر وانكفأ على وجهه حيث افلتت كفُّه الكوزَ وهو يستند بهـــا الى الارض متـــدرِّئاً . فتعالت في المخدع ضحكتان ، ثم التحقت بالضحكتين ضحكةُ ننورتا ذاته وهو ينهضُ مُتضرِّجَ الوجه يُسابقُ ساقَيه الى نَـــن دادا . فمـــا أنْ طالتها ذرلعله حتى حملها ، وضحكتها لّما تزل تستبدُّ بها .. نَـــنْ دادا محمولةً تقهقه على ذراعَي ننورتا وشعرُها الأدعج مؤتلقاً ينرسلُ مـــن فوق احدى الذراعين فيهبطُ حتى يكاد يلامس الارض . وأمارجي تسير

خلفهما وفي يدها الصُرَّةُ منطويةً على قِطعتَي الرداء الذي نَضَتهُ عن سيدها وقارورة الطيب وباقي عدة تينكم الليلة . لقد لفَتَ هذه أنْ ضحكة نَنْ دادا لا غَنَجَ فيها .. انها قهقهة وليست ضحكة .. قهقهة ذات بحَّة كما لو انها تصدر عن رجل ، مع أنَّ نَنْ دادا محمولةٌ الان على ذراعَي رجل ولاساترَ لعُريَها سوى أشرطةِ جلود الافاعي المُتزالقة المنحسرة أبداً فلا قرارَ لها . فلما لم تمسك نَنْ دادا عن قهقهتها حتى بعد ان طرحها نتورتا على فراشه ؛ واذ هبطَ هذا الدرْجات الثلاث الى المائدة يترع كوزاً من الخمرة المتلالئة حُمرتُها فيقدِّمُها الى سيدها ويعلن انه هو بنفسه من سيتولّى السِقايةَ هذه الليلة ، أدركتْ أمارجي أنَّ عليها أنْ لاتعدم الوسيلةَ فتعثرَ على مَنْ تأمنها من نساء جِرسونِن فتُحمِّلُها رسالةً مستعجَلة الى شوكليتو .



إصفرَّتْ الاشياء من حولي ، وانقلَبتْ بي الدنيا عاليها سافلها، اذ ذكر أحدُ الاصدقاء أمامي مدينةَ العاب الاطفال .. ذكرها حَسْب .. ذكرها عموماً ولم يذكر الدولابَ الّلاف بالاولاد . فلقــد طفــقَ الدولاب يلفُّ فعلا تحت أجفاني التي انطبقتْ على بعضها رُغماً عني ؛ ولما أنشبَ الغثيان أظفارَه بمعدتي لم أملــك الاّ أنْ اتــشبَّث بإحــدى الركيزتين المعدنيتين اللتين تحملان الدولاب . كلُّ ذلك حدث أمام ذاك الصديق ، والصديقُ لايرى منّي سوى انكفائي على الارض وانا أُفرغُ معدتي على أرض المقهى التي كان يجالسني فيها .. ماكان يرى مــني ، حتماً ، أنّي مُتمسُّك بإحدى ركيزتَي الدولاب وعيناي ، على وسْعهما، مأخوذتان بإبرام ابن تارح ابن ناحور وهو يستلُّ من جعبته لوحاً ملفوفاً بجلد ماعز . نزع إبرامُ الجلدَ عن اللوح وراح يقرأ فيه ، تحت ضــوء سراج ، لأبيه وأُمه وكانوا هم الثلاثة قد فرغوا لتوِّهم من العــشاء : والارضُ كانت وفوقَها السماءُ لاشيء غير الصمت فيهمــا .. الالــه الكبير أنليل ما كان خلق بَعدُ الماشيةَ ، لا بقرَ ولا اغنامَ ولا ماعزَ خلقَ، ولا حميراً ولا طيراً ولابطّاً كان الاله أنليل قد خلقَ بَعــدُ .. وحــتى السمكُ في الماء ما كان خلقه أنليل .. العُشبُ والشجر وحدها كانت

على الارض .. الاله الكبير أنليل كان العشبَ خلقَ والشجرَ وحدَها وأمّا الاشياء التي تصيحُ بَعدُ ما خَلقَ . فقولةُ الآلهة الصغار لأبيهم الكبير أنليل كانت لاصوتَ في الارض ياأبانا ولا في السماء صوتٌ . الصمتَ مَلَلنا ياأبانا أنليل ، والعشبُ يكبرُ ولاشيء يأكلُه والشجرُ يثمرُ وثمرُه يسّاقطُ على التراب سُدىً .. بكلمة ارادتك ياأبانا إنطقْ ايها الاله الكبير أنتَ ، وعلى الأرض أشياءَ تأكلُ العُشبَ وتصيحُ إخلقْ . فقولةُ الاله أنليل كانت بكلمة الارادة يا ابنائي أنطقُ ولتمتليء الارضُ والسماءُ بأشياء تسعى وتصيحُ ، والعشبَ والثمرَ تأكلُ ؛ وليمتليء البحرُ والانهار والسواقي بأشياء تسبحُ والعشبَ تأكلُ ومنها الذي يصيحُ . الآلهةُ الصغار فرحوا ورقصوا .. البقرُ من حولهم والغنمُ والماعزُ من حولهم .. والطيرُ فوق رؤوسهم والدجاج في الارض يسعى، فالبذورَ يأكلُ ويبيض .. الاشياءَ التي العشبَ تأكلُ والبذورَ وتصيحُ عديدُها ازداد .. أزواجاً أزواجاً الاشياءُ تينكم كانت والاناثُ تلدُ ، وعديدُ الاشياء التي العشبَ تأكلُ والبذورَ وتصيحُ يزيدُ ويزيدُ فقولةُ الآلهة الصغار كانت ياأبانا ايها الاله الكبير أنليل أنتَ .. لا مكان لنا على الارض حتى نسيرُ ولا في الماء مكانٌ لنا ولا في السماء .. بكلمة إرادتك إنطقْ فمكانٌ لنا على الارض وفي الماء وفي السماء يكون .. عديدُ الاشياء ، التي العشبَ تأكلُ وتصيحُ ، وحدَك ياأبانا الاله أنليل مَنْ يحسرُ .. بكلمة إرادتك إنطقْ أبانا ، فعديدُها لينحسرْ . بكلمة الارادة الالهُ الكبيرُ أنليل نَطقَ ، ذانكم الذي بيته في نُفَّر هو ..

فقاطع تارح ابن ناحور ولدَه إبرام بقولة أنَّ هذا اللوح من جديد إنسخْ ، بُني إبرام ، حتى في خزانتي أضعَ .. في اللوح تكتب أنليل ذانكم الذي بيته في السماء هو .. لا في نُفَّر هو . ولكن ياتارح

ابي يا ابن ناحور أنتَ – قال إبرام – في بيت الالواح هــذا اللــوح قرأتُ، وفي اللوح مكتوبٌ بيتُ الاله أنليل في نُفَّر يكون . لوحٌ مــن ألواح سومر هذا ياتارح أبي ، وفي اللوح مكتوبٌ في نُفَّر بيت الالــه أنليل يكون في خزانتي لأضعه – قال تارح ابن ناحور – من جديــد إنسخْهُ ، إبرامُ بُني ، أو في خزانتي لاضعه .. أنليل أبوه الالهُ آنْ على لسانه كلمةَ الارادة وضعَ .. أنليلُ خالقٌ قديرٌ ؛ اذن فهو مع أبيه الاله آنْ في السماء يكون . وضع إبرام عينَيه على أُمِّه ، فقولتُها له إبــرامُ إفعلْ إبرامُ إفعلْ ما شيخُك يرى . فبكى إبرام وعلى يد أبيــه تــارح هوى، فلثمها وعلى يد أُمِّه هوى فلثمها . في الغد من يومنا هذا اللوحَ من جديد أنسخُ – قال إبرام – وفي السماء بيت الاله القدير أنليــل يكون. ثم عاد الى اللوح يقرأ : بكلمة الارادة الالهُ القدير أنليلُ نطقَ ، ذانكم الذي بيته في السماء هو (ارتسمت ابتسامة على شفتَي أبيه) ، فالسَبعُ إنخلقَ والنمرُ والذئبُ والثعلبُ والصقرُ والسمكةُ الكبيرة ذات الاسنان ، وفي الارض انتشروا وفي الماء وفي السماء ، فمن الاشياء التي تصيحُ افترسوا ،فعديدُها انحسرَ . الآلهةُ الصغار رقصوا اذ مكانٌ لهــم على الارض صارَ وفي الماء وفي السماء . الآلهة أبناءُ أنليل في العــشب وبين الشجر يعملون باتوا ، ولبنَ البقر والغنم والماعز يجمعون بــاتوا وبيضَ الدجاج . حتى تعبوا . فقولتُهم لأبيهم الكبير الاله أنليــل أنْ بكلمة ارادتك إنطقْ ، فينخلقُ مَنْ إيّانا يخدمُ ونحن جالسون . الالــه الكبير لم يستمع . الاله القدير أنليل أُذنَيه أغلقَ ، فقولتُهم في الهــواء سُدًى راحت . فقولتُهم ، ثم كانت ، أنْ الى أُمِّه الإلهة ننخرساج نُيمِّمُ . الى الإلهة ننخرساج يَمّموا ، وعلى قدمَيها هووا وبكوا . فقولةُ الإلهــة ننخرساج الى ابنها الاله أنليل أبوك الاله آنْ على لسانك كلمةَ ارادته

وضعَ وعلى لسان غيرك ماوضعَ .. بها بُنَي إنطقْ ابناؤك يرتاحوا ..
وقطع إبرام قراءته يخبرُ أباه تارح بأنه قرأ في لوح آخر كلاماً آخرَ ؛ ثم
أخرج ذينكم اللوح من جُعبته . هذا هو اللوح الذي كلامٌ آخرَ فيه —
قال إبرام — الآلهة الصغار الى أنليل ما ذهبوا .. الآلهة أُولاء الى إلــه
الحكمة إيّا ذهبوا . بني إبرام — قال تارح — أوَليس إيّا هذا إلهُ الميــاه
العَذبة هو ؟.. ذانك ما لنا قرأتَه في لوح آخر . بلى — قال إبرام — انه
هو ، وهو اله الحكمة أيضاً .. واليه الآلهة الصِغار ذهبوا ، فقولتُهم له
أنْ بكلمة الارادة إنطقْ فلنا إخلقْ مَنْ يخدمنا وعَنّا التعبَ يحملُ . فلما لم
يجبهم ، الى أُمِّه الإلهة (نمّو) ذهبوا حتى تجعله بكلمة الإرادة ينطقَ . مَنْ
(نمّو) هذه بُنيَ إبرام ؟- سأل تارح ابن ناحور . (نمّو) إلهةٌ ليس من إله
قبلها — قال إبرام — الالهَ آنْ ولدتْ والإلهة (كِيْ) ، ولهمــا بيتــاً في
السماء أقامتْ ، فامراته كِيْ صارتْ ومنه حبلت ثم الاله أنليل ولدتْ
.. الاهة (نمّو) جعلت ولدها الاله إيّا بكلمة الارادة ينطــقُ فالبــشرُ
ينخلقُ، وأعضاءَه هي خلقتها ومعها الالهة ننخرساج . فقطَّب تارح ابن
ناحور وضرب الارض بعصاه وصرخ بإبرام ، كما تقول أُم إبرام ، هذا
اللغوُ خزانتي لايدخلُ .. في خزانتي لغواً لاأضعُ إبرامُ يا ابن تارح أنتَ
.. في رمشة العين هذه بفأسٍ تأتي فهذا اللوحَ تهشِّمُ ، ففــي جُعبتــك
لايبقى الاّ اللوحُ الآخر الذي فيه كنتَ تقرأُ .. أنليل وحده الذي يخلقُ
ولا إله آخر سواه ؛ على لسانه كلمةُ الارادة الاله آنْ قــد وضــعَ ،
والإلهة ننخرساج أُمُّه هي مَنْ جعلته بكلمــة الارادة ينطــقُ فالبــشرُ
ينخلقُ؛ ولا احد سواه مَنْ أعضاء البشر خلقَ ، لاننخرساج ولا نمُّــو
ولا أية إلهة أُخرى .. أقولتي هذه مُدركٌ أنتَ ياإبرام يا ابن تارح يا ابن
ناحور ؟؟. وضرب الارض بعصاه ثانيةً وشفتاه تختلجان . فاصفرَّ وجهُ

إبرام ، فلا قولةً على لسانه ، ثم هوى على يد تارح أبيه يلثمها . ونط الى زاوية في البيت وعاد بفأسٍ يحملها ، فلم يرمِها من يده حتى ذانكم اللوحُ تراباً صارَ . فاذا ما بشَّ وجه تارح ابيه ، إنقلبَ الى اللوح يقرأ فيه : .. فالاله أنليل أمرَ إله المياه العذبة إيّا فجاءه هذا من طين قعــر النهر فعليه نطقَ بكلمة ارادته واليه رأى بعين الخلق فالبشرُ إنخلــقَ .. وقولةُ الاله أنليل القدير لأُمه الإلهة ننخرساج انه في البشر واضعٌ من بعض روحه . فقولةُ الالهة ننخرساج أنْ إي أنليل بُنَي ؛ البشرَ عبداً لك إجعله ولأبنائك وبالخلود لاتُمتِّعه . فقولةُ الاله أنليل القدير أنْ أفعــلُ ياأُمّْ .. أفعلُ ياأُمّْ .. بالخلود الرجلُ لايتمتعُ ولا المرأة تتمتعُ .. عبيداً هما ونسلُهما لي ولأبنائي يكونون . فالآلهة ارتاحوا وماعادوا يعملــون ، ولصَوْنِ نواميس الاشياء التي أنليل خلقها انصرفوا . فقاطع تارح ابن ناحور ولدَه إبرام : اذ اللوح الذي بين يديك تنسخُ من جديــد ، في الغد من يومنا هذا ، إبرامُ بني تكتبُ أنَّ البشرَ إلاّ الالَه القديرَ أنليــل يعبدون ولا احدَ سواه يعبدون .. ذانك ما تكتُبه او اللوحُ هذا خزانتي لايدخلُ .

بهتَ إبرامُ فأطرقَ ، ثم وضع اللوح جانباً وجثا أمام تارح أبيه. في الغد من يومنا هذا قولتَك أكتبُ ياتارح أبي يا ابن ناحور أنتَ ، اذ اللوحَ من جديد أنسخُ . ولكن لي إغفرْ ياتارح أبي ؛ في أُور أنتَ وكل الرجال وابناؤكم نحن لا اله سوى نَنّا نعبدُ ، فكيف هذا مع الذي في الغد أنسخُه يستقيم ؟!. باطلٌ عليه سرنا – قال تارح ابن نــاحور – وعليه ابناؤك لايسيرون ولا الذين الواح خزانتي يقرأون .. كل العلم أعلمُ أنَّ الاله نَنّا ابن الاله الكبير القدير أنليل هو ، إلاّ أنْ نعبده دون ابيه فذانكم الباطلُ ؛ وعلى الباطل ابناؤك لايسيرون ولا الذين الواحَ

خزانتي يقرأون . لي إغفرْ ياتارح ابي – قال إبرام – إنْ كنت الى الامر ترى فلا ترى فيه غير الباطل لِمَ أنتَ وأُمّي وأنا على ذيـــنكم الامـــر نسير؟. فمَكَ حجراً إلقِمْ إبرام يا ابن تارح أنتَ – قال تـــارح ابـــن ناحور – حتى الملك يقضي ؛ وألواحَ سومر كلها في قلبك تضعُ .. من جثوتك إنهضْ ، فخزانة تارح ابن ناحور ابيك المزيدَ تنتظرُ . إبرام نهضَ من جثوته ؛ وانحرفتْ عيناي الى الركيزة المعدنية التي لاأتمسَّكُ بهـــا ، تلك الاخرى البعيدة عنّي مَبعدةَ أربعة عشر قرناً سابقة على زمن إبرام ابن تارح ابن ناحور ابن سروج ابن رعو ابن فالج ابن عابر ابن شـــالج ابن ارفكشاد ، والدولابُ خالياً من الاولارد ما برحَ تحـــت اجفـــاني يلفُّ..

..، قبل ان يدفع كاجينا ابن آينمر لأُوش ابن لوجال بزِقٍّ الخمر ، كما نصحتْ نَنْ دادا ، عَلِمَ منه أنْ ليس به حاجة الى البحث في ما جاء من اجله ، ذلكم أنَّ كل مَنْ في مدينة لِيلَوم اليوم يقول بأنَّ لِيلَوم الملك ما رأى ، وانما الشبان الاربعة زُرّاع الشعير رأوا .. ابناء لولو وإيلـــوتي وسُرار وشوكليتو هم من رأوا الى السماء فوجدوا الاله آنْ ، وهم مَنْ منحوه إسمَه ، وهم يكرعون الجعَّة فوق الرابية المعشوشبة ، تينكم التي الى الغرب من سور المدينة ..

.. إمرأة ابن إيلوتي مَنْ بين الناس أمرَهم أفشتْ ايها الوزير كاجينا .. أمرَهم بين الناس امرأةُ ابن إيلوتي أفشتْ يا ابن آينمر يا ايها الـــوزير كاجينا أنتَ .

.. إي يا ابن لوجال ، تعساً لنا نحن الرجال .. كل ما نخفي فنَكتُم إيّاه النسوةُ أُولاء يستظهرنَ وهُنَّ تحتنا .

.. الحقُّ كل الحق في قولتك يا ايها الوزير كاجينا .. مثلَ حمارٍ أكونُ ،

من أُذني إمرأتي إيّاي تجرُّ حين فوقها أصيرُ .

نسي كاجينا ابن آينمر انه متوارٍ ، يلتقي أُوش ابن لوجـــال خارج سور المدينة وراح يُقهقه ، ثم أمسك عن الضحك .. زقَّ الخمر هذا لك والحمار الذي إيّاه يحملُ يا ابن لوجال .. أُذنَيك إذللْ ، فتانَكَ قولةٌ بها أنطقُ ، في قلبك إيّاها تضعُ .. يا ابن لوجال أنتَ وابن آجــا إنتيمنا معك حيث انتما تتلّبثان ، فكاجينا ابن آينمر اليكما عائـــدٌ ، وسومر كل سومر على كتفه في صُرِّةٍ يحمل .. ذانكما يـــومٌ آتٍ ، في قدومه حصيفٌ لايشكُّ ؛ فحتى ذينك اليوم عينَيك عن امرأة ابن إيلوتي لا ترفعْ .. امرأتك لنُشْدك هذا ذراعاً فلتكنْ ؛ فنمخاني ابن إيلـــوتي ، ذانكم الفتى ، نكّاحٌ كما هو للجعَّة كَرّاعٌ يا اوش ابن لوجال أنتَ .. فأمرأته ، وهو كذلك ، لكَ خيرُ عَونٍ تكون ..

وصمت هنيهةً . فأدخل أوش ابن لوجال لسانَه .. فإنْ امرأتي الى علمي أمراً أهمتْ ؛ وإنْ الى علمي انتهى نبأٌ لاادري من اين ، فـــالى أيِّ سبيل بعينَي إقذفُ فإيّاك ألفي ؟ .

.. برجل إيّاه تأتمنُ يا ابن لوجال إليَّ تبعثُ ؛ ففي جِرســـونن مدينـــة ذينكم الذي لا أبَ له يسعى ، فهناك إيّاي يلفي الى سبيله أتطلّـــعُ .. ذانك انما هو مَنْ إليَّ يحملُ ما الى أُذنيك ينتهي .

وكما لو ان ابن لوجال تذكَّر في رمشة العين تينكم أمراً ، اذ ضرب بقبضته على جبهته .. مُتِّعتَ بالمغفرة يا ايها الـــوزير كاجينـــا فغفرتَ لي سهوي عن كلمة على لساني هي ، فلم اتحدث فبها أنطقُ .. الى علمي انتهى ، يا ابن آينمر يا ايها الوزير كاجينا أنـــتَ ، إنَّ زُرّاع الشعير أُولاء الى السماء قد رأوا فإبناً للاله آنْ وجدوا ، قديراً مثل ابيه هو ، بكلمة الموت على الشيء ينطقُ فالشيء يموتُ ، والاشياءَ يصنع

مثل ابيه ، والسماء عن الارض هو الذي فصل ؛ وأنَّ اسْمُه أنليـــل .. ذانك هو إسمه ، الاله أنليل ، وزُرّاع الشعير هُم مَنْ اسْمَه إيّاه منحوا ، وأكواز الجعَّة بينهم تدور .

يقول كاجينا ابن آينمر لنَنْ دادا ، على مَسمَع من أمــارجي ، انــه لم يتمالك نفسه ، واندفع نحو أُوش ابن لوجال يأخذه في حضنه وينشــر على وجهه وعنقه القبلات .

.. في رمشة العين هذه ، وحتى قبل أنْ الى صدرك نَفَسُك يرتدُّ ، تنهضُ فتجري والى بلاط الذي لاأبَ له تنتهي .. النورُ الخطّافُ ثانيةً بك مرَّ ، وأنتَ نائمٌ يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ؛ فأمامك رجلاً عظــيمَ البنيــان تجسَّد صوتُه القلوبَ يُرجفُ .. صوتُه مسمَعك أترعَ ، فقولتُه هذه المرَّة أنْ إبنُه الاله القدير أنليلٌ ، فاصل الارض عن السماء ، بجُنحه هو مَنْ مُلْكَ ابن اورجولا ابن كاركلا يُظلِّلُ ، وتعيسٌ ابن تعيس مَنْ يَمسس نورتا ابن اورجولا بسوء ؛ وتعيسٌ ابن تعيس مَنْ يمسس مُلْكَ ابــن أورجولا بسوء ..

واذ نهض كاجينا ابن آينمر يهمُّ بأنْ يلبِّي ماأشارت به نَنْ دادا ، وهو في طريقه الى باب البيت الصغير لَحَق به صوتُها .. نورتا الذي لاأبَ له بَعثَ بمَنْ اليه إيّاي يحملُ وأنتَ غائبٌ .. الى مخدعه يَمَّمتُ ، وتحت عين أمارجي كل شيء حدث .. انفتل كاجينا ، الذي كان وزيــراً ، نحوها وصُفرةُ وجهه استحالت شحوباً ، فلا تكاد أمارجي ترى قطرةَ دم في وجهه . ولم ينبس بكلمة بل نظر الى نَنْ دادا فاغراً فمه ، كأنَّــه مأخوذٌ بما سمع منها .

.. إليَّ بعينيك لاتقذفْ يا ابن آينمر .. من نفسي إيّاه لم أُمكِّنْ .. وتحت عين الوصيفة أمارجي كل شيء حدث .. في ليلتين من نفسي إيّـــاه لم

أُمكِّنْ ؛ وتحت عين الوصيفة أمارجي كل شيء حدث .
.. ليلتين !!
ولم يزد على تينكم الكلمة ، والتفتَ الى أمارجي .
تقول أمارجي انها فهمت من التفاتته اليها انه يستنطقُها ، فتدفَّق الكلام على لسانها .. من نفسها سيدتي إيّاه ما مكَّنتْ .. الى ركن الاغتسال دلفَتْ وبجلود الافاعي تزيَّت وبالطِيب تطيَّبتْ ؛ وعلى ذراعه إيّاها حملَ وعلى سريره إيّاها أضجعَ ؛ لكنَّ الجميلة نَنْ دادا سيدتي بين ساقيها إيّاه مأأخذت ، وشفتَيها له ماأعطتْ .
فاذا بعينَي كاجيينا ابن آينمر تتحجّران ويأخـذُ الاختلاجُ بكامل وجهه ؛ ثم صار جسدُه النحيل يختضُّ كما لو أنَّ يداً جبّارةً تهزُّه هزّاً .. بعدها تهالك الى الارض حيث توقّف قُبيل الباب ، الذي لم يبلغه بعد ، ودفن وجهه بين كفَّيه وهو ينخرط ببكاء مرير . فهرعت اليـه أمارجي وهي تعول .. سيدي الوزير وروحِ أُمّي بين ساقَيها سيدتي إيّاه مأأخذتْ ، وشفتَيها له ماأعطتْ.. دمعك كَفكفْ والى الجميلة نَنْ دادا سيدتي إنقلبْ فإيّاها قَبِّل وضاجعْ .
أمّا نَنْ دادا فما ندَّت نأمةٌ عنها وتلبَّثت على بساطها تـرى اليهما وتسمع . فلمّا لم يمسك كاجينا ، الذي كان وزيرا ، عن بكائه ، اعلت صوتها .. بالليل استترنا والى جِرسونِن قبل ايام ثلاثـة يمَّمنـا ، وبالليل نستترُ والى مدينة لِيلَوم نعودُ .. أمشيئتُك هذه يا ابن آينمـر كاجينا أنتَ ؟.. الليل قادمٌ وبه نستترُ ، ولِيلَوم ابن إيناكلي مليكَكَ ما برحَ .. بالمغفرة مُتمتِّعٌ ابن إيناكلي لِيلَوم هو ، يغفر لـك والى تحـت جُنحهِ إيّاك يُعيدُ .. أمشيئتك هذه يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ؟.
هنا كفكفَ دمعَه ، ثم تناهض كأنَّ على كاهلـه جـبلاً ..

مُطأطيء الرأس تناهضَ وخطا نحو باب البيت الصغير يجرُّ وراءه ساقَين لا يقوى على رفعهما عن الارض . ودون ان يجود لسانه عليه بكلمـــة واحدة ، فتح الباب وخرج .

حين خرج كان ثمة من الوقت ساعة حتى يحلُّ الغَـــسَقُ . واذ حلَّ الغَسقُ وراح النهار يلملم ضوءه ، جاء الى نَـــنْ دادا في البيـــت الصغير ذانك الرجل الذي أنهى اليها في اليومين السابقين مشيئة الملك نتورتا .. جاءها اليوم ثالثة ينهي اليها المشيئة ذاتها .

.. الى مليكك إرتدّ .. نَنْ دادا قادمةٌ في الأثر .

ومن فورها ، وبعد ان صفقت أمارجي الباب وراء الرجل ، طلبت نَنْ دادا من هذه ان توصد الباب ثم دعتها الى ان تفعل مافعلته معها في الليلتين السابقتين .. فبالكلمات ذاتها إنما طلبت منها ان تفعل معها ما فعلته في الليلتين السابقتين . حتى أنَّ أمارجي تقول انها ماكان بها حاجة الى ان تسمع من سيدتها تينكم الكلمات فتُطفيء في جسدها نارَها من ثم .. كان على نَنْ دادا ، كما تقول أمارجي ، ان ترى اليها حسب فتفهم هي ماينبغي لها فعله . فلما تيقَّنت من انها قد أطفأتْ كل السنة النار المتلاهبة من جسد نَنْ دادا ، بعد أنْ اضجعتها عاريةً على البساط ، اخذتها الى ركن في البيت ودلَقتْ عليها جرَّتَـــي مـــاء ، ثم جفَّفتها وطيَّبتها .

لم يحجبهما كوشاشْكِر ، فقد اعتاد وصولَهما في هذا الوقـــت من اليومين السابقين ، بعد غروب الشمس ؛ بل حتى لم يجأر وهو يتفوَّه ببعض كلمات .. ليس في مخدعه عظيمنا الملك ننورتا .. عظيمنا على عرشه هو ، وتحت قدميه ذانكم الرجل النحيل أصفرُ الوجه .

ففاتته نَنْ دادا ودلفت الى البلاط ، تتبعها وصيفتُها تحملُ الصُرَّة ذات

الصُرّة . وفعلاً كان نونورتا متربعاً على عرشه ، وكاجينا ابـــن آينمـــر يجلس على دكَّة صغيرة تتسع بالكاد لعجيزة رجل .. دكَّة بمـــستوى دكَّة العرش المتَّسعة تينكم التي تقوم عليها الدرْجات الخمس مرتقىً الى كرسيِّ العرش . فاذا ما رفع نونورتا عقيرته يُهَلِّلُ ويرحِّب طأطأ كاجينا ابن آينمر رأسه . ومن فوق رأسه المطأطيء .. ساقية الملك أنتِ ياجميلة سومر ومليكُك عطشان ؛ فمنه اين نَنْ دادا؟

ودون ان تجثو امامه ، اتَّجهتْ الى يمين العرش حيث الـــزِقُّ منطرحٌ على طَبَق من الفخار وسيع . وبينما كانت وصيفتُها تجثو امام نونورتا ثم تنهض فتلتحق بسيدها ، شرعت الاخيرة تتحدث وما كانت بلغت زِقِّ الخمر بَعدُ .. الوزير كاجينا ، رجُلي ، بما طاف به في منامه قد أبلغَ عظمتَكم لابد .. الاله القدير أنليل كأنه أبوه هو .. بكلمـــة الموت ينطقُ على الشيء فالشيءُ يموت ، ومثل أبيه الاله الكبير آن ، صانعُ الاشياء جميعَها هو .. فتحت جُنحِ الاله القدير أنليل انما عظـــيمُ جِرسونِن يستظلُّ .. وتعيسٌ ابن تعيس مَنْ يَمسس عظيمَ جِرســـونِن الملك نونورتا ابن اورجولا ابن كاركلا او مُلْكَه بسوء .. (واترعت كوز نونورتا ذينكم المُنجَّد بالحَجَر الملوَّن ، وانحرفت ترتقي الدرجات الخمس الى كرسي العرش ؛ فكانت تتحدث وهي تسير متمايلةً بغَنَج) .. مُناد للملك العظيم نونورتا لابد .. في جِرسونِن ينادي وما حولَها من قـــرىً لابد ؛ وقولتُه أنَّ العظييم نونورتا الملك بمصاف ابن الاله أنليل وتعيسٌ ابن تعيس مَنْ يَمسس ابن الاله أنليل بسوء .. (ولم تدعه يقبض علـــى الكوز ، وانما تلبثت واقفة بين ساقَيه تُدني حافةَ الكـــوز مـــن شـــفته الوحيدة ؛ فلا يعدم الوسيلة هو ، فيرتشفُ ويـــداه علـــى ردفَيهـــا مرخيَّتان)..

والخمرةُ تقطرُ من شفته الوحيدة .. الموقَّر ابن آينمر كاجينا رجُلُك بما طاف به في منامه أبلغَ ، فقلبي صدَعَ والعطشُ بي أخذَ ، ياأجملَ مَـــنْ رأتْ عيني في سومر بأسرها وماحولها من أرضين .. أنليل الهُ قديرٌ مثل ابيه آنْ .. تانكم القولة قولة الموقِّر ابن آينمر كاجينا زوجُك ..

أدنتْ الكوزَ من شفته ، كانها تُسْكتُه فتتناول الحديث هي . وفعلا ارتشف مما في الكوز ، ملء فمه ، ويداه ما برحتا مرخَّيتين على رَدفَيها . وهو يرتشف انما أكملتْ نَنْ دادا ماتريد قوله .. الموقَّر ابـــن آينمر كاجينا رجُلي ، هو الذي منادياً لذينكم الخرف ابـــن إينـــاكلي وضعَ .. لذينكم الخرف ابن إيناكلي كاجينا رجُلي هو الذي مناديـــاً وضع ؛ والموقَّر ابن آينمر هو الذي في يد ابن إيناكلي رُمحاً وضع ، وفي يد ابن إيناكلي مِديةً وضعَ .. وعديدَ حرّاس مملكة ابن إيناكلي رجُلي الموقَّر ابن آينمر زادَ فحتى ألفَين من الرجال بلغ ..

وما كان يبدو عليها انها ستمسك عن الكلام عنـــد ذيـــنكم المبلغ من القول ، ومع هذا فان ننورتا أدخلَ لسانه .. الى علمي سبَقَك ما تُظهرينَ عليه في رمشة العين هذه ..بعيني قذفتُ الى مملكـــة ابـــن إيناكلي وبأُذني قذفتُ ؛ فعيني إليَّ بما رأتْ عادت ، وعادتْ بما سمعت أُذني إليَّ .. فقولتي في نفسي كانت لا وزيراً أتَّخذُ إلاّ اذا توأماً لذينكم الرجل وزير ابن إيناكلي ، او بلا وزير مملكتي فلتَكنْ .. والى رمـــشة العين هذه مملكة جِرسونن ، مملكتي ، بلا وزير هي اذ مابتوأمٍ للمـــوقَّر ابن آينمر كاجينا حَظيتُ ..

هنا رفع كاجينا ابن آينمر رأسه المطأطيء ، وظلٌّ ابتسامة تراه أمارجي ينرسم على شفتَيه . هل كان يرى الى كفَّي ننورتا ، أمامه تماماً ، تدبُّ فوق تكوّري عجيزة نَنْ دادا صُعداً ونُزُلاً؟.. بل أُذناه حَسْب ماكانتا

تستمعان ؟..

.. الاله القدير أنليل ابي ، ولاغيره من أحد ، إليَّ قد حَمَلَ .. الى بلاطي حَمَلَ ولاغير الاله القدير أنليل أبي حَملَ الى بلاطي ذينكم الموقَّر ابـــن آينمر كاجينا ؛ فوزيراً لنا يكون ..

وجذب نَنْ دادا وأجلسها على إحدى فخذَيه ، وذراعُه تلتفُّ حول خصرها تحتضنها ؛ ثم وهو يحاول عبثاً ان يـــستر أســـنان فكِّـــه الاعلى .. ايها الموقر يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ؛ من مجلسك إنهضْ والى يميني إنتصبْ .. أوَليس الى يمين الملك وزيرُه ينتصبُ ؟..

فصاء كاجينا ، كما يصيء صَبيٌ استخفُّه الجَذَلُ : بلى وأبيك ياأعظم مَنْ في سومر .. ولم يغلق فمه على الرغم من أنَّ اجابته انتهت عنـــد ذينكم الحدِّ .

.. الى يمين مليكك ننورتا ابن أُورجولا ابن كاركلا قِفْ ، فمن رمشة العين هذه وزيري انت ايها الموقر يارجُل نَنْ دادا ، أجمـــل مَـــنْ رأت عيني.

وبينما وثب كاجينا ابن آينمر من الدكَّة الصغيرة التي كـــان يقتعدها الى الدكَّة المُتَّسعة التي يقوم عليها العرش ، حيث ســـيقف الى يمين مليكه ، لوَتْ نَنْ دادا عنقَها نحو ننورتا فانسكبت خصلاتُ شعرها الادعج على وجهه ونحرِه من عَلٍ .. لقد بدَتْ لأمارجي كأنَّ شـــعرها المُرسَل يُعرِّش على ننورتا ، فلا يدع له فسحةً للرؤية . وبصوت غنوج يغصُّ بالاستغاثة .. غير المنادي الذي لكَ سيضعُه وزيرك ابن آينمر .. ذانكم المنادي الذي سيدور في جِرسونِن وسواها وقولته أنَّ تعيساً ابن تعيس مَنْ إيّاك يَمسسُ او مُلْكَك بسوء.. غير ذينكم معبداً تقيمُ لابد .. للإله القدير أنليل أبيك معبداً الى جوار قصرك تقيمُ لابد ..

وراحت تسهبُ في وصف المعبد الذي أقامه كاجينا ابن آينمر للاله آنْ لصقَ قصر لِيلَوم الملك ، ذانكم الذي ما قام إلاّ وِفقَ ما رأتْ هي . ولم يَفتْها أنْ توضح لننورتا ، الجالسة على إحدى فخذيه وشعرُها مُعرِّشٌ على وجهه ، مامعنى آلْ ، وكيف ان روح الاله أنليل لا تهـــدأ فتسكن كتلة الحَجَر المنتصبة وسط باحة المعبد إلاّ اذا أنستْ الى امراة جميلة قربها . ثم أدنتْ فمَها من اذنه فأطالت الهَمْس .. رفَعتْ خصلاتٍ من شعرها كانت تغطي أُذنه ووضعت فمها في أُذنه ، وأطالتْ الهَمْس . فلم يتسنَ لأمارجي سماعَ ماسمعه ننورتا واكتفى بالنَودْ برأســه وهــو يستمع .. لم يتسنَ لها ذانكم والا لكانت حمَّلتْه المرأةُ التي حَظيتْ بها في جِرسونِن مع ماستُحمِّلها من أخبــار الــوزير كاجينــا وســيدها الى شوكليتو.

لم ينطوِ اسبوع بَعدُ على اختفاء كاجينا ابن آينمر ونَــنْ دادا والوصيفة أمارجي . لا أحدَ في مدينة لِيلَوم يعلم الى اين صار الــوزير كاجينا ؛ فحتى أُوش ابن لوجال الذي التقاه كاجينا خارج سور المدينة لم يعلم من هذا أين مستقرَّه والى اين انتهى . كل ماعلم منه انه عائدٌ قريباً بسومر كل سومر في صُرّة يحملها على كتفه . وماكــان لابــن لوجال ان يكشف لقاءه بالوزير كاجينا وما سمع منه خلل ذينكم اللقاء الاّ لصاحبه انتيمنا ابن آجا .. سرٌّ لن يفشياه حتى لمليكهما لِيلَوم ابــن إيناكلي .

في اليوم الاول لاختفاء كاجينا ابن آينمر ، لم يفتقده لِيلَــوم الملك اذ حَسبَه غضَبَ من إيكال أمر آلْ المعبد الى ميْسلم ابن شَــيش دون نَنْ دادا ، فاعتكف في قصره .. هكذا حَــسبَهُ لِيلَــوم الملــك ومأأخفى حُسبانَه ذاك عن حاجبه شوكليتو ؛ فلقد أظهره عليه بعد ان

انقضى يومان بليلتَيهما على اختفاء ابن آينمر . في اليوم الثالث ، عند ظهر اليوم الثالث تحديدا ، هبط لِيلَوم الملك من عرشه وجعل يتخطّى في بلاطِه يقطعه رواحاً ومجيئاً وذراعاه معقودتان وراء ظهره .

يقول شوكليتو انه فهم ما في قلب مليكه ، فتقدم منه وجثا امامه .. يا مَنْ لاعظيم سواه في سومر بأسرها .. مُتِّعتَ بالمغفرة فغفرتَ لي تجرّوئي وانا أقطعُ على مليكي حديثَه مع نفسه .. مع نفسه حديثَ مليكي قطعتُ فلي مليكي ليغفرْ .

توقَّف لِيلَوم الملك عن الرواح والمجيء والتفت الى شوكليتو .. إنهضْ من جثوتك ايها الحاجب الامين .. مافي قلبي أخالُك ترى اليه .. حَسنٌ يا شوكليتو .. بمَنْ بين يديك خارج البلاط إبعثْ .. الى قصر ابن آينمر إبعثْ بمَنْ بين يديك خارج البلاط .. (وأطرقَ هنيهةً ، ثم..).. لا يا شوكليتو .. لا .. تمهَّلْ .. بين يدي ابن لوجال أُوش فليكن في رمشة العين هذه .

واذا ماهرع أُوش ابن لوجال فلبَّى ، أمرَهُ لِيلَوم الملك بأنْ يذهب بنَفَرٍ من رجاله الى قصر ابن آينمر ، فلا ينقلبُ عائداً الا بالوزير كاجينا . كان ابن لوجال قد التقى كاجينا ابن آينمر قبل يوم من وقفته تينكم .. إلاّ أنَّ شفتَيه لم تفترّا عن كلمة واحدة ، وانفتلَ خارجاً من حضرة الملك يُلبِّي . وبعد وقت لم يطل ، بات معلوماً في بلاط لِيلَوم الملك وخارجه أنَّ سبعاً من نساء الوزير كاجينا كُنَّ خارج مخادعهن – كلٌّ امام باب مخدعها – يبكين بصمت حين دلف أُوش ابن لوجال الى فناء قصر الوزير ، فرجُلهن كاجينا قد عافهن وهُنَّ عن مَكْر (تينكم الساحرة) غافلات . لقد قالتها احداهن بفم ملآن (الساحرة) أجل (الساحرة) وهي تنشغُ دمعَها .

اختلى ليلَوم الملك بنفسه ، ثم طلب آلْ المعبد . واذ حضر هذا ، أطلعه على الامر .

.. بُنَي ليلَوم .. أقولةً قلبُك يدركُ إيّاي لم تُظْهِر عليها بَعدُ ؟؟

.. لا قولةً قلبي يدركُ إلاّ عليها شيخيَ المُبجَّلَ أظهرتُ .

.. إذللْ أُذنيك اذن .. أُذنَيك إذللْ وقلبَك إفتحْ ، فقولتي لاتتعدى أنَّ ابن آينمر ، ذانك الفتى ، لامُلْكاً يعوفُ وراءه إلاّ الى مُلْك آخر يسعى.

لِيلَوم الملك لا يجلس على كرسيٍّ عرشه ، بل وسطَ بلاطه يقف وازاءه ميْسلم ابن شيش .. لا مُلْكَ في سومر اليوم ، يا شيخي المُبجَّل ، إلاّ في مملكتنا وفي جِرسونن على جُرف البحر العظيم التي تحت الذي لا أبَ له هي .. أوراءه المملكتين عافَ الى خارج سومر ، فشُتاتَ القُرى يجمعُ في مدينة ثالثة مملكةً له تكون ؟.

قبض ابن شيش على فَيض لحيته المُرسَل على نحره ، وعيناه تتسمّران بنقطة ما بعيدة في سقف البلاط .. فلم يجب على الفور ؛ لذا فقد أردفَ لِيلَوم الملك يقول :

الى أيٍّ أُفق تانكم الساحرة إيّاك حملت يا ابن آينمر ، ايها اللائبُ انت؟.. ايها اللائبُ يا ابن آينمر تانكم الساحرة إيّاك حملتْ ؛ فالى أي أُفقٍ ؟.

ودون ان يفلت ابن شيش بياضَ لحيته من قبضته ، انتزع عينيه من السقف يواجه بهما الملك .. الى أُفق شمسٌ لاتشرقُ منه ولا وراءه شمسٌ تغيبُ بُنَي ليلَوم .. الى يمين ابن إيناكلي يقف وزيرا كان ؛ وكان قصرُه من قصر مليكه أنيَفَ ، فلاشمسا في افقٍ اليه يَمَّمَ .

.. في أُفقٍ غير ذي شمسٍ ، شيخي المُبجَّل ، أعتى خطاياه المرءُ يقترفُ .

عند ذاك أفلت مِيْسلم ابن شيش لحيته واخذ ليلَـــوم الملـــك يحتضنه .. مُتِّعتَ بالهناء بُنَي ليلَوم اذ بلسان العزيز إيناكلي نطقـــتَ .. ألا أنَّ إيناكلي أباكَ لأحتضنُ في رمشة العين هذه ، ولحيتَه أشمُّ .

وهو لّما يزل بين ذراعَي الشيخ .. بالحق تحدَّثْ يا شيخي المبجل فأجبْ .. أنّي بالسؤال قاذفٌ اليك .. بالسؤال قاذفٌ اليك فبالحق تحـــدَّثْ فأجِبْ .. ماأعتى خطايا ابن آينمر تينكم التي سيقترفُ ؟.

رفع ابن شيش ذراعَيه من حول الملك وتقهقر خطوتين ، ثم زَمَّ شفتَيه فاختفتا تحت اشتباك شعر شاربه بلحيته ، ثم .. قولتُك انتَ بُنَي ليلَوم أنْ لا مُلْكَ اليوم في سومر الاّ في مملكتين .. عِ بُني ليلَـــوم أنَّ أهـــون خطايا ذينكم الفتى على الناس أنْ مدينةً ثالثةً يقيمَ ، مملكة له تكون .. أما أعتى خطاياه على نفسه وعلى الناس وطأةً ، أنْ قدماه الى جِرسونن إيّاه تحملان .

واذا بليلَوم الملك يجهشُ ، هكذا بغتةً ، بالبكاء كما لو انَّ صدره قـــد أُترع دمعاً قبل رمشة العين تينكم ، وما عاد يقوى على حبس مـــا في صدره . ثم وهو على تينكم الحال ، والكلمات منقوعة بالدمع تخـــرج من فيه .. رفقاً بي شيخي المُبجَّل ، فابن آينمر أعتى خطاياه اقترفَ .

تقدم منه الشيخ ثانيةً ، واخذه الى حضنه ثانيةً ، وأضجعَ رأسَه علـــى كتفه وجعل يربتُ على ظهره .. يا ابن العزيز إيناكلي بُنَي ليلَوم أنتَ ؛ الى مَ بعينيك قذفتَ ، فالحقَّ في قولتك رأيتَ ؟؟!.

وكلماتُه مابرحت بالدمع منقوعةً .. القرادُ كبيراً لايصير الاّ تحت ذيول البقر .. ومثل ابن آينمر اذ يبتدي لايبتدي الاّ من تحت ذيل بقرة .. وفي سومر باسرها اليوم بقرتان لاثالثةَ لهما .. بقرتان لاثالثـــة لهما اليوم في سومر بأسرها ؛ واحدةٌ منهما وراء ظهره صارت .. فالى

التي ماعَتمتْ امام عينيه انما يَمَّمَ .. ألا أنَّ ابن آينمــر ، يــا شــيخي الجليل، لأعتى خطاياه إقترفَ ؛ فبه وبالناس إلهُهُ آنْ فليترفقْ .
فاذا تصرم يومان بعد ذاك ، حمل الطير الى مدينة ليلَوم خبراً طفقَ الناس فيها يلهجون به حتى انتهى الى بلاط ابن إيناكلي .. خبراً يقــول أنَّ منادياً ينادي في أهل جرسونن وماحولها من قرىً ، غير بعيــدة عــن جرف البحر العظيم ، أنَّ الاله أنليل .. القدير أنليل .. فاصل الارض عن السماء أنليل .. إبنُ الاله الكبير آنْ بسطَ جُنحَه على مَــنْ هــو بمصاف ولده الملك ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا وعلى مملكتــه ، تانكم التي على جرف البحر العظيم هي .. وتعيس حظ ابن تعيس حظ مَنْ بالسوء ننورتا الملكَ مَسَّ او بعين الطَمَع الى مملكته الهانئة في ظلِّــه رأى .

فما كان من ليلَوم الملك الاّ أنَّ هبط من عرشه واسرع يوسع خطاه الى المعبد ، لِصقَ قصره ، وقد اصطحب حاجبَه معه . وحــالَ دلفَ الى باحة المعبد هتفَ يُعلي صوتَه فيسمعه مِيْسلِم ابــن شــيش ، وهذا الاخير في غرفته بَعدُ .. شيخي المُبجَّل .. ايها المُبجَّل شيخي ابن شيش أنتَ .. من مخدعك إظهرْ ، فهذا ابن إيناكلي بالحقِّ الــصُراح جاء..

وحتى قبل ان يخرج له ابن شيش من غرفته ، واصلَ يتدفق .. ما على ألسن الناس في مدينتنا ، سمعَكَ بلغَ لابد .. من مخدعك إظهرْ ياآلْ المعبد يا ابن شيش أنتَ .. هذا ابن إيناكلي بالحق الصُراح جاء ، فاظهر واذنَيك إذللْ ..
فنبقَ رأسُ ابن شيش من فتحة باب غرفته قبل ان يخرج منها بكامــل جسده ..

.. ما على السن الناس سمعي بلغ يا ابن العزيز إيناكلي ، ودونك أُذنَّيَ إيّاهما أُذللْ .
.. تدبيرٌّ هذا إيّاه لايتدبَّرُ إلاّ ابن آينمر .. مُناد ينادي بين اهل جِرسونن وما سواها من قرى .. فقبل ايام غياب ابن آينمر عنا ، ما بمناد سمعنا هناك في تينكم المدينة .. ألا انك يا ابن آينمر من ذينك الذي لاأبَ له مبلغاً قد بلغتَ !!.هنا كان مِيْسلِم ابن شيش قد خرج والى جوار حجر روح الاله صار ، فوقف .. والى الحقِّ الذي به ، بُنَي ليلَوم ، نطقــتَ أُضيفُ فأنطقُ بقولة أنْ لاأحدَ في جِرسونن ليجتريء فبنوةَ ننورتا يدّعي الى الاله أنليل ابن إلهنا الكبير آنْ .. ففرائصُ البشر جميعاً ترتعدُ منـــذ مناديكَ أنتَ ، بُنَي ليلَوم ، قد نادى بأنَّ إلهاً في السماء إسمُه آنْ يُحيي ويُميت ؛ بكلمة الارادة ينطقُ فيُحيي وبكلمة الارادة ينطقُ فيُميت .. منذ نادى بأنَّ الاله آنْ من ابن إيناكلي ليلَوم إبناً قد اتَّخذ واليه أَوكلَ صَوْنَ نواميس المملكة التي عليها هــو قــائمٌ .. لا.. لا.. لاأحــدَ في جِرسونن ليجتريءُ فبنوةَ ننورتا يدَّعي الى الاله أنليل ..
فأدخل ليلَوم الملك لسانَه يستعجل إكمال المعنى الذي كـــان ابن شيش ذاهباً اليه .. الاّ اذا تينكم الساحرةُ في جِرسونن قد حلَّت ، وفي بلاط الذي لاأبَ له قدَماً قد غَرزتْ .. وحدها في سومر بأســـرها مَنْ جفنْ لها ما طرفَ يومَ الى سَمْعِها انتهى ما به مُنادينا قد نـــادى .. فسوى ابناء لولو وسُرار وايلوتي وشوكليتو ، الفتيان ، أولاء الذين في قلوبهم الحقَّ كلَّ الحقِّ يطمرون ؛ وسوى شوكليتو هذا حاجبنا الامين الذي على الحقِّ كلِّ الحق أُظْهِرَ .. سوى الخمسة اولاء ما من أحدٍ في سومر ما فرائصُه ارتعدتْ يومَ من منادينا سمعَ ماسمعَ الاّ تينكم الساحرة .. فكأنَّ قلبها أمراً ادرك وأمراً اخر لم يدرك .

إتّكأ ابن شيش بكتفه على حجر روح الالـــه آنْ .. مُتِّعـــتَ بالمغفرة ، بُنَي ليلَوم ، فغفرتَ لشيخك الذي قلبُه وَهنَ ، فما عـــاد إلاّ نَزراً من القول يدركُ .. هلاّ تحدثتَ ، بُنَي ، فنطقتَ بكلمة أيَّ أمـــر قلبُ تينكم المرأة ادركَ ، وما الآخر الذي دونه قلبَها غَلَّقتْ ؟.

.. أبوابَ قلبها شرَّعتْ لكلمة أنَّ في السماء إلهاً كبيراً قديراً ، إسمــه آنْ، الاشياءَ جميعها خلقَ، بكلمة إرادته ينطقُ فيُحيي الشيءَ والــشيءَ يُميتُ اذ بكلمة ارادته ينطقُ .. ثم الى قلبها انقلبتْ، فأبوابه غلَّقــتْ دون كلمة أنَّ ليلَوم إيناكلي بمصاف أبناء الاله آنْ ، وأنَّ الاله آنْ اليه صَوْنَ، نواميسِ المملكة أوكلَ ؛ وأنَّ الاله آنْ باطشٌ بمَنْ بالسوء ليلَوم الملَك او مملكتَه مسَّ .

.. فإلى مَ بعينيك قذفتَ فإلى الحق رأيتَ في قولتك أنَّ تيـــنكم المـــرأة أبوابَ قلبها شرَّعتْ لكلمة أنَّ في السماء إلهاً كبيراً إسمه آنْ ؟.. مـــا ادراك انها دون تينكم الكلمة ايضا أبوابَ قلبها ماغلَّقتْ؟.

كان ثمة ظلٌّ حذاءَ أحدِ جدران باحة المعبد ، فالتفت ليلَوم الملك نحوه وتبسَّم .. مُضنىً في وقفتك هذه شيخي الجليل وانت مُتَّكيءٌ الى حَجَر روح الاله آنْ .. اين السَنجا ؟.. ألا جعلته شيخي ابن شيش أحـــدَ فتيانه يأمرُ فحصيراً لنا يبسطُ في ذينك الظلِّ ، إيّاه نقتعدُ .

فاستوى آلْ المعبد واقفاً دونما سَنَد يـــستند اليـــه ، ونـــادى السَنجا يُظْهِرُه على مشيئة الملك . فلم يجب ليلَوم الملك الاّ بعـــد أنْ اقتعد وابن شيش الحصيرَ ، والظلُّ يغمرُهما ويزيدُ .. عِ يـــا شـــيخي الجليل أنَّ بشراً مهما فظاظةُ قلبه كانت لَمُلاقٍ عَنَتاً إنْ هـــو وجـــودَ الخالق الكبير جَحَدَ ، ذينكم الذي في السماء بيته .. فإنْ من الجاحدين كان هو ، ألا ينبغي له أنْ يتحدث بعد ذاك فينطقُ ، فقولتُـــه بـــالحق

تكون ؟.. ثم بالسؤال إليَّ شيخي الجليل ستقذفُ : ماذانكم الحقُّ يا ابن العزيز إيناكلي في قولةٍ ينبغي للجاحد أنْ بها ينطقَ ؟.. فقولتي لك أنْ يا ايها السائل يا ابن شيش يا شيخي أنتَ ؛ اليكَ جوابي فإليــه أُذنَيــك إذلل: جاحدُ وجود الخالق الكبير ينبغي له أنْ ينطق بكلمة أنَّه الى خالقٍ آخر يرى فإيّاه يجد ، في السماء او في الارض او في أي مكان آخر .. أنْ الى خالق آخر يرى غير الخالق الكبير فإيّاه يجد .. ينبغــي لــذينك الجاحد أنْ ينطق بكلمة أنَّه يرى خالق آخرَ .. الاشياءَ جميعها خلــقَ ؛ بكلمة إرادته ينطقُ فيُحيي ويُميتُ اذ بكلمة ارادته ينطقُ .. فيا شيخي، أمنصفٌ من البشر قولةٌ كهذه بوسعه أنْ بها ينطقَ ؟.. لا .. لا .. يا ابن شيش شيخي المُبجَّل أنتَ ؛ لامنصفاً من البشر بوسعه لوجود الخــالق الكبير أنْ جاحداً يكون .. لا تانكم الساحرة إمرأة ابن آينمر ولاسواها من البشر .. فلاغروَ اذن أنْ ابوابَ قلبها شرَّعتْ لكلمة أنَّ في السماء إلهاً كبيراً قديراً إسمُه آنْ .

كان مِيْسلِم ابن شيش ينود برأسه وهو يصغي ؛ واذ أمسكَ ليلَوم الملك عن الحَديث ، ربما ليتزوَّد بنَفَسٍ ، أدخلَ هو لسانَه وعيناه من وراء كثيف شعر حاجبَيه تنظران الى اشتباك أصابع كفَّيه ببعضها .. ماذهبتْ اليه قولتُك ، بُنَي ليلَوم ، أنَّ المُنصفَ من البشر ليس بوســعه أنْ لوجود الخالق الكبير الاله آنْ جاحداً يكون ؛ انما بوسعه أنْ جاحداً يكون لقولةٍ بها الاله آنْ نطقَ .. قولة أنّه لابن إيناكلي قد أوكلَ صَوْنَ نواميس المملَكة ، وأنَّ ابن إيناكلي ليلَوم الملك هو بمصاف أبنائه .

.. ذلكم هو .. ذلكم هو .. ذلكم هو يا شيخي الجليل .. فالمنصفُ من البشر بالسؤال سيقذفُ : لماذا ابن إيناكلي دون غــيره ؟.. أحكــيمٌ هو؟.. من البشر ثمة مَنْ هو أحكم منه لابد .. أكريمٌ هو ؟.. من البشر

ثمة مَنْ أكرم منه لابد .. أصادقٌ هو ؟.. من البشر ثمة مَنْ أصدق منه لابد. أشجاعٌ ابن إيناكلي هو ؟.. من البشر ثمة من اشجع منه لابد . أمعشرُه دَمثٌ ؟.. من البشر ثمة مَنْ أدمثَ منه معشراً لابد .. وهكذا يا شيخي الجليل ؛ المُنصفُ من البشر بتينكم الاسئلة وغيرها سيقذُف ؛ ولا أحداً سيجيبُ فيُقنعُ ، اذ لا قُدسيةَ لَمن في القياس يقعُ .. بشرٌ هو ابن إيناكلي ، عليه العينُ قد وقعت فألفتُه أطولَ من الآخر الى جانبه او أقصرَ ؛ أنحفَ من الاخر الى جانبه او أبدنَ ؛ أبيضَ من الآخر الى جانبه او أسودَ .. بشرٌ هو ابن إيناكلي ، عليه قولةُ القياس قد وقعتْ ؛ ومَنْ قولة القياس قد وقعتْ عليه لا قُدسيةَ له .. مُقدَّس هو الخالقُ الكبيرُ آنْ فتألَّه لأنَّ قولةً للقياس عليه لا تقع اذ لا عينَ وقعت عليـــه ولا أُذنٌ .. فحُقَّ لتينكم الساحرة إمرأة ابن آينمر أنْ أبوابَ قلبها تُغلِّقَ دون كلمة أنَّ الاله آنْ لليلَوم ابن إيناكلي صَوْنَ نواميس المملكة قد أوكلَ ..

.. ألا أنَّ أُذني للعزيز إيناكلي لا لغيره لتَستمعان في رمشة العين هذه .. مُتِّعتَ بالهناء فمنَحتنيه ، بُنَي ليلَوم ؛ تحدَّثْ فانطقْ لعلك بالهناء مُتــرِعٌ قلبي .. إنْ كانت قولةٌ نطق بها الاله آنْ قد جحدتها تانكم المرأة .. قولةٌ إيّاك صيَّرتْ أنتَ ليلَوم ابن إيناكلي بمصاف ابنائـــه ، قائمـــاً علـــى النواميس التي وضعَها هو لمملكتك ؛ فلماذا قلوبُ الناس لتينكم القولةِ قد صدعتْ ، فاذا بكَ فيهم إبناً من أبناء الاله آنْ وتعيسٌ مَنْ إيّـــاكَ يَمسس بسوء ؟؟.. لماذا وحدها امرأةُ ابن آينمر مَنْ تينكم القولة قـــد جحَدتْ ؟.. لماذا ؟؟!.

ظلَّ الجدارِ ينحسر فيضيقُ على الملك وآلْ المعبد ، فلم يجـــدا بُدّاً ، واحداً تلو الآخر ، من جَذْب سيقانهما وعقدها تحتهما يتربَّعـــان على الحصير . ليلَوم الملك كان اول مَنْ جذب ساقَيه وهو يُجيـــب ..

ماأدراك أنَّ قلوبَ الناس لتينك القولة قد صدَعتْ شيخي المُبجَّل ؟.. انما هو الخوف او الطمع ما جعل قلوبَهم لتينك القولة صادعةً.. او لعلَّ قلوبَهم وَهَنتْ فخارت اذ فرائصُهم ارتعدت بينما كانوا لنداء مُنادينا أسماعَهم يُذللون .. فقولتُهم لأنفسهم وهُم ذُعراً يرتعدون : مادام ابن إيناكلي صدقَ في قولة أنَّ إلهاً كبيراً قديراً في السماء اسمه آنْ ، يُحيي الشيء والشيءَ يُميتُ ، خالق الاشياء جميعها ، فقولةُ أنَّه بمصاف أبناء الاله آنْ صادقةٌ هي الاخرى لابد .. اذن فقلوبُهم صدَعتْ ليس لانها ادركتْ قولةَ أنَّ ليلَوم ابن إيناكلي الاله الكبير آنْ إيّاه اصطفى من دون جميع البشر ، وانما لأنَّ وجودَ الاله آنْ خالقاً كبيراً ؛ بيتُه في السماء ، قلوبُهم قد ادركتْ قبلاً ..

كان حاجبا ابن شيش قد انعقدا قبل أنْ يبلغ ليلَوم الملك هذا المبلغ من حديثه ؛ فعند هذا المبلغ انما قاطعه .. أبقولتك هذه تعني انْ لو كان شيخك مِيْسلِم ابن شيش قد ادّعى أنَّ الاله القدير آنْ إيّاه اصطفى من دون جميع البشر ، لقلوبٌ تينكم القولةَ قد ادركتْ ، وكان ادعاؤه حقّاً صُراحاً لا باطلَ إيّاه يأتي ؛ لا لعلّة إلاّ لان الاله القدير آنْ تينكم القلوبُ إيّاه قد أدركت قبلاً ؟؟!.. لاً .. لا .. لا بُنَي ليلَوم لا .. قولةٌ هذه على قلب شيخك إدراكُها قد تعسَّر .

تبسَّم ليلَوم الملك ، ثم بهدوء المتيقّن .. مجنونٌ مَنْ تينكم القولة قد ادعى قبل أنْ لذراعه سطوةٌ تكون ، وفي عبِّه مالُ الأبصارَ يغشي لَصيفُهُ .. حسنٌ شيخي الجليل ؛ لذراعك سطوةٌ لتكنْ وفي عبِّك مالٌ على الرؤوس تنثرُه .. عند ذاك ، حَسْب ، ماشئت إدَّعِ فالقلوبُ لقولتك مُشرَعةٌ أبوابُها ..

ثم ما كان من ليلَوم الملك إلاّ أنْ يقطع حديثه فقد اندفع صبي الى باحة

المعبد يعدو ، والى شوكليتو انتهى . لم يدعه شوكليتو يتحدث بصوت مسموع ، فقد انحنى عليه يُدني أُذنَه من فمه. ثم سرعان ما طلب شوكليتو الاذن من الملك فثمة مايستدعي هرَعَه الى بيته في الحال .

يقول شوكليتو أنَّ هاجساً استحوذ عليه وهو في طريقه الى بيته ؛ وقد صدق ذانكم الهاجس اذ ألفى امرأةً من جِرسونن في انتظاره. فما طال لقاؤه بها بعد ذاك ، وعاد أدراجه الى المعبد حيث اشرأبَّ عُنُقا الملك والشيخ مِيْسلِم نحوه وكان الصمت يسود مجلسهما. لم يكن يعدو وهو يدلف الى باحة المعبد ، الاّ أنَّه لم يكن يسير الهوينا ايضا .. خُطاه موسعةً هميمةً كانت ، فما يحمله الى الملك لايحتمل التأخير . لذا فقد كان يلهث حين جثا امام الرجلين المقتعدين الحصير؛ ثم تدفق .. يا مَنْ لاعظيمَ سواه في سومر ..الحق كل الحق فيما تحدثتَ فبه نطقتَ .. حقٌّ صُراح هو ذانكم الذي تحدَّثتَ فبه نطقتَ .. ابن آينمر كاجينا وامرأته نَنْ دادا وأمارجي وصيفتها في بلاط ننورتا .. لننورتا كاجينا وزيرا صار .. ننورتا بسحر جسدها نَنْ دادا إفتَتَنتْ .. ساقيتَه كانت وآلْ معبد الاله أنليل ستكون .. إفتَتَنتْه ، فكاجينا الى يمينه وضعَ .. وزيراً له صار .. وكاجينا وزيرُه منادياً له وضعَ ؛ ونَنْ دادا مَنْ قولتُها كانت أنْ ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا بمصاف ابن الاله القدير أنليل هو ، وتعيسُ حظٌ ابن تعيس حظٍّ مَنْ إيّاه مسَّ أو مملكتَه بسوء..

فصرخ مِيْسلِم ابن شيش مُقاطعاً : كاركلا لا ولداً له كان .. قولتي هذه لكم كانت ، فلا لساناً ناطقاً بكاركلا يكون .

واردف ليلَوم الملك يضيف .. لا بكاركلا ولا بأورجولا لساناً ناطقاً يكون .

فتلعثم شوكليتو وانحنى أمامهما وهو جاث .. مُتِّعتما بالمغفرة ايها العظيم مليكنا وياآلْ المعبد شيخنا ابن شيش ، فغفرتما لي .. إنْ هو انما ما المراةُ من جِرسونن إليَّ حملت عن الوصيفة أمارجي ، أمامكمـــا بسطتُ ، مثلما في أُذني وقعَ .. مثلما وقعَ في أُذني امامكما بسطتُ .. فبهذا الاسم انما نَنْ دادا ورجُلُها ابن آينمر يناديان ننورتا باتا ؛ وبهذا الاسم انما جعلا المنادي يدور في جِرسونن وفي القرى من حولها فـــبين الناس يعلن أنَّ هذا الذي لاأبَ له بمصاف ابن الاله القدير أنليل هو ، وأنَّ الاله القدير أنليل على صَوْن نواميس مملكة جِرسونن إيّـــاه قـــد أوكَلَ .. وتعيسُ حظٌ ابن تعيس حظٍّ مَنْ ابن الاله القدير أنليل يمسس أو بعين الطمعَ الى مُلْكه قد رأى .. ثم نَنْ دادا في قلب ننورتـــا قـــد ادخلتْ ، وهي في حُضنه جالسةً ، أنْ معبداً للاله أنليل يُقـــيمَ .. الى جوار قصره معبداً للاله أنليل يُقيم لابد .

يقول شوكليتو انه حين استوى من انحناءته فرفع رأسه الفى ليلَوم الملك واقفاً يلتصق بالجدار وراءه . ومع أنَّ وجه ليلَوم الملك متجهِّماً كان ، لا فُسحةَ لانبساط فيه ، إلاّ انه لم يفته أنْ يتنبَّه الى جثوة حاجبه الـــتي طالت إذ اشار اليه ان أنهضْ من جثوتك . ثم مدَّ يده الى ميْسلِم ابـــن شيش الذي ما برحَ مقتعداً الحصير على الرغم من أنَّ ظلَّ الجدار قـــد ضاقَ كثيراً .. شيخي الجليل من جلستك ألا نهضتَ .. لا ظلاًّ هُناُ به قد تبقّى .. فلمّا انتهى ابن شيش واقفاً ازاءه .. أفبعدَ الذي في اذنك وقعَ مما تحدث شوكليتو فبه نطقَ الان ، تسأل لِمَ حسبتُ أنَّ تيـــنكم الساحرة قلبُها لقولة أنَّ ابن إيناكلي بمصاف أبناء الاله آنْ لم يدرك ؟..

يا شيخي ابن شيش ميْسلِم أنتَ ؛ أما زلت بهذا السؤال إليَّ تقذفُ ؟. .. غطاءٌ لاأرى قد انكشفَ بَعدُ ؛ فها أنذا بذينكم السؤال ألهجُ : لِمَ

حسبتَ ، بُنَي ليلَوم ، وتحسب ان امراة ابن آينمر لتينكم القولة قلبُها ما أدرك قطّ .. لِمَ بُنَي ليلَوم لِمَ ؟.. لماذا مثل باقي النـــاس لا تكـــون هي؟.. او لعلني على لساني سؤالاً اكثر فصاحةً أضعُ : يا ابن العزيـــز إيناكلي بُنَي ليلَوم أنتَ ، كيف اهتديتَ الى أنَّ تينكم المراة ليس كباقي الناس في مملكتك هي فلا قلبُها أدرك قط أنَّك ، أنـــتَ ليلَـــوم ابـــن إيناكلي، بمصاف أبناء الاله آنْ ؛ اليك الاله آنْ صَوْنَ نواميس المملكة أوكلَ؟؟.

.. حَسنٌ شيخي الجليل .. هاانت بالسؤال مابرحتَ تقذفُ .. ايهـــا السائل اليك جوابي فأُذنيك إذللْ .. تانكم الساحرة منذ في مـــدينتنا كانت ، لو أنَّ قلبها تينكم القولةَ أدركَ لما اجترأتْ وعلى لسان ابـــن آينمر وضعتْ ماتحدَّث فبه أمامنا نطقَ ..

.. نسيتُ الذي نطق به ذانكم الفتى أمامكم ، بُنَي ليلَوم .. بطرفٍ من حديثه إيّاي إسعفْ .. بطرفٍ من حديثه ، حَسْب ، إسعفْ .

.. بل بكامل ماتحدث فنطقَ به أمامنا إيّاك أسعفُ .. أمامي ابن آينمر جثا ولسانُه بما حمَّلتْ تانكم الساحرة نطقَ : معبداً للاله آنْ أُقيمُ لابد .. لِصقَ قصري إيّاه أُقيمُ حتى يتذكَّر من ينسى من النـــاس ، وهـــم يتعبدون ، أنني ليلَوم ابن إيناكلي بمصاف أبناء الاله آنْ ، ذانكم الذي يُحيي ويُميتُ .. ثم تحدث ابن آينمر فنطقَ : خزانةُ المعبد من أمـــوال الناس لا من خزائن قصر الملك لابد .. وللمعبد آلْ وسَنجا وفتيـــان للسَنجا لابد ؛ وقرابين ثاغية وراغية يتقبّلها آلْ المعبـــد لابـــد ؛ وآلْ المعبد إمرأةٌ حسناء هي لابد ؛ ولاأجملَ من نَنْ دادا في سومر بأسرها ، فنَنْ دادا هي آلْ المعبد لابد .. ذانكم ماتحدث ابن آينمر فلسانه بـــه نطقَ .. أكلامَ بشَرٍ في هذا ترى أم كلاماً للاله آنْ هو ؟.. أمشيئةَ بشَرٍ

هذا الذي سمعتَ شيخي المُبجَّل أم مشيئةُ الاله آنْ هـــي ؟.. تحـــدَّثْ فبالجواب إنطقْ شيخي ابن شيش .
.. بُنَي ليلَوم لا الاله آنْ ولاغيره من أبنائه الآلهة ينطقُ بقولـــة أنَّ آلْ المعبد إمرأةٌ حسناء لابد ، بل ونَنْ دادا اسمُها لابد .. بُني ليلَوم كـــلامُ بشَرٍ هذا الذي في أُذني وقع لا كلامَ اله ، ومشيئة بَشَر لا مشيئةَ إلـــه هي ..
.. مُتِّعتَ بطول العمر شيخي الجليل .. انها بقولتها هذه ، تينكم التي على لسان رجُلِها وضعتْ، انما ارادت أنْ إليَّ بالمعنى الذي في قلبـــها تقذفَ ، فقلبي إيّاه يدركُ .. المعنى الذي به إليَّ قد قذفتْ هـــو أنَّـــني ادَّعيتُ القولةَ التي بها ابن زاجيري قد دار في المدينة وفي ارجاء المملكة، تينكم التي إبناً للاله آنْ إيّاي صيَّرتْ وموكَلاً منه على صَوْن نواميس المملكة ؛ وتعيسٌ مَنْ إيّاي بسوء يمسُّ او مملكتي .. وأنَّ لافـــرقَ بـــين تينكم القولة وقولتها هي التي بها ابن آينمر قد نطقَ .. كلاهما للسان بشرٍ تعود .. قولتُها اذن شيخي ابن شيش هي أنَّها علَم اليقين تعلمُ ان ما به ابن زاجيري لاما منادينا قد دار محضُ ادّعاء هو ، والاله آنْ منه براء .. فقولةٌ للسان حالها باتت هي : إنْ كنتَ يا ابن إيناكلي ليلَـــوم أنتَ بوسعك الادّعاء فلِمَ نَنْ دادا لاتدَّعي ؟.. فعلى إقامة المعبـــد الى جوار قصري إيّاي أرغمتْ قولةُ لسان حالها هذه ، وما كنـــتُ لأفَـــه بكلمة واحدة .. قولتُك لي شيخي ابن شيش يوماً ، اذ عن بناء المَعبد تحدَّثنا ، ليست هي ماإيّاي دفعَ الى أنْ ببناء المعبد أرتضي .. قولةُ لسان حال هذه الساحرة ماإيّاي أرغمَ .. ثم الكَرَّةَ تُعيدُ في جِرسونن ، فتشاء فتدَّعي .. ما شاء لها الادعاء تدَّعي .. في بلاط الذي لاأبَ له تـــشاءُ فتدعي ، فالجذَلُ إيّاه يستخفُّ .. ذانكم الذي لاأبَ له إيّاه الجـــذَلُ

يستخفُّ ، فقد نام فاستيقظَ فاذا به إبناً للاله القدير أنليل يكـــون .. قولتُها له أنَّه إبنُ الاله القدير أنليل هو ، فلماذا الجَذَلُ إيّاه لايستخفُّ ، فمعبداً للاله أنليل يُقيمُ ، وفي المعبد نَنْ دادا آلْ تكـــون ؟؟.. ومـــرَّةً اخرى معقودٌ لساني ، فليس بكلمة ينبسُ .. تانكم الساحرة لـــساني عَقَدتْ .. تحدَّثْ شيخي الجليل فانطقْ ؛ هل بوسع ليلَوم ابن إيناكلي ، بعد الذي في أُذنك من كلامه قد وقَعَ ، أنْ بالحقِّ يقـــذفَ فلتيـــنكم الساحرة إدّعاءها يبطلُ ؟.. هل بوسع ابن إيناكلي ليلَوم أنْ فمَه يفتحَ ، فالناسُ في جِرسونن وسواها يسمعون أنَّ ننورتا الذي لاأبَ له لـــيس للاله القدير أنليل إبنا هو ؟..

واذا بمِيْسلِم ابن شيش يتهدَّج صوته ، وهو يشرع بالحديث ، فكأنَّه يوشكُ أَنْ يجهش بالبكاء .. إي بُنَي ليلَوم ماذا بنفسك وبأهلك قد صنَعتَ ؟.. بل ماذا بسائر البشر في سومر او سواها من أرضين قد صنعتَ ؟. إنْ هي إلاّ يومَ ارتضيتَ أنْ على هذه الارض وناسها مَلكاً تكون .. منذئذ وما به يداك تأتي الى الأسوء يُفضي ؛ فما ليديك حسنُ نيَّة سريرتِك قد شفعَ .. ألا يا ابن العزيز إيناكلي أنَّ سَحَرةً غير تينكم المرأة على الارض سيظهرون .. في كل زمان ومكان سيظهرون ، فما صادَّاً ولارادَّاً لما يدَّعون .. فاذا الواسعةُ بالممالك تغصُّ وبأبناء الآلهة ، ملوكِها ، تحتشدُ وتعيسُ حظٍّ ابنُ تعيسِ حظٍّ مَنْ الملوكَ أولاء يَمسس او ممالكهم بسوء .. ألا أنَّ الأرضين كلَّ الارضين بالمعابد ســتُبتلى ، فأموال الناس وثاغياهم وراغياهم نهبٌ .. بل قلوبُهم بمداركها نَهبُ ، وليس للسان أنْ بكلمة على غير مشيئة آلْ المعبد يفه ، بُنَي ليلَـــوم .. فماذا بالبشَرٍ ، جميع البشَرِ ، قد صنعتَ ؟.. إيه بُنَي ليلَوم .. إيه بُنَـــي ليلَوم ..

وانخرط ببكاء راح يخضُّه خضّاً ، فما ألفى ليلَــوم نفــسه إلاّ مُجهِشاً ينتحبُ . يقول شوكليتو أنَّه لم يعد يميِّزهــا بوضــوح فقــد اغرورقتْ عيناه بغلالتي دَمعٍ هو الآخر .

لا .. لا .. ما عدتُ بحاجة الى أنْ أرى الدولابَ يلفُّ تحت أجفاني حتى يأخذ بي الغثيان فتنحرفُ عيناي وبإحدى الركيزتين المعدنيتين تتشبَّثان . الغثيان أخذَ بي إنْ رأيتُ الدولابَ تحت أجفاني بالاولاد يلفُّ أم لم أرَه ، فالدنيا كلها باتت تدور وتدور ، وعيناي تزوغان وتزوغان فلا تكادان تستقرّان على ركيزة معدنية تتشبثان بها ..

..؛ في يوم ، بعد اربعة عشر قرناً او يزيد من أيام ليلَوم الملــك ابــن الحكيم إيناكلي ، قرأ إبرامُ في لوح أمام تارح ابن ناحور أبيه وأُمّه أنَّ الاله القدير أنليل هو المُحسن للبشر ولكل ماخلقه من أشياء في أبدانها حياة تدبُّ ، وهو الرحيمُ بها فلا أرحم منه ؛ انه الخالقُ والمُدبِّر ؛ انه هو الذي من الليل النهارَ كلَّ يومٍ يُخرجُ ، وانه هو الــذي مــن الارض البذور والزرع يُخرجُ ؛ انه هو الخيرَ جالبٌ فهو وليس غيره مَنْ الغيمَ يسوقُ والمطرَ يُنزلُ ؛ انه هو مَنْ المحراث والفأس صنَعَ ، وهو الحكــيم الذي كلامَه لا يُبدِّلُ ؛ البشرُ لا يعرف مصيرَه وأنَّ الاله القدير أنليل هو مَنْ مصيرَ البشرِ يُقدِّر وهو المُقدِّر لمصائر الأشياء جميعها .. انه هو مَنْ عيناه كلَّ شيء تبصران إينما كان ذانكم الشيء في السماء أو على الارض او تحت الارض .. تحت الماء او فوق الماء ؛ انه هو العادل ولا أعدل منه ؛ وانه هو المتفكِّر ..

.. ذانكم هو .. ذانكم هو – صرخ تارح ابن ناحور يقاطع إبرامَ ولده ووجهُه بالحبور يطفحُ .. يا ابن تارح ابن ناحور ياإبرام أنتَ ؛ ذانكم انما هو اللوح الذي في خزانتي أحفظُ .. في قلبك ضَعْه وفي خــزانتي

أحفظهُ .. لأبنائك من بعدك إحفَظْه .. لا اله الاّ أنليل القدير وبيتُـــه ليس في نُفَّر ، في السماء بيته . ولكنْ في الواح سومر – قال إبرام – تانكم التي في قلبي أضعُ ، آلهةٌ أُخرى سوى الاله القدير أنليل ، وابـــو ساراي الجميلة كلَّها يعرفُها .. ابو ساراي الجميلة في قلبه كلَّ الـــواح سومر قد وضعَ وسيسألُني يا ابن تارح ابن ناحور ياإبرامُ أنتَ إجعـــلْ لسانَك يذكر آلهة سومر . فاذا جوابي أنْ لا اله في سومر سوى الالـــه القدير أنليل ، بيدَيه سيَدعُّني والى خارج بيته بي سيُلقي ثم لي يقول أنَّ ساراي الجميلة لايخطبُها إبرام ابن تارح ابن ناحور ؛ فتىً من أُور آخر سيخطبُها ، وسأهوي على قدميه وأبكي وسيركلني والى بيته يدلفُ ثم بابَ بيته وراءه يغلقُ . فمَك إغلقْ – أعولَ تارح ابن نـــاحور وهـــو ينتفضُ منتصباً فوق رأس ولده - .. وإنْ ساراي ابنة ذينكم البغـــل الحرون من أُور فتىً آخر يخطبُها ، لسانُك بغير الاله القدير أنليـــل لا ينطقُ . ذانكم كيف يكون يا ابن ناحور ياتارح أبي ؟!.. ذانكم كيف يكون ؟!- قال إبرام وهو ينظر الى أُمِّه يستغيث بها . ياتارح يا ابـــن ناحور أنتَ – قالت أُم إبرام بحزم – بالفتى إبرام إرفقْ ودَعْه لـــذينكم الرجل يقول ما مكتوباً هو في ألواح سومر .. كل اسماء الآلهة إبـــرام بلسانه ينطقُها ، فالرجلُ يفرحُ فلا يُلقي بإبرام خارج بيتـــه فـــساراي الجميلة يخطبُها ؛ ثم لايكون من ضَرَرٍ فما في خزانتك إلاّ الواح لا إلهَ فيها سوى الاله القدير أنليل ..إبنك إبرامُ بيده نسخَها مـــن جديـــد وبيدك أنتَ حفظتها . فلمّا أطرقَ تارح ابن ناحور يتأمَّل الحلَّ الـــذي اقترحته إمرأتُه ، هوى إبرام على يدَيّ تارح أبيه يلثمها وهو يتوسَّـــل اليه أنْ يبارك مارأته أُمّه . ما دبرته أُمُّك فليكنْ – قال تارح ابن ناحور – ولكن لوحاً مكتوباً فيه إلهُ سوى الاله القدير أنليل في خـــزانتي لا

أحفظُ ..قولتي هذه في قلبك تضعُ ؛ فلا عنها تذهلُ .

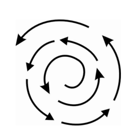
وما ذهل عن تينكم القولة إبرامُ بعد ذاك قَطّ . حتى أنَّ أُمه باتت تروي عنه انه كان يقرأ اللوح مرتين : مرَّةً امام تارح أبيه وقد نسخ اللوح من جديد فلا يرد فيه ذكرٌ لاسم إله آخر غير أنليل ؛ ومرةً يقرأ لها بعد أنْ يأوي تارح ابن ناحور الى فراشه .. في تينكم القراءة ، وهي في اللوح كما نسخته يد السومري قبل يومهم ذاك بقرون ، ينطقُ لسان إبرام ، ولدها ، بأسماء لآلهة كُثر . ففي قراءة في لوحٍ أمام تارح ابن ناحور أبيه : واذ البشَرُ على الارض عديدُهم زادَ زادَتْ شرورُهم وتعددت ، فإلى الاله القدير أنليل يَمَّمَ الآلهة الصغار يشكون ودموعُهم من أعينهم مثل المطر تنذرفُ .. أنليل الاله القدير قولتُه لهم أنَّ الذي من البشر شرّاً يصنع ، فعلى فعلته شهودٌ من بني جلدته يشهدون ، الى العالم السفلي به ألقي حيثُ العقابُ مدى الزمان يكون ؛ وأنَّ الذي من البشر خيراً يصنعُ ، فإلى الفردوس التي أنتم تسكنون به أبعثُ . الآلهة الصغار دموعَهم كفكفوا وصاروا أمام أبيهم الاله القدير أنليل يرقصون وهم يسمعون فوق رؤوسهم مثل الرعد صوتَه أنْ كلُّ مَنْ من البشر سبيلَ العدوان سلكَ والميزانَ بخسَ والحرامَ أكلَ وشربَ ، وكلُّ مَنْ من البشر العهودَ تخطّى والقانونَ ، فعليه من بني جلدته يَشهدُ ، فإلى العالم السُفليّ به ألقي ؛ فعقابُه مدى الزمان يكون .

ولكن بعد أنْ آوى تارح ابن ناحور الى فراشه فغفا ، استلَّ إبرامُ من جعبته لوحاً آخر وجعل يقرأ لامه ، فعلمت أُمه أنَّ الاله القدير أنليل نطق بكلمة إرادته ثم أوكلَ الامرَ للإلهة نانشه والإلهة ندابا تقومان على إنزال العقاب بمَنْ سبيلَ العدوان سلكَ من البشر وبخسَ

الميزانَ ومَنْ الحرامَ أكلَ وشربَ والعهودَ تخطّى والقانونَ ، اذ من بـــني جلدته شهودٌ يشهدون على فعلته .

ثم لإيّا إله الحكمة أوكلَ الالهُ القدير أنليل أنْ يقيمَ الفردوسَ ..

بعد ذاك إبرامُ ابن تارح ابن ناحور صمتَ ، فـــلا كلمـــة في ذينكم اللوح يجدها فيقرؤها على أُمّه.



على قدمَيه ليلَوم الملك سعى ، بعد أنْ أظهرَه شوكليتو على أنَّ الشبّان الاربعة لايدخلون بلاطاً وإنْ كان بلاطَ الحكيم ليلَوم ابن الحكيم إيناكلي . فما أنْ انطوى غَسقُ ذينكم اليوم وتلاشى آخر نثار لضوء النهار بين طيّات الظُلمة الآخذة بالمدينة ، نشر ليلَوم الملك قطعةَ رداء على رأسه وسعى صوبَ الرابية المعشوشبة يتقدمه شوكليتو بسراجٍ كليلِ الذُبالة . فاذا ما بلغا الرابية وارتقيا منحدرَها بان لهما جمعُ الشبّان يجلسون متحلّقين حول سراجهم ، الذي ما كان ضوؤه وسطهم ليُظهرَهم سوى محض اشباح . ولقد أخبر أُوبار اباه بعد حين أنَّ لوسين ابن لولو واوردلا ابن سُرار وهو كانوا يقتعدون حصيرَ البردي المضفور وظهورُهم الى القادمين ، بينما كان نمخاني ابن ايلوتي يقرفص أمامهم خارج الحصير وزِقُّ الجعَّة الى جانبه ، يقف على شأنه . وعلى هذا فقد كان نمخاني اول من هبَّ منهم واقفاً اذ لمحَ من بعيد سراجاً يرتقي منحدرَ الرابية يُضيء رجلَين خلفَه . وعلى الفور لفت انتباه الآخرين الى مايرى ، فالتوت الأعناق ؛ ثم دون إبطاء وقف الجميع . عند ذاك أعلن لوسين ، حتى قبل أنْ يدنو الرجلان منهم ، انهما لن يتعدّيا الملكَ والعمَّ شوكليتو . لقد ميَّزهما على الرغم من أنَّ

رأسيهما ، وليس رأس الملك وحده ، ما برحا متــبرقعين .. ثم هــرع وتبعه صحبه الى تينكم النقطة المضيئة من الرابية يستقبلون الزائرَين .
.. ابواب القلوب فَلتُشرَعنَّ للحكيم ابن الحكيم الملك ليلَــوم ابــن إيناكلي وعمنا شوكليتو .. الرابية هنأتْ باقدامكما تطؤها .
فأسفرَ ليلَوم الملك عن وجهه .. لا غروَ يا ابن لولو لوسين أنــتَ ، أنْ صحبك لّماحاً أسموك .. (والتفَتَ الى شوكليتو).. أوَليس اللمّاح هــو من بينهم ؟.. (فأمَّنَ شوكليتو).. وجهي لم أُظهرْه الاّ في رمشة العــين هذه ، وشوكليتو متوارياً وجهُه ماعتَم .. ألا أنَّ صحبَك الحقِّ ماجانبوا يا ابن لولو .
فندَّت عن الثلاثة الآخرين ضحكاتٌ خفيفة ، ثم انفرد لوسين من بينهم .. الى الرابية هذه والليلُ رابضٌ عليها ، لا أحد من اهل المدينة يُيمِّمُ .. وبعد أنْ أمرُنا بين الناس ذاعَ ، فنحن في أعينهم مَنْ الى السماء رأينــا فالإله الكبير وجدنا فإسماً له منحنا ؛ فقلوبُهم ترتعدُ اذ الرابيــةَ هــذه يرتقون .. الحكيم ابن الحكيم مليكُنا وحدُه وعمُّنــا شــوكليتو مَــنْ السكينةُ في قلبَيهما وهما الينا ييمِّمان .. فلستُ بما إيّاي وصفتَ ، يــا عظيمنا ، جديراً .
.. بل جديرٌ أنتَ يا ابن لولو .. بما إيّاك وصفتُ ، يا ابن لولو لوسين أنتَ ، جديرٌ .. انما الوصفُ الذي أُذناي تأبيان هو قولتُك (عظيمنا) .. وصفٌ هذا أُذنيَّ لن أُذللهما له .. أنتم الاربعة من بين الناس جميعــاً في مملكتنا لن تتحدثوا فبهذا الوصف تنطقوا .. إنْ هو إلاّ من تدبير أفَّاك سيءٍّ ذِكْرٍ .. أنتم الاربعة وحدكم مَنْ بأعينكم وقلوبكم الى الــسماءً قذفتم ، فلَنا الاله آنْ وجدتم .. فلا عظيمَ سواكم ايها الفتيان علــى أرضنا هذه او على سائر الارضين .. سواكم لا عظيمَ ايها الفتيان على

أرضنا وسائر الارضين ، اذ الالهَ آنْ وجدتم .. ولكن تحدثوا فـــانطقوا كيف أمرُكم بين الناس ذاعَ ؟.. قولتُك هذه يا ابن لولو .. أوَليـــست هذه ، انما هي قولتُك يا ابن لولو لوسين أنتَ ؟.

فتجمّعت أعينُ لوسين وأُوبار وأُوردلا على نمخاني ؛ فاذا بالاخير يُعلي صوتَه كأنَّه تنبَّه الى أمرٍ ما ، وهاهو يُلفتُ تنبَّههم اليه .. أوسطَ الرابية واقفاً يبقى مليكُنا والعمٌّ شوكليتو ؟.. (وأشار بذراعه نحـــو موضـــع مجلسهم).. الحصيرُ هناك والزِقُّ ايضا ؛ وبغير كوزي انا ، يا عظيمنا ، إيّاك لن أسقي .

استجاب ليلَوم الملك لإشارة ذراعه وتحرَّك .. قولتي هـــي أنْ بهذا الوصف لن تتحدثوا فتنطقوا ؛ فلماذا يا ابن ايلوتي لسانُك بتينكم الكلمة ينطقُ مابرحَ ؟. الشبان الاربعـــة يـــسيرون خلـــف الملـــك ، وشوكليتو حاملاً سراجَه الى جانب الملك يخطو . فمن فوق كتف الملك جاء ردُّ نمخاني .. لا أحد منّا يماري بأنَّ ابن آينمر كاجينا سيِّءُ ذكـــر أفّاك ؛ إلاّ انه بالحق نطقَ وبالصدق كانت قولتُه اذ دبَّر ، فالناسَ أمرَ اْنْ الحكيم ابن الحكيم مليكنا ليلَوم ابن إيناكلي إيّاه لايخاطبون إلاّ بهـــذا الوصف .. فلا عظيمَ سواك في سومر بأسرها ..

قاطعه ليلَوم الملك دون ان يتوقف عن السير صوب السراج الموضوع على الارض المعشوشبة الى جانب الحصير ، ذانكم الذي بات بمتناول خطى معدودات اخر .. الصواب جانبت يا ابن ايلوتي .. ثمّـــة سواي من هو عظيم ايضا في سومر .. ننورتا الذي على جِرسونن إيّاه الان ابن آينمر يخاطب فقولته له انه الاعظم في سومر .. أَمعنىً لهـــذا الوصف تبقّى يا ابن ايلوتي ؟..

فشهق لوسين ابن لولو ، بينما فشَتْ دمدمةٌ بين الشُبّان الاخرين ، ..

أكاجينا في جِرسونن؟.
أجابه ليلَوم الملك : ولذينك الذي لاأبَ له وزيرٌ هو ؛ وامرأتُه تـانكم الساحرة لمعبد الاله أنليل آلْ ستكون .

صارت دمدمتهم كلاماً مفهوماً ، فاذا هم يردِّدون باندهاش ماقاله الملك . ثم لن يفيقوا فيمسكوا عن دمدمتهم حتى يبلغوا الحصير المُنبسِط ، اذ سيقتعده ليلَوم ابن إيناكلي ثم يدعوهم الى أنْ يجلسوا على جانبيه وقبالته . ثم وهم يجلسون ، استفاق لوسين فتنبَّه .. أقولةُ مليكنا ليلَوم ابن إيناكلي الالهَ آنْ قَصدتْ ؟.. تانكم المرأةُ آلْ لمعبد الاله آنْ في جِرسونن ستكون ؟..
.. يا ابن لولو لوسين أنتَ ؛ أُذينك إذللْ جيداً وانتم ايها الفتيـان .. قولةُ مليككم الاله القدير أنليل قَصَدتْ وليس أباه الاله آنْ .. أوَلستم انتم مَنْ إسماً له منحتم ؟.. ذانكم القدير ، فاصل الارض عن السماء ، الذي أبوه الاله الكبير آنْ قُدراتِه حَباه .. اولستم انتم من إسمـاً لـه منحتم ؟.
لمح شوكليتو نمخاني يُطأطيء رأسه ، وصحبُه يتنـاقلون أنظـارهم في مابينهم فتنتهي عليه . بَيدَ أنَّ نمخاني ابن ايلوتي ما لبثَ أنْ رفع رأسه .. عليَّ منكم أحدٌ عينَيه لن يضعَ .. ماأبصرنا في السماء فتحدثنا فنطقنا به حقٌّ ، والحقُّ في صدورنا لا نحبسُ .. الناسُ ليس في سومر حَسْب ، الناسَ في سائر الارضين لِزاماً علينا أنْ نُظهرَ على ماأبصرنا .. إمْزنا نحن الاربعة عن الحمير والبقر ولِزاماً علينا أنْ بين الناس نَفشي ماأبصرنا ، فينمازون عن حميرهم وبقرَهم هُم ايضاً .. أوَليس حقّاً ما به لساني قد تحرَّك يا ايها الحكيم ليلَوم ابن إيناكلي مليكُنا أنتَ ؟.
.. الحقُّ كل الحق في ما به لسانُك قد تحرَّك ايها الفتى ، إلاّ أنَّ نقصانا

إيّاه يتولى .. نقصانٌ إيّاه يتولى ذانكم الحقّ الذي به لسانُك قد تحرَّك .. أمِنْ مُجيبٌ منكم سؤالاً به أقذفُ ؟.. أمِنْ منكم مَنْ الى لسان الفتى ابن ايلوتي رأى ، فجاء بالنقصان الذي تولّى الحقَّ في مابه نطقَ ؟.

إنبرى أُوردلا ابن سُرار .. إنْ كان لي أنْ ذينكم الرائي أكونَ ، يا ايها الحكيم ليلَوم ابن إيناكلي مليكنا ، فالنقصان آتي به على أنَّه لا أحدَ منا نحن الاربعة ، الرابيةَ قد هبطَ فساقاه إيّاه حَملتْ الى طرقات مدينة ليلَوم والى شعاب القرى فالناسَ يُظْهِرُ ، بنفسه ، على ماأبصرنا ؛ فالأمرُ ساء إذْ فشى ، ونحن عنه غائبون .

لم يتمالك ليلَوم الملك نفسه ، فمال على أُوردلا وقبَّل رأسه ، وقد كان هذا جالساً الى يساره .. ذلكم انما هو النقصان يا ابن اخي ايلوتي في الحقِّ الذي به فِهتَ .. فها انتم يا فخرَ سومر على رابيتكم تجلسون .. الى الناس لاتهبطون ، فالناس مايتسقَّطون مما تبصرون يردِّدون .. هذا كلمةً يزيدُ وكلمةً ذاك يُنقصُ ، فالامرُ ساء اذ فشى وانتم عنه غائبون ، كما بالحق فتانا ابن سُرار نطق .. والقادماتُ في بطونها المزيدُ ، فالأمرُ عند الاله أنليل لن يتوقفَ ، ولا عند معبده في جرسونن يتوقَّفَ .. لأنليل إبناءٌ سيظهرون فمعابُدهم الأرضين تملأُ ؛ كلَّ معبد ملكٌ يُقيمُ ، وعلى كل معبد آلْ يكونُ ؛ ولاأدري ماذا ايضا سيكون ويكون .. يوماً فضلاً إيّاكم سألتُ .. فضلاً يوماً إيّاكم سألتُ أنْ رابيتَكم هذه تهبطون ، فإلى الناس بالحقِّ الذي على ألسنتكم تنطقون .. إنما رجائي خابَ ، فما الى ماإيّاكم سألتُ خففتم ..

هنا طلب لوسين ابن لولو الاذن في الحديث يقاطعُ الملكَ ، فأذنَ له هذا فأمسكَ بطرف حديث لم يكن بعيداً عن لسانه .. يا ايها الحكيم ابن الحكيم ليلَوم ابن إيناكلّي مليكُنا ؛ مُتِّعتَ بالمغفرة فغفرتَ

لي أنّي إيّاك أُقاطعُ .. الذي إيّانا سألتَ يوماً ، ثوباً لنا لم يكن ولايكون .. إنْ نحن إلاّ الى السماء راؤون ، فالحقَّ واجدون .. وما واجدونُه نحن ليس من شؤون المُلْك بشيء ،.. فبشؤون المُلْك لسنا سوى زاهدين .. زُرّاع شعيرٍ نحن ونحن كُرّاع جَعَّة ؛ على عُشبة الرابية نستلقي وبأعيننا الى السماء نقذفُ ، فلا شيءَ نبتغي غير حقٍّ قلوبُنا تدركُ .. الحكـــيم ابن الحكيم ليلَوم ابن إيناكلي مليكُنا الى ذينكم الحقِّ رأى فشأناً مـــن شؤون المُلْك إيّاه صيَّرَ ، وحسبانُه أنَّه انما بصنيعه ذينكم دماً قد حبسَ عن أنهر سومر فلا غير الماء فيها يجري .. ألا أنَّ الصدق كلَّ الصدق في حُسبانه كان .. ألا أنَّ الصدقَ كلَّ الصدق في الذي لسانه به قد نطقَ فقلبُه أدركَ .. لكنَّ الصدرَ بالمرارة مُفعمٌ ؛ فالذي لنفسه أباحَ ، إيّـــاه أباحَ الآخرُ لنفسه .. بالمغفرة مُتِّعتَ يا ايها الحكيم ابن الحكيم مليكُنا فغفرتَ لي اذ اجترىء ، فبما أرى أنَّه الحقُّ أنطقُ ؛ ولأُعدمَنَّ لساني إنْ الباطلُ إيّاه أثقلَ .. إنَّ الحقَّ الذي في السماء رأينا فقلوبُنا إيّاه أدركتْ ليس بماكث في عليائه حقّاً مصوناً إنْ طيناً باتَ في أيـــدينا ، التزّاعـــةُ نفوسُنا إيّاه تطوُّعُ .. حقٌّ هو ومصونٌ مؤلَّهٌ هو مادام في عليائه هناك في السماء ماكثا .. فما أنْ الى الارض يهبط وشأناً من شؤون البشر يكون حتى الأمرُ يسوء .. فيا ايها الحكيم ابن الحكيم مليكنا المبجَّلُ ، أمـــرُ الاله آنْ وابنه الاله أنليل ما ساءَ اذ بين الناس فشى ونحن عنه غائبون ، وانما لانكم إيّاه تلقَّفتم فبأيديكم طيناً إيّاه طوَّعتم .. الاله الكـــبير آنْ والاله القدير ابنه أنليل من البشر لايصطفيان فإبناً منه يتَّخذان .. من البشر لايصطفيان واليه النواميسَ ، التي الاله آنْ وضـــعَ ، صَـــوْنَها يوكلان .. مُتِّعتَ بالمغفرة يا ايها المبجَّل مليكُنا فغفرتَ لفتىً غرٍّ يجترىء إذ يتحدثُ ، فباحق لسانُه ينطقُ .. إنْ إدّعاءَكَ أنَّ الاله الكبير آنْ إيّاك

إصطفى وبمصاف ابنائه إيّاك وضعَ، لهو ادّعاءٌ على لـسان صـاحب جِرسونن يكون وعلى ألسنة ملوكٍ آخرين يكون ؛ اذ انهم جميعاً مثلك بشرٌ ولا حابسَ لألسنتهم من شيءٍ .. ألا أنَّ الدمَ لجارٍ في أنهر سـومر وسواقيها .. لا ماء في أنهر سومر وسواقيها يجري .. دمٌ يجري وأُولياؤه جميعاً يصرخون أنَّ الاله آنْ والاله أنليل وأبناؤهما من دون البشر إيّاهم اصطفوا واليهم صَوْنَ النواميسَ أوكلوا .. ألا أنَّ الحقَّ الذي في السماء طيناً باتَ في أيديكم ونفوسكم النزّاعة تطوِّعهُ .. ألا أنَّ الدمَ في أنهـر سومر وسواقيها لجارٍ ولا حابسَ له .. لا حابسَ له .. لا حابسَ له ..

فلا يزال يردِّد تينكم الكلمات حتى صار يرتعـد فيختـضُّ جسدُه فلا قِبَلَ له به . إنّه يقتعد حصيرَ البردي المـضفور الى جانـب ليلَوم الملك الذي كان لاوياً عُنقَه نحوه يصغي ودمعٌ صامتٌ يلـصفُ تحت ضوء السراجين على وجنتيه . أما وقد انتهى لوسين الى تيـنكم الحال ، صار لدمع الملك صوتٌ كأنَّه صوتُ دافقٍ خَضَّل بياضَ لحيته . فاذا بهذا ينكفيء على ابن لولو يأخذه بين ذراعَيه دون أنْ يجودَ لسانُه بأيما كلمة . يقول شوكليتو أنَّه تساءل مع نفسه في رمشة العين تينكم هل كان ليلَوم الملك بذلكم يحنو على الفتى فيأخذُه في حضنه ، أم تراه كان يلوذ بالفتى ممّا سمعَ منه ؟؟. إنَّ جسديهما الان ، وقد توحّـدا ، يختضّان معاً فلا يكاد الرائي اليهما يُمِّيزُ احدهما عن الآخر .. نـشيجٌ للملك مسموعٌ وآخر في صدر ابن لولو لايسمعه أحدٌ ، تـضافرا ، فكأنَّ لهما ألفَ ذراعٍ أطبقتْ على الرجلين تأخذ بناصيتَيهما .

الشُبّان الثلاثة الآخرون امتقعت وجـوهُهم ، لايريمـون .. لالـساناً لأحدهم تحرَّك ولاتحرَّكتْ يدٌ . على أنَّ أُوبار لن يلبثَ ، ، بعد هُنيهة ، أنْ ينهض من بين صاحبَيه فيدنو من أبيه فيهمس في أُذنه سائلاً عمّا جاء

من أجله ليلَوم الملك .. ماالذي دفعه الى الرابيـــة أصـــلاً ؟. فيقـــول شوكليتو انه لم يحر بجواب ؛ وكل ما وسعَهُ أنْ يوجزه لابنه همـــساً ، ايضا ، انه ذكر له الحال التي صار اليها ليلَوم الملك بعد آخر لقاء جمَعَهُ مع آلْ المعبد الشيخ مِيْسلِم ابن شيش ، ذانك اللقاء الذي كـــاًن في معبد الإله آنْ وقد سعى اليه الملك بنفسه . فلما تابع أُوبـــار همـــسَه يطالب أباه بالاستفاضة ، والملكُ أمامه ولوسين مافتئا يختضّان اختضاضَ جسدٍ واحد ، نظر شوكليتو اليه شَزرا وانتهرَهُ يأمره بالعودة الى حيث كانً يجلس بَعد أنْ قال له بالحرف الواحد بصوت أقرب الى الجَهْر منه الى الهمس : ما إيّاه ابن لولو قد أسمعَ ، ابنُ شيش إيّاه أسمعَ وزادَ عليه .فصدع أُوبار لامر أبيه وعاد الى ما بين صاحبَيه . إلاّ أنَّ شوكليتو يعلم علم اليقين أنَّ ليلَوم ابن إيناكلي منذ لقائه مع مِيْسلِم ابن شيش ، بعد الذي حملتْهُ تانكم المرأة من أخبار جِرسونن وفي طياتها اخبار كاجينا ابن آينمر ونَنْ دادا ، لم يعد هو ذاته ليلَوم ابن إيناكلي ، الحكيم مُـــستقرَّ البال والضمير . أنّه ، ومنذئذ ، رجلٌ غير هانِىء النَفْس اكثر منه ليلَومَ الملك ذي النَفْس الهانئة . إنَّ شوكليتو لَيصوِّر مليكَه بأنَّه كـــان ، في تينكم الايام ، رجلاً حافي القدمَين يسيرُ على جَمْرٍ مُتَّقد .. لايدري اين يُيمِّمُ وبمَنْ يلوذ . حافي القدمين السائرُ على الجَمْر ذاكً أمرَهُ ، والغَسقُ يتلاشى ، أنْ يحملَ السراج ويتقدمه الى خارج سور المدينة حيث الرابية المعشوشبة .. فلبّى وها هو الأمرُ يؤولُ بمليكه حافيَ القدمين الى السير على جَمْر أكثر اتّقاداً . أكان ليلَوم ابن إيناكلي يروم ، بارتقائه الرابية الى الشُبّان الاربعة ، أنْ يُقنعهم بالهبوط الى الناس فاظهارهم على أنَّ ما فشيَ بينهم من أنَّ ننورتا بمصاف ابناء الاله القدير أنليل ماهو إلاّ ادّعاءٌ من تدبير الأفّاك ابن آينمر ، ذانكم الذي باعَ مليكَه ؟.. أكان يـــروم

ذينكم ؟. حسناً أنَّ ليلَوم ابن إيناكلي لَيعلمُ عينَ العلم أنَّ نُشْدَه هذا لن يجدَ في الشُبّان الاربعة أُولاء ثمة مُجيباً . أنّه اذن لفازعٌ ممّا يسكنُ نفسَه الى اللااين ؛ مَثَلُه مَثَلَ حمارٍ إنحشرَ رأسُه في جوف جَرَن فلا فكاكَ لـــه منه ، فهو دائرٌ به على غير هُدىً ينشدُ الخلاصَ وقد يهوي بالجَرَن على صخرة فيتهشمَّ رأسه ، فلا يبالي .. أنه ينشدُ الخلاصَ .

ثم تتقطَّع الايام .. عجلى تتصرَّمُ ، فتبعث أمارجي مرَّةً أُخرى بالمرأة الى شوكليتو فيعلم ليلَوم الملك بأنَّ معبداً للاله أنليل قد قام فعلاً الى جوار قصر ننورتا ، وأنَّ نَنْ دادا آلْ المعبد هي فعلاً .. تُذلِلُ أُذنَيها فتسمعُ ماتنطقُ به روحُ الاله أنليل الساكنة في الحَجَر القائم وسط باحة المعبد ، فتتقبَّل القرابين من الناس وأموالهم لقاءَ رِضا الاله تمنحهم إيّاه اذ يأذنُ لها. لقد انتقلتْ من الدار الصغيرة وأمارجي معها الى جنـــاح خاص ، وليس غرفة كما هي الحال في معبد الاله آنْ في مدينة ليلَوم،.. جناح خاص لها في معبد أنليل . أمّا كاجينا ابن آينمر فقد مُنحَ غرفةً في قصر الملك ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا . قال هذا لاينبغي لـــوزير أنْ مليكَه يفارقَ وأنتَ وزيري ايها السعيد ابن آينمر .. ايها الـــسعيد ابن آينمر كاجينا أنتَ ؛ ليس لوزيرٍ أنْ مليكه يفـــارقَ ، فبقـــصري مسكنُك يكون .

.. مُتِّعتَ بالمغفرة لوزيرك ابن آينمر ، ايها العظيم اذ امامك بقولة ينطقُ .. قولةُ أنْ نَنْ دادا آلْ المعبد إمرأتهُ ولاسواها من امرأة لديه ؛ فمَـــنْ يُقبِّل ويُضاجع وهي في فراشٍ بعيد ؟. اتَّسعت تكشيرةُ ننورتا فلم يبقَ سنٌّ من أسنان فكَّيه كليهما لمَ يظهر ، او هكذا قدَّرت أمارجي الواقفة خلف سيدها وهما يستمعان لحديث الرجلين ؛ ثم جأرَ وقـــد أفـــضتْ تكشيرتُه الى قهقهة : العشرُ العاريات اللائي على دِرْجـــات العـــرش

رأيتَ مُضطجعاتٍ يومَ الى بلاطي أول مرَّةٍ دلفتَ .. إيّاهن أتتذكَّر ؟.
.. اجل يا ايها العظيم .
.. العشرُ العاريات أُولاء لكَ ، إيّاهن تُقبِّل وتضاجعُ ؛ وعن آلْ المعبد نَنْ دادا لاتسألْ من رمشة العين هذه .
.. مُتِّعتَ بالمغفرة ايها العظيم فغفرتَ لي .. كيف يكون ؟.
.. بل يكون ياوزيرنا ابن آينمر .. فآلْ المعبد مقدَّسةٌ ؛ ليس غير أُذنها ما تسمعُ الذي به روحُ الاله القدير أنليل همسُ .. أُذنٌ تسمعُ ما روحُ الاله أنليل به همسُ لَهيَ أُذنٌ لإمرأةٍ مقدسة لابد.. مقدَّسةً لايُقبِّلُ ويضاجعُ إلاّ مثلُها مقدَّسٌ .. أفغير مليككم ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا مُقدَّسٌ بينكم ، وهو من الاله القدير أنليل بمصاف أبنائه ؟.
فما انفرجت شفتا كاجينا يتلفَّظُ بـ: ولكن يا ايها العظيم .. ، حتى قاطعه ننورتا وهو ينبذُ قهقهتَه فيستعيدُ وجهُه سيرتَه الاولى .. أوَلستَ أنتَ مَنْ القولةَ هذه على لسان منادينا وضعَ ، فبها هذا دارَ على أرجاء المملكة ؟.. مليكُكم أيها الناس ننورتا ابن اورجلا ابن كاركلا من الاله القدير أنليل بمصاف ابنائه هو ؛ وتعيسٌ حظٌّ ابن تعيس حظٍّ مَنْ منكم اليه يُسيء والى مملكته .. أوَلستَ أنتَ هذه القولة على لسان مُنادينا واضعُها ؟.
إصفرَّ وجهُ كاجينا ابن آينمر واختلجت شفتاه .. بلى ايها العظيم ولكنْ نَنْ دادا ..
هنا تقدَّمت نَنْ دادا من كاجينا وراحت تخاطبه مُقطِّبةَ الجبين .. يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ؛ مقدَّسةٌ نَنْ دادا الان هي .. آلْ معبد الاله القدير أنليل الان هي ؛ فبشر إيّاها لايُقبِّلُ بعد اليوم ولايضاجعُ ؛ وحتى الملك نورتا ابن أُورجولا ابن كاركلا الذي ابن الاله أنليل هو

إيّاها لا يُقبِّلُ ويضاجعُ إلاّ كلَّ استدارة قمر .. ليس في قصره يضاجعُ بل في غرفة في جناح آلْ المعبد تحت عين الاله القدير أنليل يضاجعُ .. فيأتي رجالٌ البشر بنسائهم ؛ وفي باحة المعبد إيّاهن يُقبِّلون ويضاجعون وهُم الى الملك وآلْ المعبد نَنْ دادا يرون .. فيرى الالهُ أنليل الى ابنه ننورتا الملك وآلْ معبده الجميلة نَنْ دادا يتضاجعان والى البشر رجالِهم ونسائهم يتضاجعون ، فروحُه تنطقُ .. بكلمة الرضا روحُه تنطقُ فالشعيرُ والشجرُ ينبتُ ؛ وباللبن ضروعُ البقر والغنم تُترَعُ ؛ وبالماء الأنهرُ والسواقي تفيضُ .. فالناسُ يفرحون ويرقصون والمملكة على سومر تسودُ .. على سومر بأسرها مملكة جِرسونن تسودُ .. مُنادي الملك ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا في يوم استدارة القمر الى طرقات جِرسونن يسعى فصوتُه يُعلي فالناس يسمعون أنْ الى معبد الاله أنليل مع نسائكم إهرعوا فهو يومُ الخِصْب يومكم هذا .. يومُ رِضا الاله يومكم هذا ، إذْ بعَين الاله نساءكم تُقبِّلون وتضاجعون وبعَين الاله آلْ المعبد الجميلةَ نَنْ دادا مليكُها يُقبِّلُ ويضاجعُ ..

واذا بكاجينا ابن آينمر تستحيل صُفرةُ وجههِ شحوباً ، فكما لو انَّ وجهَه إناءٌ مفخور ، ثم لا تقوى ساقاه على حمله فتنثنيان فيتهالكُ الى الارض وبكاءٌ مريرٌ آخذٌ به . فرفع ننورتا ذراعَه يشير بها ، وهو متربِّع على كرسي عرشه ، ففهم رجلٌ يقوم على خدمته واقفٌ أمام أحد أبواب البلاط ، بابٌ اخر لا البابَ الكبير ، وانفتل يفتح الباب فيدلف الى جناح المحظيات . ثم ما هي الاّ هُنيهة حتى عاد الى البلاط تتبعه النساءُ العشرُ شبه العاريات .. ومن فورهن حفَفنَ بكاجينا المُتهالك الى الارض الذي عبثاً كان يحاول في خنق نشيجه وكفكفة دمعه .. انحنت عليه أربعٌ منهنَّ يُنهضنَه ، بينما أخذتْ خامسةٌ برأسه الى صدرها

فغطس وجهُه في رِجراج نَهدَيها . وهنا انفجر جئيرٌ من فوق العرش ..
العشرُ أُولاء كُلُّهن لكَ ؛ إيّاهن قَبِّلْ وضاجعْ ،والجميلة نَنْ دادا ليــوم
الخِصْب منذورةٌ هي .. بقولة الحقِّ هذه روحُ الالــه القــدير أنليــل
هَمستْ وقولةَ الحقِّ هذه نَنْ دادا الجميلةُ ، آلْ المعبد ، سَــمِعتْ . ثم
امسك ، فلم يعد ثمة صدًى لجئيره في فضاء البلاط .. أمّا وجهه فقــد
تخلى عن أيِّ شيء فيه يُلفت الانتباه اليه عدا تكشيرته الدائمة ، تانك
التي تُبرزُ اسنانَ فكِّه العلوي .

استلَّ كاجينا رأسه من بين نهدَي المرأة ، فاذا بعينيه منتفختَي
الأجفان ووجنتيه مُخضَّلتين . وقبل آنْ ينتزع نفسَه من أيدي النــساء
الخمس ودون أنْ يخطو فيخرج من حلقة النساء العشر ، إشرأبَّ بعينَيه
الى الملك ثم جعلَ يتحدثُ فصوتُه بالدمع منقوعاً كان .. لانساءً عشراً
ولا ألفاً من النساء ما نَنْ دادا يعدلن يا عظيم جِرسونن ياملیكي ايهــا
المعظم أنتَ .. عينا وزيرِكم ابن آينمر قَطُّ لن تقرّا بعد اليوم هــذا ..
وإنْ قرَّتا فليس بشيءٍ أدنى من مُلْك ابن إيناكلي شأناً .. مُلْــك ابــن
إيناكلي ليلَوم ولاشيءَ سواه ما به عينا وزيركم ابن آينمر يا عظيمنــا
تقرُّ .

فانتفض ننورتا منتصباً فوق أعلى نقطة في عرشه ودمدم فــلا
شيءَ يُفهَمُ من جئيره . واذا بكوشاشْكِر يترك موقعَه عند باب البلاط
الكبير ويهرع الى العرش ، الى حيث سيده يدمدم فوقه ، يتبعه رَهــطٌ
من الحرّاس تدفَّقوا من خارج البلاط يرفعون رماحهم ؛ ومديهم تلصفُ
بأيديهم الأُخر . ودون أنْ ينتظر كوشاشْكِر من ننورتا أمراً او توجيها ،
إنقضَّ على كاجينا ابن آينمر وانتزعه من جمع النساء يحمله أعلى مــن
رأسه ثم يقذفُ به صوبَ العرش . فاذا ما هوى هذا على الارض عند

ادنى دِرْجة من دِرْجات سُلَّم العرش ، صار فوقَه الحرّاس في رمشة عين واحدة يسدِّدون أسنَّة رماحِهم الى صدره المُنكشف تحــتَهم . تقــول أمارجي أنَّ الهَلعَ تولاّها فتعسَّر عليها أنْ تُميِّزَ كيف انتهى الامر بننورتا هابطاً من عرشه يرفسُ بكلتا قدمَيه الحُرّاس الذين عرَّشوا على وزيره . ثم ، وقد نَشَّهم عنه ، تفرَّغ لكوشاشْكِر فبصقَ في وجهه وهــو بُعــدُ مقرفِص عند كاجينا يرفع رأسه من الارض .. ايها المسكين وزيرنا ابن آينمر حاجبنا عَمِي وعَمِي حُرّاسنا ، فعدواً لنا فيكَ رأوا ايها المسكين .. إجلس وأُذنَيك إذلِلْ يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ؛ مُلْكُ مَلك إلاّ مثله مَلِكٌ إيّاه يتملَّكُ .. ألا أنَّ الحكمةَ قلبَكَ قد جَفَتْ فلسانُك منَ الحـــقِّ خلا .

ونهض عائداً الى كرسيِّ عرشه يرتقي دِرْجات السُلَّم الخمس ، بينمـــا كان كاجينا ابن آينمر جالساً على أرض البلاط يحاول أنْ يُكمل إنهاضَ نفسه بنفسه ، وشحوبُ ميت شحوبُ وجهِه . عيناه قد غارتا عميقاً في نُقرتَيهما ، وكذا انطوتْ شفتاه الى داخل فمه فكأنَّه أدردَ باتَ . وكان واضحا لأمارجي أنَّ لسانَه ، وهو على تينكم الحال ، قد تخشَّب بعيداً في قعر حَلقه ؛ ولاتدري إنْ كانت أُذناه تسمعان ماتفوَّه به ننورتا بعد أنْ استقرَّ على عرشه . لقد قال له هذا : مُلْكُ ابن إيناكلي لي يكون .. ابن إيناكلي ليلَوم مُلكُه لي يكون ؛ وللوزير ابن آينمر كاجينا أنْ بمكانه وزيراً لنا يمكثُ ، او أنْ عاملاً بأمرنا على مُلْك ابن إيناكلي يكون .

تناهض ابن آينمر وساقاه لم تدركا إستقامتَهما وظهرُه إزداد انحنـــاءً . هل كان زائغَ البصر أم لأنَّ عينيه مابرحتا غائرتَين عميقاً ماجعلَــه لا يشخصُ بنظره الى الملك ننورتا ؟. انه يُنقِّل عينَيه بين الوجوه على يمينه وشماله فلا ينتقي منها وجهاً يتسمرُّ به ، وظلُّ ابتسامة بلا معنىً يلــوحُ

على زاويتَي فمه . صَمْتٌ يطبقُ على البلاط بعد أنْ انتهى ننورتا مـــن النطق بقراره .. صَمْتٌ يطبق ما زال ، فكاجينا لم ينبس ببنت شفة بَعدُ. أمتشنجاً لسانُه فعلاً كان ؟.

فاذا ما بدا لأمارجي أنَّ الصمت سيطول تدنَّتْ من ســـيدها وهمست لها من فوق كتفها أنْ تفعل شيئاً من اجل سيدها . وكأنَّها ما همست إلاّ في تينكم الاثناء التي كانت نَنْ دادا همُّ بالتدخّل ، فلقـــد اندفعت هذه نحو كاجينا وقبضتَ على كلتا ذراعَيه وراحت تهـــزُّه .. لسانُك بالحق ليَنطقْ ايها الوزير ابن آينمر كاجينا أنتَ .. ايها الوزير كاجينا لسانك بالحق فلينطق .. على مُلْك ابن إيناكلي ذينكم الخَرِف عاملاً بأمر العظيم ننورتا الملك كُنْ .. شأَنُ مملكة ابن إيناكلي بيديك سيكون .. أمام العظيم ننورتا ابن أُورجلا ابن كاركلا إجثُ ويدَه إلثمْ، ثم بتدبيرك إشرَعْ .. إي يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ؛ مدينة ليلَوم بـــل سائر مملكته اليك تتطلّعُ .. اليها طِرْ وتحت جُنحِ عظيمنا ننورتا ابـــن أورجولا ابن كاركلاّ إيّاها ضُمّْ ، فالاله القدير أنليل ناصرُ ابنه ننورتا العظيم .. أمس في معبده روحُه هَمستْ .. الساكنةُ ذيـــنكم الحَجَـــر البهيّ روحُه همسَت فأُذني سمعتْ ، فقولتُه أنَّ اباه الالـــه الكـــبير آنْ قدراته كلِّها وكلمات ارادته كلِّها بها اليه أوكلَ ، فجُنحَه على ابـــن إيناكلي ماعادَ يبسطُ .. ابنَ إيناكلي ذانكم الخَرِف اليومَ لاجنح لالـــه إيّاه يظلّلُ .. لا جُنحَ لاله إيّاه يُظلِّلُ .. اذنَيك إذللْ فقولة آلْ المعبد ، الجميلة نَنْ دادا ، إسمعْ : لا جُنحَ لالهٍ إبن إينـــاكلي ومملكتَـــه اليـــومَ يُظلِّلُ..

وفي فورة حماسته وثبَ من كرسيِّه وهبط درْجات العرش الى أرض البلاط ثم احتضن كاجينا ابن آينمر ؛ وبما يقرب مـــن الهمـــس

انكشفتْ أسنان فكَّيه بكامل عددها في غمرة أريحيته .. يا ابن آينمر تتلبَّثُ حتى القمر استدارتَه يدركُ ، فيوم الخصب فينا يحلُّ ، فإلهكم القدير أنليل خطاك يسدُّد .. أجل يا ابن آينمر كاجينا أنتَ ؛ يومُ الخِصْب يدنو .. بعد يومين من رمشة العين هذه يوم الخِصْب هو .. اليه تطلَّع ففيه إلهك القدير أنليل عنك يرضى فخُطاكَ يسدِّد .. ففي يوم الخصب إنما بتدبيرك ستشرعُ . ثم اخذه الى حضنه مرّةً اخرى ؛ وطال احتضانه له فكأنَّه يعتصرُه تحت ذراعَيه . وتؤكد أمارجي أنَّ كاجينا ابن آينمر لم يَجُد بأيما كلمة منذ أنْ نهض من سقطته ، محنيِّ الظهر زائغَ البصر ، حتى ذينكم الحين .. بل حتى برحت نَنْ دادا البلاطَ وبرَحتْه هي معها . ولم تبرح نَنْ دادا البلاط حتى رتَّبت مع ننورتا الملك ما ينبغي أنْ يحدث بعد يومين ، اذ تكتمل استدارة القمر .. بما في ذينكم انها وضعت بنفسها الكلمات على لسان مُنادي الملك، تينكم التي سيدور بها بين اهل جرسونن . لقد حرصت أنْ تفعل كل ذينكم بنفسها وأنْ تتأكد من أنَّ الجميع يعرفون ماعليهم أنْ يفعلوه بعد يومين ، بمَنْ فيهم الملك ذاته ؛ فهذا اليوم هو أول يوم خِصْب تشهده جِرسونن وسائر مدن سومر ؛ لا بل أنّه أول يوم خِصْب يشهده البَشَرُ. ليس على أرض سومر حَسْب وانما على كل الارضين . لا أحدَ من البشر يعرف ماذا ينبغي له أنْ يفعل في يوم الخصْب هذا الذي سيحلُّ في جِرسونن بعد يومين .. وحدها نَنْ دادا ، آلَ معبد الاله القدير أنليل، مَنْ يعرف وعليها أنْ تُبلغ الجميع بما همست روحُ الاله في أُذنها. إنّها لسُنَّةٌ أراد الاله أنليل لعباده من البشر أنْ يتَّبعوها ؛ وأنَّ آلْ معبده في جِرسونن ، نَنْ دادا ، قيِّمةٌ على هذه السُنَّة ، يسائلها عن اقتفاء الناس لها .

منذ أضحتْ آلْ معبد الاله أنليل فصَّلتْ نَنْ دادا لنفسها رداءً لا يتألف من قطعتين كما الرداء الذي ترتدينه النسوة وكذا الرجال .. فليس في سومر من رجل او امرأة الا ويرتدي رداءً من قطعتين . أمّا نَنْ دادا ، آلْ المعبد ، فرداؤها باتَ مؤلّفاً من قطعة واحدة طويلة تغطي كاملَ جسدها ، من عنقها حتى قدميها . وأنَّ له أكماماً تنحدر فتغطي كاملَ ذراعَيها بما في ذينكم كفَّيها . أمّا شعرُها ، ذاك الأدعج المُنرسل على ردفَيها فإنّها لَّمته يجتمعُ تحت شبكةٍ حاكتها لها أمارجي من ألياف شُجيرة اللِّيف . وهكذا فلم يكن يبدو منها للرائي غير وجهها المستدير استدارة القمر المُنير ، فكأنَّ القمر عافَ مكانَه في السماء وهبط الى الارض يصيرُ وجهاً لنَنْ دادا . ستةُ ذئاب مَنحتْ جلودَها لنَنْ دادا .. الجلودُ خاطتها أمارجي الى بعضها بعضاً فانتهتْ الى رداء فضفاض لا يجسِّدُ أيَّ تكوِّر او انحاءة في جسد نَنْ دادا .. انه محمولٌ بكتفَيها العريضتَين ثم ينسدلُ هابطاً الى الارض فلا تضطربُ هيئتُه مهما ألَّم بجسد المرأة التي ترتديه ، حتى ليوشكُ القائلُ على التعبير بأنَّ ثمة رداءً يدبُّ على الارض وفي داخله امرأةٌ تتوارى . ألا أنَّ الرائي الى ذينكم الرداء لم يرَ منه شيئاً بعد .

عشية يوم الخصب ، قُبيلَ ساعة الغَسَق ، دارَ مُنادي الملك ننورتا في طرقات جِرسونن يدعو الرجالَ الى اصطحاب نسائهم معهم الى باحة معبد الاله أنليل .. وقد حدَّد الموعد بقوله : .. الليلة هذه اذا مانطوت فنهارُ الغد قد انبلجَ فمنه الظُهرُ قد حلَّ فينا فظلُّ العصا اختفى ، بنسائكم المعبد تَرِدون مُغتسِلين متطيِّبين وبأجمَل أرديتكم ترفلون ..

فلما أدركهم الموعدُ هبَّ الرجال الى المعبد بنسائهم وقد

اغتسلوا واغتسلتْ نساؤهم وتطيَّبوا ورفلوا بأجمل أرديتهم وكذا فعلت نساؤهم . هناك كانت نَنْ دادا ، آلْ المعبد في انتظارهم تعتلي الدكَّــة التي يقوم عليها حَجَرٌ روح الاله أنليل . لم تستبدل بردائها رداءً آخر ، لكنها كانت تضعُ حول عنقها أجملَ مالديها من قلائد تتبارقُ حبّــاتُ أحجارها بفَيض الوانها . واذ تجمّع الناسُ فاحتشدت بهم باحة المعبد ، حتى باتوا يتدافعون بالمناكب يوسِعون لنسائهم ، رفعتْ نَنْ دادا ذراعَها فانزلق كَمُّ الرداء الى كتفها فبانت ذراعُها للناس بيضاءَ بيضاءَ مؤتلقة البياض ؛ فكانت تلكم اول مرَّة يرون فيها جزءا من جــسم تيــنكم المرأة. ثم انبرت تتحدث اليهم ، ولايفصلها عن حَجَر روح الاله أكثر من خطوة واحدة .. ياأهلنا في جِرسونن أنتم ؛ إنْ هي إلاّ ارادة الهكم القدير أنليل .. إلهكم الاله القدير أنليل إرادته بها همسَ فأُذني تلقَّفتْ .. روحُه الساكنةُ الحجرَ هذا همست فأُذني سمعتْ ، فقولتُه أنَّ لمملكة العظيم ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا يومٌ للخصْب كــل اســتدارة قمر، الرجالُ فيكم نساءكم يُقبِّلون .. نساءَكم رجالُكم تُقبِّلُ وتضاجعُ .. ها هنا تحت عين الاله أنليل نساءَكم رجالُكم تُقبِّل وتضاجعُ بعد أنْ تحت عين الاله القدير أنليل إبنُه الملك ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا آلْ المعبد الجميلةَ نَنْ دادا يُقبِّلُ ويُضاجعَ . ولا مــشاعلَ توقــدون .. ضوءُ القمر المكتملة استدارتُه هاديكم .. الى شفاه نسائكم وفروجهن ضوءُ القمر هاديكم .. فحتى هبوطِ الليل وارتقاءِ القمــر متعبِّــدين تتلَّبثون .. من ساعة الظهيرة هذه حتى الليل يهبطَ فــالقمرُ يرتقــي تتلبَّثون متعبِّدين .. روحُ الاله تضرعاتكم ستسمع وفي الليل رائحة ماء الرجال منكم ستشم وصرخات نسائكم تحتكم ولِهــاثَهن تــسمعُ ، فإلهكم أنليل القدير برضاه عليكم يسبغُ ، فالشعيرُ ينبتُ والــشجرُ ،

وباللبن ضروعُ البقر تُترَعُ والغنمُ ، وبالماء الأنهر والسواقي تفـيضُ ..
إنّه يومُ الخِصْب يا مَنْ في جِرسونن أهلنا انتم .. مشيئةُ الاله القـدير
أنليل أنْ يَومُ الخِصْب فيكم لايحلُّ الاّ كلَّ عام مرّةً واحدةً .. لكنَّ آلْ
المعبد ، الجميلة نَنْ دادا ، تحت قدميه بَكَتْ .. بدموعها قدمَيه غسلتْ
وهي اليه تتضرَّعُ ، فمشيئتُه أنْ كلَّ استدارة قمر باتت .. فلكم الهناءُ
ومنكم التضرُّع له من ساعة الظهيرة هذه حتى الليل يهـبطَ والقمـر
المكتملة استدارته يرتقي ..
ثم التفتت الى ورائها وصاحت : ايها السَنجا أنتَ ؛ هل فتيانك مـن
راغيات القرابين وثاغياتها نحروا ؟.. عُبّاد الإله أنليل ، رجالُ جِرسونن
ونساؤها ، غداءهم في المعبد يكون وعشاءهم .
تقول أمارجي انَّ رجلاً ضئيل القامة برَزَ ، لا تدري من أين ، هكـذا
بغتةً، ورفعَ صوتَه يُصأصيء مُطمئناً العُبّاد الى أنّهم نحروا مـا يكفـي
لاطعامهم جميعاً . فعند ذينكم المبلغ من كلامـه إنمـا ابتـدأ القـومُ
تضرعاتهم.

حتى اذا كلكل الليل على جِرسونن وغطسَ المعبدُ في دامس
الظُلمة ، ظهرت من جدران المعبد أربعُ شُـعَلٍ علـى رؤوس أربعـة
مشاعل ، لا أكثر ، اذ انها ستُطفأُ حين يبلغُ القمرُ الكاملة اسـتدارتُه
كبدَ السماء . ثمة مشعلُ خامس صغير كان داخل مخدع آل المعبد ، نَنْ
دادا ، تحت ضوئه ستغتسل في ركن الاغتسال وتتطيَّب .. ثم قبـل أنْ
تضع على جسدها الرداء ذا القطعة الواحدة ، ذانكم الذي ظهـرت
على الناس به ظهـيرة يـومهم ذاك ، خَطَـت الى فراشـها عاريـةً
واضطجعت عليه واوسعت ما بين فخذيها ؛ ففهمت أمارجي ما ينبغي
لها ان تفعل : تعرَّتْ هي الاخرى وأطبقتْ على سـيدها تُطفـيء في

جسدها أيَّ قَبس لنار .. لقد جعلت سيدتَها ترتجف تحتــها وتــصرخ مرّات خمساً . ولمَّا عجزت نَنْ دادا أنْ تبلغ الذروة الــسادسة قالــت وعَرَقُها يُخضّلها وعيناها تكادان تتفجّران احتقاناً : بعد رمشة العــين هذه ، الان حَسْب ، ساقَيَّ أفتحُ لذينك الذي لاأبَ له ونهضتْ مــن فراشها الى ركن الاغتسال ثانيةً ، ثم جفَّفتها أمارجي وألبستها رداءَ آلْ المعبد الذي لا شبيه له على كلِّ الارضين . ولسوف تضع هي بنفسها قلائدَها ذات الأحجار مُتبارقة الالوان حولَ عنقها ، قبل أنْ تظهرَ على الناس والملكُ ننورتا فيهم ينتظرُ إطلالتها كما ينتظرون . ولــن تطــلَّ عليهم قبل ان تبعث بأمارجي الى باحة المعبد فتعود هذه اليها تخبرُها بأنَّ القمرَ قد ارتقى في السماء فذاك هو يُعرِّش على القوم ، ولقد أطفــأ فتيان السَنجا المشاعلَ الاربعة . عند ذاك فقط تبرزُ على الناس فيحار هؤلاء الى مَ يرون : الى القمر في السماء أم الى وجــه نَــنْ دادا ، آلْ المعبد هذه . إنَّ زُحمةَ حَشْدِهم لتتفاقم الان وقد صاروا يستبقون اليها متغالبين وهم يهمهمون .. فالملكُ نورتا هاهو يقف حذاء حَجَر روح الاله أنليل ينتظرُ ظهورَها من مخدعها ، وقد اغتسلَ هو الآخر وتطيَّب .. بيد أنَّه لم يستطع أنْ يُخفي اسنان فكِّه العلوي قَطُّ . أنَّــه لينتظــرَ ظهورها مُكشِّراً ؛ وهاهي قد ظهرت تتبعها وصيفتُها . إلاّ أنَّ الرجال والنساء على حدٍّ سواء ليستخفّهم الفضولُ الى رؤية أوَّل مضاجعة في اول يوم خِصْب يشهده البشرُ ليس في سومر وحدها حسب وانمــا في سائر الارضين . لقد اخبرهم هي بنفسها عند الظهيرة ، قبل سويعات من وقفتهم تينكم ، بأنَّ ابن الاله أنليل الملك نورتا ابن أورجولا ابن كاركلا سيُقبِّلُ آلْ المعبد ثم يضاجعُها تحتَ عين الاله ، فيحذوا الرجال حذوَ الملك فيُقبِّلون نساءهم ويضاجعوهن في باحة المعبد تحت عين الاله

ايضاً ..لقد اخبرهم هي بذينكم ، فالمضاجعة الاولى ستحدث الان .. في أية رمشة عين قادمة ستحدث ؛ لذا عليهم ان يستبقوا الى أفـــضل موقع يرون منه الى الملك يُقبِّلُ الجميلة نَنْ دادا ويضاجعُها . فلا عجب اذن أنْ تفاقمت زُحمَةُ حَشْدهم ، حتى لتكاد النسوة يعــتلين أكتـــافَ رجالهن سعياً الى مرأىً لاتنحجبُ عنه من المشهد لَمحةٌ .

مدَّتْ آلْ المعبد يدها تبسطها للملك ننورتا الواقف ازاءها . فخطا هذا ثلاث خطوات نحوها ، وفي الرابعة صار يمسك بيدها . نظر في عينيها وهو على مَبعَدة أنفاسٍ منها ؛ ثم لم يتمالك نفـــسه وانقـــضَّ عليها يأخذُها بين ذراعَيه يضمُّها الى صدره يُقبِّلُها . أمارجي تقول أنَّ سيدهَا كانت خشَبَةً بين ذرَاعيّ ذينكم الرجل .. إنها امرأةٌ وتعرف ماذا تعني حين تقول هذا .

لم تسمح آلْ المعبد لتينكم القُبلة أنْ تطول ، اذ انفلَتتْ وهي في حضن الملك آخذةً بإحدى ذراعَيه تجرُّه وراءها ، وجبينُها مُقطِّـــبٌ يقطرُ كَدَراً على باقي وجهها . انها لتجرُّه نحو مخدعها تتبعهما أمارجي ؛ فاذا ما دلفَتْ به الى داخل المخدع فعلاً ،اندفع حشدُ الناس مُنقطعـــي الأنفاس يلاحقونهما . بيدَ أنَّ أمارجي تسمَّرت في فتحة باب المخـــدع وفَردتْ ذراعَيها بوجه الناس ، وأعلتْ صوتَها : العظيمُ ننورتا الملـــك أمرَ فأنتم تطيعون .. عتبة الباب التي عليها أقفُ لاأحدَ منكم إيّاها يعبرُ .. عندكم قِفوا وبأعينكم إقذفوا . فصاحتْ آلْ المعبـــد ، نَـــنْ دادا ، وهي تتهيّأ للاضطجاع على فراشها : بل أمرُ الاله القدير أنليل هـــو ، وتعيسُ حظٍّ من أُذنَه أغلقَ دون أمرِ الاله . ثم انحنت علـــى الوســـادة ترفعها وهي بعدُ واقفةٌ حذاءَ الدكَّة التي ينبـــسط عليهـــا فراشـــها ، واستلَّت رداءً غريباً لم يُظهَرْ عليه أحدٌ من قبل .. إلاّ أنَّ أمارجي تعرفه

جيداً، فهي التي خاطته لسيدها . لقد طلبت هذه منها أنْ تصنع لها رداءً تستر به كاملَ فخذَيها ووِركَها ، تلبسهُ تحت ردائها الفريد ذي القطعة الواحدة ذاك . فاذا مارفعتْ هذا الرداء ، رداءَ آلْ المعبد ، تجذبُه الى أعلى وهي تضطجع على فراشها أمام الملك نونورتا لن ينكشفَ منها فخذٌ ولا رَدفٌ ولا شعرُ عانة حتى .. ثمة فتحة صغيرة سيعثر عليها نونورتا في ذينكم الرداء الجديدِ منحصرة ما بين أعلى فُخذَيها تكفلُ له إتمام مضاجعةَ يوم الخِصْب . ولقد أسمَتْ نَنْ دادا هذا الرداء رداءَ يوم الخِصْب ، الذي ستُقلدها نسوةُ جِرسونن في لبْسه فيما بعد فيسمينَّه السروال . ثم ، بعد سنين من يوم الخِصْب الاول ذاك ، وبعد أنْ تغلق النسوةُ الفتحةَ الصغيرة، اذ بتنَ يخلعنه قبل المضاجعة ويرتدينَه بعدها ، أخذ الرجالُ في جرسونن وسائر سومر عن نسائهم إرتداءَ ذينَكم السروالَ . ألا أنَّ آلَ معبد الاله أنليل ، نَنْ دادا ، لَهيَ الاول بين البشر طُرّاً مَنْ ارتدى السروال ، ولقد ارتدته في أوّل يوم خصْب حلَّ في جِرسونن . حين استلَّته من تحت وسادها وجعلت تدسُّ ساقَيها ، الواحدة تلو الاخرى ، به انفغرت أفواه الرائين اليها بمَنْ فيهم الملك نونورتا الذي كان يقفُ إزاءها ومنخراه يصطفقان شهوةً .. لقد كان يتطلَّعُ الى أنْ يراها تتعرّى ؛ ولعلَّه كان يقول في نفسه انها ستنضو عنها رداءها ذا القطعة الواحدة ، رداءها الطويل اللعين هذا وستظهر تحته أشرطةُ جلود الأفاعي تانك التي خلبته يوم رآها عليها أول مرَّة . حسناً .. لم تفعل .. لم تنضُ عنها رداءَ آلْ المعبد ، وانما استلقَتْ على الفراش ، تضطجعُ على ظهرها ، وجذبت أذيال ردائها الطويل الى صدرها فتطوّى متكوِّماً على بطنها. واذا بفخذَيها مستورتَين تماماً يسترهما ذانكم الرداءُ الغريب الذي صنعته أمارجي من جلود صغار

الأرانب . سُقطَ بيد ننورتا ، فلا يدري ماذا يفعل .. أيرتقـي دكَّـة الفراش يلتحقُ بأُنثاه؟.. ماذا سيفعل إنْ ارتقى الدكَّة ؟.. لاسبيلَ قَطُّ الى مضاجعتها .. ما بين فخذَيها مُغلَّقٌ دون أشيائه .. دون أداته مُغلَّقٌ ذانك الذي ما بين فخذَيها . عينا ننورتا تحملقان توشكان على الـنط من محجرَيهما وفكُّه متهدِّلٌ واللّعابُ سايلٌ من شدقَيه . ثم وهو علـى هذه الحال لوَتْ نَنْ دادا عنقها نحوه وبسَطَتْ له ذراعها .. عن السبيل إبحثْ .. هكذا انما أبوك الالهُ القدير أنليل أراد الامر أن يكون .. (ولم تلبث ، حتى قبل ان يعتلي ننورتا دَكَّة فراشها ، أنْ رفعت صوتها تأمر الناسَ ..).. روحُ الهكم القدير أنليل في رمشة العين هذه همسُ فأُذني تسمعُ أنْ يا ايها الرجال في جرسونن نساءكم على أرض باحة المعبـد اضجعوا فتغشّوا .. إبني الملكُ ننورتا وآلْ معبدي نَنْ دادا الجميلة تحت عينيَّ يتضاجعان .. نساءكم تغشّوا في رمشة العين هذه فرائحة مائكم أشمُّ وصرخات نسائكم ولهاثهن أسمعُ فرِضاي عليكم أسبغُ فالـشجرُ ينبتُ والضرِعُ باللبن يُترَعُ والنهرُ والسواقي بالماء تفيضُ . ولم تُرجِـع رأسها الى حاله الاولى ، حيث تستقبل عيناها ننورتا الذي انتهى الان جاثياً مابين ساقَيها المثنيّتين المنفرجتين .. لم تُرجعْ ر،أسها فظلَّ عنقهـا ملوّياً كأنها تشيحُ بعينَيها بعيداً عن الملك الذي لم يتعرَ هـو الآخـر ، وانكبَّ يبحث عن السبيل الى نُشْده عبرَ ذينكم الـرداء الغريـب . كانت عيناها بفتحة باب مخدعها متسمِّرتَين ، كما تؤكد أمارجي التي ابتعدتْ عن فتحة الباب بعد أنْ صدَعَ الناس لأمر الإله أنليل ، ذانك الذي نطقتْ به نَنْ دادا ، آلْ المعبد . لقد ابتعدوا عن باب المخـدع وانتشروا في باحة المعبد يُضجِعُ الرجلُ منهم امرأتَه ، حيث يقفُ ، بعد أنْ يُقبِّلها .. إلاّ أنَّ حَشْدَهم كان كبيراً ، فضاقت بهم الباحة . الباحة

تستوعبهم وهُم وقوفٌ منضغطين بعضهم على بعض ؛ أما وأنَّهم الان قد هووا الى الارض يروم رجالُهم مضاجعةَ نسائهم تحت عـــين الالـــه أنليل ، فأنَّ كلَّ زوجٍ منهم استحوذَ على بقعة تـــضمُّه . واذا بعـــدد لايُحصى منهم غدا بلا أرض يقف عليها في باحة المعبد ، فكيف بـــه وهو يبغي المضاجعة تحت عين الاله ؟!. عَلَتْ الجَلَبةُ وبلغت غمغمات تبرُّمهم الى أُذنَي نَنْ دادا ، المضطجعة على ظهرها امام الملك ننورتـــا وساقاها منفرجتان ، فاستبانت من أمارجي التي مابرحت واقفةً عنـــد باب المخدع . واذ أوضحتْ هذه لها كُنْهَ المأزق الذي نـــزل بـــالقوم صاحت ورأسُها لّما يزل مُنفتلاً نحو الباب ، بعيداً عن الرجل الذي يجثو بين ساقَيها : اينما تحلّوا فتحت عين الاله القدير أنليل أنتم .. مَنْ منكم الباحةُ إيّاه لم تسَعْ ، الى خارج المعبد بإمرأته يُيمِّمُ .. حذاءَ حائط المعبد إيّاهن ضاجعوا فتغشّوا ، الهكم أنليل برضاه عنكم سيسبغُ .

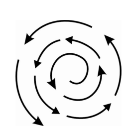
والجلبةُ تهدأ شيئاً فشيئاً فيسودُ باحةَ المعبد الصمتُ ، وقبل أنْ تُسمع أُولى صرخات النسوة المُرتجِفات تحت رجالهن ويسودُ صـــوتُ لهاثهن المكانَ ؛ وبينما كانت نَنْ دادا ضاربةً صفحاً عن ننورتا الذي لم يكن اهتدى بَعدُ الى ضالته ، ندَّ صوتٌ من احد أركان المخدع : نشيجٌ مكبوت في البدء ، ثم انفلتَ فغدا نشيجاً لاكابحَ له ؛ ثم لم يلبـــث آنْ استحالَ عواءً مُثقلاً بالدمع . فزَّت نَنْ دادا تستوي جالسةً فانبسطت ساقاها وماعادتا تحتضنان ننورتا . ننورتا نفسه بَهتَ والتفت الى حيث النشيج والعواء .المشعلُ الصغيرُ داخل المخدع بلا شُعلة الان .. لقد اطفأته أمارجي منذ دلفت الى المكان تتبع سيدتَها والملكَ قبل أنْ يعتليا دكَّة الفراش ؛ اذ أمرتْها نَنْ دادا ، فلا ينبغي لضوءٍ غير ضوء القمـــر مُكتمل الاستدارة أنْ ينير أيَّ ركنٍ من اركان المعبدٍ تينكم الليلة ، كما

أفادت بذينك ال المعبد . وضوءُ القمر بسخاء كان يتدفق الى مخدع نَنْ دادا عبرَ فتحة بابه .. ضوءٌ كان يبلغ منه مايكفي لانارة السبيل أمامَ نبورتا الى غايته . بَيدَ أنَّ نثار ذينكم الضوء كان يشحُّ ويشحُّ كلما ابتلعه فضاءُ المخدع ، حتى أنّه ليتلاشى تماماً فتتكدَّس الظلمةُ في الأركان العميقة ، ومنها الركن الذي ارتفع منه النشيجُ العواءُ . لاأثرَ اذن لشيء يُرى هناك .. ذانكم الركن لايُستدلُّ عليه إلاّ بالنشيج العواء ولاشيءَ سوى ذلكم . أعينٌ ست انقذفت صوبَ ذينكم الركن فارتدَّت الى أصحابها خاليةَ الوفاض . فما كان من نَنْ دادا سيدة المكان بأسره ، سيدة المكان بتفويضٍ من الاله أنليل ، إلاّ أنْ تجذب ساقَيها فتثبُ هابطةً دكَّةَ الفراش فازعةً الى حيث العواء .

تقول أمارجي انها لاتدري لماذا لم تكلفها سيدتها باستكناه الامرَ فتتلبَّث هي منهمكةً بانجاز الشأن المقدس .. لاتدري لماذا وثَبتْ بنفسها توسعُ خطاها كأنّها تنشدُ إحباطَ خَطْبٍ سيُرزئها هي قبل أنْ يُرزيء الاله أنليل ومعبدَه . أمّا الاهم من هذا فهو أنَّ الملك نبورتا ، الذي كان قبل هنيهة باحثاً دون جدوى عن السبيل التي دعته نَنْ دادا الى البحث عنها فيتسنّى له إتمام مضاجعتها تحت عين أبيه الاله ، لمحَ الان ، في رمشة العين التي جذبت نَنْ دادا ساقَيها من حوله ، تينكم السبيلَ .. لقد خمَّنت أمارجي انه لَمحَ الفتحةَ الصغيرة التي تركتاها ، هي وسيدتها ، في باطن طيَّة الرداء الغريب .. تانكم الفتحة التي وضعتاها بعيداً عن موضع الهدف الذي لابد أنَّ نبورتا كان يسدِّد اليه بصَره ، مابين فخذَي نَنْ دادا . لقد خمَّنت أمارجي ذينكم حين وثبَ مَلكُ جرسونن ابن الاله القدير أنليل ، هو الآخر ، موسعُ الخطى في إثر آلْ المعبد ، وآلتُه بيِّنةُ الانتصاب حتى من وراء قطعة ردائه السُفلية . ثم

ما لبث أنْ ادرك أُنثاه فأوثقَ عقْدَ ذراعَيه حولها وهو خلفها ، ورفعها وانفتل يروم العودة بها الى الفراش . هنا انما تأكَّد لأمارجي تخمينها فقد سمعته يهمهم : وإنْ جِرسونن احترقتْ وأهلُها إيّاي لن تعوفي الان اذ بالسبيل أمسكتْ عيناي . بَيدَ أنَّ نَنْ دادا كانت في وارد آخر ، فقد راحت تصرخ به وهو يحملها : ليس قبل أنْ أتبيَّن .. ليسً قبل أنْ أتبيَّن .. ليس قبل أنْ اتبين . وجعلت ترفس الهواء بساقَيها تنشد الهبوط الى الارض . ولقد لبّى ننورتا لها نُشدَها وأنزلها الى الارض ، إلاّ انه لم يدعها تسعى الى ذينكم الركن ، الذي هدأ العواء فيه الان ، وانما أضجعَها على أرض المخدع ، لا على الفراش أضجعها ،.. أضجعها على الارض حيث يقف . ومن فوره أطبق عليها وجذبَ رداءَها الطويل الى صدرها وعلَّقَ أصابعه بالفتحة الصغيرة التي اهتدى الى موضعها ، وجذب حافتها فاتَّسعت كثيراً حتى بان لأمارجي ، المأخوذة بما يحدث أمامها ، الهدفُ . ودون إبطاء نضا عن أسفله قطعةَ ردائه وهو مُطبقٌ على آلْ المعبد ، فبرزت آلتُه وقد بلغ منها التهيّجُ مبلغاً جعلها تتقيّأُ ما في خصيتي صاحبها الملك قبل أنْ تبلغ الهدفَ ، ذينكم الذي ما برحت عينا أمارجي متسمِّرتَين به .

وبينما كانت نَنْ دادا تجاهد على الارض ، تحت ننورتا الذي بمصاف إبن الاله أنليل هو ، لاويةً عنقَها الى الخلف ، الى الركن الذي هدأ فيه النشيجُ العواءُ .. بينما كانت تجاهدُ كي تتملَّص من هذا الذي فوقها مرَّ رجلٌ حذاءهما لايُميَّزُ من هيئته ملمحٌ ، فقد كان كاملُ رأسِه متوارياً ملفوفاً بملفَح ؛ فضلاً عن أنَّ قامته لم تكن تشي بصاحبها فقد كان ظهرُه منحنياً انحناءة ظهر شيخ يتكّيء على عصاً .



وان كان كاجينا ابن آينمر قد امتطى حمـــاراً غــداة يـــوم الخِصْب، وانطلق مع أول خيوط الفجر صوبَ مدينة ليلَوم ،.. بمفرده انطَلق لايصحبه أحد ، إلاّ أنَّ الدولابَ إنطلقَ هو الآخر يلفُّ ويلفُّ ، فتراءى لي أنّه يلفُّ بالاولاد ومنهم ولدي . أنّي بعيدٌ كل البعد عـــن دولاب مدينة الالعاب .. لا دولابَ امام عيني البتة .. ومع ذلك ليس ثمة من شيء أراه الان غير ذلك الدولاب وهو يدور بالاولاد . في حال كهذه ، كما وطَّنتُ نفسي ، أُبعِدُ عينيَّ عن عينَي ولدي كي لايتسلل اليه الغثيان الذي لابد انه ماسكٌ بي في أية لحظة قادمـــة . فـــسقطت عيناي على الركيزة المعدنية الأُخرى ، احدى الركيزتين اللتين يستند اليهما الدولاب ، تلك التي تفضي بي ، حال أشرعُ بالتقيوء ، الى أُور . فاذا اصفرَّت الدنيا أمامي وانطويت على نفسي ، ينكفيءُ رأســـي الى الارض ، الى حيث تنغرزُ تلك الركيزة ..

..، بعد أيام أقبل إبرامُ على أُمه جَذلاً فقد عثر على اللوح الذي يُكمل ما توقَّف عنده حين كان يقرأ لها كيف تولّى الاله إيّا ، إله الحكمـــة ، إنشاء الفردوس لّما شاء الاله القدير أنليل أنْ يكون. فهمست في أُذنه أنْ ارجيء القراءة فيه حتى يأوي أبوك تارح الى فراشه . لماذا ياأُم بهذه

القولة تنطقين ؟ - قال إبرام – مانطقتِ به أعلمُه .. أعلمُه هذا الذي في أُذني وضعتِه . ثم خطا بلوح كان أعادَ نسخَهُ ، وولج به غرفة أبيـــه تتبعه أُمه . كَم من الواح سومر في قلبك لم تضعه بعد ؟- سأل تـــارح ابن ناحور ولدَه إبرام . كثيرةٌ ألواح سومر هي ياتارح أبي تملأُ رفوفَ بيت الالواح .. ليس كلها في قلبي أضعُه ، فحتى الاوميا قلبُه لايسعها .. التي أقرأ لك فيها هذه نَزرٌ ، غيرها عديدٌ على رفوف الأوميا هناك. وإنْ سألك الحرونُ ذاك الرجل ابو ساراي عمّا في بعضها – قال تارح ابن ناحور – ولا جوابَ على لسانك تجدُ ، قولتُك ماذا تكـــون ؟.. أقولتُك له أنَّ هذه في قلبك لم تضعها ؟!.. بيديه سيدعُّك والى خارج بيته يُلقيك ، فابنته فتىً من سومر آخر يخطبها . هذا لن يكون – قال إبرامُ وقد اصفرَّ وجهه – هذا لن يكون يا ابن ناحور يا تارح أبي أنتَ .. لا فتىً من سومر غيري يخطبها .. فتىً من سومر غيري في قلبـــه لا يضعُ كلَّ الواح سومر .. عديدُها قلبٌ لا يسعُه ، فلماذ بيديه ذانـــك الرجل ابو ساراي يدعُّني والى خارج بيته يلقي بي وذينـــك الفـــتى لا يدعُّ؟.. يديكَ ألثمُ وعلى قدمَيك أبكي ياتارح أبي أنْ قولـــةٌ كهـــذه لسانُك بها لاينطقُ . تارحُ ابن ناحور ضحكَ وضحكَ حتى أدمعـــتْ عيناه وأُم إبرام كذلكم ؛ ثم من إبرام طلبَ تارحُ أنْ يقرأ له في اللوح الذي بين يديه . في هذا اللوح – قال إبرام – الفردوسُ يقيمه الالـــه القدير أنليل فلا يدخله أحدٌ غير أبنائه الالهة إلاّ بشرٌ واحد ، واسمُـــه زيوسدرا . هذا البشر مَلكاً صالحاً كان .. ثم جعل يقرأ إبرام في اللوح الذي أعاد نسخَه في بيتِ الالواح قبل أنْ يُحضره لأبيه : على شروباك زيوسدرا ملكاً صالحاً كان .. ان يخشى ويتَّقيه وأنليل ابن الاله الكبير آنْ يخشاه ويتَّقيه ، اليهما يتضرعُ ، واذا نام أخذه الحُلُم اليهما فمعهما

تحدَّث .. انه الملك الصالح زيوسدرا هو وغيره لم يكن . فلما غـــضب آنْ من البشر جميعاً ، البشر جميعاً إلاّ نَزراً منهم ، أمر إبنَه أنليـــل .. أنليل ولدي ؛ بين يديك كل كلمات ارادتي وضعتُ .. بكلمة ارادتك إنطقْ فالبشرَ أولاء إهلكْ .. صاخبون هُم فلا راحةَ لي في بيتي الذي في السماء هو . الاله القَدير أنليل بكلمة إرادته نطقَ فالسماءَ بـــالرعود والبروق امتلأتْ ، فالمطرُ على شروباك هطلَ وفي الريح نفـــخَ فعلـــى شروباك وكلِّ الارض العواصفُ والاعاصيرُ جاءت .. سبعةُ ايام وسبعُ ليالٍ المطرُ يهطلُ والعواصفُ والاعاصيرُ الشجرَ والبيـــوتَ تقتلـــعُ ، فطوفانٌ عظيمٌ صارَ ، والبشرُ كلُّ البشرِ غرقوا إلاّ زيوسدرا الذي على شروباك مَلكٌ هو ، ومن البشر نَفَرٌ معه . أنليل الاله القدير بكلمـــة ارادته ما نطقَ حتى الى زيوسدرا تحدَّثَ . زيوسدرا الملـــكُ الـــصالحُ ، الذي على شروباك هو ، في الحُلم وهو نائمٌ قولةَ الاله القدير أنليل سمعَ .. ولدنا زيوسدرا ايها الصالح أنتَ ؛ من فورك إسعَ ففُلكاً إبـــتنِ .. ماجوراً كبيراً إبتنِ فعليه من البشر أهلكَ ضَعْ والصالحين ، ومن كـــل حيٍّ ذكراً وانثى ضَعْ ثم تلبّثوا .. على الماجور تلبّثوا فبكلمـــة إرادتي ناطقٌ أنا ، وأنا الناطقُ بكلمة الارادة فالبشرَ وكلَّ شيء مُغرِقٌ . مـــن نومه زيوسدار الملكُ الصالحُ مرعوباً فزَّ يرتجفُ ومن فوره ماجوراً كبيراً إبتنى ، ومثلما سمعَ في حُلمه من الاله القدير أنليل صـــنَعَ .. بـــأزواج الدوابِ امتلأت الفُلكُ وبالشجر والصالحين من البشر وهـــم نَفَـــرٌ . زيوسدرا الملكُ الصالح أبوابَ الماجور غلّقها وتلبَّث فيه ومعه تلبّثـــوا حتى السماء عليهم نزلت فالطوفانُ حلَّ فالماجورُ ارتفـــعَ والامـــواجُ تتلاقفَهُ ؛ ثم ايام سبعةٌ وسبعُ ليالٍ حتى على جبل حـــطَّ . فزيوســـدرا الملكُ الصالحُ ما دريَ أنَّ السماءَ انقشعتْ حتى الطير أنبـــأه ؛ فمـــن

الفُلك هَبَط ، وفي منامه أنليلُ الالهُ القديرُ بالحق نطقَ فأُذنه سمعتْ .. ولدنا الصالح زيوسدرا وحدَكَ أنتَ من البشر في فردوس الآلهة تكون . وصمت إبرام . عند ذاك ، حَسْب ، تنفَّس تارح أبوه وأُمه تنفَّستْ . زيوسدرا الصالحُ هذا أبوك بُنَي إبرام .. ألا فاعلم – قال تارح وهـــو يُنضدُ يدَيه على عصاه المنتصبة على الارض ويشمخُ بأنفـــه . ولكـــن كيفَ يكون – قال إبرام – وأرفكشاد آخر آبائي الـــذين وضـــعتَهم بنفسك في قلبي يا ابن ناحور ياتارح أبي أنتَ ؟!. بل يكون يا ابن تارح ياإبرام أنتَ .. حفيدُ زيوسدرا أبوك أرفكشاد هو .. على لوح أُكتبْ هذا ففي خزانتي أحفظُه .. أبوك زيوسدرا الصالحُ في منامه توسَّـــل الى الاله القدير أنليل أنْ الصالحين من البشر معه في الفردوس يكونون ؛ فالاله القدير أنليل رضيَ فآباؤك الصالحون في الفردوس كانوا ومعهم عُبّاد الإله أنليل .. به الذي نطقتُ من حقٍّ ، في رمشة العين هـــذه في اللوح الذي بين يديك ضَعْهُ .. اللوحُ الذي بين يديك إنـــسخْهُ مـــن جديد او في خزانتي لأحفظُه . الحقُّ الذي به لسانك قد نطق يا ابـــن ناحور تارحُ أنتَ – قالت أُم إبرام – ولدي إبرامُ في اللوح سيكتبُه ، ففي خزانتك تحفظُه أيها الشيخ العنيد أنتَ . بعد ذلكم اضطجع ناحور على فراشه حيث كان يجلس ومالبث أنْ غفا وراح يشخر . عند ذاك فقط أخبر إبرامُ أُمّه بما في لوح الفردوس ، ذانك الذي لم يقرأ فيه أمام أبيه تارح . فالسومريُّ قبل قرون من أيام إبرام تينكم كتبَ في ذينكم اللوح أنَّ الاله أنليلَ شاءَ أنْ يقيم الفردوس فعهد بأمره الى الاله (إيّا) إله الحكمة والمياه العذبة مع الالهة الام (ننخرساج) ، تانك التي اتخذت من الارض مسكناً بعد أنْ اعتزل الاله الكبير آنْ ، زوجُها ، بنفسه في بيته الذي في السماء اذ نال منه التعبُ غبَّ خَلْقِه الأشـــياء الـــسبعة

الكبيرة . فأمر الاله إيّا بأنْ تكون هناك أرضٌ طاهرة، مشرقةٌ الشمسُ فيها ، نظيفةٌ لاتعرف المرضَ ولا الموتَ ، تجري فيها الانهار بمياه عذبـــة وسواقٍ تنفذُ في الحقول والمروج والرياض .. أشجارٌ بالثمر ملأى وفيها من الخمور . تانكم الفردوس تكون مَسكناً للآلهة . ولقد جعلت الإلهة الأُم (ننخرساج) في الفردوس ثماني أشجار تنمو ؛ وقالت للآلهة بعين الحياة لاأنظرُ الى كلٍّ من يتذوَّق منكم ثَمراً من هذه الاشجار . إلاّ أنَّ الاله إيّا أمرَ رسوله (أيسمد) أن يأتيه بالثَمَر ، فأكل منـــه فغـــضبت ننخرساج غضباً شديداً ونطقتْ بكلمة المرض فالموتُ عليه . وكانـــت مشيئتُها أنّها بعين الحياة لن تنظر اليه بعد فعلته هذه حتى تتردّى حالُه والى الموت ينحدرُ . لكنّها بعد حين يرقُّ له قلبُها فتصيرُ الى مـــشيئة أُخرى فتشفيه بعد أنْ أوجدت ثماني إلهات ، كلَّ واحدة تشفي عضواً من أعضائه الثمانية التي أصابها المرضُ . وكان من بين أعضائه التي نزل بها المرض أضلاعُه ؛ فأوجدتْ من ضِلعه إلهةً إسمها نن تي وهي السيدة التي تهبُ الحياة ..

عند هذه الكلمات راحت أُم إبرام تردّد بصوت عـــالٍ مـــا تسمعه من ابنها ، وقد أخذَ بها الذهول . في هذه الاثناء كان شـــيخُها تارح ابن ناحور قد انتبه من نومه ؛ فلما وقَع في أُذنه ماتردُّده ، نادى عليهما فلبّيا . واذا انتهيا أمامَه استعادَ إمرأتَه ماكانت تقول ، فأعادت عليه ماكانت تقول. لم يكتف بأنْ استوى جالساً في فراشه وانما وثبَ واقفاً دون أنْ يستند على عصاه .. قولةٌ في قلبي هي ، إنما لم اضـــعها على لساني .. لم اضعها على لساني تانكم القولة التي بها يـــاامرأة قـــد نطقت : الالهُ القديرُ أنليل من طينِ الرجلَ خلقَ ومن ضلع الرجل المرأةَ خلقَهاَ . ولكن يا ابن ناحور – قالت أُم إبرام – في لوح سومر الذي

بيد ولدك إبرام السيدة التي تهب الحياة نَنْ تي من ضلع الاله إيّا انخلقتْ لا من ضلع رجل إنخلقتْ . لسانَك إبتلعي – قال تارح ابن ناحور – بل من ضلع رجلٍ الالهُ القديرُ أنليل خلقَها .. بعضٌ من الرجل هي لا بعضاً من إله هي – والتفتَ نحو إبرامُ ولده – يا ابن تارح يـــا إبـــرامُ أنتَ؛ اللوحُ الذي في يدك إنسخْهُ من جديد هو الآخر حتى في خزانتي يكون. ولكن ياتارح أبي – اراد إبرام ان يبتديء حديثاً – فصرخ به تارح ابوه: يا ابن تارح إيّاك إيّاك إيّاك أنْ بكلمة من كلمـــات أُمِّـــك لسانُك ينطقُ .. أمِنْ طينِ الرجلُ يُخلقُ ومن ضلع إله المرأةُ تكون؟؟!.. لعنةُ أنليل عليكما إنْ هذا اللوح لم تنسخْهُ من جديد .. أُذنَيك إذللْ يا ابن تارح يا ابن ناحور إبرامُ انتَ ؛ في قلبك قولتي ضَـــعْ قبـــل أنْ في اللوح تضعها : المرأةُ بعضٌ من الرجل لابعضاً من إلهٍ هي . بتيـــنكم الكلمات كان يعول وغضبُه يهزُّه فيرتعدُ ؛ فهوى إبرامُ على يد تارح أبيه يلثمُها ، ثم تبعته أُمُّه فمثلَ مافعلَ فعلتْ .

ثم تنطوي النوبةُ اذ يزايلني الغثيانُ تماماً فأشيحُ بعينَيَّ عن تلك الركيزة المعدنية التي طالما كان التحديق فيها يضنيني لسبب لم أدركه . الدولابُ ، كما قلتُ ، ليس أمامي أبداً .. انا لست في مدينة الالعاب، بَيدَ أنَّ مرآه استحوذ على عينَيَّ فلا شيء غـــيره يـــشغلهما : دولابٌ بالاولاد يلفُّ ، وولدي بينهم ، وركيزتان معدنيتان يستند اليهمـــا اذ يلفُّ ، فلا مندوحةَ وقد أشحتُ بعينيَّ عن احدى الركيزتين من سقوط ناظري على الركيزة الأُخرى . وهنا انما كان كاجينا ابن آينمر يربط حمارَه خارج سور مدينة ليلَوم بعد أنْ ترجَّل عن ظهره . منذ يـــومين وهو على ظهره ؛ لم يرتح هو ولا ارتاح حمارُه الاّ قليلاً خلل الليلـــةَ الفائتة . لقد برحَ جِرسونن فجراً ، فانسلخ نهارُ اليوم الاول وخـــيَّم

عليه ليلُ ذينكم اليوم ثم دلفَ بحماره نهارَ اليوم الثاني ، وهذا هو قــد بلغَ سور مدينة ليلَوم والليلُ يطبقُ عليها .

أحيا مشعلاً كان في متاعه ؛ ثم لم يعدم الوسيلة فيهتــدي الى موضع الساقية التي لا تنفذ الى المدينة بل تُحاذي سورَها تجــري نحــو الحقول . بعد ان ارتوى حمارُه تركه يهتدي بنفسه الى العُشب النامي على كتف الساقية . وسيروي لنَنْ دادا على مَسمَعٍ من وصيفتها انه لم يمكث هناك طويلاً وقرَّر ان يدخل مدينة ليلَوم قُبيلَ بزوغ الفجر .إنّه يعلم أنَّ حُرّاس المدينة ، رجال بوزو ابن سين ، يهدُّهم التعبُ في مثل هذا الوقت من الليل فيُقعدهم والنعاسُ عن التجوال في طرقات المدينة. فتلفَّع بوشاح وعبرَ السورَ يحمله حمارُه ، يُيمِّمُ به صوبَ دار أُوش ابن لوجال . وحالَ بلغَها وطرقَ بابها ففُتحَ له فتعرَّفَ عليه ابن أُوش وأُمِّه ، بعثَ ابن آينمر بالفتى يستدعي أباه .. إنْ قصرَ ليلَوم الملــك بلغــتَ حُرّاسُه إيّاك لن يذَروا تلجَ ، فقولتُك لهم أنَّ أُمَّك ســاءت حالُهــا ، فأبوك أُوش ابن لوجال مُدركُها لابد .. وتكتَّمْ على ضيفكم .. علــى ضيفكم بُنَي تكتَّم ، فحتى أبوك وأنتَ عائدٌ به إيّاه لا تُظهرْ .

كان الفجر قد بدأ يشقشقُ حين عاد الفتى بأبيه . ولم يمكــثَ ابن لوجال في داره ، عند ضيفه ، طويلاً .. فسرعان ماغادره وعــاد بابن آجا المؤتَمن على خزائن قصر الملك ، وما كان الصبحُ تنفَّس بَعدُ. ثم تلبَّث الرجلان عند كاجينا ابن آينمر بعضَ الوقت ، بعدها شــيّعاه بنفسَيهما الى خارج المدينة عبرَ طريقٍ لا يطرقُها حُرّاس ابن سين كثيراً. ما دار بين ابن آينمر وبين رجُلَيه لم يروِ خبرَه لنَنْ دادا .. فما عَلِمَ أحدٌ اذن بما دار . كلٌّ ما تفوَّه به هو كلمات معدودات : اصحابي عانقتُ ، والأمرُ ممّا تتصورين أعسرُ . ثم رفع كفَّه بوجهها وتركها في باحة المعبد

تتقبَّل القرابين والاموال من عُبّاد الاله القدير أنليل . إلاّ أنّه لم يخــف شيئاً عن مليكه الجديد ننورتا .. قُتلتُ إنْ على لساني سوى الحقِّ يــا عظيمنا .. رجالُ بوزو ابن سين أكثرَ من الفين عديدُهم صارَ . وابــن سين قلبُه لابن إيناكلي وذراعُه .. أنا لستُ مَنْ علــى رأس حُــرّاس المملكة إيّاه وضعَ ؛ ابن إيناكلي بنفسه إيّاه وضعَ .. وحُرّاس الملــك الخمسون أولاء ، أُوش ابن لوجال صاحبي على أعناقهم لايقــبضُ .. إنَّهم من رجال ابن سين أيضا .. بعد خروجي ونَنْ دادا من المملكة ؛ بل قبل ذينكم ، بعد أنْ مِيْسلِم ابن شيش آلْ لمعبد الإله آنْ باتَ ، جاء ابن إيناكلي بحرّاسٍ من رجال بوزو ابن سين إيّاه يحمون .. وإنتمينا إبن آجا صاحبي الذي على خزائن القصر هو ، آخرون معه ليلَــوم ابــن إيناكلي إيّاهم وضعَ .. فمالاً من الخزائن لايُخرجُ ، وآخــرون علــى رأسه يقفون ..

فأعولَ ننورتا وهو على عرشه : أفمُلْكَ ابن إيناكلي إيّاي تــسألُ !!.. مُلْكَ ابن إيناكلي تَنشُدُ فإيّاي تسألُ ، ولا رجُلَ لديك في تينك البائسة مملكتكم !!..

ثم نادى على كوشاشْكرِ أنْ يبعث بمن يستقدم لــه آلْ المعبــد . واذ ورَدَتْ نَنْ دادا مجلسَه تصطحبُ معها أمارجي ، وقبل أنْ تتخــذَ لهــا مقعداً بادرها : بالحقِّ لسانُ وزيرنا ابن آينمر كاجينا رجُلك قد نطقَ .. في أُذنك قولتُه وقَعتْ لابد .. ففي ماعرفتِ منها ماقولتُك ؟.

.. مُتِّعتْ مملكتُك بظلِّك يا ايها العظيم يا ابنَ الاله القديرَ أنليل أنتَ .. شيئاً من قولته لم أعرف .. بالمعبد مرَّ ، وعُبّادُ الاله أنليــل بقرابينــهم ينتظرون .. ماالحقَّ الذي به امامكم قد نطقَ ؟.

فأمرَ وزيرَه أنْ يُعيدَ على مَسمَع آلْ المعبد ماقاله قبل قليــل . أعــاد

كاجينا ماقاله أمام ننورتا ، فلم تفلِتْ من لسانه كلمةُ واحدة . بعد ذاك قال ننورتا : ياآلْ المعبد نَنْ دادا الجميلة أنتِ ؛ أترين ؟.. بمثل ماعينُك ترمشُ ، رجلُكِ ابن آينمر ، الذي وزيرُنا هو ، بمُلْك ابن إيناكلي يأتي!!.. رمشة عين واحدة ، لاغير ، ومُلْكُ ابن إيناكلي بين يديَّ يكون .. تلكُم هي قولة ابن آينمر رجُلُك وزيرُنا التي في أُذنك للتوِّ وقَعتْ .. أم قولةٌ اخرى سواها في أُذنك قد وقعت ايتها الجميلة نَنْ دادا انت ؟.

.. مُتِّعتَ بالصبر ايها العظيم ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا ، فصدرُك اتَّسعَ ، فلا تهكُّم فيه تبقّى .. ابن آينمر كاجينا الوزير خالي الوفاض لا يعود .. والذي به لسانُه قد نطقَ انما نصفُ الحقِّ هو لابد .. مُتِّعتَ بالصبر ايها العظيم ، فأُذنيك أذللتَ لما من الحقِّ على لسانه يحفظُ .. (وتبسَّمت وهي تلتفت الى كاجينا ابن آينمر).. أوَليس ثمة من الحق على لسانك به تحتفظُ يا ابن آينمر ؟.

ناد كاجينا برأسه ، ثم .. إنْ برضاه مليكي العظيم إيّاي غمرَ ، فلساني أطلقَ ، فإنَّ الذي من الحق قد جئتُ به إيّاكما عليه سأُظهرُ في رمشة العين القادمة .

بسطَ ننورتا له يده دون أنْ يتكلم ، فبشَّ وجهُ كاجينا ابن آينمر ..ايها العظيم ، عظيم جِرسونن وعظيمنا ؛ وإنْ رجالُ ابن سين أكثرَ من الفين عديدُهم بلغَ ؛ وإنْ حرّاس الملك ليلَوم الخمسون لا يدَ لأوش ابن لوجال ، صاحبي ، على أعناقهم ؛ وإنْ الآخر صاحبي إنتيمنا ابن آجا لا يدَ طليقةً له في أموال خزائن قصر ابن إيناكلي .. وإنْ كلُّ ذينكم حقٌّ ، فالحقُّ ايضا أنَّ الناس في مملكة ليلَوم وسواها من أرضين سومر ، قولةٌ من السماء هَبطُ عليهم اليومَ إيّاهم تُسيِّرُ .. قولةٌ بأيديهم

تاخذُ فبالليلِ النهارَ يستبدلون ؛ وثم قولةٌ اخرى بأيديهم تأخذُ فاذا بهم بالنهارِ الليلَ يستبدلون ..

وصمت وابتسامة ترسمُ على وجهه ، بينما عيناه تتنقّلان ما بين الملك وآلْ المعبد . ملامحُ وجه ننورتا لم تتغير ، كأنَّه لم يسمع كلمةً جديدة من كاجينا ابن آينمر ؛ وأمّا وجه نَنْ دادا فقد تقــبَّض وهــي تقطِّب جبينَها وتزوي مابين حاجبَيها فوق عينيهــا المتــسائلتين . واذا مكث الصمتُ بينهم هنيهةً ، أردفَ ابن آينمر : وبالــسؤال علــيَّ ستقذفان : يا ابن آينمر كاجينا ايها الوزير أنتَ كيف ذانك يكون ؟.. يا ايها السائلون بالجواب اليكما ، فأنّي متحدِّثٌ فبالحقِّ ناطقٌ .. يــا عظيمنا ثمة رابية معشوشبة خارج مدينة ليلَوم هي .. وعلــى تيــنكم الرابية زُرّاعُ شعيرٍ أربعة ، شُبّانٌ هُم وكُرّاع جَعَّة هُم ، فهم إنما من الى السماء رأوا ، فالالهَ الكبيرَ آنْ وجدوا .. وهُم انّما مَنْ إسماً للاله الكبير منحوا ، وهُم إنّما مَنْ الى بيت الاله آنْ الذي في الــسماء هــو رأوا فامرأةً له وجدوا وإبناً ..

هنا اتَّسعتْ تكشيرة ننورتا فبانت أسنان فكِّه الاسفل أيضاً .. أغــيرَ الاله القدير أنليل ثمة إبنٌ آخر للاله الكبير آنْ الذي في السماء هو ؟.

وعلى الفور ، وسيماءُ الحكمة تجتاح وجهَ ابن آينمر .. بــل انهم رأوا ولاغيرَ الاله القدير أنليل وجدوا .. وهُم إنما مَنْ إسماً إيّــاه منحوا .. الناسُ في مملكة ليلَوم ، كلُّ الناس في مملكة ليلَوم يتحــدثون فبالحقِّ الذي به نطقتُ الان ينطقون .. قولةٌ من تينكم الرابية الى المدينة تهبطُ فقلوبُ الناس إيّاها بلا إبطاء تدركُ .

فادخل ننورتا لسانَه ..أقولةٌ ابن إيناكلي بمصاف أبناء الاله آنْ هو ، من تينكم الرابية هبطَتْ؟.. أزُرّاع الشعير الاربعــة أُولاء بهــذه

القولة ألسنتُهم نطقتْ ، فقلوبٌ للناس في البائسة مملكتكم إيّاها أدركتْ ؟!.

.. هذا لم يكن يا عظيم جِرسونن وعظيمنا .. هذا لم يكن .. فزُرّاع الشعير الاربعة أُولاء الى السماء أيديهم ما مدّوا ، فالاله الكبير آنْ على الارض أنزلوا .. أبداً أُولاء مافعلوا .. ليلَوم ابن إيناكلي بنفسه فعلَ ، فالاله الكبير آنْ على الارض أنزلَ ، اذ قولتُه على لسان ابن زاجيري مُناديه وضعَ أنْ أنَّه ليلَوم الحكيم ابن إيناكلي الحكيم بمصاف أبناء الاله آنْ هو ، وتعيسُ حظٍّ ابنُ تعيس حظٍّ مَنْ إيّاه بالسوء مسَّ او مملكتَه .. الاربعةُ زُرّاع الشعير ، شُبّان الرابية المعشوشبة يا عظيمنا بالسماء مفتونون هُمْ ، فإليها يرون ففيها يجدون ما الاخرون لايجدون ؛ أمّا بالأرض فلا شأنَ لهم .. الى مدينة ليلَوم لم يهبطوا .. عيوني التي الى طرقات المدينة بها قذفتُ إيّاهم في المدينة لم يروا .. انما قولاتُهم في طُرقات المدينة أُذناي تسمعُ ، فعلى السنة الناس قولاتُهم هي ، وقلوبٌ للناس قولاتِهم تدركُ ..

وقطعَ حديثَه ، ومن العرش تدنّى .. يا عظيم جِرسونن يا عظيمنا ؛ الناس اليهم يرون ، فالصدقَ فيهم يجدون .. فقصرُ ابن إيناكلي لم يلجوا ، ولا في موكبه ساروا فبخوراً له أحرقوا .. الصدقَ عين الصدق الناسُ فيهم يجدون .. فإنْ قولتُهم الشمسُ من أُفق غروبها تشرقُ الناسُ صَدَّقوا ..

فلم يتمالك ننورتا نفسه وهبطَ درْجات سُلَّم عرشه الى الدكَّة المتَّسعة التي كان ابن آينمر يقفُ عليها . ثم أرخى ذراعَه على كتفَي هذا ؛ وبما يقرب من الهمس : فإنْ قولتُهم للناس أنَّ ابن إيناكلي ليس للاله الكبير آنْ إبناً .. بل مُدَّعٍ هو ؟.

أجاب كاجينا على الفور ، حتى دون أنْ يلوي عُنقَــه نحــو السائل : فقولتَهم قلوبُ الناسِ تدركُ يا عظيمنا .. وها أنتَ من على لساني مايريدُ النطقَ به تأخذُ .

رفع ننورتا ذراعَه عن كتفَي وزيره ، ثم فتَلَه اليه يواجهُه : الى الرابيـــة المعشوشبة أحُد رجالك فليُيمِّمْ .

.. لا يا ايها العظيمم .. زُرّاعُ الشعير أُولاء لكَ بأيديهم لن يعطوا .. أحُسبانك أنَّ ابن إيناكلي الى تينكم الرابية قبلَك لم يُيمِّم ؟!.. هـــو أو حاجبُه يمَّم لابد .. وإنْ إبنُ حاجبه فيهم ، بأيديهم اليه لم يعطوا .. وإنْ مليكُهم هو ، بأيديهم اليه لم يعطوا .. لم يعطوا أبداً .. فما الى ســـبيلٍ بعد ذينكم ابن إيناكلي إهتدى ، إلاّ أنْ الامرَ بناصيته هو يعقـــدُ فبـــهِ يمضي .

.. إنْ صاحبُك ابن آجا على رأسه آخرون يقفون فلا مالَ من الخزائن ينفقُ ، من خزائني مالاً إغترفْ ، وبما تغترفُ الى الرابية المعشوشبة يَمِّمْ.

.. لا يا عظيمنا .. ثانيةً قولتي لا يا عظيمنا .. فلو بكامل خزائنك الى تينكم الرابية اللعينة يمَّمتُ بأيديهم لي ماأعطوا .. كُرّاع الجَعَّـــة أُولاء زُرّاع الشعير أُولاء في عين الصدق يتلبَّثون .. فلو في غير تينكم العين تلبَّثوا قولاتِهم قلوبُ الناسِ ماأدركتْ .

ابتعد ننورتا عن كاجينا ، وهبطَ الدكَّـــةَ المتَّـــسعة ويـــداه معقودتان وراء ظهره ، وراح يخطو مطـــأطيء الـــرأس حـــتى بلـــغَ كوشاشْكرِ حيث يقف هذا على باب البلاط ؛ ثم عاد بعد هُنيهةٍ ورأسُه مرفوع يوسعُ خطاه نحو وزيره .. تانكم الرابية اللعينة خـــارجَ ســـور مدينتكم .. قولتُك هذه .. أليست هذه قولتك ؟.

.. بلى ايها العظيم .

.. بأشداءِ من حُرّاس جِرسونن عليها تطبقُ ؛ وقبل أنْ الظلمةُ عنـــها تنقشعَ ، بزُرّاعِ الشعير إليَّ تأتون . فانا الجاعلُ بتينكم القولة ألسنتهم تنطقُ . فصاحت نَنْ دادا وهي تقتعدُ الدكَّة الصغيرة على يمين العرش ، ورداؤها المقدَّس يسترُ جسدَها بالكامل فلا يُظهِرُ منه حتى كفَّيهـــا : أقولةَ مليكك يا ابن آينمر كاجينا أنتَ قلبُك قد أدركَ ، أم سوى تينك القولة في قلبك قد وضعتَ ؟.

.. بأشداءِ من حُرّاس جِرسونن على الرابية أُطبقُ .. غير أنّي بـــزُرّاع الشعير أولاء الى مليكي العظيم لاأأتي .. وبالسؤال عليَّ ستقذفان : يا ابن آينمر على تينك الرابية ماذا أنتَ فاعلٌ اذن؟.. فأتحدَثُ فبالجواب أنطقُ .. على نحور ثلاثة منهم ثلاثاً من مِدينا نـــضَعُ ، وفي خواصـــر الثلاثة أسنةَ ثلاثة رماحٍ نضعُ ؛ ثم بالرابع الى مدينة ليلَـــوم نـــدفعُ ، والظلمةُ بالرابية تمسكُ مابرحت . ففي أُذن إمرأته تانكما القولة يضعُ أو جثثاً لصَحبه على الرابية يجدُ .. وعلى الرابية ، من ثَمَّ، يوماً كاملاً نمكثُ فلا نهبطُ عائدين الى جرسونن حتى الى علمي ينتهي أنَّ الناسَ في مدينة ليلَوم قلوبٌ لهم أدركتْ أنَّ ابن إيناكلي ليلَوم مليكَهم ليس للاله الكبير آنْ إبناً ، فمُدَّعٍ هو لابد .

وبمثلما تطرف العين وثبَ الملك ننورتا وأخذَ وزيرَه في حظنه وجعل يلثُم وجهَه ، فلا ينطبعُ على وجه هذا من اللثمة الاّ أثرٌ لـــشفة واحدة وصف أسنان يسيلُ خللها اللعابُ .. ذلكم هو ذلكم هو .. فلا سواه من تدبير .. يا ابن آينمر قُتلتَ فلا قبرَ لكَ .

هنا نهضت آلْ معبد الاله انلييل والى الملك ووزيره خَطَتْ . وبصوت مُفخَّم ينبعثُ من عمق صدرها .. له كلمةٌ إلهكمـــا القـــديرُ أنليل ، فبتينكما الكلمة روحُه ستهمسُ فأُذنُ آلْ معبـــده ستـــسمعُ.

وانسحبت تخرج من البلاط الى المعبد .

تقول أمارجي ، التي خرجت في إثرها ، أنَّها اندهـــشت ممّـــا سمعت من سيدها ؛ وذات الاندهاش ألفتْه في عيون ننورتا وكاجينـــا اللذين ظلاّ يحملقان ، دون كلام ، أحدهما في الآخر . وتقول أيضاً أنَّ رغبةً لها كانت تستبدُّ بها في سؤال سيدها كيما تبدُّد دهشتها اذ تسمعُ منها جواباً ، او على الاقل هذا ماكانت ترنو اليه .. إلاّ أنَّ سيماءَ الجدِّ والرزانة التي وسَمتْ وجه نَنْ دادا وهيئةَ الوقار التي تقمَّصتها عقدت لسانَ أمارجي فما نطقتْ حتى وهما تقفان أمام حَجَر روح الاله أنليل وسطَ باحة المعبد . دنَتْ نَنْ دادا من الحجر ولفَّت إحـــدى ذراعَيهـــا حوله وألصقَتْ به أُذنها . ثم تلبَّثتْ على هذه الحال منقطعة الأنفاس ، كما لو انها خشيتْ من أنْ تفلت من أُذنها كلمةٌ مما همسُ روحُ الالـــه به لو انها تنفَّستْ . فاذا ماعادت الى صدرها حركتُه إنفتلتْ عائدةً الى بلاط ننورتا ، وأمارجي لاتملك إلاّ أنْ انفتلت معها .

لم يكن ننورتا قد ارتقى الى كرسي عرشه . إنَّه واقفٌ غير بعيد عن عرشه يمسك بذراع كاجينا ابن آينمر وعيونُهما متحجِّرةٌ تتسمَّر بفتحة باب البلاط .. كذلكم ألفتهما أمارجي الناظرة اليهما من فوق كتف سيدها . وقبل أنْ تمعن أمارجي في الحديث الى نفسها ، انـــدفع الاثنان نحوهما .. الملك ووزيره ، لا فرق ، اندفعا نحوهما ؛ وإنْ كـــان الملك قد سبقَ صاحبَه وبالسؤال لهَجَ : أبكلمتها روحُ الالـــه أنليـــل هَمَستْ ؟.. هه..ماقولتُها ؟ ماقولتُها ؟ . أمّا الوزير ، وقد سبقه مليكه الى ذينكم السؤال ، فاكتفى بفغر فمه دون أنْ يزايل التحجُّر عينَيه .

فتقول أمارجي ثالثةً أنَّها لاتدري كيف تراءى لها أنَّ الملـــك ووزيره كانا سيجثوان أمام آلْ المعبد ، سيدها ، لو انَّ هذه تـــأخَّرت

بالردِّ . على ان الذي حصل بعد ذينكم لم يتراءَ لأمارجي قَطّ .. لقد حصل فعلاً .. لقد حصل حقّاً وحقيقةً ؛ اذ تجاهلت نَـنْ دادا الملك والوزير المندفعين بالسؤال نحوها ، ومضَتْ بـرأسٍ شامخ وكتفَين مفرودَتين وقامة فارعة ممدودة ، فما توقَّفتْ حتى اعتلت دكَّة العَرش المتَّسعة أولا ثم ارتقت دِرْجات سُلَّم العرش الخَمس . ففوق الدرجة الخامسة انما توقَّفت .. لم تقتعد كرسيَّ العرش ، إنما فوق الدِرْجة الخامسة انتصبتْ ، والملكُ ووزيرُه على أرض البلاط يقفان وعيونُهما تشرئبُّ اليها . فمن على الدِرْجة الخامسة ، من فوق الجميع إنطلقَ صوتٌ مقدودٌ كأنَّه صخرٌ مسنون .. إلهكما القدير أنليل يشاءُ فمشيئتُه أنْ أشدّاء من جِرسونن يفوق الألف عديدُهم يحتشدون .. بمِديهم ورماحهم يحتشدون ، ثم ابن آينمر كاجينا الوزير على الرابية المعشوشبة لا يُطبق ، فزُرّاع الشعير الأربعة ، الذين الى السماء رأوا فالاله الكبير آنْ وجدوا ، لايُرتَهنون .. إيّاً منهم ابن آينمر الوزيرُ لا يرهَنُه .. بل رجالٌ ونساءٌ في مدينة ليلَوم وسواها من قرًى في السرِّ يعملون .. بتينكم القولة يهمسون .. بها الى آذان بعضهم البعض يفضون .. أنْ ابن إيناكلي ليلَوم مُدَّعٍ هو فليس للاله الكبير آنْ إبناً هو .. وأنَّ القولةَ هذه من فوق الرابية المعشوشبة هابطةٌ اليكم ياأهل مملكة ليلَوم أنتم .. من أفواه الاربعة الرائيين ، الاربعة الصادقين هذه القولةُ انما هي .. ألا ياأهل مملكة ليلَوم عُوا فتدبَّروا .. ثم اذا ماالقولةُ بين الناس فَشَتْ فإلى رجال بوزو ابن سين انتهت والى حُرّاس الملك ليلَوم بلَغَتْ انشقَّ جمعُهم فقلوبُهم تفتَّتَتْ فخوَت على العرش دُنياهم ؛ فبأشدّاء جِرسونن ابن آينمر عليهم يحملُ ، فالعينُ تطرف فاذا بعرش ابن إيناكلي بين يدَي ابننا ننورتا يصير .

ثم عبَّت من هواء البلاطَ نَفَساً عميقاً ونَفَساً عميقاً ، ثم نَفَساً آخر عميقاً وهبطت درْجات السُلَّم تتهجَّس طريقها كأنَّها مابرحت في عالم الاله أنليل ، ذانكم الذي ليس على الارض هو . ومن فورها ، اذ صارت على الارض ، سارت بتؤدة تغادرُ البلاط . فما كان من ننورتا إلاّ أنْ تبعها وهو يأمر وزيره أنْ يلتحق به . وفي باحة المعبد حيث انتهى الثلاثة ومعهم أمارجي ،

اندفع ننورتا الى كتلة حَجَر روح الاله أنليل فجثا أمامها وحذا كاجينا حذوه . ثم نهضا وجعل ننورتا يتمسَّح بالحَجَر ويتضرَّع لأبيه الاله أنليل أنْ يجعل من سومر بأسرها تحتَه . فتردَّد صوت آلْ المعبد بين جدران السور ، تينكم التي تشهق بارتفاعها كأنّها تَنشُدُ بلوغَ السماء .. تردَّد صوت آل المعبد ، فسامعُه ليس بوسعه أنْ يصدِّق بأنَّه صوتٌ لامرأة : صوتٌ متين راسخ يأخذ بالقلوب ، كما لو انّه من السماء قادم .. يا ايها الملك نورتا ابن أُورجولا ابن كاركلا وإنْ من الاله القدير أنليل بمصاف ابنه أنتَ ، لاضراعةَ لك عند الاله أبيك إلاّ بثاغيات وراغيات قرابينَ بها حضيرةَ المعبد تملأُ ، وبمالٍ خزانةَ الاله أبيك تنفُحٍ . فالتفتَ الى وزيره ، وهو بعدُ لصقَ حجَر روحِ الاله، وأمرَ بالقرابين وبالمال .. وكان صوتُه متهدِّجاً تخنقُه عَبرةٌ.

انشغل كاجينا ابن آينمر ، بعد ذاك بانجاز أُمور ثلاثة في آنْ : ففضلاً عن سَوقِ القرابين الى حضيرة المعبد ونَفْحِ خزانة نَنْ دادا بالمال كي تتشفَّع هذه للملك لدى أبيه الاله أنليل فيقبل منه تضرُّعَه .. فضلاً عن انجاز هذا الامر ، كان عليه ان يحشد أشدّاء من جِرسونن ومن قرى جرف البحر العظيم يفوق الالفَ عديدُهم ، فيجعلهم يتلبَّثون خارجَ سور جِرسونن في انتظار الاشارة التي على إثرها سيحمل بهم

على مدينة ليلَوم . كما كان عليه ، في الآن ذاته ، أنْ ينتقي من أهــل جِرسونن ثقاةً مَهَرةً يبعث بهم متسلّلين الى مدينة ليلَوم والقرى الــتي تحت جُنح ليلَوم ابن إيناكلي هي .. هناك واذ هُم بين الناس ســتنطقُ ألسنتهم بتينكم الكلمات التي تجعل من ابن إيناكلي مدَّعياً أفّاكاً ، الاله الكبير آنْ منه بَراء ؛ ولن ينسوا أنْ يؤكّدوا لسامعيهم أنَّ ماينطقون به نَطَقَ به الرائون الأربعة الصادقون أُولاء ، أصحاب الرابية المعشوشبة الذين لاينطقون بكلمةٍ إلاّ عن عِلم من الاله الكبير آنْ يأتيهم . ولــن يكتفي كاجينا ابن آينمر بأوُلئك الذين ينتقيهم من جِرسونن ، وانمــا سيرحل بنفسه مرَّةً أُخرى الى مدينة ليلَوم فبرَجُلَيه هناك يلتقي حيــث يضع على عاتقَيهما المهمة ذاتها . فأُوش ابن لوجال وإنتيمنا ابن آجا، وعلى الرغم من أنَّ ليلَوم الملك قد بترَ أجنحتَهما ، فأنَّهمــا مــا زالا قادرَين على أنْ يكون لهما أتباع .. أتباعٌ ممــن الرجــال والنــساء لايطالباهم بالقتال الى جانبهما بل بالهمس حَسْب ببعض كلمــات في آذان الناس ؛ ومن الناس رجالُ بوزو ابن سين حُرّاس المملكة وكذلكم حرّاس ليلَوم الملك اولئك الخمسون الذين لايصدَعون لأوامــر ابــن لوجال .

ابن آينمر اذن يسابق الزمن فيُنجزُ كل ذينكم في آنْ ؛ ومادَريَ أنّه انما كان يسابق أمارجي أيضا . اذ لم يغمض لهذه جِفنٌ حــتى بعثــت الى شوكليتو بتينكم المرأة التي حَظيتْ بها في جِرسونن .

كان ليلَوم الملك أيامئذ يرزح تحت وطأة هاجس اللَّوذ بمَــنْ ينزع عن رأسه ذينكم الجَرَن الذي انحشرَ فيه : أنهارُ سومر وســواقيها دمٌ ، بدلَ الماء ، جارٍ فيها لابد .. قولةٌ هذه نطقَ بها لــسان الــشيخ مِيْسلِم ابن شيش ، فعاضده لسان لوسين ابن لولو الذي عن ألــسِنةِ

صَحبه الثلاثة ينطقُ . فليلَوم ابن إيناكلي ، الحكيم ابـــن الحكـــيم ، مُنكفيءٌ على نفسه هو .. اذ يعلم أنَّ الامر برمته قد أفلتَ من يده .. من بين أصابعه أفلتَ وهو اليه يرى ، بعد أنْ فتح باباً لكلِّ من يـــشاء من البشر أنْ يزجَّ بالاله الخالق الكبير وأبنائه في شؤون المُلْك .

فحين أنهى شوكليتو اليه ما جاء على لسان المرأة القادمة من أمارجي ، وكان متربِّعاً على كرسيِّ عرشه ، عاقداً ساقَيه تحت عجيزته، ودافناً وجهَه بين كفَّيه ، رفع رأسه الى حاجبه واستعادَهُ . واذا أعـــاد شوكليتو ما قال ، لم يزدَد وجه ليلَوم الملك تقطيباً ، فقد كـــان بلـــغَ بتقطيبته أصلاً اقصى التجهُّم . إلا أنّه نطقَ .. اجل نطـــقَ فخرجـــت كلماته منقوعةً كأنَّها كانت غاطسةً ببِركة لعابٍ ركَدَ هوراً ، فهـــي تنتزعُ نفسها انتزاعاً من على سطح لسانه : أوَليسٍ هذا الـــذي مـــن يومين الناسُ به يتهامسون ؟.. أبجديد لسانُ تينك المرأة قد نطـــقَ ؟.. وقبل هذا أوَليس حقّاً ماألسنةُ الناسٍ به تتهامسُ ؟. أوَليسَ حقّاً أنَّ ابن إيناكلي مُدَّعٍ أفّاك ؟!.

.. يا مَنْ لاعظيمَ سواه في سومر بأسرها ..

فقاطعه ليلَوم الملك زاعقاً وقد فكَّ عُقدةَ ساقَيه وقذف بهمـــا متدلّياً .. بل ثمة مَنْ هو عظيم سواي يا ايهـــا الرجـــل أنـــتَ .. الى جِرسونن بعينيك إقذفْ .. الى جِرسونن بعينيك إقذفْ .. الى ذينـــك الذي لاأبَ له بعينيك إقذفْ .. بل الى مَنْ مليكك إيّاه ترى بعينيـــك إقذفْ .. فتحدَّثْ فبالحقِّ لسانُك ينطقُ .. أليس ثمة مَنْ هـــو عظـــيم سواي في سومر بأسرها ؟.

يقول شوكليتو انه وجد نفسه ، هكذا بغتةً ، يتقدَّم من العرش فيجثو امام ليلَوم ابن إيناكلي .. مُتِّعتَ بالمغفرة يا ايها العظيم فغفـــرتَ لي إنْ

الى معبد الاله آنْ هرعتُ فبالشيخ مِيْسلِم ابن شيشش عُدتُ .. اليك يا ايها العظيم أتوسَّل فأنا من رمشة العين هذه الى المعبد منقذفٌ .. لي إغفرْ .. لي إغفرْ .

ونطَّ فعلاً من جثوته وانقذف نحو باب البلاط غير مكترث بمباركة لسان مَليكه ينطقُ بها أم لا . ثم ما هيَ الا هنيهة وعاد يحمل الشيخ ابن شيش على ظهره ، وهذا يعولُ لاعناً شوكليتو تارةً وتارةً آمراً إيّاه أنْ يخبره بما يحصل . إلاّ أنَّ الحاجب لم يفه بكلمة حتى أنزل آلْ المعبد أمام الملك .. عند ذاك طفق يُفسِّر أولاً ، وهو يلهث ، لماذا أتى بمِيْسلِم ابن شيش على ذينكم النحو فقال انه ماكان ينبغي له أنْ يمنح الشيخ كلَّ الوقت الذي يحتاجه كي يصل الى البلاط ، فالأمرُ الذي هم بإزائه جَلَلٌ . ثم راح يوجز لابن شيش الاخبار التي أوردها المرأة من جِرسونن فضلا عن الهمس الذي بدأ يقعُ في آذان الناس ، فعلاً ، منذ يومين . واختتمَ وأوصالُه ترتعدُ فَرَقاً : .. اليك يا ايها المُبجَّل بنفسي قذفتُ ، وما من العظيم مليكنا أمرٌ صدَرَ ، فالذي به لسانُ عظيمنا قد نطقَ لا قِبَلَ لي به .

وضع مِيْسلِم ابن شيش يده على رأس شوكليتو .. أنفاسَك بصدرك لا تحبسْ ايها الفتى .. حسناً فعلتَ اذ على ظهرك إيّاي حملتَ .. (ثم انفتل نحو ليلَوم الملك الذي مابرح مقتعداً كرسي عرشه ذاهلَ النظرات).. بُنَي ليلَوم الحكيم ابن الحكيم إيناكلي العزيز .. سواك لا عظيمَ في سومر بأسرها وفي سائر الأرضين من حولها .. قولةٌ هذه لساني بها لاينطق لأنك ابن العزيز إيناكلي ، وانما لأنَّ الحقَّ عينَ الحقِّ في القولة هذه يكمنُ .. أعظيمٌ فلا أبَ له ؟.. اين الحق في هذا ؟.. وعند هذا الامر لاأمكثُ .. انه وراء ظهرك لابد ..

اتحدث فبقولة اخرى انطق .. ذانكم ماعليَّ فعله ..

زَمَّ شفتيه فانطويتا داخل فمه ، وهو يَعبُّ نَفَساً عميقاً ، كذينكم الذي يسبق إطلاق حَسْرة تهشِّم الصَدر . ثم انفرجت شفتاه .. بُنَي ليلَوم .. قولةً بها إيّاك يوماً جلدتُ ، لساني لن يُكرَّرَ الان .. لا مراءَ انك مَنْ الوِزْرَ يتحمَّلُ .. (وصمت وأسند ذراعه اليسرى على اليمنى التي تتكيء على عصاه).. لا .. في هذه القولة لا أمضي .. إنْ فيها مضيتُ فلساني اذن يكرِّرُ .. في هذه القولة لا أمضي .. بُنَي ليلَوم ذانكم الذي وزيراً لك كان فإيّاه شرّاً سلبتَ كان يضمرُ ، اذ بنوَّةَ الاله الكبير آنْ إدَّعيتَ .. واأسفاه عادَ وشرَّين بناصيته قد عقدَ : شرّاً فيه أنتَ تعرفُ ، بُنَي ليلَوم ، وشرّاً لذينكم الذي لااب له ، مليكه الجديدِ .. (وصمت ثانية ؛ ثم ..).. قُتلتُ فلا قبرَ لي أنّي بالسفاهات أهذرُ .. بُنَي ليلَوم من عرشك إنهضْ .. إنهضْ إنهضْ ؛ فمثل الذي هذا الفتى حاجبكم به قد نطقَ أنطقُ ، انا شيخك ابن شيش ، فقولتي أنَّ أمراً جَلَلاً بالمملكة يتربَّصُ .. أشدّاءُ من جِرسونن الالفَ عديدُهم يفوقُ، يتحشدون وأعينهم الى إشارة من ابن آينمر تتطلعُ .. أوَليس هذا عديدُهم يا ايها الفتى ؟.. فأجاب شوكليتو وهو ينود برأسه : بلى يا ايها المُبجَّل ؛ وعديدُهم يزيد اذ بهم ابن لوجال يلتحقُ وابن آجا ورجالٌ حول هذين يجتمعون .. ولعلَّ لاما ابن زاجيري مُنادي عظيمنا ملتحقٌ بهم ايضا ؛ فابن زاجيري لا ينسى انه منادياً ما صارَ لولا كاجينا ابن آينمر .. بهم ملتحقٌ لعله ذانكم المُنادي .

..حَسنٌ .. كلَّ أمرٍ وراء ظهرك إلق بُنَي ليلَوم وانهضْ .

واذ تردَّد ليلَوم الملك فلم ينهض على الفور ، أردف ميْسلم ابن شيش .. قولةً لن ادَّعي أنَّ الاله الكبير آنْ همس فأُذني إياها سَمعتْ،

أنا آل المعبد .. فباطلٌ هذا كما تعلمُ وأعلمُ .. في السماء هو الالـــه الكبير آنْ ، وهذا انما هو الحقُّ ؛ والحقُّ ايضا أنه في أُذن أيٍّ من البشر لا يهمس .. فهي قولتي إذنْ ، انا مِيْسلم ابن شـــيش شـــيخك ، وأني قائلُها .. قولتي أنْ إنهضْ .. لابأمرِ من الاله آنْ تنهضُ ، بـــأمري انـــا شيخك تنهض وبأمر الناس ، أهلُك الذين مَلكاً بك ارتضوا ، تنهضُ .. دماءهم أنتَ حابسُها وكرامتَهم أنتَ حافظُها وأرضَهم أنتَ حاميها وأعراضَهم .. كلَّ أمرٍ وراءَ ظهرك الان إلقِ فانهضْ ومن عرشـــك إليَّ إهبطْ ..

وجعل يضرب الارض بعصاه اذ احتقن وجهـــه وانتفخـــت أوداجُه وجحضتْ عيناه وقد استبدت به حُميا قولته : إنهضْ إنهـــضْ إنهضْ . حتى أنشبَ السعالُ أظفاره بصدره ، فذانكم هو وجهُه يزرقُّ بعد حُمرة ، موشكٌ على الاختناق . لقد انطوى على عـــصاه الـــتي صارت تترنَّح تحت وطأة جسده المُختضِّ ؛ فلم يملك ليلَوم الملك الاّ أنْ هبط من عرشه كأنَّه يطير الى حيث مِيْسلم ابن شيش يشتري الـــنَفَس بثَمن . ومن فوره صرخ يأمر شوكليتو أَنْ يفتح باب الـــبلاط علـــى مصراعَيها والنوافذَ ، وأنْ يأتي شيخَه بكوز ماء .. بينما راح هو يهوي بكفٍّ مفتوحة على ظهر مِيْسلم ابن شيش ، يترابتُ ويتوسَّل اليـــه أنْ يصمد حتى يسعفُه شوكليتو بالماء .

لم يتأخَّر حاجبُه ، اذ سرعان مااجتاحت فضاء البلاط دفقـــةُ هواء بارد بعد أنْ فُتحَ البابُ الكبيرُ والنوافذُ . ثم هاهو ليلَوم الملـــك يتولىً بنفسه سِقاية شيخه ابن شيش ، فيدسُّ حافةَ الكوز بين شفتَيه ، ويُعينه بيده الاخرى على أنْ يَفرد قامتَه .. بمائك إهنأ شيخي المبجَّل ، فليلَوم ابنكم على قدميه بين يديك قد وقفَ .. ناهضٌ هو ، مُلبٍّ هو ،

غيرُ عائد الى العرش هو ، حتى الدماءَ يحبسُ والكرامةَ يحفظُ والارضَ يحمي والعرضَ يصونُ .. بين يديك شيخي المبجَّل واقفٌ ليلَوم ابـــنكم ناهضٌ مُلبٍّ والى عرشه غيرُ عائد ، الاّ اذا الدماء إنحبستْ والكرامـــةُ إنحفظتْ والارضُ إنحمتْ والعرضُ . عند ذاك ، وقد كرَعَ ابن شيش ما في الكوز وهو يستمع لليلَوم الملك ، مسحَ عينَيه المغرورقتين بظاهر كفِّه . في كل مرة تلازمه نوبة سعاله لا تزايله حتى يــتخلَّص ممّـــا في صدره ؛ أمّا في هذه المرَّة فلم يضطر الى قشع بلغمه اذ هدأ السعال بعد أنْ أطفأ الماء نوبتَه .. ذلكم هو ابنك يا ايها العزيز إيناكلي ؛ ففي قبرك إغفِ وعينُك قريرةٌ .. (وأخذ ليلَوم الى حضنه وطبع قُبلــتَين علـــى وجنتَيه) .. بُني ليلَوم عُصبةُ ابن آينمر في بيوهم عليهم تتحرَّزُ .. ابـــن لوجال وابن آجا وابن زاجيري وباقي رجاله ، الذين هـــم جُلاّســـك الان، في بيوهم إيّاهم مُرْ أنْ يمكثوا .. في بيوهم إيّاهم أودعْ ، فعلـــى أبواب بيوهم حُرّاسٌ أشداءُ من رجال بوزو ابن ســـين ســـيرابطون .. لأجنحتهم لا ريشَ تُبقِ .. ريشَ أجنحتهم إنتفْ ففي سماء مـــدينتك لا يطيرون .. فإنْ ريشَ أجنحتهم نتفتَ نتفتَ ريشَ أجنحة ابن آينمـــر وسيده ، ذينكم الذي لاأبَ له .. ولإبن سين ، رجُلك الذي تأتمنُ ، ما يفعل غير هذا ايضا .. فعلى ثغور مملكتك رجالَه انما سيقفون .. مثـــلَ منيعٍ حائطاً سيقفون فيرابطون ، فالقادمين من جِرسونن وسواها مـــن قرى البحر العظيم يحجبون .. فئةٌ من رجال ابن سين أُولاء ، أمّا الفئة الاخرى فمَديهم يسنُّون ورماحَهم يُهيِّئون وعلى التخوم يتربَّصون .. (ثم التفت الى يمينه حيث كان شوكليتو ما برحَ يقف ، لم يَعُد الى موقع عمله عند باب البلاط) .. لاإبنَك ولاصحبَه الرابيةَ سيهبطون فألسنتهم في الذود عن مليكهم سيطلقون .. أوَليسَ الحقُّ في قولتي هذه ؟.

.. مُتِّعتَ بالمغفرة فغفرتَ لي جهلي يا ايها المُبجَّل .. لاأدري إنْ كانوا الرابيةَ سيهبطون إلينا ، إذا ماعلى الامر الجَلَل يُظهرَون .

كانت ذراعُه اليسرى ماتزال مَرخيّةً على كتَفَي ليلَوم الملك .. طبع قبلتَين على وجنتَي هذا . الا انهما لم ينفكّا عن بعضهما ، فظـــلَّ مِيْسلِم ابن شيش مُرخِياً ذراعَه على كتفَي الملك وهو يقتـــرح ، بمـــا يَقربَ من الإملاء ، عليه ماينبغي له أنْ يفعلَ . فلما سمع ردَّ شوكليتو .. مليكُك ايها الفتى الى الرابيةَ لن يبعثَ .. أنتَ ايها الفتى الى ابنـــك إبعثْ ، فعلى الامر الجَلَل إيّاه تُظهرُ .. أمّا انا فلن أنتظرَ حتى تدري .. (ثم انقلب يفتل عنقه الى ليلَوم الملك الذي هو في حُضنه مـــا زال).. بُنَي ليلَوم أنّي الناسَ الى المعبد داعيهم ، ألا فاعلمْ .. من رمشة العـــين هذه الى المعبد الناسَ داعيهم أنا ؛ فمناديك بُنَي مُرْ أنْ يلفَّ في مدينتك، فبدعوتي الناس صوتَه يُعلي .

جذب الملك نفسه من تحت ذراع ابن شيش .. استلَّ نفـــسه برفق تاركاً خطوة واحدة تفصله عنه فصار يواجهُه .. شيخي الجليـــل ولكن لاما ابن زاجيري ، منادينا هذا في بيته إيّاه سأُدِعُ .. مع عصبة ابن آينمر بيتَه سأُودِعُ كما قولتُك ؛ فكيف بدعوتك في طرقات مدينتنا ينادي ؟!!.

ودون أنْ يلوح عليه أي أثر لحَرج بسببٍ من هذا التنـــاقض الـــذي اكتشفه الملك في حديثه ، سارع يفكُّ الالتباس .. بهذه الدعوة ينادي فلا بغيرها ينادي قبل أنْ بيتَه إيّاه تُودعُ مع الجاحدين أُولاء .

فرددت جدران البلاط أمر الملك ليلَوم ابن الحكيم إينـــاكلي : ايهـــا الحاجب الامين شوكليتو أنتَ؛ برجالٍ ، من فورك إبعثْ ، فانتيمنا ابن آجا وأُوش ابن لوجال ولاما ابن زاجيري وجُلاّسي جميعَهم إليّ يَحمِلون

.. قبل أنْ عيني تطرفَ أُولاء بمشيئتي أمامي جاثين .. أأمريَ هذا قلبُك أدرك يا ايها الحاجب الامين ؟.
فلم يجبه شوكليتو اذ انشغل ، حتى قبل أنْ يُنهي الملك النطقَ بإرادته،.. إنشغلَ بالمنادات على رجال بأعينهم . ثم مثل ما شاء ليلَوم الملــك ، وقف بين يديه مَنْ طلبهم ؛ وحين جثوا جميعاً أمامه وكان متربِّعاً فوق عرشه ، كان ثمة من انطلق الى بوزو ابن سين يحمله الى البلاط .. فما كان الذي انطلق الى هذا إلاّ طيراً ولاشيء سوى طيرٍ .
صمتٌ يطبقُ على البلاط ، فلا ذبابةَ ترفُّ بجُنحيها حتى . والى يمين عرش الملك اقتعد آلْ معبد الاله آنْ دكَّةً صغيرةً ، وعصاه بــين ساقَيه تنتصبُ ، عليها تستندُ ذراعاه . وعلى غير مااعتاد سامعُه ، كان صوت ليلَوم الملك جهوراً عميقاً مرعِداً تشوبه جشاشة .. اين ذانكم الصوت الرخيم الذي يحسبه سامعُه هدهدةً ؟ لا وجودَ له .. لا وجدَ له قَطُّ .. الباحث عن الرخامة والهدهدة لايجدهما في صوت ليلَوم الملك تينكم الساعة اذ انفجر :لاما ابن زاجيري مُناديا أنتَ ؛ من جثوتــك إنهضْ ورأسَك إرفعْ فأُذنيك إذللْ .. مُنقذفٌ أنتَ الان .. الى طرقات مدينتنا الهانئة تحت جُنح الاله الكبير أنتَ الان فالناسَ الى المعبد داعٍ .. كبيرهم وصغيرهم ، رجالهم ونساؤهم نداءَ الاله آنْ مُلبُّون فمعبــدَه واردون .. هيّا انقذفْ ثم إليَّ تنقلبُ اذ من مناداتك تفــرغ .. أإرادتي هذه قلبك مدركها ؟.. تنقلب الي .. الي تنقلب اذ من مناداتك تفرغُ .. أإرادتي هذه قلبُك مدركُها ؟.
فكأنَّه فزَّ من إغفاءة ، نطَّ لاما ابن زاجيري يقف بعــد اول كلمة نطق بها الملك .. يا ايها العظيم إرادتَك هــذه وغيرَهــا قلــبي مدركها.

..حسنٌ الى طرقات المدينة طِرْ..

فاذا ما طارَ مُناديه لاما ابن زاجيري فاجتاز عتبة باب البلاط ، اردف ليلَوم الملك بالجِرْس ذاته على رؤوس المتبقين الذين مـا زالـوا جاثين ورؤوسهم مطأطَئةٌ : .. جاحداً من الناس لا أحبُّ .. وأنتم من الناس جاحدون .. أحداً لا أستثني .. منكم أحداً لا أستثني .. ابـن لوجال أوش أنتَ من جثوتك لاتنهضْ انما رأسَك إرفعْ وبعينيـك الى عينَي إقذفْ (رفع ابن لوجال رأسه وهو جاث ونظر في عينَي الملك).. حقَّ العِلم أعلمُ انك طوَعُ يد ذينك الذي مليكَه باعَ بثمن بَخـسٍ .. برضا الَذي لا أب له عنه مليكَه باعَ .. حقَّ العِلم أعلمُ هذا إلاّ أنـني على رأس حرّاسي الخمسين إيّاك أبقيتُ ، وقولتي في نفسي أنْ عـساه كَرمي هذا يدركُ فبالخير يجزين .. (انكسرت نظرة أوش ابن لوجال ؛ فصرخ به ليلَوم الملك بذينكم الصوت الذي لم يعتده أحدٌ من سامعيه ؛ بالصوت المُرعد الجهور الأجشّ صرخَ به).. بعينيك الى عينَي إقذفْ ، او بيدي هاتين إيّاهما أفقأُ ..

يقول شوكليتو انه لا هو ولاغيره كان سَمِعَ ، من قبل ، تينكم اللهجة من ليلَوم الملك ، ما جعله هو نفسه يرتعدُ ذُعراً .

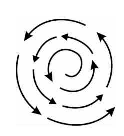
.. جاحداً من الناس لا أحبُّ .. وأنتَ من النـاس جاحـدٌ ملعـون ..(وكان ابن لوجال قد لبّى فرفعَ عينَيه الى عـيني الملـك .. عيـنين مرعوبتين تتراقصان فَزَعاً رفعَ الى عينَي الملك ؛ فهتف الاخير وغضبُه قد بلغ منه مبلغاً).. وسط هاتين العينين الملعونتين أبـصقُ .. وأنـتَ الآخر .. اجل انت يا مَنْ على خزائن القصر إإتمنتُ .. من جثوتك لا تنهض يا ابن آجا إنتيمنا أنتَ .. رأسك إرفعْ وبعينيك الى عيني إقذفْ .. (فاذا مارفع ابن آجا رأسه ونظر بعينين مذعورتين الى عيني ليلَـوم

الملك).. جاحداً من الناس لاأحبُّ ، وأنتَ من الناس جاحدٌ ملعون .. حقُّ العِلم أعلمُ انك للآثم ابن آينمر ذراعٌ أنّى شاء علينا بها عدا ، إلاّ أنّي إيّاك أبقيتُ .. مؤتَمَناً على خزائن القصر أبقيتُ ؛ وقولتي في نفسي أنْ عساه كرَمي يدركُ فبالخير يجزين .. من الناس جاحدٌ ملعون أنتَ يا ابن آجا .. يا ابن آجا إنتيمنا أنتَ بلعنة الاله الكبير آنْ وبلعنتي تسربَلْ، اذ من الناس جاحدٌ أنتَ .. وسط عينيك الخسيستَين أبصقُ .. (وأشاح بعينيه عنه يسوطُ بهما جَمْعَ الجُلاّس الجاثين الى يسار أُوش ابن لوجال).. وانتم يا ايها المُندلقةُ بطونُهم .. من الناس جاحداً لا أحبُّ ، وانتم من الناس جاحدون ..(ثم راح يهتزُّ وصوتُه يزداد غرابةً على آذان سامعيه ، لفرط القسوة التي تشرَّبها).. ألا آذانكم فلتذلّوا ، واذ تسمعون عُوا .. بحكمتي طَمعتُم فمنزلتي بخَستم حين أنفُسكم لكم سوَّلتْ فقولتُكم لها أنْ لا قبضةَ لحكيم ؛ فجُنحين لابن آينمر وسيده الذي لاأبَ له صرتم ، على مملكتنا يطيران فسمومهما ينفثان .. ألا فاعلموا اذن إنَّ حكيماً ابن حكيم به إرتضيتم ملكاً قد مات .. قبل ساعة ، الحكيم ابن الحكيم ، ذانكم الذي ملكاً عليكم وضعتم ، قد مات ..

ورفع صوتَه ، كما لو ان صوته لم يكن مرتفعاً أصلاً .. ايها الحاجب دوني حُرّاسي ..

فاذا ماتدفَّقوا بقضِّهم وقضيضهم ، خمسين حارساً لا أقل ، يدلفون الى البلاط مُلبِّين ، نهضَ من كرسيٍّ عرشه فارداً قامته وبذراعٍ كأنَّها رُمحٌ مُسدَّدٌ أشار الى أوش ابن لوجال .. تعيسُ الحظ هذا ليس قائداً لكم من رمشة العين هذه .. من رجال بوزو ابن سين أنتم فابنُ سين قائدُكم يكون .. الجاحدين أُولاء جميعَهم تحملون فبيوتَهم

تُودعون، ثم الأبوابَ عليهم توصدون ، فغير الهواء ليس ثمة عليهم من داخلٍ .. ولا هُم بيوتَهم بارحون .



والدولابُ ، كما يُهيّأُ لي ، بالأولاد يلفُّ ، روى إبرامُ ابن تارح ابن ناحور لأُمِّه ماذا دار بينه وبين الأُوميا في بيت الألواح ضُحى ذينكم اليوم . فبعد أنْ مدَّ إبرامُ للأُوميا يداً فنشر الالواح بين أبناء البيت ، وبعد أنْ توزَّع العُرفاء بين الابناء الذين استحوذ كل منهم على لوح ، وبعد أنْ أمسك الاخ الكبير بزمام الامور ، وقف إبرامُ بين يدي الأُوميا في ركن الاخير .. ثم أغلقَ بابَ الركن وراءه . تقول أُم إبرام أنَّ ولدها غادر البيت بُعيدَ شروق الشمس ، كما يغادره كل يوم اذ يُيمِّم صوبَ بيت الالواح .. إلاّ أنّه في هذا الصباح كان مُمتقعَ الوجه وعيناه في محجريهما غاطستان ، وحتى أنّه لم يفطر : رغيفا الخبز ظَلاّ في الطبق كما هما ، لا ثلمةَ في أيٍّ منهما وكذلكم ظلَّ كوز لبن المعزى لم يرتشف منه رشفةً . فما كان منها إلاّ أنْ وضعت في زُوّادته ضعفَ ماتضعه كل يوم من أرغفة الخبز ؛ اذ انه لم يحر جواباً حين سألته عن سبب رغبته عن فطوره . لم تفطن قط الى أنَّ الشهرين اللذين حدَّدهما الأُوميا لإبرام فترةً يضع خللها كل الواح سومر في قلبه قد انسلخا في اليوم الفائت . يا ايها الاوميا الجليل – قال إبرام – على لحيتك قبضتَ يوم وعدتني قبل شهرين . بِمَ وعدتك يا ابن تارح يا

إبرام أنتَ قبل الشهرين اللذين عنهما تتحدث ؟ - ســأل الاوميــا . ويدُكَ على لحيتك تقبضُ – قال إبرام – وعدتني بأنْ شيخي تصطحبُ والى بيت الرجل أبي ساراي تذهبان . عن أيٍّ رجل تتحدث ؟ - سأل الأوميا – ومَنْ ساراي يا ابن تارح يا ايها الفتى أنت ؟. أراد إبرام أنْ يوضِّح إلاّ أنَّه وجد نفسه يجهش بالبكاء – كما قال لأُمه عند عودتــه اليها . دمعَك كفكفْ ايها الفتى – قال الأُوميا – وبإسم ذينكم الرجل إنطقْ . ايها الجليل ياأوميا بيت الالواح أنتَ – قال إبرام – هل منِّــي كنتَ تسخرُ حين يدُك على لحيتك قبضتْ ؟. يا ابن تارح ابن ناحور يا إبرام أنتَ منك ما سخرتُ انا أُوميا بيت الالواح ، منذ إبناً من أبنــاء هذا البيت صرتَ يا ايها الفتى .. أمحمومٌ اليومَ أنتَ بُنَي ؟. لا حُمّى في بدني – قال إبرام – فإنْ لم تكن منّي سخرتَ فأنتَ وعدَك قد نــسيتَ لابد .. ايها الجليل ياأوميا بيت الالواح أنتَ ؛ كيف ساراي الجميلــة تنسى تينك التي من أجلها الواحَ سومر في قلبي وضعتها ؟؟!. عند ذاك فقط نهض الأُوميا عن دكَّته وكفكفَ دمعَ إبرام بقطعة رداء أخرجهــا من عبِّه ، ثم راح يربتُ على رأس الفتى .. لعنةُ الاله نَنّا عليَّ ولعنةُ أبيه الاله القدير أنليل كيف ساراي الجميلةَ نسيتُ ، تينكَ الــتي البغــلُ الحرون أبوها ؟!!.

أجل أجل – قال الاوميا شيخَك تارح أصطحبُ معي لابد ، والى بيت ذينك البغل الحرون نُيمِّمُ .. فإليه قولتي أنْ ماحجَّتُك ايها الرجل بعد يومنا هذا ؟.. الفتى ابن تارح ابن ناحور إبرامُ في قلبه كلَّ الواح سومر قد وضعَ .. هذا هو .. دونَك إيّاه سَلْهُ عن أيِّ لوح تشاء ، فإنْ بالحق لسانُه نطقَ إبنتُك ساراي إمراةً له تكون . فعلى يد الأوميا هوى إبرامُ يلثمها ؛ ومن فوره إستلَّ من زُوّادته رغيفاً وراح يقضمُ منه . ضحكَ

الاوميا وضحكَ . ثم الأُوميا تنبَّه فقال لإبرام ماأدراني يا ابن تارح أنتَ ايها الفتى أنَّك على لسانك الحقَّ ستجدُ اذ يسألك ذانــك الرجــل . سَلْني ما شئتَ أيها الجليل – قال إبرام – عن أيِّ لوح سَلْني فبــالحقِّ لساني سينطقُ لابد .ذلكم هو – قال الاوميا – عن الألواح أســألك فلسانك يجيبُ ، فالحقَّ أرى في الذي أسمعُه منك او لاأراه ؛ فإنْ الحقَّ رأيتُه في ما به تجيبُ ، شيخَك اصطحبتُ الى بيت ذينكم الحــرون أبي ساراي ، او مكاني هنا أمكثُ في بيت الالواح حتى يكون الحقُّ علــى لسانك حين تجيبُ . يقول إبرام لأُمه أنَّ قلبَه صار يدقُّ ويدقُّ فيوجعه؛ فما عاد يقضم من رغيف الخبز . أعادَ ماتبقى من الرغيف الى زُوّادته ، ثم نزع شريط الزُوّادة عن عنقه ووضعها على الارض ، كأنما يتخفَّفُ منها ، ثم هوى على قدَمي الأُوميا يُقبِّلهما . عسى الاله نَنّا عنك يرضى وعسى أبو الاله القدير أنليل – قال إبرام – أنْ لا تمكثْ مكانَك هنا في بيت الالواح فشيخي تصطحبُ وساراي الجميلةَ من ذينكم الرجل أبيها تخطبان . إنهضْ إبرامُ إنهضْ – قال الاوميا – فبالحقِّ أجبْ اذ عن الالواح أسألُك .. كيف شيخَك أصطحبُ الى بيت الرجل فــساراي منه نخطبها ، والحقُّ ليس على لسانك وأنتَ تجيبُ؟.. كيف ؟.. ابــو ساراي نفسُه بيديه سيدعُّك والى خارج بيته يلقيك . هذا الرجــل – أضافَ الأُوميا – ألواحَ سومر كلُّها في قلبه واضعها ؛ فإنْ الحقَّ علــى لسانك لايجدُ اذ تجيبُ ، الى خارج بيته سيُلقي بك ففتًى آخــر مــن سومر ساراي يخطبها . اليك أتوسَّل ايها الجليل ياأُوميا بيت الالــواح أنتَ- قال إبرام – أنْ قولةٌ كهذه لاتنطقْ بها ؛ وعــن الألــواح الان سَلْني. ثم روى لأُمه كيف أنَّ الأُوميا جعل ينتقي من الالواح ما يشاء : تمرُّ عيناه على اسماء الالواح حسب ، وهي مسطورة في الواحٍ تنمــازُ

عن سواها بشكلها وسعتها .. تانكم الالواح لاتشتمل إلاّ على أسماء الألواح التي كتب عن سواها بشكلها وسعتها .. تانكم الالواح لاتشتمل الا على اسماء الالواح التي كَتَبَ فيها السومريُّ ماشاءَ من أخبار الالهة واخبار ناس ذينكم الزمان . فينتقي الأُوميا منها إسماً فيكون انتقى لوحاً ، فيسألُه عمّا احتوى وعن أسماء الالهة التي وردت فيه . يا أُم – قال إبرام – الألواح هناك عينٌ بها لاتحيطُ .. على الرفوف منها ومنها ما بين أيدي أبناء بيت الالواح ، الاولاد أُولاء ، نشَرتُها بنفسي . إبرامُ ولدي – قالت أُمه – ولكنك كلَّ تينك الالواح في قلبك لاتضعُ .. قولتُك هذه لأبيك بها نطقتَ يوماً ، فالحقَّ على لسانك لاتجدُ إنْ الاوميا سألَك عن كلِّها كلِّها .. فماذا أنتَ فاعلٌ ؟. يا أُم – قال إبرام – بل الأُوميا مني قد غضب ليس لهذا الامر ، .. الأُوميا إنّما منّي قد غضبَ لّما سألني فلساني بغير ماكتبه السومري نطقَ . وبأيِّ شيء لسانُك قد نطق اذن يا مَنْ ثَكلتْه أُمه ؟ - قالت أُم إبرام وهي تلطم خدَّها . عليَّ الامرُ قد اختلط يا أُم – قال إبرام – فالذي تارح ابي عليَّ قد أملاه تذكَّرتُه ، والذي السومريُّ في تينك الألواح خطَّهُ ما تذكَّرته .. الالواح التي نسختها من جديد وفي خزانة أبي صارت قلبي تذكَّرها .. قلبي تذكرها .. وما كانت عليه قبل أنْ أنسخَها ، مثلما تارح أبي شاءَ ، قلبي ماتذكَّرها ؛ فالاوميا منّي غضبَ فذاك هو في وجهي يصيح ولحيتَه ينتفُ .. حتى علينا الاولاد ، أبناءُ بيت الالواح ، تجمَّعوا والاخُ الكبيرُ والعرفاءُ الينا هرعوا ايضا ، فركنُ الأُوميا بهم جميعاً إمتلأ ؛ فالأوميا لّما رآهم عنده ما صاح ولحيتَه مانتفَ ثم من ركنه أخرجَهم وبابَ الركن أغلَقه وراءهم ؛ ثم على دكَّته جلس فهو يبكي يا أُم أنتِ . تقول أُم إبرام انها صارت تبكي للذي انتهى اليه ولدُها ؛ ثم

وهي تبكي سألته : ولدي إبرام أهذا من ذاك قلبُك لايدركُ ؟!. الأمرُ إختلطَ عليَّ ياأُم – قال إبرام – الامر إختلطَ علـــيَّ فهـــذا مـــن ذاك لاينمازُ عندي .. لاإسمَ لإلهٍ غير الاله القدير أنليل قلبي قد تذكَّر وأنا أُجيبُ الأوميا .. أسماء الالهةَ التي السومريُّ في الالواح خطَّها قلبي لا يتذكرُها .. ياأُم للكِ ماذا أقول ، فقلبي يتذكَّرها انما في غير موضـــعها الحقّ ،.. فلساني الحَقَّ لاينطقُ به ، فبإسم الاله أنليل وحده لساني صار ينطقُ .. والأُوميا ذانك الشيخ يبكي ويبكي ويبكي ؛ ثم الى لحيته عادَ فينتفُها صارَ ، لما تحدَّثتُ فنطقتُ بأنَّ الملكَ العادلَ زيوســـدرا رجـــلُ الطوفان ، انما هو أحد آبائي ، بل أكبر آبائي هو . بُنيَّ يا ابن تارح يا ابن ناحور إبرامُ ايها الفتى – قال الاوميا – محمومٌ أنت لابد ، فلاغيرَ محمومٍ مَنْ يتحدث فلسانُه بهذا ينطقُ . شيخي أخبرني – قال إبـــرام – فزيوسدرا أبوه الاكبر ، ولاأدرى من شيخي بآبائه ؛ فمنِّي لاتغضبْ يا ايها الجليل . فشيخُك اذن – قال الاوميا – محموماً كـــان لابـــد اذ أخبرَك . محموماً ما كان شيخي اذ بتينك القولة لسانُه قد نطقَ – قال إبرام – ومعنا في صحن ثريد اللبن يأكلُ كان ؛ فكيف محمومـــاً لّمـــا أخبرني كان ؟!. أيها الفتى إبرام – قال الاوميا – إنْ بيدَيه الرجلُ ابو ساراي دعَّكَ والى خارج بيته ألقى بك ، فذانك لأنَّ لـــسانَك بهـــذا سيجيبُ اذ عن لوح الطوفان يسألُك . قلبي يدقُّ ويدقُّ صارَ يا أُم – قال إبرام – ولساني مثل خَشبةٍ في فمي فلا يتحرك .. الأُوميا ذانـــك الشيخ يتحدث ويتحدث ولساني مثل خَشبةٍ في فمي لايتحرك حـــتى عينايَ بكَتْ . دمعَكَ كَفكفْ يا ابن تارح يا ابن ناحور – قال إبرام – وبهذا لا تُجبْ إنْ عن لوح الطوفان ذانك البغلُ الحرونُ سألك . لكنَّ تارحَ شيخي معنا سيكون – قال إبرام وهو ينشغُ دمعَه – وبعصاه على

رأسي سيهوي وظهري ، إنْ لساني بتينك القولة ما نطقَ . إنْ ساراي الجميلةُ نُشْدُك – قال الاوميا – فعصا تارح شيخك تحمَّل . ولــدي التعيس ولدي التعيس – قالت أُم إبرام وهي تأخذ ولدَها الى حضنها حين بلغَ بروايته هذا المبلغ – عصا شيخك تحمَّل ، أو ساراي الجميلةُ إمرأةً لك لا تكون .. تعيسٌ ولدي إبرام أنتَ.

فاذا ماهدأ الدولاب فتوقَّف عن اللفِّ بالاولاد تحت أجفاني ، إنكفأتْ عيناي الى ركيزته المعدنية الاخرى حيث تعود قرونُ عديــدةٌ القهقرى ، فتنكشفُ بطونُها عن شوكليتو ، حاجبِ ليلَوم الملك ، وقد بعثَ بطلب أُوبار ابنه يهبطُ الرابية المعشوشبة اليه على عَجَلٍ . فلمــا ضمَّهما بيتُ شوكليتو ، والليلُ ما كان خيَّم بَعدُ على المدينة .. أُوبار أيها الابن الذي عنه رَضيتُ وأرضى .. أُوبار يارابع أربعــة أنــتَ ؛ أُذينك إذللْ فما بعد هذه الساعة من ساعة ..

ثم راح يُظهرُه ، ومن خلاله يُظهرُ صحبَه الثلاثة الذين تلبَّثوا على الرابية في انتظار عودته اليهم ،.. يُظهرُه على ما ورد على لسان امرأة جِرسونن تينك التي طيَّرها أمارجي الى شوكليتو .. ياأُوبار بُنَــي حكيمٌ ابن حكيمٌ مليكُك ليلَوم ابن إيناكلي ؛ فإنْ من بين أيدينا ضاعَ ، معه ضِعنا نحنُ الناسَ في مملكته .. مشيئتُه كانت ، وأنتَ تعلمُ وصحبُك يعلمونَ ، أنكم أنتم الاربعةَ فتيانَه للناس قولتُكم أنْ ابن إيناكلي ليلَوم بمصاف أبناء الاله آنْ هو وتعيسٌ ابن تعيس مَنْ بالسوء إيّاه مــسَّ او مملكتَه ، حتى الدمُ في أنهر سومر لايجري بدلاً من الماء إنْ ابن آينمر او طامعٌ مثله إيّاها تقمَّصَ .. إلاّ أنَّ مشيئتَه أبيتم وبــرابيتكم تمــسَّكتم فمكثتم .. والايام تنطوي أمام عيوننا فابن آينمر مليكَه يبيعُ ، فذانكم هو على رأس حَشْدٍ يقفُ .. أشدّاءُ من جِرسونن وسواها مــن قــرى

البحر العظيم يفوقُ الافَ عديدُهم ؛ على رأس حَشْدهم يقف ذانكم الذي مليكَه باعَ .. يتربَّصُ ومعه يتربَّصون حتى السانحةَ يدركون فعلى مملكتنا يشدُّون فالمُلْكَ من ابن إيناكلي ينتزعون ..

أدخلَ أُوبار لسانَه يقاطع اباه .. ولكنْ رجالُ بوزو ابن سين ، حُرّاس المملكة ، يفوق الالفين عديدُهم ؛ فهُم داحروهم لابد .. أوَليس رجالُ ابن سين يفوقُ الالفين عديدُهم كما قولتكم ؟.

.. وقولتُنا الحقُّ أُوبار بُنيَّ .. غيرَ أنَّ عديدَهم هذا كذينك لا يلبـــثُ ، فأنّهم الى فئتين منقسمون لابد ، بعد الهَمْس الذي في المملكة ســادَ .. الهمسُ الذي بالغٌ آذاهم لابد .. وقومٌ على أنفـــسهم مُنقـــسمون ، مُنهزمون وإنْ عديدُهم عَظُمَ . تبسَّم أُوبار .. فَخارٌ يغلِّلني وأنا الحكمةَ أسمعُ من لسان شوكليتو أبي .

فتبسَّم شوكليتو هو الآخر .. ليس بحكيمٍ أبوك شوكليتو ؛ انما هي مع الحكيم حياةً عشتُ .. أياماً معدودات عشْ مع مليكك ليلَـــوم ابـــن إيناكلي ، حكَيماً تَصِرْ .. على أنَّ الحَكَمةَ وحدها اليوم فَتيلاً لا تُجدي .. وقفةَ رجلٍ واحد كلنا نقفُ ؛ وأنتَ وصحبُك بيننا تكونون .

.. أملٌ لكَ بي وبصَحبي لن يخيبَ أبتي شوكليتو .. مع رجال ابن سين دمَنا نسفحُ ، فعن مليكنا ليلَوم الحكيم ابن إيناكلي الحكـــيم بـــدمائنا نَذبُّ وعن مملكته .

.. أملي بكم في هذا لن يخيبَ .. ذلكم حقٌّ ؛ ولكن بالبصيرة مُتِّعـــتَ بُنيَّ فقلبُك ماإليه أرمي أبصرَ .. مثلكم أُوبار ولدي ، برُمح مليكَـــه لا يُجزي ولابمدية .. فكما قولتك أنَّ رجال بوزو ابـــن ســـين الالفـــين عديدُهم يفوقُ ، وأربعةُ رجالٍ آخرون ذينكم العديدَ عليه لايُزيدون .. الى قلبي ببصيرتك إقذفْ ، فما أرمي اليه ستبصرُ..

لم يدْعه أُوبار يستفيض .. أبتي شوكليتو يا مَنْ به أفخر .. ما اليه ترمي أبصرُ ، فلا حاجةَ بي الى أنْ ببصيرتي الى قلبك أقذفُ .. إلاّ أنّنا نحن الاربعةَ ، على ما بنفسه ليلُوم الملك نشرَ بين الناس ، لَسنا بمُزيدين .. في رمشة العين هذه الناسُ قلوبُهم مدركة أنَّ ليلَوم ابن إيناكلي بمصاف أبناء الاله آنْ هو ، وتعيسٌ ابن تعيس مَنْ بالسوء إيّاه مسَّ او مملكته .. ذانكم ما به مُناديه ابن زاجيري قد نادى ؛ ثم معبداً للاله آنْ لِصقَ قصره أقام ؛ فما الذي لنا تبقّى حتى بين الناس بأنفسنا نُذيعَ ؟.

.. حقّاً وحقيقةً ، لاأنتَ ولا صحبُك ، على هذا القصد بمُزيدين ؛ ذلكم أنَّ مليكَنا ليلَوم ابن إيناكلي من تينكم الطريق أقصاها قد بلغَ .

فاذا أُوبار تلبَّث صامتاً ، كأنَّه ساهمٌ ، أردفَ أبوه : .. تانكم المرأةُ التي من جِرسونن أمارجي قد بعثت إلي ، فما أوردتْ في أُذنك وضعتُ .. تانكم المرأة بُنيَّ هل من كلامها بعض كلمات إيّاك فاتت ؟.

.. أيُّ كلمات ؟ (قال ذلك وهو ساهماً ما برحَ) .

.. تانكم المرأة أخبرتني . أنَّ كلَّ التدبير الذي ابن آينمر وملكُه يقفان عليه الان ، نَنْ دادا تانكم الساحرةُ وراءه ، وليس غيرها .. فقولةُ نَنْ دادا لهما أنْ بين ناسِ مملكةِ ليلَوم أذيعوا فانشروا .. رجالاً ونساءً اليهم ابعثوا ؛ فأُولاء في آذانهم يهمسون أنَّ الاربعةَ الصادقين أصحاب الرابية المعشوشبة زُرّاع الشعير هُم من قولتُهم أنَّ ابن إيناكلي ليس بمصاف أبناء الاله آن هو ، وأنَّ الاله آنْ من هذا الادّعاء بَراء ؛ وأنَّ الالهَ آنْ جُنحَه عليه لا يبسطُ ولا على مملكته . فكذلكم بُنيَّ أُوبار الهمسُ في مدينة ليلَوم وقرى المملكة انتشر ؛ فالناس تينكم القولةَ يتناقلون حتى رجال ابن سين بلغتْ فأُولاء الى صفَّين منقسمون الآن .. صفٌّ من قلبه الذي أدرك من قَبلُ لم يترع بَعدُ ، وآخرون نزعوا فقلوبُهم شيئاً لا

تدركُ سوى أنَّ ابن إيناكلي ليلَوم الملك دَعيٌّ هو ..
.. ولماذا من قلوبهم ما ادركوا قبلاً الان قد نزعوا ؟.

هنا انما قبض شوكليتو بيدَيه على عَضدَي ابنه يهزُّه .. أُذنَيك إذللْ أُوبار بُنيَّ .. أُذنَيك إذللْ .. تانكم الساحرة نَنْ دادا علمت أنَّ الحقَّ من على رابيتكم يهبطُ ، لا من مكان آخر يهبط .. تانكم الساحرة علمتْ أنَّ الناسَ لقولاتكم قلوبَهم يفتحون لأنَّكم أنتم الاربعة الصادقون لاغيركم ، فذانكم ماحصل حقّاً .. فاذا ما الهمسُ الذي الى آذاهم انتهى هو انكم انتم الاربعة الصادقون مَنْ قولةَ ابن إيناكلي ليلَوم سفَّهتم ، صَدَّقوا فمن قلوبهم ماأدركوا قَبلاً الان نزعوا .. فهلاّ الخطبَ تدركون بُنَي أُوبار !.

كان أُوبار قد زايله السهوم منذ راح ابوه يهزُّه ؛ أما وقد سمع منه ما سمع ، قطَّبَ جبينَه فانزوى مابين حاجبيه وباتَ وجهُه كأنَّه يقطرُ كَدَراً .. اذن فأشرارُ جِرسونن منّا اتخذوا لساناً به ينطقون .. منّا لساناً اتخذوا أشرارُ جِرسونن إذن .. ألا بالدعَة لا مُتِّعوا من يومنا هذا .. من يومنا هذا الاشرار اولاء لا بدعَة مُتِّعوا ولا بهناء .. شوكليتو ايها الرجل الموقر أبتي أنتَ؛ وإنْ مَليكُنا ليلَوم ابن إيناكلي دَعيٌّ حقّاً ، كما تعلم ، إلاّ أنَّ الذي على جِرسونن دَعيٌّ هو الآخر سواء بسواء .. ذلكم أنَّ الاله الكبير آنْ لا هو ولا ابنه الاله القدير أنليل من البشر أبناءً يتخّذون ، بل ولا حتى الى أيٍّ من البشر بشؤوهم يوكلون .. الاله القدير أنليل البشرَ خلقهم بمشيئةٍ من أبيه الاله الكبير آنْ الذي بيتُه في السماء هو .. خلقهم الارضَ يزرعون والبقرَ والغنمَ والماعزَ يعلفون وسواها من الماشية والطير فمّما يستدرّون يعيشون .. خلقَهم فالمدنَ يُقيمون وعن البقر والحمير ينمازون .. ذانكم الحق هو أبتي

شوكليتو وكل ماعدا ذينكم الحق باطل .
.. أفبعدَ هذا على الرابية تمكثون ؟ ترون الى أشرار جِرسونن ، بكم مُلْكَ مليككم ابن إيناكلي ينتزعون وأنتم ممّا يحدث أمام أعينكم في حِلٍّ!!.
.. مُنقلبٌ أنا الان الى الرابية ، فمع لوسين وأُوردلا ونمخاني أتباصرُ .، فالخطبُ النازل بالمملكة جَلَلٌ ، كما قولتُك ؛ والفسحةُ أمامنا من منخر اليمامة أضيَّقُ .

كان عليه أنْ يحمل مشعلاً ، تحت ضوئه يتلمَّس طريقه الى الرابية فالليلُ قد هبط فعلاً وقتذاك . ولما ابتدأ ارتقاء السفح لمح من بعيد مشعلاً يُضيءُ صحبَه الثلاثةَ ، فعلم أنّهم انما تركوا موقع مجلسهم على قِمة الرابية ودَرَجوا نحو سفحها من جهة المدينة يتطلَّعون الى مَقْدَمِه . كانوا واقفين على السَفْح ، واذ لمحوه ، هُم الاخرين ، يرتقي اليهم لم يصطبروا حتى يبلغهم وانحدروا نحوه . ومن على مَبعدةٍ صاح نمخاني : ما خطبُ عمِّنا شوكليتو ؟.. الجعَّة منها قطرةً لم نذق حتى تَرِدَنا .. بكلمة إنطقْ .. أجلَلٌ ببيت العم شوكليتو حلَّ ؟.

فغذَّ خُطاه نحوهم يُوسعها ؛ ثم وهو يلهث وضوءُ المشعل يتعثَّر أمامه .. بل بالمملكة حلَّ ذانكم الجَلَل يا كَرّاع الجعَّة يا ابن العم ايلوتي يانمخاني أنتَ . عند ذاك علَتْ منهم صيحة واحدة موحدة تستعجل إرتقاءَه اليهم . وأمّا أُوردلا ، فلم يتمالك نفسه وانحدر يعدو نحو أُوبار يُمدُّ له يداً يُعينه على أنْ يُسرع من خَطْوِه أكثر وأكثر . ثم وهو يسند يدَ هذا ، كما لو انه يحمله على الطيران ،.. عن أي جَلَلٍ تحدَّثتَ فنطقتَ ؟.. هل ليلَوم الملك ماتَ فبعدَه لاملكاً على المملكة ؟.

ومن غير أنْ يلتفت اليه .. ليلَوم الملك ما مات يا ابن العم

سُرار ؟.. علي فلتتمهلْ حتى لوسين ونمخاني أبلغُ ، فمرَّة واحدةً اليكم جميعاً أتحدّثُ .

ثم هكذا كان : لم يتحدث حتى بلغ وصحبُه الثلاثة مجلسَهم ، فحصيرَ البردي المضفور اقتعدوا.. منذ يومين مدينة ليلَوم بل مملكتــه بأسرها قائمةٌ لم تقعد ، ونحن هنا على رابيتنا عمّا بين النــاس يعتمــلُ ذاهلون ..

أدخلَ نمخاني لسانَه .. من قَبلُ لنا ما اتَّفقَ ، إلاّ قلــيلاً ، أنْ يومَين متَّصلَين هنا مكثنا فإلى بيوتنا لم نهبط ولا الى حقولنا .. يا ابــن العم شوكليتو ياأُوبار انتَ ؛ بماذا مملكة ابن إيناكلي قائمةٌ فلا تقعد ؟!. .. بالهمس قائمةٌ فلا تقعد .. همسٌ أهونُه عن ابن إيناكلي مُلْكَه يترعُ .. وأمّا أقساه فالدمُ في أنهر سومر جارٍ لابد ..

وجعل ينقل اليهم كلمةً كلمةً ماأوردتْه المرأةُ التي بعثتْ بهــا أمارجي من جِرسونن . واذا ما أمسك عن الحديث ضرب أُوردلا كفّاً بكفٍّ ، ولوسين ضربَ بكفِّه جبينَه .. أمّا نمخاني فقد رفعَ عقيرته يشتم كاجينا ابن آينمر وتينكم المرأة امرأته ، وننورتا الذي لاأب له (كمــا أسماه هو) . ثم نهضَ وصارَ يعولُ رافعاً رأسه الى السماء : إي ايها الاله الكبير آنْ .. يا مَنْ نواميسَ الحياة وضعتَ .. أمنتهيةٌ تانك النواميس اذن الى أيدي العاهرة والقوّاد وابن الزنا ؟.. ألا بئس الحيــاة حيــاةٌ بنواميسها ابن زنا يمسكُ .. إي ايها الاله الكبير آنْ ؛ أبيدك رابتٌ أنتَ على رأس ذينك الذي لاأبَ له ، فسومر بأسرها تحته تصيرُ ؟.. إي ايها الاله الكبير آنْ .. إي ايها الاله الكبير آنْ ؛ انا ابن ايلوتي مخلوقُــك نمخاني بالسؤال اليك قاذف ، فتحدَّثْ فبالحق أجبْ . أجبْ .. أجبْ . وراح يرتعد وهو يردِّد بأعلى صوته أجبْ أجبْ . لقد أصاب أُوبار من

سكينة نفوسهم صميمَها ، اذ لم يذكر لهم ، حَسْب ، التـــدبير الـــذي دبَّرته نَنْ دادا فقام على إنفاذه رجُلُها كاجينا ابن آينمر ونورتا ، بـــل روى لهم أيضا ما روته المرأة من جِرسونن عن طقوس يوم الخِصْب التي ابتدعتها نَنْ دادا بما اشتملتْ عليه من مضاجعة نورتا إيّاها أمام أهـــل جِرسونن على علم من رجُلها . أجل لقد أصاب أُوبار سكينةَ نفوسهم بالصميم منها ، فانفلتَ لسانُ نمخاني من عِقاله فأَقذعَ في شتيمته .. ثم ها هو يختضُّ فوق رؤوس صحبه يطالب الالهَ الكـــبيرَ آنْ الـــذي في السماء بيتُه أنْ يجيبَ . فنطَّ لوسين ينتصبُ إزاءه يأخذُ به الى حُضنه .. الخالقُ الكبيرُ إلهُك آنْ إيّاك لايجيبُ كما غـــيرَك لا يجيـــبُ وإنْ اليـــه بالسؤال قذفتَ .. الخالقُ الكبير الأشياءَ السبعةَ الكبيرةَ خلقَ ثم الى بيته آوى ، والى إبنه الاله القدير أنليل أوكلَ أنْ البشَر يخلقَ وسوى البشر أيضا .. فلا الخالقُ الكبيرُ ولا ابنه الاله أنليل من شؤونَ البشرِ او سواه شيءٌ إيّاهما يعني .. فالنواميسُ التي كلَّ شيء تُسيِّر الخالقُ الكبيرُ إيّاها وضعَ ، والى إبنه أنليل وأبنائه أوكلَ ؛ ثم الاله انليل في البشر النواميسَ وضع اذ إيّاه خلقَ حسبَ مشيئة أبيه .. فالخيرَ البشرُ فاعلٌ او الـــشرَّ فاعلٌ ولا يدَ لأنليل او حتى لأبيه الاله الكبير بما البشر فاعـــلٌ .. لـــو أُذنك أذللتَ يانمخاني يا ايها الفتى أنتَ .. لو ، في رمشة العين هـــذه للسماء لا لغيرها أُذنَك أذللتَ لَقولةً ، لسان الاله الكبير آنْ بها ينطقُ ، سمعتَ .. قولتُه لك : يا ابن مخلوقنا ايلوتي يانمخاني يا ايها السائل أنتَ؛ لماذا بالسؤال إليَّ تقذفُ ؟.. حين البشرَ خلقنا ، في قلبه كلَّ جـــوابٍ وضعنا ، فإلى قلبك انما بالسؤال إقذفْ ..

بَيدَ أنَّ نمخاني لم يهدأ ، فذاك هو مابرح يرتعدُ ويزبدُ .. أإيّانا خلقَ ثم اذا به مِنّا يتبرّأُ اذ بنا الشرُّ يحيقُ ؟!.

هنا ، وكان أُوردلا وأُوبار قد نهضا يقفان أيضا ، تناول أُوردلا الحديث من لوسين .. نمخاني ايها المُرتعد فَرَقاً ، قلبَك لقولتي إذللْ لاأُذنَيك تُذللُ .. اذ الخالقُ الكبيرُ البشرَ خلقَ ، حسبَ مشيئته إبنُه أنليل القدير في قلب كل فرد من البشر كلَّ جواب وضعَ ، كما كلَّ سؤال .. فاذا ما الشرُّ بنا يُحيقُ ، الاله آنْ إيّاه لا يمحقُ .. الاله الكبير آنْ الشرَّ الذي بنا يحيقُ لايمحقُ ، ذلكم أنّه الينا من السماء لا يهبطُ .. وانما واحدٌ من النواميس ، التي في قلوبنا وضعَ يومَ خَلَقَنا ، بذينك الخَطبِ كفيلٌ فاذا هو الشرَّ ماحقٌ لابد .. الى قلبك بالسؤال إقذفْ جواباً تجِد لابد ، اذ أنَّ الخالقَ الكبيرَ بذاته ذينك الجوابَ وغيرَه في قلبك وضعَ .. فالإله الكبيرُ خالقنا وخالق كل شيء على الارض وفي السماء من مخلوقه ما تبرّأ ، كما قولتك ..

فعاد لوسين يتلقَّف طرفَ الحديث من أُوردلا .. فبعدَ يوم الخَلْق يا ابن العم ايلوتي .. بعد اذ البشرُ بشراً على الارض يقفُ ، باطلٌ ثم باطلٌ مَنْ قولتُه أنَّ الالهَ الكبيرَ لذينك المخلوق يداً يمدُّ او عنه يَداً يغلُّ .. كل ما المخلوقُ بحاجته في حياته في قلبه أودعَ .. بقولة أُخرى أنَّ الخالق الكبير اذ البشرَ خلقَ ، كاملاً متكاملاً إيّاه خلقَ ، حتى أنَّه لخالقه ذاته بحاجة لن يكون .. الى قلبك يانمخاني بالسؤال إقذفْ اذن ، جواباً تجد لابد .. وإيّاي هَبْ وإيّاك هَبْ وهَبْ أُوردلا وأُوبار بالسؤال الى قلوبنا قذفنا : هذا الذي في سومر اليوم يحدثُ ما علَّةَ نشوئه؟..فالجواب في قلوبنا نلفي لابد .. الجواب هو هو .. في قولة سابقة على ما به اليوم ننطقُ انما الجواب كامناً كان .. اذ الخالقُ الكبيرُ الاله الكبير آنْ بشؤون البشر ، بشؤون المُلْك، نَزجُّ ، الباطلُ بالحقِّ يختلطُ .. فإنْ الباطلُ بالحقِّ اختلطَ ، الشرُّ ترعرعَ فاذا هو بالخير

عائثٌ .. والسائل يسألُ لماذا الشرُّ يترعرع فبالخير يعيثُ إنْ الباطــلُ بالحقِّ اختلطَ ؟.. يا ايها السائل اليك بالجواب أقذفُ ، فأُذنَيك إذللْ: غشاوةٌ على العين تنسدلُ إنْ الباطلُ بالحقِّ اختلطَ ، فلا تكاد العينُ تميِّزُ أيَّ أرضٍ قدمُ البشر واطأتُها .. عند ذاك الباطلُ في الحقِّ يلجُ فقولتُه أنَّه هو الحق فالناس مصدِّقوه ، ثم اذا بالحقِّ يمنةً ويسرةً يتلفَّتُ فلا أحــد يُصدِّقُه .. ألا أنَّ الباطلَ بالحق إختلطَ يومَ ليلَوم ابن إيناكلي ادّعى أنّه من الاله الكبير آنْ بمصاف أبنائه .. ألا أنَّ الباطلَ في الحق ولجَ منذئذ..

فقاطعه أُوبار والانفعالُ في صوته بائنٌ ، كما سيروي لأبيه بعد حين ،.. ولكنْ ، يا ابن العم لولو يالوسين أنتَ ؛ ما ادّعى ما ادّعــاه ليلَوم ابن إيناكلي إلاّ لإرادةٍ فيها خيرٌ لابد .. وقولتُه أمامنا في ذينكم اليوم البعيد نتذكَّر ما عتمناً .. بالخير سريرتُه مُترعةً كانت .. دماً عن أنهر سومر أراد أنْ يحبسَ ؛ فما الضيرُ في ادّعاءٍ الى الخير يُفــضي ؟.. ذانكم الرجل من أهلنا فلنتذكّرْ ، وحكيمٌ ابنٌ حكيم هو فلنتــذكَّر ، وكبيرُ قومه كان قبل أنْ ينتهي ملكاً فلنتذكَّر ..

حين كان لوسين يتحدث الى نمخاني وهو آخذٌ به الى حضنه ، تحدث بهدوء لا مراءَ فيه .. أمّا الان وقد بلغ أُوبار في قولته هذا المبلغ احتدت لهجته ، فنبرة صوته عن غضب تنمُّ .. وهل نسينا حتى إيّانــا تدعو الى أنْ نتذكَّر يا ابن العم شوكليتو ياأُوبار أنتَ ؟.. حكيمٌ ليلَوم هو وأبوه حكيمٌ إيناكلي هو ، وبالخير مُترعةٌ سريرتُه هــو ؛ إلاّ أنَّ في ادّعائه البنوةَ للاله الكبير آنْ الباطلُ بالحقِّ اختلطَ ، فلا هو الدماءَ عن أنهر سومر بحابس .. جاريةٌ جاريةٌ في أنهر سومر تانكم الدماءُ لابد ، يا أُوبار يا ايها الفتى .. ألا فاعلمْ .. فإلى أينَ صارَ ذانكم الادّعاء الذي الى الخير يُفضي ؟!.. العاهرةُ والقوّادُ وابن الزِنا ، كما قولة نمخــاني ،

بين ظهرانينا حلّوا وهاهم الناسُ الى صفَّين انتهوا .. وفي ذينكم الفضلُ بلا مُنازع الى الحكيم ليلَوم ابن الحكيم إيناكلي عائدٌ ..

فوجد أُوبار صوتَه يرتفعُ ، كما يقول لأبيــه شــوكليتو ،.. بأيدينا نحن الاربعةَ أنْ الناسَ صفّاً واحداً نعيدَهم .. بكلمةٍ منّــا نحــن الاربعةَ الى صفٍّ واحد يصيرون ، فرجالُ ابن سين موحَّدين يعــودون عديدُهم الالفين يفوقُ ، فابن آينمر الى عديدهم يرى فذيلَه بين فخذَيه يُخفي والى سيده برجاله ينكفيءُ .

وبانفعالٍ أكبر وبنبرة أقرب الى الصُراخ هي .. ومــا تانــك الكلمة التي الى ناصيتها وحدةُ قومنا معقودةٌ ؟.. ما تانك الكلمة التي بها ابن عمِّنا شوكليتو يطالبنا ؟.

أحسَّ أُوبار بصفرة تدبُّ في وجهه .. الى ماوراء ظهري بتهكّمك يــا ابن العم لولو ألقي ، ثم أتحدَّثُ فأنطقُ فأُجيبُ : الى المدينــة ، مدينــة ليلَوم ، هَبطُ .. نحن الاربعةَ هَبطُ ؛ فعلى رؤوس الناس نعلنُ أنَّ ماانتهى الى أسماعهم وماإلينا نُسِبَ ، نحن منه بَراء .. ثم بَراء .. ثم الى رابيتنــا نعود . فبالقولة هذه بغير الحقِّ ما نطقنا ، وليس لأحدٍ عنــد ذاك أنْ بالكذب إيّانا يسمُ .

وإنْ خفَّتْ حدَّة صوت لوسين إلاّ أنّه لم يتخلَ بعد عن التهكم في لهجته وهو ينبري لأُوبار مُجادلاً .. واذا ما قذفَ ، من بين الناس ، رجلٌ بالسؤال الينا فقولتُه يا ايها الفتيان الصادقين أنتم ؛ تحدَّثوا فبالحق أجيبوا : إنْ لم تكن قولتُكم أنَّ ليلَوم الملك ابن إيناكلي الحكيم ليس إبناً من ابناء الاله آن هو ، فهل المعنى في قولتكم هذه أنَّ الرجــل حقّــاً وحقيقةً ابنٌ من أبناء الاله آنْ؟.. اذا بهذا السؤال رجلٌ قذفَ إلينــا ، فماذا قولتُنا تكون ؟.. إني أسألك يا ابن العم شوكليتو ياأُوبار أنتَ ،

فأينَ منك الجواب ؟.
تردَّد أُوبار فأبطأ قليلاً في الاجابة ، إلاّ أنَّه لم يلبث أنْ ردَّ كمَنْ عثــر على ضالته بعد لأيٍّ .. ايها السائل يا ابن العم لولو يالوسين أنــتَ ؛ اليك بالجواب فبه سائليك أجبْ : الاله الكبير آنْ حكيمٌ هو ، ذلكم أنْ لا خالقَ إلاّ حكيم .. ولا أَحد منكم على ليلَــوم ابــن إينــاكلي حكمتَه بناكرٍ .. أوَ ليس مليككم حكيماً ابن حكيم هو ؟.. فإنْ كان كذلكم وهوٍ كذلكم فأنَّه من الاله آنْ بمصاف أبنائه ..(وراح يُنقِّــلُ عينَيه بين صحبه ثلاثتهم كما لو انه يتسقَّط رأياً من أيٍّ منهم بالتخريج الذي بسطه).. فهذا انما جوابنا سيكون ؛ ثم بين الناس بعد ذيــنكم لا نتلبَّثُ رمشةَ عين واحدة ، فنحن الى رابيتنا منقلبون .

فانفجر لوسين في وجهه .. أمرَّةً أُخرى الناسَ نَذَرُ في تــيههم يعمهون ؟!.. أعُنقَ المعنى نلوي فالناس نغشُّ ؟.. ألا أننا بهذا انما مــن الكاذبين أحطَّ نكون .

ثم ما احتمل أُوردلا اصطباراً على نفسه وهو ماكثٌ يتفــرَّج على صاحبَيه ، فتلقَّف الحديث من لوسين .. ايهــا الــصاحبان عــن بعضكما تنحيّا ؛ فلي كلمةٌ أيضاً ولنمخاني أُخرى لعلَّ .. منِّي لاتغضب يا ابن العم لولو يالوسين أنتَ إنْ قولتي أنَّ الذي أُوبار رآه انما هو الى الصدق أقربُ .. لَيٌّ لعنُقِ المعنى هو ؛ وهذا حقٌّ .. غير أنَّه على قَــدْر من الصدق مُنطوٍ .. فلو أنَّ الاله الكبير آنْ من البشر إبنــاً إتَّخــذَ ، فليس سوى الحكيم سيتَّخذُ .. أوَليس حقاً هذا يالوسين يا ايها الحكيم أنتَ ؟.

تململ كثيفُ شعر لحية لوسين عند زاويتَي فمه ، فكأنَّ ظــلَّ ابتسامة كان يشقُّ طريقَه الى شفتَيه . أُوردلا مالأهُ من اجل أنْ ينفِّسَ

من الضَنَك الذي بلغه الحديث ، وها هو قد فهم ممالأةَ أُوردلا لـــه .. عليَّ بما ليس فيَّ أنَّكَ لسابغٌ يا ابن العم سُرار .؟. فما حكيمـــاً يومـــاً كنتُ .. على أنّي عند هذا الامر لن أمكثَ ، فأتحدثُ فقولتي أنَّ ابـــن إيناكلي .. أنَّ ابن إيناكلي ..

ثم زفر مااحتبس من هواء في صدره .. لا مُتِّعتُ بالهناء في ظلِّ جُنحك يا ابن إيناكلي !!.. ماالذي على لساني أهَجَّسُ ؟.. إنَّ هذا إلاّ رجَـــلٌ أُحبُّه .. ماالذي به هذا اللسان التعيسُ كان سينطق ؟!.

نمخاني ما برحَ قريباً منه يقفُ ، ليس بينهما أكثر من خطوتين؛ فمدَّ نمخاني له ذراعه يربتُ بها على كتفه ، ثم صعد بها الى رأسه فصار يمسحُ عليه دون أنْ يفه بأيما كلمة . وما كان أُوردلا ولا أُوبار بأقلِّ من نمخاني ترفّقاً بلوسين ؛ فما فاه أيُّ منهما بكلمة هما الآخرَين . المِشعلان منطفئان ، إلاّ أنَّ السراج كان يفيضُ بضوئه على الارض المعـــشوشبة الى جانب الحصير .. ومن ذينكم الفَيض إنّما ارتقى قَبسٌ الى وجـــوه الأصحاب الاربعة فتلألأ منه فوق رقراقٍ كانت عيونهم توشك أنْ تجودَ به . لقد تنبَّه أُوبار الى ذينكم الثلاء في عيون صحبه قبل أَنْ يحتـــشدَ الدمع في عينيه هو فتتشكَّل غلالتاه . الجميع كان زامّاً على شفتيه حتى افترَّت شفتا أُوردلا بعد هُنيهة .. على نفسِك الحكمةَ اســـستكثرتَها وهي قليلٌ يا ابن العم لولو ، فَلا الكرَمَ تستَكثرْ إذ فيك أرى .. أجل ياصاحبي .. لسانُ كريمٍ لسانُك يالوسين ، فلا قولةً عليه تتـــهجَّسُ إلاّ خيرٌ فيها لمليكك ليلَوم ابن إيناكلي ولمملكته .. تحدَّثْ .. تحـــدَّثْ .. تحدَّثْ فبالحق ستنطقُ ، ولا وِترَةَ من حقٍّ به تنطقُ .

هنا ، حَسْب ، خطا لوسين نحو أُوبار وأخذه بين ذراعَيـــه .. وعلى كتف أُوبار إنما أجهشَ بالبكاء ، من غير أنْ يبتدرَه بقول . ثم إذا

ما هدأتْ نفسُه ، ظلَّ واقفاً لِصقَ أُوبار يُرخي ذراعَه على كتفَي هـذا وهو يستجيب لطلب أُوردلا بصوت منقوع بالدمع : الى مدينة ليلَوم نهبط ، وفي السوق منها على رؤوس الناس قولتُنا نتحدثُ فبها ننطقُ .. قولتُنا أنّنا بَراءٌ مما الينا نَسَبَ الذين مليكَهم خانوا .. يا ايها الناس عُوا .. فإنْ وعيتم أنفسَكم حفظتم ومليككم ومملكـتكم .. إنَّ همـساً في آذانكم وقعَ ما هو إلاّ من تدبير كاذب أشِرٍ ؛ بثمن بَخس مليكَه باعَ .. دَعيٌّ هو والذي على جِرسونن ذانكم الذِّي لاأبَ له دَعيٌّ مثله ، اذ لاإبناً من البشر الالهُ القديرُ أنليل قد اتَّخذ .. نحن أبناؤكم أُوردلا ابن سُرار وأُوبار ابن شوكليتو ونمخاني ابن ايلوتي ولوسين ابن لولو ، زُرّاع الشعير ، مُرابطو الرابية المعشوشبة ، لا أحدَ منكم إيّانا ينكرُ .. نحـن الاربعةَ أُولاء غير الصدق على ألسنتنا ماألفَينا .. نحن الاربعةَ أولاء الى السماء رأينا ، وما قبلنا أحدٌ رأى ؛ ففي السماء الاله الكبير آنْ وجدنا .. إلهكم الكبير آنْ مما يدّعي البشرُ بَراء .. فليس من البشر أحدُ إبناً له ولا الى أحد من البشر شؤونَ السماء او شؤون الارض يوكلُ .. أمّـا قولةُ مليككُم ليلَوم ابن إيناكلي أنّه ابنٌ من أبناء الاله آن فانما ذلكـم لأنَّ ليلَوم حكيمٌ وإيناكلي أباه حكيمٌ .. والحكيم على سائر البـشر يرقى ، فلا فِريةَ إذن أنَّ الحكيمَ ابن الحكيم للاله الكبير آنْ إبناً يكون ..

ولم يدعه أُوبار يكمل ، اذ انفتلَ نحوه وحضنه وجعل يمطر جبينَه ولحيتَه باللثمات ، وكذلكم فعل أُوردلا ونمخاني ، فلقد اندفعا اليه وصارا مع أُوبار يحتوشونه من كل جانب . وما عاد أُوبار يسمع في هـدأة ليـل الرابية غير هَسيس اللِّحى وهي تتزاحم على لحية لوسين ، وصيحات: ذلكم هو .. ذلكم هو .

ثم ، والليلةُ تنسلخ فتشرقُ شمسُ الغد ويهبطُ زُرّاع الـــشعير الاربعة الى المدينة عاقدين عزمَهم على المرور أوّلاً بالسوق ثم اللـــفِّ على المزارع خارج المدينة وعلى مواضع حُرّاس المملكة ، رجال بوزو ابن سين ، وقد أنابوا لوسين ابن لولو عنهم يتحدث الى الناس بألسنتهم .. وكل ذلك يحدث ، كان ابن آينمر كاجينا وزير ننورتا يتواثب أمام مليكه ويتمايل جَذَلاً بعد ان أنهتْ عيونُه في مملكة ليلَوم اليه ما سرَّه ؛ فجاء بتينكم الأنباء يُصبِّح بها على الملك .. مُتِّعتَ بالعَظَمة فاذا أنـــتَ عظيمُ سومر بأسرها .. تحبو اليك حبواً مملكة ليلَوم تانكم هي قادمـــة اليك ..

.. بِشْراً على وجهك مارأيتُ قبل يومنا هذا كالذي عيناي الآن ترى .

.. صدقتَ وأنتَ الصادقُ أبداً يا ايها العظيم ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا .. فإنْ اليومَ الفرحُ إيّاي لايستخفُّ متى اذن يـــستخفُّ ؟!.. (وقد تنبهت أمارجي الدالفة الى البلاط بإثرِ سيدها الى أنَّ كاجينـــا لم يجثُ أمام ننورتا المتربِّع على عرشه ، كما دَرَجَ أنْ يفعل كلما وقف بين يدي هذا).. بمعبد الاله القدير أنليل مَررتُ قبل أن صـــوبَ بـــلاط عظمتكم أُيمِّمُ ؛ فبآلْ المعبد الجميلة نَنْ دادا أتيتُ .. فالقولـــةُ الـــتي سأتحدثُ فبها أنطقُ بشرى هي للملك العظيم كما هي البشرى لإلهكم القدير أنليل ، وليس ثمة ..

نهض ننورتا من كرسي عرشه فاقداً صبرَه .. قُتلتَ يا ابن آينمر فلا قبرَ لك .. قولةٌ غير البشارة أُذناي مُغلَّقةٌ دونها .. عليَّ بما لديك .. بالقولة البُشرى إليَّ لسانُك فليقذفْ .

وقبل ان تقتعد نَنْ دادا دكَّتها على يمين العـــرش ، اكـــدت لننورتا ، وأشهدت أمارجي على ماتقول ، انها حاولت بإسم الاله أنليل

ان تستدرَّ البشرى من فم كاجينا حين مرَّ بها في المعبد إلاّ انه أبي وأصرَّ على (ان تكون عظمتكم) أوَّل من يظهر على ما كنَّهُ في قلبه . فـــبشَّ وجه كاجينا وراح ينود برأسه .. مُتِّعتِ بالرفعة ياآلْ معبد الاله أنليل أيتها الجميلة نَنْ دادا إمرأتي أنتِ .. أمّا الذي إليَّ خبرُه قد انتهى ، ايها العظيم ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا ، فهو أنَّ رجال ابن سين اولاء الذين ألفين عديدُهم يفوقُ انما الى صفَّين صاروا .. بل الى صفٍّ كبير طاغ وآخر حَقُرَ شأنُه : فأمّا ذانكم الطاغي فرجالُه من قلـــوبهم مـــا أدركتْ قبلاً نزعوا ، فاذا بابن إيناكلي فيه لايرون إلاّ دَعيّـــاً ولـــيس سوى ذينكم .. وأمّا ذانكم الصف الذي ضؤل شأنُه فحَقُرَ ، فرجالُه قلوبَهم الحيرةُ تأكلُ وهم في الاركان مُتزون ..

وأسنانُ فكَّيه بكاملها بائنةٌ ، اذ اتَّسعت تكشيرتُه مـــن الأُذن الى الأُذن ، هتف ننورتا بصوته الجهور الاجشّ الذي لايكاد يُميَّزُ من صوت كوشاشْكر : بصباحٍ شمسُه لا تغيب ، الهُك القدير أنليل وجهَكَ عساه يغشَى .. الميقاةُ حانَ إذنْ ، فبأشدّاء جرسونن إحملْ وعلى مدينة ذينكم الخَرِف ليلَوم إجهزْ .. (والتفتَ الى نَنْ دادا ، وتكشيرتُه لّما تزل تترامى من الأُذن الى الأُذن).. ولكن قبل أنْ بصقورك على يمامات ابن إيناكلي تنقضَّ ، الى معبد الاله أنليل بهم انعطفْ ؛ فالجميلةُ نَنْ دادا آلْ المعبد في انتظاركم تكون .. روحُ الاله أنليل بكلمة مباركته ستهمسُ فأُذنُ نَنْ دادا إيّاها تسمعُ فعلى رؤوسكم تينكم الكلمة ستسبغُ .

نَنْ دادا على دكّتها الصغيرة جالسةٌ بظهر مَفرُود منتـــصب ، ورداؤها المقدَّس يغطي جسدَها كاملاً فلا يظهر منه حـــتى كفّاهـــا ؛ ودون أنْ تغيِّر من السيماء الصارمة التي تنسدل على وجهها قاطعـــت ننورتا .. روحُ الاله القدير أنليل وزيرَكم ابن آينمر وأشدَّاءَ جِرسونن

تباركُ لابد ؛ ولكن قبلذاك أُذنيك إذللْ يا ايها الملـــك ننورتـــا ابـــن أورجولا ابن كاركلا فبقولة أُخرى آلْ المعبد نَنْ دادا ناطقةٌ .. كمـــا لوزيركم في مملكة ذينكم الخَرِف عيونٌ ، عيونٌ لنا هناك ايضا .. الحقُّ كل الحق في القولة التي بها الوزير ابن آينمر قد صـــبَّحكم ، وفيهـــا البشرى لا مراءَ ، إلاّ أنَّ رجال ابن آينمر هناك ابن آجا وابن لوجال وحتى المَنادي ابن زاجيري وجيمع جُلاّس الخَرِف ابن إيناكلي ، أُولاء الذين لابن آينمر قلوبهم صادعةٌ .. كلُّهم كلُّهم في بيوتهم الآن مُرهَنون إيّاها لايبرحون فعلى أبوابها رجال بوزو ابن سين يقفون .. وثمة أمـــرٌ آخر في قولتي هذه .. أنَّ ثغور مملكة ليلَوم رجالٌ من حُرّاس ابن سين عليها اليوم قابضون ، فعن الدخول الى المملكة الناسَ يحجبون .. كل مَنْ من جهة جرسونن او البحر العظيم قادمٌ مُنحجبٌ هو عن الدخول لابد .. فالخَرِفُ اذن في نومة لا يغطُّ ، وذانكم هو عنه رداء الحكـــيم نازعٌ وبه لبوسَ المَلكِ الصارم مستبدلٌ .. الى الملك العظيم ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا والى وزيره كاجينا ابن آينمر بالسؤال قاذفةٌ انا فجواباً منكما أنتظرُ : لماذا على ثغور مملكته ابن إيناكلي رجـــالاً قـــد وضع من حُرّاس ابن سين فالداخل الى المملكة يحجبون ؟ ولماذا اولئك الرجال في بيوتهم أقعدَ فإيّاها لايبرحون ؟.

كانت تكشيرة ننورتا قد تلاشت تماماً منذ شرعت نَـــنْ دادا بحديثها الذي نغَّص عليه البشرى ؛ إلاّ انه مع ذلكـــم وجـــد نفـــسه يكشف عن أسنان فكِّه الاسفل مرَّة اخرى الان ، اذ لم يملك جوابـــاً لسؤال نَنْ دادا فقلبَ شفتَه الوحيدة ونظر الى وزيره يـــستعينُ بـــه . وسرعان ما مدَّ له هذا يد العون .. ليلَوم ابن إيناكلي وزيراً له كنتُ ، وعينَ العلم أعلمُ أنَّه أُمور المُلْك لايجيد .. والظنُّ من أُمور الملك لابد ؛

فالظنُّ انما في قلبه لايضعُ .. فان كان كذلكم وهو كذلكم ، مَـــنْ ذا الذي عليه بالظنِّ أشارَ ؟.. أيتها السائلة ياآلْ معبد الإله أنليل يـــائَنْ دادا أنت ؛ أنّي بالجواب قاذفٌ اليك فأُذنيك إذللي .. الهمـــسُ اذ في مملكة ليلَوم سادَ ، الى أُذنَيّ ليلَوم أمرُه انتهى .. فما كان من ميْـــسلِم ابن شيش .. ذلكم هو .. أجل ميْسلِم ابن شيش آلْ معبد الاله آنْ لا غيرَه .. ماكان من هذا إلاّ أنْ بالظَنِّ على مليكه أشارَ ، فقولتُه أنَّ ما في مملكتك يعتملُ فبين الناس من لسان الى أُذنٍ ينتقلُ ماأقربَهُ مـــن ابـــن آينمر كاجينا وامرأته نَنْ دادا .. فلغيرها ذانكم التدبير لايكون .. ثم قولتُه ايضا أنَّ ابن آينمر وامرأتَه في جِرسونن هما ، إلاّ أنَّ أذرعاً وعيوناً في مدينتك لهما ؛ كما أنَّ رجالاً ونساءً من جِرســـونن الى مملكتـــك يبعثون ، ففي آذان اهلك ورجال ابن سين يهمسون .. ثم ثالثةً قولتُه أنْ عليكَ بأوش ابن لوجال وانتيمنا ابن آجا ولامـــا ابـــن زاجـــيري وبجُلاّسك ، الذين ابن آينمر في قلوبهم يضعون ،.. عليك بهـــم ففـــي بيوتهم مُرهَنَين يقعدون فلا يبرحون ، فليس الى الناس ســـبيلٌ لهـــم .. وعلى ابن إيناكلي أشار أيضاً فرجالاً من حُرّاس بوزو ابن سين علـــى ثغور المملكة وضعَ ، فلا سبيلَ بعد ذاك إذن لرجـــالٍ ونـــساءٍ مـــن جِرسونن وقرى جرف البحر العظيم يبعثون .

وحين أمسك كاجينا ، وبينما كانت أمارجي تتنفَّس الصُعداء اذ لم ينكشف أمرُها ، إنبرتْ نَنْ دادا تسأله : وماذا بعد ؟.. ماتحدَّثتَ فبه نطقتَ جوابٌ هو لا باطلَ فيه .. انما ماذا بعد يا ايها الوزير كاجينا ابن آينمر أنتَ ؟.

فغرَ كاجينا فاه ، ثم .. ذلكم ما في قلبي ألفيتُه فلا شيءَ تبقّى .

فجأر ننورتا وهو متّكيءٌ بمرفقَيه على ركبتَيه دافعـــاً بجذعـــه

ورأسه الى أمام يتابع حديثهما : تدبيركما اذن منكشفٌ لدى ذيــنكم الخَرِف ابن إيناكلي ، فهو بإزائه بتدبيرٍ يسعى .

ودون إبطاء .. ذلكم هو .. ذلكم هو .. ذلكم هو ؛ ثم راحت نَــنْ دادا تتدفَّق : بعد أنْ مملكتَه دون الداخلين اليها أغلقَ ، وبعد أنْ أذرعَ ابن آينمر بتَر اذ في بيوتهم رجالَه أقعدَ ، ذانكم هو عن الوســيلة باحــثٌ فإيّاها لن يعدمَ ، فالذي الهمسُ أفسدَ مُصلحُهُ .. آلْ المعبد ترى ومــا ترى به إليكما قاذفةٌ ؛ نَنْ دادا ترى ، فعِيا وما ترى تدبَّرا .. الميقاةُ يا ايها الملك العظيم حانَ ، ولكن ليس لحملة أشدّاء جِرسونن على مدينة ليلَوم .. ليس الان هذه الحملة تكون .. الآن مالاً من خزائن قــصرك ستنفقُ .. عن ثغور لمملكة ليلَوم لم تنحجب بعد عليك يا ابن آينمر أنْ تبحث ، فعبرَها المال الى رجال ابن سين تبعث .. الذين مــن قلــوبهم مأدركتْ قَبلاً نزعوا ، فإلى ابن إيناكلي يرون فليس غير دَعيٍّ يرون .. أُولاء هُم مَنْ المالَ ستنفحُ .. ما به قلوبُهم الان قد أُترعتْ ، بالمال مُبقٍ عليه أنتَ .. في قلوبهم بالمال مُبقٍ عليه أنتَ إيّاه لايترعون .. وكــذا بالمال نافحٌ أنتَ من الناس مَنْ قلوبُهم اهتزّتْ فترنّحتْ فإبنَ إينــاكلي ابناً للاله آنْ ماعادوا يرون .. من الوقت لا متسعَ لديك يا ايها الملك العظيم ، ومن الوقت لا متسعْ لديك يا ايها الوزير كاجينا ابن آينمر أنتَ .. فالتدبيرُ الذي به آلْ المعبد قد نطقتْ ، في رمشة العين هذه ، إرجاءً لا يحتملُ .

نظر الملك الى وزيره ونظر الوزير الى مليكه ، دون أنْ ينبسا بكلمة ؛ ثم ادلهمَّ وجهُ ننورتا فاذا بجبينه قد تغضَّن .. تدبيرُ آلْ المعبــد جميلتنا نَنْ دادا نتباصرُ حولَه .. مع الوزير ابن آينمر نتباصرُ حولــه ، ولكن متى مِيقاةُ حملة الأشدّاء يكون ؟.

.. ليس الان يا ايها الملك ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا .. ليس الان .. أشدّاء جِرسونن ، متربِّصين حيث هُم ذَرْ .. أمّا انا فـالى المعبـد مُنقلبةٌ؛ الناسُ هناك أمام حجر روح الاله القدير أنليـل بقرابينـهم ماكثون ، والى آوبة آلْ المعبد اليهم متطلِّعون ..(نهضت ولم تنتظر اذن الملك لها بالانصراف ؛ وقبل أنْ تخطو خطوتَها الاولى).. من الوقت لا متسعَ لكما .. من الوقت لا متسعَ لكما .

ثم زاغ بصري حين أخذ اختلاجٌ باجفاني واصفرَّت الدنيا أمام عينَيَّ ، فعلمتُ أنّي منكفيءٌ لامحالة الى الركيزة المعدنية للدولاب الذي صار بالاولاد يلفُّ .. الركيزةُ التي تنغرز عميقاً في الارض ، عميقـاً عميقاً حتى تطاول أيامَ إبرام ابن تارح ابن ناحور في أُور ، حيث تكون قرونٌ وقرونٌ قد تصرَّمتْ بعد أنْ غذَّتْ نَنْ دادا خطاها نحو معبد الاله أنليل ورداؤها المقدَّس بالهيبة يُغلِّلها وبالرزانة والجبروت .

.. ، لم يجد أُوميا بيتَ الالواح بُدّاً من أنْ يمنح إبرامَ مهلةً اخرى ، شهراً آخر ، كي يصوِّب في ذاكرته ماالتبسَ عليها من أسماء الآلهة التي خطَّها السومري في الواحه تانك التي وجد إبرامُ نفسَه يستبدل بها جميعا اسم الاله أنليل .. كان على إبرام ابن تارح ابن ناحور أنْ يُعيد الى ذاكرته تينكم الاسماء دونما أيِّ التباس . سيما وان فعلَه ذاك ماكان ليغـضب أباه كثيراً .. فأبوه تارح ابن ناحور ، في يومٍ سابقٍ ، قد قبـل علـى مضض مارأته امرأتُه حينذاك اذ رأتْ أنْ ينطقَ إبرامُ ولدها بما جاء حقاً وحقيقةً في ألواح سومر حين يسأله الرجل ابو ساراي ؛ إلاّ انـه لـن يُودع في خزانة أبيه غير ما يُعيد نَسْخَه بنفسه حَسبَ مايراه ابو تارح .

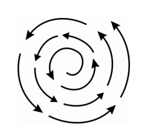
وهكذا كان .. فقد منح الأوميا الفتى إبرام ذينكم الـشهرَ مُهلةً ينكبُّ فيها على تثبيت أسماء الآلهة التي ذكرهـا الـسومري في

ألواحه .. تثبيتها في قلبه بعد أنْ زاحمها إسمْ الاله أنليل بفَرضٍ من تارح ابن ناحور . يا ابن ناحور ياتارح أبي – قال إبرام – الأوميا شاءَ لي أنْ في بيت الالواح شهراً أمكثَ ، لاأبرحُه اليكم قَطّ ؛ فطعامي أُمّي بـــه تأتيني كلَّ صباح قبل أنْ الاولادُ بيتَ الالواح يردون . بيـــتٌ لـــك وفراشٌ تأوي اليه – قال تارح ابن ناحور – هاهنا ، فلماذا فراشَـــك تعوفُ وبيتَ أبيك تارح تعوفُ فلا أدري أين تنام ، يا ايهـــا الفـــتى أنتَ؟؟. حذاءَ رفوف الألواح سأنام – قال إبرام – ففراشاً لي بنفـــسه الأوميا الجليل سيبسطُ وغطاءً إيّاه التحفُ ؛ فمن برد الليل علـــيَّ لا تخشَ . ولماذا بيتَ الالواح شهراً بنهاراته ولياليه تلزمُ – قال تارح ابن ناحور – فإلى بيت شيخك قَطُّ لا تنقلبُ ؟!. رمق إبرام أُمَّـــه بنظـــرة ففهمت منها انه يلوذُ بها فسارعت تقول هي لرجُلِها يا ابن ناحور يـــا ايها الشيخ أنتَ إبرامُ ولدُك أمراً للأوميا الجليل لايعصي .. الأوميـــا الواحَ سومر ، كلَّ الواح سومر ، علَّمه ، والأوميا الجليل مالاً عـــن عمله في بيت الالواح ينفحُه فتأكلُ وآكلُ ويأكلُ هو فنعيشُ .. تانكم هي مشيئةُ الأوميا وإبرام ولدُك لمشيئة الأُوميا يصدعُ . قلـــبي مُغلَّقـــةٌ أبوابُه دون لَغوِك هذا ياامراة – قال تارح ابن ناحور – كلمةً واحدةً مما به لسانك قد نطقَ ، قلبي لايدركها ؛ يا ابن تارح إبرام ايها الفـــتى لماذا لسانَك ابتلعتَ ، فتانك هي أُمُّك عنك تجيبُ ؟. لسانيماابتلعتُ يا ابن ناحور ياتارح شيخي – قال إبرام – وهذا هـــو طـــولَ الـــذراع يضارعُ .. الحقُّ في ما به العجوز قد نطقت ، واليه أُضيف فقولتي أنَّ الأوميا الجليل شاءَ لي أنْ .. شاءَ لي أنْ . فقاطعه تارح ابوه متبرّمـــاً : ماذا لكَ شاءَ ذانك الرجل ؟. فهوى إبرام على يد أبيه تارح يلثُمهـــا وهو يُقسم بأنليل ألاّ يخفي عنه أمراً . إبرام ايها الفتى – قال تارح ابن

ناحور – إنهضْ ويدي لا تلثمْ وبالاله القدير أنليل لا تقسمْ .. ماالذي في قلبك كنت تريد أنْ عني تُخفيه ؟.. تكلَّم يا ابن تارح ايها التعيسُ أنتَ . إبرامُ بالبكاء أجهشَ ؛ ثم وهو على تينكم الحال أظهر تارح أباه على حقيقة مشيئة الأوميا . يا ابن ناحور ياتارح أنتَ – قالت أمُ إبرام وهي تحاول إسناد ولدها فلا تدعه مُنكشفاً امام ماتوقَّعتْه من غـضب أبيه – إنْ كنتَ ما به ارتضيتَ قد نسيتَ ، فأنّي أمامك إيّاه نابشةٌ حتى قلبُك يتذكَّرهُ . فأعولَ تارح ابن ناحور في وجهها : ماالـذي بـه ارتضيتُ فنسيتُه ياامراة ؟!. أما كنتَ لإبرام فتاك قـد ارتـضيتَ أنْ للرجل أبي ساراي يتحدَّث فبما خطَّه السومريُّ في ألواحه يجيـبُ ؛ ثم ألواحاً أُخرى ينسخها بنفسه حَسبَ ماتراه أنتَ ففي خزانتك تحفظها؟. بلى لإبرام فتاي بذينك الامر قد ارتضيتُ – قال تـارح رجُلُهـا – ومانسيتُ . بإبرام ولدنا فلتترفَّقْ إذن – قالت أُم إبرام – وفي بيـت الالواح شهراً ذَرْهُ ينقطعُ ، حتى قلبُه سائرَ آلهة سومر يستذكر ، أو ابو ساراي ذانك الرجل بيدَيه يدعُّهُ والى خارج بيته يُلقي به ؟ مَنْ ذانـك الرجلُ يكون –قال تارح ابن ناحور – حتى ولدي إبرامَ بيديه يـدعُّ والى خارج بيته يُلقي به ؟.. وراح يُكرِّر ويُكرِّر وهو يُعلي من صـوته بوجه امراته . ابو ساراي الجميلة ذانك الرجل يكون يا ابن نـاحور ياتارح أنتَ .. ألا فاعلمْ . الى جحيم العالم السُفلي فليبعثْ به الالـه أنليل – صرخ شيخُها وضرب الارضَ بعصاه – وإنْ أبا ساراي كان .. ألا من جميلة في أُور سوى ابنته ؟.. من غَدك ايتها العجـوز الـتي عيناها عَميتْ إلاّ عن ساراي .. من غَدك – صارَ يهتف وهـو يرفـع عصاه أعلى من رأسه – أُور تنبشينها فبيتاً بيتاً تفلِّينها حتى على جميلة غير تينك الفتاة ساراي تعثرين . هنا لم يتمالك إبرامُ نفسه ، اذ ظنَّت

أُمّه انه هالك على قدمَي أبيه يلثمها .. الاّ انّه حين هوى الى الارض لم يقع وجهُه على قَدمي أبيه ، وانما ترنَّح جسدُه وسقط على جانبـــه ثم انتهى مُنطرحاً على ظهره مصفرَّ الوجه مخضّلاً بالعَرق جبينُه ، وقـــد انفغرَ فمُه وانسبلتْ أجفانُه فعيناه مُغمضتان . ولدي قتلتَ .. ألا بمـــا اقترفتَ فلتهنأ — صرختْ أُم إبرام ثم طفقتْ تلطمُ جيدَها بقبضتها — إبرامُ ولدي عينَيك إفتحْ وبعجوزك ترفَّقْ . إبرام ايها الفتى — قال تارح ابن ناحور وهو يلقي بعصاه جانباً وينحني على ولده — الى اين أنـــتَ مُيمِّمٌ ؟.. الالواح التي نسختَها بنفسك وفي خزانتي حفظتُها لـــك .. تانك الالواح التي وديعتُك لأبنائك هي ؛ مَنْ لها بَعدك ؟!. ثم أخذَ رأسَ إبرام بكفَّيه يرفعه عن الارض ، وصار يربتُ على خدِّه ويقول بصوت مُنكسر : شيخُك تارح ابن ناحور ترفَّقْ بشيبته .. بعدَك لا ذراعَ له . وبغتةً غَلُظَ صوتُه ، كأنَّه تنبَّه الى نبرة الضَعف فيه : عينَيك إفتح يا ابن تارح ياإبرام ايها الفتى ، ورجُلاً كُنْ فرأسَك عن الارض إرفـــعْ . واذ يئسَ من استجابة إبرام ولده ، أمر إمرأته بأنْ تأتيه بكوز ماء . فلمّـــا افاق إبرام واستوى جالساً ، والماءُ يقطرُ من لبدة شعرِه ؛ وبينما كانت أُمّه تأخذُه الى صدرها وبالقُبلات تمطرُه وهي تَعدُه ، غير آبهةً بما قـــد يكون رأيُ تارح رجُلُها .. تَعدُه بأنَّها ستوافيه بطِعامه قبل شروق شمس كلِّ يوم من الايام الثلاثين التي سينقطع فيها في بيت الالواح .. بينما كان ذلكم يحدث طُرِقَ بابُ بيت تارح ابن ناحور ؛ فهبَّت أُم إبـــرام اليه. واذا بالباب ينشقُّ عن أُوميا بيت الالواح يلهثُ . ما وراءك يـــا ايها الأوميا الجليل ؟- سأل تارح ابن ناحور وقد لمحَهُ على هيئته تينكم يملأُ فتحةَ الباب — أسعالٌ ملمٌّ بك فصدرُك لا قرارَ له ؟. بل لاهثٌ انا هارعٌ اليك فخَطْوي الى بيتك غَذَذتُ — قال الأوميا وهو بَعدُ علـــى

الباب واقفٌ . الينا إدلفْ يا ايها الأوميا .. إلينا إدلفْ .. جانباً عـــن الباب تَنحِّي ياامرأة . إلاّ أنَّ الأوميا لم يلبِّ فقـــد أردف : الى بيتـــك ماجئتُ لأدلفَ يا ابن ناحور ياتارح أنتَ .. أنتَ وإبرام ولدك إنهـــضا الآن ، والى بيت ذينكما البغل الحرون معي تُيمِّمان .. فأمامَه في رمشة العين هذه فتىً من سومر لا نُشْدَ له سوى أنْ ساراي منه يخطُبها ، وفي قلبه ألواح سومر كلَّها قد وضعَ .



مع ان الغثيان لم يزايلني بعد ، وأنَّ عينيَّ مابرحتا متـــشبِّثتَين بالركيزة المعدنية التي تبلغ بانغرازها عميقاً في الارض أيامَ إبرام ابـــن تارح ابن ناحور في أُور ، إلاّ أنَّ ظلاًّ للركيـــزة الاخـــرى للـــدولاب أستشعرُه الآن بطرَف عيني يتغشّاني ، فأرى لوسين ابن لولـــو يـــدور بصحبه الثلاثة في طرقات مدينة ليلَوم وشِعاب قرى المملكة . صبيحة هبطوا رابيتهم الى المدينة ، كان في حسبانِ لوسين أنْ يستعين بلاما ابن زاجيري مُنادي الملك في دعوة الناس ، كلّ أهل المدينة مرّةً واحـــدة ، الى السوق فيقف على رؤوسهم متحدِّثاً ؛ فالذي سيتحدث بـــه فيـــه للملك نَفْعٌ وللمملكة .. بكلام آخر أنَّ ابن زاجيري انمـــا بـــذينكم سينادي بشأنٍ من شؤون المَلِك ، أي في صميم ما يُكلَّفُ به كل يوم . لكنَّ أُوبار سارِع يوضِّح للوَسين وأُوردلا ونمخـــاني بـــأنَّ الامـــور في المملكة، وفي البلاط تحديداً ، لم تعد كما عهدوها .. ثم جعل يُظهرُهم على ماأظهره عليه ابوه شوكليتو ؛ فعلموا بذلكم أنَّ لاما ابن زاجيري هو آخر من أقعده ليلَوم الملك في بيته مُرتَهناً بعد أنْ أقعَد قبلَه أُوش ابن لوجال وانتيمنا ابن آجا وسائر جُلاّس الملك ، اولئك الذين قلوبهم الى كاجينا ابن آينمر تهفو .. يا ابن العم لولو يالوسين أنتَ ؛ لا رجلَ اذن

اليومِ الناسَ كلَّ الناس الى السوق يدعو فإليهم بقولتك تقذفُ .

انبرى نمخاني ابن إيلوتي يقترح باحةَ المعبد بديلاً عن السوق اذ يجتمع الناس فيها ، رجالاً ونساءً ، مع قرابينهم وبخاصة ساعة ما قبـــل الغسق . فاذا بأُوردلا ابن سُرار يلوم نمخاني على نـــسيانه حقيقـــةَ أنَّ المعبد هذا كذبةٌ إفترها نَنْ دادا ، وأُرغمَ ليلَوم ابن إيناكلي على الأخذ بها لأنه كان سابقاً على نَنْ دادا بكذِبه حين ادّعى أنَّه مـــن الالـــه آنْ بمصاف أبنائه .. يا ابن العم إيلوتي يانمخاني أنتَ ؛ اننا انما تينك الكذبةَ نباركُ فنتبنّى ، إذْ الى باحة المعبد ندلفُ .. بالكَذِبِ لسانُ الصادق لا ينطقُ ، فإنْ الى باحة المعبد دلفنا لسانُنا بالكَذبِ نطقَ .

وأضاف لوسين : الصادقون المعبدَ لا يلجون .. المعبدُ كذبةٌ كما قولةُ ابن عمِّك سُرار ، فالإله الكبير آنْ خالقُ الاشياء جميعها ليـــست بـــه حاجة الى ما يخلق .. مخلوقاتُه بها حاجة اليه .. وأنَّ قولتَنا أنْ معبداً له نُشيدُ ففي باحته الناسُ إيّاه يعبدون ، كقولتنا بإنَّ الاله الكبير آنْ به الى الناس حاجة .. وهو من تينك الحاجة بَراءٌ لابد .

وبالكاد صبرَ أُوبار حتى يبلغ لوسين هذا المبلغ من قولـــه ، اذ ما لبث أنْ نطَّ كأنَّه يردف القول بالقول : عجبٌ بي يأخذُ وقولتُكما ، الواحدةُ بعد الاخرى ، في اذني تقعان .. وقولتكمـــا في أُذني تقعـــان عَجَبٌ يأخذُ بي فيتولاّني يالوسين وأُوردلا أنتما .. أبالحديث عن كذبة تستغرقان أمام كَرّاع الجعَّة هذا ، كما لو أنَّ قولتي لم يسمع في ذينكمْ اليوم البعيد وأنا الى علمكم ، الثلاثةَ أنتم ، أُهي ماالذي تانكم المرأةُ نَنْ دادا به الى رجُلها ابن آينمر قد تحدَّثتْ فنطقت ؟!. حسنٌ يا ابن العم إيلوتي يانمخاني أنتَ ولابأسَ أنْ تانكم القولة الى أُذنك وقلبك بها مـــن جديد أقذفُ ..

وصار يُذكِّرُه بما جاءهم به يوماً ، عبر أبيه شوكليتو ، من أنَّ كاجينا ابن آينمر ، وهو يبسط أمام ليلَوم المَلك فكرةَ تشييد المعبد لصقَ قصر هذا الاخير ، سوَّغها بأنَّ هذا المبنى سيضمُّ حَجَر روح الاله آنْ وأنَّ الناس سيؤمونه فيتذكَّر من نسيَ منهم أنَّ ليلَوم ابن إيناكلي مليكهم بمصاف أبناء الاله آنْ هو ، فتعيسٌ ابن تعيس مَنْ الملكَ مسَّ بالسوء او مملكته ؛ وما كان ذانكم الرأي إلاّ مما جادَ به قلبُ نَنْ دادا ، كما أكّدت الوصيفةُ أمارجي حينها لشوكليتو .

.. فيا صاحبي نمخاني ، بل يا صَحبي أنتم .. المعبد ما شُيِّد إلاّ لـ.. فانتفض نمخاني في وجه أُوبار .. عندك فامسكْ .. بالعَجَب ابتدأتَ فكأنَّ في أُذني قولتُك هذه ما وقعت يومَ بها نَطقتَ ، وها انت حديثَك تختمُ ، فاذا بك إدراكنا المعنى تبخسُ فتسدُرُ .. أوَ لا أحدَ سواك من الاربعة أُولاء قلبُه الغايةَ من تشييد المعبد يدركُ ؟.. أَلَنا الغايةَ الحقَّ من ذينكم تكشفُ يا ابن العم شوكليتو ياأُوبار أنتَ ، ونحن بما حدثَ ويحدثُ الأعلمون ؟؟!.. من بين سائر البشر في سومر وسواها من أرضين نحن الاربعةَ أُولاء بما حدثَ ويحدثُ الأعلمون .. (همَّ لوسين بمقاطعته ؛ ولعل هذا شاءَ أنْ يهدِّيء من الحَنَق الذي تملَّك صاحبَه ، إلاّ أنَّ نمخاني لم يَذَر لوسين يستحوذ على طرف الحديث ؛ ومضى يَربد..).. ألا اذن فاعلموا .. ألا اذن الناسُ جميعا فليعلموا بأنَّ بنواصينا نحن الاربعةَ ، لا بنواصي غيرنا ، الذنبُ معقودٌ .. قولتُنا هي ، لا قولةَ بشرٍ آخر ، بأنَّ ثمة إلهاً كبيراً في السماء موجودٌ الاشياءَ جميعاً قد خلقَ.. قولتُنا تانكم انما هي الذنبُ الذي في نواصينا معقودٌ .. ذنباً بتينكم القولة اقترفنا فأنهرُ سومر ، بسبب منها ، بالدم لا بالماء تفيض .. إي يا صِحاب .. إي يا صِحاب .. ألاً ما أعظمَ ما اقترفنا .. ألا

أتعسْ بنا نحن الاربعةَ ، ونحنُ الذنبَ الاعظَم مقترفين .. إنْ كان البشرُ طُرّاً ذنباً قد اقترفوا ، وإنْ كان لهم طُرّاً ذنباً سيقترفون ، فلا أعظَم من ذنب إيّاه اقترفنا نحن سيكون ..

ثم انفجر يجهش بالبكاء ؛ غير انَّه لم ينته بأنْ يدفن وجهه بين كفَّيه وانما اندفع نحو أُوردلا ابن سُرار ، وبكاؤه يخضُّه خضّاً ، وأخذَ بتلابيبه .. لا أحدَ وراء كل هذا العُهر إلاّك .. لا أحدَ لا أحدَ .. آمنينَ كُنّا وماءٌ في أنهر سومر يجري ونحن عن البقر والحمير بشيء لاننمازُ .. ماالذي قلبَك أيقظَ فلسانَك هزَّ فبذينك الهُراء تحدَّثَ فنطقَ ؟.. ماالذي ؟.. ماالذي ؟. وبكاءُ نمخاني بات عويلاً أقرب لعواء ذئب جريح ، وتلابيب أُوردلا توشك أنْ تتمزق بيدَيه ، لم يملك هذا إلاّ أنْ تمالكَ على صدر نمخاني وهو ينخرط ببكاءٍ مُرٍّ دون أنْ يجود على صاحبه بأيما جواب . ومأسرعَ ماانضم أُوبار اليهما ، هو الذي عَنَّفه نمخاني قبل قليل ، فقد دسَّ وجهَه بين كفَّيه وراح يبكي حيث يقف .

انهم الاربعة جميعهم يقفون الان خارج سور مدينة ليلَوم .. لقد هبطوا رابيتهم المعشوشبة ، فعلاً ، الاّ انهم لم يدخلوا المدينة بعد . ثلاثة من الاربعة ماعادوا يملكون شيئاً غير البكاء ، مع أنَّ الصبيحةَ تلكم هي تغمرهم بأبهى نورها وأرقِّ نَداها . أجل ثلاثة منهم وليسوا هم الاربعة ، ذلكم أنَّ لوسين ابن لولو قد تولّى الاجابة عن أُوردلا ؛ فما نطق بها اذ نطق الاّ بصوت جهورٍ عميقٍ مَهيبٍ ، طغى على عواء الذئب ونحيب الآخرين .. ألا يا ايها المُنتحبُ يا ابنَ إيلوتي يا ايها السائل أنتَ ؛ دمعَك إمسكْ وأُذنَيك وقلبَك إذللْ فها أنا لوسين ابن عمِّك لولو بالجواب قاذفٌ اليك .. للخبز ثمنٌ كما للبن والزبدة ثمنٌ ، وللرداء ثمنٌ كما لكل حاجات البشر أثمان .. انما ع أنَّ الاغلى من

بينها ثمناً ثمنٌ لقولةٍ فيها الحقُّ ندفعُ .. فما بالك بحقٍّ لاأعظمَ منه حقَّاً لافي السماء ولا على الارض !.. ألا يا ايها السائل يا ابن العم إيلوتي يانمخاني أنتَ ؛ فذانك الحقُّ الأعظمُ ما قلبَ أُوردلا أيقظَ فلسانَه هزَّ فتحدَّثَ فنطقَ .. إنَّ دماءً بسببٍ من ذينك الحق في اهر سومر تجري وسواقيها ، لأهونُ عليَّ وعليكمٌ من أنْ نبقى كما أنفسنا ألفينا عن البقر والحمير لاننمازُ .. ألا ياصاحبي فاعلمْ .

كان نمخاني قد انفكَّ عن أُوردلا حين طلب لوسين منه الإمساك عن البكاء والإصغاء لما يقول .. الاّ انّه لم يلتفت الى ورائه حيث لوسين يقف ، فظل يصغي وظهرُه اليه دون أنْ يكف تماماً عن البكاء . الان فقط انفتل نحو لوسين .. ولكن الناس فرَقاً باتوا .. اليوم ثمة ملكان بين ظهرانينا وغداً ملوكاً سيضحون ؛ فكلٌّ ملك بنوةً لإلهٍ من أبناء الاله الكبير آنْ مُدَّعٍ ، فلا قرارَ له يقرُّ حتى على الآخرين يسودُ .. ووزرُ الرزايا التي بالناس ستحلُّ على عواتقنا نحن الاربعةَ نحملُها .. فلو لم نكن ذينكم الالهَ آنْ قد أوجدنا ، لما الكذبةُ بين الناس سرَتْ فترَعرَعتْ فعُهراً باتت ..

أُوردلا لا يتمالك نفسَه الان بعد أنْ نشغَ ما في أنفه من دمع .. أية كذبة هذه يا ابن العم إيلوتي نمخاني أنتَ ؟.. حقٌّ هو لا مراءَ فيه وجودُ الاله الكبير آنْ في السماء .. لا خالقَ للاشياء سواه ووجودُه حقٌّ لا مراءَ فيه .

عاد نمخاني فالتفت نحو أُوردلا .. ماأخطأك وأنتَ الفطنُ فينا اذ ظننتَ أنّني عن الاله آنْ تحدَّثتُ ، حين لساني عن الكذبة تحدَّث فنطقَ .. لايا ابن العم سُرار ، ذانكم انما هو الباطلُ الذي فيه لاأتورَّطُ .. فقلبي أمراً واحداً يدركُ وغير ذينكم الأمر لايدرك : الصدقُ الذي ما قبلَه صِدقٌ

ولا بعدَهُ صدقٌ قولةُ أنَّ الاله آنْ موجود وهو الخالقُ فلا غيره للاشياء من خالق ؛ وكلُّ ما البشر على هذه القولة ابتناه كَذبٌ .. كَـــذبٌ .. كَذبٌ .. كذبةٌ هي كلُّ ما بعد تينك القولة طُرّاً بها لَسانٌ لبشرٍ قَد نطقَ .. كذبةٌ هي قولةٌ غير تينك القولة ، معابدَ بها يبتنون فالناسُ أمـــوالهم يسلبون ومن قلوبهم وما أدركتْ يـــسخرون ، فالممالـــك يقيمـــون ويصونون .. ألا أنَّ عُهراً كذينكم العُهر وِزرُه بنواصينا ، نحن الاربعةَ ، معقودٌ فليس لنا منه فِكاكُ .. ألا فلتعلمْ يا ابن العم لولو يالوسين أنتَ أيّاً كانت الحكمةُ التي الى نبعها بنا تَرِدُ .

.. الى نبعِ حكمةٍ بكم ياصاحبي ماوردتُ .. إنْ هو إلاّ الحقُّ في قولـــةٍ بسواها لساني لاينطقُ .. قولةُ أنّنا الصوابَ أتينا اذ عن البقر والحمـــير إنمزنا ، فالالهَ الكبيرَ آنْ في السماء وجدنا ، وإيّاه إسماً منحنا .. لا وِزرَ عن رزيَّة بنواصينا معقودٌ .. بنواصي الكَذَبة أولاء الذين عن الصدق حادوا كل الأوزار معقودةٌ ؛ فبنفسك ونفوسنا ياكرّاع الجعَّة ترفَّقْ .. ألا اننا الى مدينة ليلَوم دالفون وفي طرقاها جائلون منادون أنْ يا ايهـــا السامعُ ما في أُذنك يقعُ بين الناس أذِعْ .. فتيةُ الرابية المعشوشبة نحن ، الصادقين الاربعةَ نحن ، ميقاةٌ لنا معكم في السوق إذ ظلُّ العصا يتلاشى .. حينها على رؤوسكم خيرَ الكلام سننثُر ، حيث على السنتنا الحـــق ينبلجُ .

ثم غِيضَ الدمعُ في العيون ، واتَّسعت الخطى تجتاز سور مدينة ليلَوم فإلى طرقات المدينة تدلفُ ، تتقدمها خُطى لوسين ابن لولو بقامته الرَبِعة وبوجهه المدوَّرِ الناضحِ حكمةً وأريحيةً على الرغم من كثيـــف شعر لحيته الزاحف على وجنتيه . لقد جابوا انحاء المدينة ، فما اغفلوا طريقاً من طُرقاها . كانوا يتناوبون النداءَ على الناس ، فما أنْ يوشك

على أنْ يبحَّ صوت احدهم يتولى المناداةَ صوت آخر ؛ حتى حان الميقاة اذ تلاشى ظلُّ العصا على ارض سوقُ المدينة ، فها هي السوق بالرجال والنساء وحتى الاطفال تغصُّ .. شُبّان وشيوخ كانوا هناك . أمّا لوسين ابن لولو وصَحبُه فقد اتخذوا من موضع في قلب السوق رُكناً لهم ، ثم نضدوا أحجاراً على بعضها ، سيعتليها لوسين بعد هُنيهة . وإنَّ الحشدَ لَيمور اذ باتت له لُجَجٌ تتدافع الناس فيها بالمناكب .. ذانك التـــدافعُ بلغ أوجَّه بخاصة حين ارتقى الرجلُ الرَبِعُ ، ذو اللحية الكثّة ، نـــضيدَ الاحجار . انها المرة الاولى التي يهبط فيها الشُبّان الاربعةُ رابيتـــهم الى المدينة .. انها المرَّة الاولى التي يختلطُ فيها زُرّاع الشعير أولاء بالناس مُذ ذاع صيتُهم كونهم هم الذين الى السماء رأوا فوجدوا فيها الاله الكبيرَ آنْ وزوجتَه ننخرساج وابنَه الاله القدير أنليل . فلا غروَ اذن أنْ يبلغ تدافع المحتشدين أمامهم أشدَّه حتى كاد يسقط لوسين ابن لولو عـــن تينكم الاحجار . ثم اذا ما اتَّزنَ هذا فاستقامَ مُنتصباً بينـــهم ، أعلـــى صوته فتعمَّد ان يُخرِجَه من أعماق أعماق صدره فوقع في أُذن سامعه كما يقعُ صوتٌ قادمٌ من السماء ..

.. ياأهلنا يا دمنا ولحمنا أنتم ؛ انا لوسين ابن أخيكم لولو وصـــحبي الثلاثة ابن سُرار أخيكم أُوردلا هو ، وابن شوكليتو أخيكم أُوبار هو وابن إيلوتي أخيكم نمخاني هو .. صَحبي أُولاء بي يحفّون وللحـــديث اليكم عنهم إيّاي أنابوا وكلُّهم من ابن لولو لوسين أعلى شأناً وأبذخُ جاهاً .. ياأهلنا يا دمنا ولحمنا أنتم ؛ نفوسَنا خبرتُم وقلوبَنا فالـــسنتُنا بغير الصدق لا تنطقُ .. وإنْ ارواحَنا كلَّفتنا قولةُ صِـــدقٍ ، فبغيرهـــا ألسنتنا لا تنطق ..

ثم جعل يُحدِّثهم عن الذي مرَّ بهم منذ الساعة الـــتي لفـــتَ

انتباههم فيها أُوردلا ابن سُرار الى أنهم بشرٌ والبشرُ ينبغي له أنْ ينماز عن البقر والحمير .. مروراً برؤيتهم الى السماء التي تَبِعتْ ذينكم وما سبقها من رؤيتهم الى كل الاشياء ..جميع الاشياء في السماء وعلى الارض ، وصولاً الى كيف وجدوا الالهَ الكبيرَ في السماء وكيفَ منحوه إسماً . وبكلمة مختصرة .. حَدَّثهم لوسين ابن لولو عن كلِّ ماحدث لهم ، ذينكم الذي كانت الالسن تتناقله بثقة تارةً وبافتراضٍ تارةً اخرى فشاهَ كثيرٌ من الاخبار وهم يتناقلونها على ذينكم النحو . إنَّ لسان ابن لولو لَينطق فيتحدثُ عن الثلاثة الآخرين الآن إذن ، فيبسطُ امام الناس الحقيقة كما هي .. كما يرويها أصحابها الذين أوجدوها ..

..عُوا ياأهلنا يا دمنا ولحمنا أنتم .. عُوا فلا الغفلةُ آخذةٌ بكم .. لا الاله آنْ ولا ابنه الاله أنليل من البشر إبناً قد اتّخذا او سيتّخذا .. ولا الى بشرٍ شأناً من شؤونهما الالهُ آنْ او ابنُه الاله أنليل قد أوكلا .. فكذّابٌ اثيم هو مَنْ غيرَ ذينكم الحق قد ادّعى .. بشراً أيّاً كان لا تصدِّقوا إنْ ادّعى فقولتُه أنّه من الاله آنْ بمصاف أبنائه ، اليه صَوْنَ النواميسِ الالهُ الكبيرُ قد أوكلَ .. هَمْسٌ بينكم شاعَ فإذا في آذانكم يقعُ مايقعُ ، فاذا هو من تدبيرِ رجل مَليكَه خان إذْ نفسَه باعَ وامرأته .. ألا اننا نحن الاربعةَ زُرّاعَ الشعير لوسين ابن لولو وأُوردلا ابن سُرار ونمخاني ابن إيلوتي وأُوبار ابن شوكليتو من ذينكم الهَمْس بَراءٌ .. ما في آذانكم وقعَ ، نحن الاربعةَ منه بَراء .. على أنَّ قولَتنا ، ولكم أنْ جَهراً لا همساً تتناقلوها ، هي أنَّ لا مليككم ليلَوم ابن إيناكلي ابنٌ من أبناء الاله ولا ذينكم الدعيُّ في جِرسونن ، الذي من الاله أنليل القدير أباً اتَّخذ وله معبداً شادَ .. ذانكم الدعيّ لُحمتَكم شاءَ ان يشقَّ ، فأبوابُ

مملكتكم له تُشرعُ ، فدماءَكم في أنهر سومر يُجري .. يارجال بـــوزو ابن سين يا مَنْ بين الناس واقفون أنتم ؛آذانكم لقولتي أذللوا فعُوا .. لحمتَكَم ذانكم الدعيُّ الذي لاأبَ له شاءَ أنْ يشقَّ ، وما أحـــدٌ مـــن ورائه إلاّ خوّانُ أهله وساحرةٌ إمرأتُه .. فإنْ الى صفَّين صرتم رماحُكم الى الهوان ولَّتْ ومديكم ، فابواب مملكتكم لذينكم الأفّاك أُشـــرعَتْ فدماءُ أهلكم في أنهر سومر جَرَتْ وسواقيها ..

هنا جذبَ أُوبار يدَه ، وكان هـــذا واقفـــاً الى يمـــين نـــضد الاحجار، فتنبَّه له وانحنى عليه يطأطيء رأسه يسمعُ منه مايريد قوله .. تانكم القولة التي اتفقنا أنْ بها لسانُك ينطقُ اين هي من لسانك؟. (قال أُوبار ذلكم بصوت خفيض) . فكان من الواضح للوسين ان يُجيـــبَ بصوت خفيض هو الآخر .. أية قولة يا ابن العم شوكليتو ؟!.

.. الحكَيمُ من البشر فوقَهم ، وما مليكنا ابن إيناكلي إلاّ حكيمٌ وأبوه حكيمٌ فحُقَّ له أنْ منه الالهُ آنْ إبناً يتّخذُ .

.. تانكم القولة في قلبي إيّاها قلَّبتُ ، فاذا بالباطل اليها في غفلة منّـــا يتسلَّلُ .. ذلكم أنَّ يوماً علينا سيأتي ففينا دَعيٌّ آخر يظهرُ ؛ وقولتُه انه حكيمٌ ففوقَ البشر هو ، فإبناً للاله آنْ او ابنه أنليل او أحد ابناء أنليل يكون .. او لعل قولتَه أنّه ليس إبناً لاله وانما على لسانه قولةٌ للاله هي؛ فالإله من دون البشر اصطفاه فقولةُ الاله لسانُه بها ناطقٌ .. على أنّي يا ابن العم شوكليتو ياأُوبار أنتَ (ظنَّكَ) لن أُخيِّبَ ، فأُذنيك لقـــولتي إذللْ .

واستوى فارداً قامته الرَبعة ثانيةً ، مُعلياً من صـــوته الـــذي أخفضه قبل قليل ، فعادَ صوتاً هابطاً من السماء .. تانكم الحال اليها نحن جميعاً مُنتهون إنْ رجالُ بوزو ابن سين ، حُرّاس المملكـــة، وكـــذا

الناسُ من خلفهم الى صفّين صاروا ؛ وقد صاروا حقّاً وحقيقةً ، فلماذا الى صفّين صاروا ؟.. كلكم العلّةَ تعرفون ، فلساني ، لذا ، في تيـــنكم العلّة لايخوضُ .. انما قلوبكم قبل آذانكم لقولتي التي سأتحدثُ فبـــها أنطقُ أذللوا ..(وأعلى من صوته اكثر واكثر ، كأنَّه افترض الـــصمَمَ فيهم ، أو شاءَ أنْ يُسمع مَنْ هو في أقصى بقعة في المملكة بأســـرها): أفي القولة التي على لساني أمضي ياأهلي أنتم ؟.

فارتفع صوتهم موحّداً من طرَفي السوق : إمضِ . ثم صاح شيخٌ مـــن وسط رَصيص رجالٍ يقفون وسط السوق ، أمام لوسين تمامـــاً ، .. : إمضِ وانتَ الصادقُ وصحبُك .

.. حسنٌ .. حَذار وحَذار ثم حَذار أنْ بعيون قلوبكم الى المعنى تقذفون فميزاناً في قولتي التي بها لساني قد نطقَ ترون ؛ فالميزانُ معتـــدلٌ اذ في إحدى كفّتيه مليككم ليلَوم ابن إيناكلي وضعتُ ، وذينكم الذي على جِرسونن في كفّته الاخرى حكيمٌ ابن حكيم هو ، كبيرُ قومـــه هـــو ، ومَوئلُ فخرِهم وواضعُ نواميس جَمْعهم هو ، قبل أنْ على الناس مَلكاً يكون .. أجل ياأهلنا يا دمنا ولحمنا أنتم ليلَوم ابن إيناكلي ، شيخنا ، ليس دعيّاً هو ، وانما لانه حكيمٌ وابن حكيمُ فقد شـــاءَ أنْ دمـــاءَكم يحبسَ فأنهُر سومر وسواقيها فيها ماءٌ يجري لا دماءكم ..

وراح يروي لهم عن العَنَت الذي كان يُلاقيه ليلَوم المَلـــك ، وعن الذي كان يمضُّه وهو يقرأُ كلَّ يوم في عينَي وزيره ابـــن آينمـــر وقلبه التدبيرَ تلو التدبيرَ في سَعيه الى تقمّص المُلْك منه ، فالسيرُ بالمملكة وبأهلها من ثم الى عِراكِ مع صاحب جِرسونن ، أهونُه أنْ تجري دمـــاءُ أهل سومر كل سومر في أنهرها وسواقيها .

.. اجل ياهلنا .. فما الذي صاحبُكم فاعلُهُ وهو الحكيم فيكم ، وكان

اذ عمُّنا شوكليتو الى علمه قد أنهى ما أنهى ؟.. خبرُ السماءِ في قلب عمِّنا شوكليتو كان ؛ فإلى علم مليكه ذينكم الخبر قد أنهى .. فماالذي صاحبُكم فاعلُهُ وهو الحكيم فيكم ؟.. وهو الحكيمُ فيكم ماالذي صاحبُكم فاعلُه غير أنْ البنوَّةَ للاله آنْ يدعي فبجُنحه يستظلُّ ؟.. أجل يا أهلنا يا دمنا ولحمنا أنتم .. ذانكم هو مليككم ليلَوم ابن إيناكلي ، عن مُلْكه راغبٌ لوتعلمون ، إلاّ أنْ منه إيّاها يتقمَّصُ مَنْ دماءكم حابسٌ وأعراضَكم وأموالَكم يصونُ .. فليست بمليككم ابن إيناكلي الى بنوةٍ للاله آنْ من حاجة، إلاّ بما عنكم الموتَ والهوانَ يدرأُ .. ألا فلتعلموا .. ألا فلتعلموا .. ألا فلتعلموا ..

ثم هبط نضيدَ الاحجار ، فتلقَّفته أحضانُ صحبه ، ولَثَماتُهم ، هم الثلاثةَ ، تتدافعُ فوقَ لحيته ووجنَتيه وجبينه . يقول شوكليتو أنّه وليلَوم الملك والشيخ مِيسْلِم ابن شيش كانوا بين الناس ، وسط جَمْعهم ، موارين وجوهَهم بأردية أرخُوها على رؤوسهم . فلمّا بلغَ لوسين ابن لولو في قولته مبلغَ إلقاء حُجَّته على سامعيه ، ميَّزَ شوكليتو نشيجَ مليكه من بين غمغمات الناس التي شكَّلتْ جَلَبةً أخذتْ بكامل السوق ، وفاضت الى عَطَفات المدينة ، ثم الى المزارع خارج سورها ، ثم الى سائر قرى المملكة .. مملكة ليلَوم ابن إيناكلي .

أمّا أنا فقد انحسر عنّي ، للتو ، ظلُّ الركيزة المعدنية الاخرى فما عدتُ ألمُحه بطرف عيني . وهذا يعني أنَّ غثياني الذي لم يزايلني أصلاً ، قد تفرَّد بي الان ، فلا شيءَ تتشبَّثُ به عيناي غير الركيزة المعدنية التي نفذت نهايتُها المدبَّبة في سقف مدينة اور ..

..، فهل تولَّت إبرامَ إغماءةٌ ثانية وأُوميا بيت الالواح يُنهي اليهما ، هو وأبيه ، .ذينكم النبأ ؟. لا مراءَ أنَّ الذي فاه به الأوميا ما كان نبأً كأيِّ

نبأ وانما حجرٌ ، ولا أقلَّ ثقلاً ، هوى على رأس إبرام . ولكن هل كان له أنْ يعطي بيده الى تينكم الاغماءة ، التي حسبت أُمُّه انه لن يتزلــق اليها ثم يفيق منها ، بل ستاخذ به فلا يفيقُ منها قَطّ ؟؟. أبداً .. لقــد انتفض قلبُه ، فلم يتهالك هذه المرَّة ؛ اذ وثبَ من موضــع ســقطته وانطلقَ نحو الأوميا يعدو دون أنْ ينبس بأيما كلمة . هلمَّ بك يا ايهــا الشيخ – قال الأوميا يحض تارح ابن ناحور على الاسراع –هلم بكَ ، إنْ هي إلاّ رمشاتُ عينٍ ويظفر بساراي ذانكم الفتى . فما كان مــن إبرام وقد سمع كلمات الأوميا هذه إلاّ أنْ يعود الى ابيه ، الذي كــان يتناهض من قرفصته مُتَّكئاً على عصاه ، فيحمله فوق ذراعَيه ويخرج به من البيت . واذا باتا خارج البيت أنزله من مَحمَل ذراعَيه الى الارض ، ثم حملَه على ظهره ، غير عابيءٍ بصيحات تارح أبيه واللعنــات الــتي كانت تتطاير من لسان هذا ، .. حملَهُ على ظهره واندفع به صــوب بيت أبي ساراي يخبُّ ، وأوميا بيت الالواح يحاول عبثاً اللِّحاق به . ثم على تينكم الحال ، منقطعي الانفاس ، بلغوا بيتَ أبي ساراي . مَــنْ ؟ أوميا بيت الالواح ؟ الجليل أُوميا بين الالواح ؟ - سأل ابو ســاراي وقد خرج اليهم يُلبِّي طَرْقَهم بابه – ومَنْ بصحبته ؟ الجليلُ ابن ناحور تارح شيخ إبرام ؟. أجل يا ايها الموقَّر – قال الأوميا – الى بيتك عدنا فساراي إبنتك الى الفتى إبرام نخطبُها . ولكن يا ايها الجليل الفتى شكِّين ابن هابي وأهلُه في بيتي الان يخطبونها – قال ابو ســاراي . الى بيتــك دالفين لابد نحن – قال تارح ابن ناحور – فإبرام ولــدي خاطبُهــا ، وعلى هذا الفتى سابقٌ هو بشهرين . ألواح سومر كلها فتاك إبرامُ ما كان في قلبه واضعَها ، فساراي امرأةً له لا تكون . بل كلَّها في قلــبي الان واضعُها – هتف إبرام – فسلْني عمّا السومريُّ خطَّ في أيِّ لوح

تشاء . إبرامُ سيخبرُ أمَّه بعد عودته اليها بأنَّ أباه تارح ابــن نــاحور وأُوميا بيت الألواح نظرا اليه معاً ، بعد أنْ سمعا منـــه ردَّه ذاك علـــى الرجل ؛ ففهم المعنى في نظرتَيهما . الفتى شكِّين ابن هابي في قلبه الواح سومر كلها ، فابنتي ساراي امرأةً له تكون – قال ابو ساراي . وانا في قلبي الواح سومر كلُّها – أصرَّ إبرام بصوت راسخ – فلماذا ساراي إمرأةً لي لا تكون ؟!.

وهنا انحنى الأوميا على اذن إبرام ، ظنّاً منه أنَّ هذا لم يفهـــم نظرتَه التي رمقَه بها قبل هنيهة ، وهمسَ : إبرام ايها الفتى قلبُك مـــن أسماءِ الآلهة خالٍ إلاّ أنليل .. قلبُك لم يستذكرها بَعدُ .. في بيت الالواح شهراً ما انقطعتَ بَعدُ ؛ فكيف جوابك سيكون ؟.. الرجلُ قاذفٌ بك الى خارج بيته لابد . ايها الموقَّر ياأبا ساراي أنتَ – قال إبرام متجاهلاً ما همس به الأوميا في أُذنه – انا على ذينك الفتى سابقٌ بشهرين ، كما قولة شيخي تارح ابن ناحور ؛ فإنْ سؤالَك أجبتُ ، فحجَّةٌ لكَ عليَّ لا تكون .. سَلْني .. هنا أمام باب بيتك سَلْني عما السومريُّ خطَّ في أيِّ لوح تشاء ؛ فإلى بيتك لا ادلفُ ولاشيخي يدلفُ ولا الأوميا الجليـــل يدلفُ إنْ كان الباطلُ لاالحقُ في جوابي. وهل كنتَ تعلمُ انَّكَ الحـــقَّ قائلُه اذ عن سؤال أبي ساراي ستجيبُ ولدي إبرام ؟ سألته أمُّه حـــين عاد اليها يروي لها دقائقَ ماحصلَ . لاياأُم – قال إبرام – ما كنتُ عالماً أنّي الحقَّ قائلُه ؛ إلاّ أنَّ قلبي ما كان بالخوف يخفقُ ، فقولتي في نفـــسي كانت أنْ عسى قلبي اذن أسماءَ آلهةِ سومر يستذكرُها غيرَ الاله القدير أنليل !!. لايا ايها الفتى إبرام – قالَ ابو ساراي – بل الى بيتي شيخُك تارح ابن ناحور ابن سروج يدلفُ والجليل أوميا بيت الالواح يـــدلفُ كما أنتَ تدلفُ ، فأمام الفتى شِكِّين ابن هاني وأهله أسألك . ثم ابـــو

ساراي بابَ بيته فتحَ ، والى يسار مجلسه انتهى ضيوفُه الجُدد يجلسون : لصقَ أبي ساراي ، كتفاً لكتف ، جلسَ الأوميا ؛ ولِصقَ الأوميا، كتفاً لكتف جلس تارح ابن ناحور ؛ ولِصقَ تارح ابن ناحور ، كتفاً لكتف جلس إبرام. أمّا على يمين مجلس أبي ساراي فكان الفتى شكِّين وأبـــوه هابي ورجلان آخران . ولدي إبرام – سألتْه أُمُّه – هل من أترابك هو ذانك الفتى شكِّين ؟. لاياأُم – قال إبرام – شكِّين ابن هابي ذانك الفتى منِّي أسنٌّ لابد .. اسن مني بعامين او ثلاثة لابد ، فشعرُ لحيته وشاربه ليس زَغَباً كما لحيتي وشاربي .. لحيتُه كما لحية الرجال هو يـــأم ؛ إلاّ أنَّ بدني من بدنِه أعبل ، فكأنّني منه أسنٌ . يا ابن تارح إبرام ايها الفتى أنتَ – قال ابو ساراي – من دكَّتك إنهضْ فأنـــتَ مُجيـــبٌ اذ أنّـــي سائلُك. يا ايها الموقَّر – قال إبرام – ناهضٌ انا وأمام القوم ســؤالك مجيبٌ ؛ فهلاّ الفتى شكِّين أنهضتَ الى جانبي يجيبُ اذ تسألُه ، فأوميـــا بيت الالواح ، وهو الأعلمُ ، يسمعُه . غيرَ الحق لم يطلب إبرام هـــذا الفتى – قال الأوميا – فما الذي رائيه شيخنا الجليل هابي ؟. أحدٌ على أمركم لم يُظهرْنا – قال الشيخ هابي وهو يتنحنح كما لو انه يكابد عَنَتاً من بلغم تشبَّع به صوتُه – نحنُ على الموقَّر ابي ساراي ضيوفٌ ، كمـــا انتم ، وأحدٌ على أمركم لم يُظهرْنا .. فما ذانكم الذي شـــئتَ ايهـــا الجليل أنْ أراه ؟. على أمرنا كيف لم تُظهَروا –قال الأوميـــا – وأُور بأسرها مُظهَرةٌ عليه ؟!.. لاأحدَ في أُور لا يعلم أنَّ الفتى إبرام ابن تارح ابن ناحور لا نُشْدَ لقلبه إلاّ أنْ ساراي إبنة الموقر هذا يخطبها ، فمـــن اجلها في قلبه كلَّ الواح سومرقد وضع . وإنْ من سومر نحن – قـــال الشيخ هابي – غير أنّنا في أور لا رَحلَ لنا ، فكيف على هـــذا الامـــر نُظَهرُ ؟.. ابو ساراي الموقَّر شيئاً لم يسألنا إلاّ أنَّ شِكِّين إبننا في قلبـــه

الواحَ سومر واضعاً يكون ؛ وابننا شكّين في قلبه الواحَ سومر واضعٌ هو ، فساراي ابنته لإبننا إمرأةً تكونَ. من دكّته إبنُك فلينهضْ اذن ايها الجليل – قال إبرام – والى جانبي فليقفْ ، وسؤالَ الموقَّر ابي ساراي فليجبْ .. ثم لاأعلَمَ في مجلسٍ من أوميا بيت الألواح ؛ ففينا انما حُكمُه نافذٌ . شكّين بُنَي – قال هابي – من دكّتك إنهض والى جانب الفتى إبرام قفْ ، وسؤالَ ابي ساراي الموقَّر أجبْ ، فإبن تارح إبرامُ بقولته ما ظلمَك . شيخي هابي يا ايها الجليل أنتَ – قال شكّين وهو ينهض من دكّته ملبّياً – سؤالَ الموقَّر أبي ساراي أنا مجيبٌ ، فساراي ابنته لغيري لن تكون .. سَلْني ايها الموقَّر .. سَلْني انا اولا – اردف شكّين يخاطب أبا ساراي وقد صارَ يقف الان الى جانب إبرام – فأُجيبُ ، فالأمرُ يُقضى، فساراي إمرأةً لي تكون . يا ابن هابي شكّين ايها الفتى – قال الأوميا – الأمرُ لا يُقضى اذ يُقضى إلاّ بعد أنْ قلبُ أحدكما من جوابٍ يخلو . قولةُ الأوميا الجليل فينا نافذةٌ – قال تارح ابن ناحور ؛ فردَّد ذَينكم من بعده ابو ساراي ثم تبعه الشيخ هابي . حسنٌ اذن – قال ابو ساراي – دوني جوابك ياشكّين يا ابن هابي أنتَ اذ أسألك : هل من مَيت الى حياة كان فيها يعودُ ؟. أجل – قال شكّين بعد إطراقة وجيزة – فالسومريُّ في لوحة خَطَّ أنَّ إلهة العالم السفلي ايرشكيجال بنظرة الموت على الإلهة أنانا قَد القت ، فهذه ماتت ؛ فبموتها الإله إيّا ، إله الماء والحكمة ، عَلمَ ، فإليها بطعام الحياة وماء الحياة بعث..فاذا هي من جديد حيّةٌ ، إلاّ أنَّ الإلهة إيرشكيجال من عالمها السفلي ماعتقتها حتى رجُلَها دموزي استبدلت بها ، فإلى الموت رجُلَها الراعي دموزي انتهى والى الحياة في السماء هي عادت .. كذانك يا ايها الموقَّر ميتٌ الى حياةٍ كان فيها عادَ . ياأُم – قال إبرام وهو يقصُّ على أمّه دقائق ما

حصل – قلبي سروراً إمتلأ حين الفتى شكِّين قبلي أجابَ ، فبأسماء آلهة سومر نطقَ .. فكلُّ أسماء آلهة سومر قلبي استذكرَها عند ذاك .. وأمرٌ آخر ، أمرٌ آخر ياأُم أنتِ .. الى وجه شيخي تارح ابن ناحور رأيتُ ، والفتى شكِّين اسماء تينك الالهة يذكرُ ، فما في وجهه إلاّ غضباً رأيـــتُ مثل نارٍفي حطبٍ أُضرمتْ فالحطبُ يطقطقُ اذن . فما قولتُك تكون – قال ابو ساراي – يا ابن تارح ياإبرام أنتَ ؟.. والحُكمُ في ما أجبتمـــا غير نافذ حتى من قولتك تفرغُ . يا ايها الموقَّر – قال إبرام – الحقُّ في الذي به الفتى شكِّين قد نطقَ ؛ على أنَّ عينَ الحق في لوح آخر هو .. في لوحٍ آخر مكتوبٌ عينُ الحقِّ ، فالفتى هذا في قلبه ما وضـــعَهُ .. في ذينكم اللوح قرأتُ ، وشيخي تارح ابن ناحور وأُمي في اذاهما ماأقرأُ يقعُ ، أنَّ الاله القدير أنليل بكلمة إرادته نطقَ فأنانا الى الحياة أعادهـــا وهي ميتةً كانت ؛ فلا أحد غير الاله القدير أنليل من مَيتاً الى حيـــاةٍ كان فيها يعيدُه .. أما الاله إيّا فمُسيَّرٌ هو .. بكلمة إرادة الاله أنليـــل مُسيَّرٌ ؛ يُنفذُ له مشيئتَه ، اذ أنَّ الاله القدير أنليل هو ، لا غيره ، مَنْ يُحيي وهو ، لا غيره ، من يُميتُ . فما تمالك تارح ابن ناحور نفـــسه ونهض الى ولده يُقبِّلُه ، ثم هتف : أجل وأرواح آبائي من ناحور صُعُداً الى أبيه الاكبر زيوسيدرا ، أنَّ الفتى إبرام في هذا اللوح لقرأ وما قرأ في أُذني وقَع وأذن أُمِّه . لوحٌ في أعالي رفوف بيت الالواح ذانك الذي يد الفتى إبرام عليه قد وقعت – قال الأوميا مُسارعاً يسندُ رأيَ تارح ابن ناحور ، قاطعاً الطريق على أبي ساراي الذي فغَر فاه ، والبهتةُ تتولاه . يا ابن هابي ياشكِّين أنتَ – قال الأوميا حين ألفى ابا ساراي لايجود بأيما سؤال على الفتَيين – سؤالي أنا أُوميا بيت الالواح أجبْ .. أآخـــرون غير أنانا مَنْ الى حياةٍ كانوا فيها عادوا ؟. في لوحٍ من ألواح سومر ما

قرأتُ – قال شكِّين ابن هابي – غير أنانا إسماً السومري ما خطَّ يا ايها الأوميا الجليل . فما قولتك يا ابن تارح إبرامُ أنتَ ؟ - سأل الأوميا . يا أوميا بيت الالواح ايها الجليل أنتَ – راح إبرامُ يجيبُ – الحــقُّ في الذي به الفتى شكِّين قد نطقَ .. إلاّ أنّي في لوحٍ قرأتُ أنَّ الاله القدير أنليل بكلمة ارادته قد نطقَ فأنفذَ الالهُ إيّا مشيئتَه ، فالفردوس أنـــشأ ففيه الآلهة الصغار والكبار يسكنون وزيوسدرا الملكُ الصالحُ كذلكم .. (قاطعه تارح ابن ناحور : أبوك الاكبر زيوسدرا هذا ؛ ألا فلا تنسَ).. لكن الملك الصالح زيوسدرا قولتُه للاله أنليل كانت أنْ مـــن البـــشر صالحون معي في الفردوس عساهم يكونون ، لا كُلَّ البشر يكونون .. فقولةُ الاله القدير أنليل أنْ مع مخلوقنا الملك الصالح زيوسدرا من البشر الصالحون في الفردوس يكونون ؛ والطالحون منهم في جحـــيم العـــالم السفلي يكونون . ثم ابو ساراي قال مُقاطعاً : لكنَّ السومري في لوحة خطَّ أنَّ في فردوس الآلهة بشرٌ ما سكن غير الملك الصالح زيوســـدراً صاحب الطوفان . يا ايها الموقر يابا ساراي أنتَ – ردَّ إبرام – قولتي هذه في لوح في أعالي رفوف بيت الالواح هي ،.. لوحٌ في قلبك مـــا وضعتَه .. واذ قرأتُ في ذينكم اللوح ما قرأتُ ، في أُذن شيخي تارح ابن ناحور قد وقَعَ وأُذن أُمّي . إبرامُ الفتى ابننا بالحقِّ نطقَ – قال تارح ابن ناحور . ثم الأوميا قال مؤيداً بأنَّ ابن تارح ابن ناحور إبرام بالحقِّ قد نطقَ . ولكنْ قولةُ الفتى إبرام – قال الشيخ هابي مستنكراً ، وأيَّده الرجلان الجالسان الى جانبه – من الجواب قد خَلَتْ ، اذ اين منـــها العائدون الى حياةٍ كانوا فيها بعد موهم غير أنانا ؟.. بغير إسم أنانـــا لسانُ الفتى إبرام ما نطقَ ؛ فأنانا اذن وحدها مَنْ الى الحياة عادت بعد موتها . قولتي منها بَعدُ ما فرغتُ يا ايها الجليل أنتَ – قال إبرام – فالى

قولتي أعودُ فيها أنَّ الاله أنليل بشراً الى الفردوس لا يبعـــثُ ولا الى جحيم العالم السفلي بشراً يبعث ، حتى الصالحَ من الطالحِ منهم يتبيَّن .. فكيف يتبيَّن وهم ميتون جميعاً ؟!.. بكلمة ارادته ينطقُ الاله أنليل القدير ، فإلى الحياة جميعاً يعودون ؛ وبكلمة إرادته ينطقُ فمـــشيئتَه في البشر تُنفذُها له الإلهة نانشه والإلهة ندابا ، فكلُّ رجل ميتاً كان فالإله القدير الى الحياة أعاده ، أمامهما يقف وكلُّ امرإةٍ ؛ وعلى هذا الرجل وتينكم المرأة شهود من البشر يكونون .. فمَنْ سبيل العدوان كـــان سالكاً ، او القانون تخطّى والعهودَ ، أو الحرام أكلَ وشربَ ، او مَـــنْ الميزانَ بخسَ ، فطالحٌ هو والى جحيم العالم السفلي صائرٌ بمشيئة الالـــه القدير أنليل . أمّا اذا شهودُ البشر عليه بتينكم الآثام ماشهدوا فهـــو صالحٌ ومع الملك الصالح زيوسدرا في فردوس الآلهة صائرٌ .. فـــذانكم هي يا ايها الأوميا الجليل قولتي فجوابي فيها عن بشر ميِّتين الى الحيـــاة عادوا سوى أنانا . وإنْ أباكَ الاكبر زيوسدرا بالبنوّة اليـــه مـــاذكرتَ فافتخرتَ إلاّ أنّي على جبينك واضعٌ قُبلتي — قال تارح ابن نـــاحور وهو ينهض ويخطو نحو ولده . ياإبرام يا ابن تارح يا ابن ناحور — قال ابو ساراي وقد تضرَّج وجهُه — أني سائلك فأجبْ : اين الالهة نانشة والإلهة ندابا تقفان ، فأمامهما البشرُ رجالاً ونساءً يمثلون ، فعليهم من البشر يشهدون .. أين حساب البشر يكون ياإبرام يا ايها الفتى أنتَ؟. يا ايها الموقر مُجيبٌ انا سؤالك لابد — قال إبرام - ، انما بعـــد أنْ في آذاننا جوابُ الفتى شكِّين يقعُ ؛اذ انه في قلبه كلُّ الواح سومر واضعٌ ، كما قولتُك . يا ايها الموقَّر يااباً ساراي أنتَ — قال الأوميا — غير الحقِّ هذا الفتى لم يطلب ، فلطلبه إصدَعْ . حسن — قال ابو ساراي ووجهه بات يوشك ان يتفجَّر دماً لفرط تضرُّجه — ياشكِّين يا ابن هابي هـــلاّ

سؤالي أجبت فالفتى إبرام والشيخان الجليلان معه يرون ويسمعون انك كلَّ الواح سومر في قلبك واضعٌ ؟. في لوح قرأتُ – قال شِـــكِّين – فالسومريُّ خطَّ فيه أنَّ الإلهة نانشة والإلهة ندابا في بيت واسع الباحة يسكنان ، فأمامهما البشر في تينكم الباحة يمثلون ، فعليهم شهود من البشر يكونون .. أمّا بيتهما الواسع فعلى أرض نائية مـــن الأرضـــين يقوم. والان –قال ابو ساراي اذ امسك شِكّين عن الكلام – يـــاإبرام ابن تارح ماقولتك أنتَ ؟. على ارض نائيةَ من الأرضين ، بيتٌ واسع الباحة للإلهة نانشه والإلهة ندابا لا يقوم – قال إبرام – ففي لـــوحٍ في أعالي رفوف بيت الالواح قرأتُ ، وما قرأتُ في أُذن شيخي تارح ابن ناحور قد وقَعَ وأُذن أُمي ، أنَّ مكاناً عينٌ لاتحدُّه والبشرَ جميعاً يسعُ ، بين الارض التي عليها نقفُ والبحر الاول هو .. مكـــانٌ الـــسومريُّ يسميه كُور .. في كُور هذا الميتون من البشر ، رجالاً ونساءً شـــيوخاً وصغاراً ، يمكثون قبل أنْ الى العالم السفلي ينتهون ؛ حيـــث الإلهـــة إيرشكيجال تسودُ وهي التي مشيئةَ الاله القدير أنليل تُنفذُ .. كُور ، إذن ، فوقَ العالم السفلي هو .. العالم السفلي تحت كُور هو ، وفي كُور هذا انما الإلهة نانشة والإلهة ندابا تقفان ، فأمامهما الميتون من البـــشر يمثلون بعد أنْ الاله أنليل القدير الى الحياة يُعيدهم .. تانكم قولتي هي يا ايها الموقَّر .. ألا أنّي سؤالَك قد أجبتُ . فلم ينهض تارح ابن ناحور هذه المرة كما نهض في المرتين السابقتين ، بل رفع عصاه أولاً أعلى من رأسه وهو جالسٌ ثم نطَّ بها كما لو انَّه بَعدُ فتىً وطفقَ يتواثب بها قبـــل أنْ ينقضَّ على ولده يأخذُه في حُضنه وبالقُبلات يمطرُه ؛ ثم لم ينطق بأية كلمة . يا أبا ساراي ايها الموقَّر أنتَ – قال الأُوميا - إنْ هو إلاّ أمـــرٌ عَجَبٌ أنَّ الفتى إبرام ابن تارح ابن تاحور ذينكم اللوحَ في قلبه قـــد

وضعَ ؛ فأنا نفسي وأنا أُوميا بيت الالواح في أور الاله نَنّا ، لوحاً كهذا ما قرأتُ فيه إلاّ يومَ صغيراً كنتُ .. سنوات وسنوات منذئذ انطــوتْ واللوحُ عيناي عليه لاتقعان .. فكيف إبرام عليه عثر ففيه قرأً ؟!!. ياأُم - قال إبرام والفرحةُ تستخفُّه حين قصَّ على أُمِّه ماحدث – أنّي بك لأُقسمُ وبأبي تارح ابن ناحور ابن سروج ابن رعو ، وانه لقَسَمٌ غليظٌ يا أُمَ أنت .. أُقسم على أنَّ الجليل أُوميا بيت الالواح بقولتـــه تينــك وبذينكِ النحو الذي على لسانه كَرَّ ، هو ولا أحدَ غيره ، مَنْ الرجلَ أبا ساراي حَجَراً ألقَمَ .. أجل ياأُم فما بسؤالٍ آخر ابو ساراي نَــبَس فالصمتَ لزَمَ ، والفتى شكِّين والشيخُ هابي ابوه والــرجلان معهمــا الصمتَ لزموا ؛ ثم يا أُم أَعيُننا مرَّةً واحدةً طرَفَتْ ، ثم مــرَّةً أُخــرى وأُخرى طَرَفت والفتى شكِّين الى جانبي واقفاً ما فتيء ، حتى صوتاً أُذني تعرفُه سمعنا .. كلُّنا في المَجلس سمعنا .. من جوف بيـــت الرجـــل أبي ساراي الصوتُ أتى ، فكلُّنا سمعناه ..

ذلكم ماحدث تماماً ؛ كما قصَّ إبرام على أُمه حدث تمامـــاً ، فقد علا صوتُ فتاة عبرَ بابٍ مُغلقٍ خلف مجلس أبي ساراي : يا شيخي الجليل ياأبي أنتَ .. هذه أنا .. ساراي ابنتُك أنا ، وأنا مَنْ لأحد الفتَيين إمرأة ستكون .. ألا أنَّ الفتى شكِّين ابن الشيخ هابي ، وهما المــوقَّران وآباؤهما ، رجلاً لي لا يكون .. ألا فلتعلمْ .. ألا فالتعلمْ .. ألا فالتعلمْ، وأنتَ شيخي . شفتا أبي ساراي إبيضَّتا وراحتا تختلجان ، ومن جبينــه العرقُ إنبجسَ بينما لم يحر لسانُه بكلمة يفوه بها . ياأبا ســاراي ايهــا الموقَّر أنتَ – قال هابي – قولةُ ساراي ابنتك فينا نافذةٌ ، ولكن ليس بعد .. فصدرُها ليتَّسعْ اذن .. ثمة قولتان على لساني ما زالتا .. أُولاهما سؤالٌ فيها ، فالفتى إبرام ابن تارح يتولاه .. يا ابن تارح إبرامُ سؤالي

أجبْ : مَنْ من الآلهة لأور سيِّدٌ هو ؟. يا ايها الشيخ الجليـــل – راح إبرام يجيب وعينه على أبيه تارح – لأورٍ وسواها من مدن وقرى على سائر الارضين مُنتشرةٌ إلهٌ واحدٌ سيِّدٌ هو .. الاله الذي بشراً فيها قـــد خلقَ سيدُها هو ، فلا أحدَ غير الاله القدير أنليل سيداً لها يكون . فما الاله نَنّا يكون ومعبدُه لِصقَ قصر الملك العظيم شامخ ؟ - سأل هابي . الإله نَنّا – قال إبرام – ابن الاله القدير أنليل هو وابنه الاله أُوتو وابنتُه الإلهة أنانا ، وقولتُه في الناس إنفاذٌ هي لكلمة إرادة أبيه الاله أنليـــل القدير . ولكنْ مسكنُ الاله أنليل في نُفَّر هو – ردَّ هابي – ومـــسكنُ الاله نَنّا في أور هو ، فصولجان المُلْك من الاله أنليل مَلِكْ نُفَّر أخذه ، وصولجان المُلْك من الاله نَنّا ، ملكنا العظيم ، ملك أور أخذه .. فهل قولتُك أنَّ مَلِك نُفَّر من ملك أور أعظم ؟؟.. ذانك سؤالي لك يا ايها الفتى إبرام فأجبه . تارح ابن ناحور هَبَّ واقفاً وضربَ الارض بعصاه وهو يجأر : باطلٌ هذا ليس لفتًى قِبَلٌ به . وأين الباطل في قـــولتي ؟ - سأل هابي . إبرام ولدي – ردَّ تارح ابن ناحور – بين يدَيّ المـــوقَّر ابي ساراي واقفٌ ؛ فعن ألواح سومر الموقَّر يسأله لا عن أمـــور المُلْـــك والملوك يسأله .. ألا أنَّ الباطل كلَّ الباطل في ما سألتَ يا ايها الشيخ ؛ وعن سؤالٍ كهذا إبننا إبرامُ لا يجيبُ . ذلكم هو .. ذلكم هو – هلَّل هابي – فقلبُ الفتى إبرام من جوابٍ خالٍ اذن ؛ ومَنْ من جواب قلبُه يخلو ساراي المصون امرأةً له لا تكونَ ، كما قولة الجليل أوميا بيـــت الالواح .. الأمرُ قُضيَ . الأوميا نهض فأجلسَ تارح ابـــن نـــاحور ، وتلبَّث هو واقفاً اذ أمسكَ بطرف خيط الحديث فتوجَّه بالكلام لجميع مَنْ في المجلس : ما به لساني قد نطقَ فبه ارتضيتم هو أنَّ الامر يُقضى اذ من جوابٍ قلبُ أحد الفتيَين يخلو حين السؤال عن ألواح سومر يكون

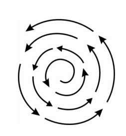
.. وسؤالُ الشيخِ الجليل للفتى إبرام عن ألواح سومر ما كان .. فما ثانيةَ قولتَيّ شيخنا الجليل هابي هي ؟. ثانية قولتي – هتف هابي وهو ينقذفُ منتصباً والرِعدةُ آخذةٌ بأوصاله والحَنَقُ بائنٌ على وجهه لا يقوى على اخفائه – سؤالٌ فيها للفتى إبرام عن الواح سومر لا عن أمور المُلْك هو .. ياإبرام يا ابن تارح أنّي سائلك فأجب : في أيِّ لوح قرأتَ فالمَلكُ الصالح زيوسدرا ، صاحبُ الطوفان ، أباً أكبرَ لك ولآبائك الفَيَتَهُ ؟؟. ياأُم – قال إبرام في معرض روايته لأُمه – رأيتُ الى وجه الأُوميا الذي كان جَلَسَ الى جانب أبي بعد أنْ بقولته نَطَقَ ، فوجهُه وجهُ باكٍ صارَ وعيناه مغرورقتان بالدمع هما .. أمّا ابي تارح فأنفُه مزهواً كانً ، وعيناه تلمعان الى عينَيَّ تريان . يا ايها الشيخ هابي ياالجليل أنتَ – قال إبرام – بغير الصدق لساني لاينطقُ وإنْ ساراي الصدقُ كلَّفني ، وساراي نُشْدي .. في لوح من الواح سومر ماقرأتُ .. لَا في أُست رفوف بيت الالواح ولا في أعاليها لوحٌ قرأتُ فيه أنَّ الملك الصالح زيوسدرا لآبائي الابُ الاكبرُ هو .. إلاّ أنَّ شيخي الصالح ابن الصالحين تارح ابن ناحور ابن سروج ابن رعو ابن فالج ابن عابر ابن شالح ابن ارفكشاد قولتُه أنَّ زيوسدرا المَلك الصالحَ ، صاحبَ الطوفان ، أبوه الاكبر هو .. فلا أعرفَ بآبائه من شيخي ، وهو الصادقُ لابد .. ذانكم هي قولتي وبها انما سؤالَك ايها الجليل قد أجبتُ. ذلكم هو .. ذلكم هو – هتف هابي بظَفَر – الفتى إبرام وشيخُه تارح ، من غير حقٍّ ، الانتسابَ الى الملك الصالح زيوسدرا يدَّعيان !.. فهل بعد هذا ساراي المَصون إمرأةً لُمدَّعٍ تكون ؟.

وهنا إنّما وقف الرجال الثمانية مرَّةً واحدة .. هبّوا واقفين بعد أنْ هبَّ تارح ابن ناحور وولدُه إبرام واقفين وتارح يَعولُ : بل تكون وتكون

وتكون .. فالصدقُ كلُّ الصِدق في قولتي وقولة ولدي سليل نَسب الصالحين ، أُولاء الذين أبوهم مع الآلهة في فردوسهم يقومُ ويقعدُ .. فأين لسِقطِ الناس من نَسبِ كهذا ؟!.. ألا ياهابي أيها الخَرِفُ أنتَ .. ألا بقومك عن وجهي فلتَغربْ في رمشة العين هذه ، او بغضب من الاله القدير أنليل تبوءُ . كذانكم هو أنتَ اذن – ردَّ هابي دون أنْ يبزَّ صراخ تارح – دَعيٌّ والارضَ بعصاك تضربُ ؛ ووزناً للاله نَنّا ، إله ملكنا العظيم ، لا تقيمُ .. بقومي هذا المجلس سأبرحُ ؛ ثم نصيراً لك ولفتاك فليكنْ أنليل ذانكم الذي في نُفَّر مسكنه . ثم خفَقَ بعصاه واندفع بالرجلين وولده شِكِّين يغادرون بيت ابي ساراي ، وابو ساراي صامتٌ لايريم .. صامتٌ منذ أعلنتْ ابنته بلا مواربة أنها راغبةٌ عن الفتى شِكِّين ابن هابي .

بعد ذاك حالي باتتْ لا تطاقُ ؛ فلا يكاد الغثيان يزايلني حتى يعاودني كأنَّه ما زايلني.. الدولابُ بالاولاد يلفُّ أُغمضُ عينيَّ او لا أُغمضهما ، فدوماً امامي ثمة مشهد دولاب يلفُّ ؛ يختفي هنيهةً ثم لايلبث أنْ يعود ، فصغيري مُصفرَّ الوجه أراه يوشك أنْ يهوي من أعلى الدولاب الى الارض .. وقد تبيَّن لي أنَّ ركائزَ معدنيةً أُخر صارت تبرز لي غير الركيزتَين المعدنيتَين اللتين خَبرتُهما جيداً .. ركائزَ بمختلف الاطوال تمتد لغير عُمقٍ . انها لتطول بانغرازها في الارض سقوفَ مُدنٍ طَّريةً أزمانُها ما زالت .. ولفرط طراوة ازمانها كان بوسعي أن أَشمَّ أعباق تلكم الازمان .. لكلِّ زمن عَبَقٌ ، فاذا بالأعباق يتغشّى بعضها البعض لتقاربها وربما تشابهها أحيانا .. لا بل صارَ من المتعذَّر عليَّ أنْ أُميِّزها من عَبَق زمن مدينة أُور وإبرام ابن تارح ابن ناحور فيها ، ومن زمن مدينة ليلَوم ، أوَّل مدينة قامت على أرضٍ

قطنها بشَرٌ ، ومدينة جرسونن ومملكتها . الغثيان الغثيان ، ولــيس أيِّ غثيان .. عساكم لا أبتُليتم به . فأيُّ عَبَقٍ بوسع المرء أن يمحوه مـــن رأسه إلاّ عَبَق الزمن ؛ فما بالكم وأعباق أزمان تختلطُ في رأسي ببعضها البعض ، تقتربُ من بعضها البعض ، وتتشابه حد التوحـــد ببعـــضها البعض ؟!. لقد خشيتُ .. اجل خشيت أنْ أفقدَ أثَريّ الزمنَين اللذين قادني اليهما غثياني الاول .. افقد أثَرهما في خضمٍّ تزاحم أعباق الأزمان في أنفي . واذ أنّي أعلمُ أنَّ وراء زُحمة الأزمان هذه ظهـــورُ الركـــائز المعدنية الجديدة أمام عينَيَّ بأطوالها المختلفة .. واذ أنّي أعلـــمُ هـــذا استغثتُ فأُغِثتُ ، فاذا بالمشهد أمامي لا يـــشتمل إلاّ علـــى تلكـــم الركيزتين اللَتين خَبرتُهما بالزمنَين اللذين يسبران غورَيهمـــا . إلاّ أنَّ الذي حدث في غمرة الغَوْث الذي أُنعِمَ به عليَّ ، هو أنّني ماعـــدتُ قادراً على التنقّل بعينَيَّ بين الركيزتين .. أي أنّني ، وبكلام آخر ، بِتُ أرى الى الركيزتين في آنْ .. عيناي إذن مترلقتان مع تلك التي تنفـــذُ نهايتها المدبَّبة في سقف مدينة أُور وفي الوقت ذاته تترلقان مع الركيزة المعدنية الاخرى حيث تنفذُ نهايتُها في سقفَي مدينـــة ليلَـــوم ومدينـــة جِرسونن والقرى الملتحقة بمملكتَيهما . فهكذا كان . انه غثياني الاول إذن ، ذاك الذي أورثَنيه الدولابُ ، في مدينة الالعاب اذ لفَّ بالاولاد وصغيري بينهم .. انه غثياني الاول ، انما على نحوٍ لم آلفه .. فعساكم لا ابتُليتم به .



مثلما توقَّعتْ نَنْ دادا ، كانت ثمة ثغور في تخوم مملكة ليلَــوم ابن إيناكلي عَمِيَ عنها قلبُ بوزو ابن سين فلم يعهد بهــا الى قبــضة رجاله . فسرعان ما وضع كاجينا ابن آينمر يده عليهــا ؛ ثم خــلال يومين لا أكثر نفذتْ عِبرَها كلُّ الاعطيات التي اطلقها الملك ننورتا من خزائن قصره . بعد ذاك لم يعدم ابن آينمر الوسيلة في العثــور علــى أذرعٍ جديدة غير رجاله الذين ألزمهم ليلَوم الملــك بيــوتَهم ، فــلا يبرحونها وعلى أبوابها رجالٌ من حُــرّاس المملكــة . تــانكم الأذرع بالأُعطيات انطلقتْ ؛ فما انحصرت في مدينة ليلَوم ولا في قرى المملكة وانما بلغَت أهدافَها ، حتى وإنْ كانت حيثما يقيم رجالُ بوزو ابن سين في مواضع حُرّاساتهم . والحقُّ أنَّ الحُرّاس اولاء كانوا أوَّل مَنْ بلغتهم الأُعطيات ، .. ليس كل رجال ابن سين نُفحوا ، بل الذين مــضى في نفوسهم الهَمْسُ فترَعوا من قلوبهم كلَّ ماأدركتها قَبلاً ، فمــا عــادوا يرون الى مليكهم ابن إيناكلي كونَه بمصاف أبناء الالــه آنْ .. أُولاء فقط ، وعديدُهم ليس بالقليل ، هُم الذين انتهت الى أعبابهم أُعطيات ابن آينمر . فكان الذي يتلقَّفُ منهم ما يبلغه ، يُظْهِرُ على (أنَّ هذا انما هو أُولى قطرات غيث الوزير كاجينا ابن آينمر الذي ضاق بالــدَعيّ

ذَرعاً فأدارَ له ظهرَه).. أجل غيث الوزير كاجينا ابن آينمر لا غيثَ الملك ننورتا !!. عددٌ من هؤلاء الحُرّاس كان مُوكَلاً اليه القبضَ على بعض ثغور المملكة ، فاذا به يُغمضُ عينَيه عن الداخل والخارج ، حتى دون أنْ يطلبَ أحدُ منه ذينكم . فكان ذانكم أوَّل اندحارٍ تُمنى بـه التدابيرُ التي نصحَ بها الشيخ مِيسْلِم ابن شيش وأخذ بها ليلَوم الملك من غير تقليب او تمحيص . ولقد كان يُوصى الذي يُنفَحُ بأُعطيةٍ أنْ يلتزم التكتّم على الامر .. رجلاً من رجال بوزو ابن سين كان أم من عامة الناس هو ، يُوصى بالتكتّم على أمر الأُعطية ؛ ولكنْ بالمقابل ، له بـل عليه أنْ يطلق للسانه العنان فيُمعن في خَلْع القدسية عن ليلَـوم ابـن إيناكلي .

ان هذا الفَلاَح الذي عُقد لتدبير نَنْ دادا ، آلْ معبد الالـه أنليل ، جاء غداة فَلاَح آخر عُقد للشُبّان الاربعة اذ هبطوا رابيتهم الى مدينة ليلَوم ، فإلى الناس تحدّثوا . ذلكم أنَّ الجَلَبة التي عمَّتْ الـسوقَ بعد أنْ فرغَ لوسين ابن لولو من خطبته ، مالبثتْ أنْ فشَيَ فيها بكـاءُ النساء وبعض من الرجال وبخاصة الشيوخ منهم . حـتى أنَّ صـوتَ نشيج ليلَوم ابن إيناكلي ، الذي كان يتصاعد من خلف الرداء الذي يواري وجهَه ، إنطمَس فما عاد شوكليتو يمِّيزُه . يقول هذا أنَّه ومليكَه والشيخ ابن شيش ، وهُم يبرحون السوقَ وسط لُجَج زحمة النـاس ، كانوا يسمعون بوحاً من هنا وبوحاً من هناك تنطلقُ من القلوب ، فلا يحجبُها حاجبٌ . لقد ترك كلام ابن لولو أثراً طيّباً في نفـوس الـذين اصغوا اليه ؛ فأولاء هُم يردِّدون على مسامع بعضهم بعضاً ما جاء من ثناء في خطبة لوسين على مليكهم ممتدحين حكمتَه وضاربين صَفْحاً عن ادّعائه البنوّةَ للاله الكبير آنْ : دماؤنا ألاّ في أنهر سومر تجري كانـت

نيتُه ؛ فما شاءَ له الادّعاء فليدَّعِ اذن . وثم بوح آخر : حكيمٌ ابن حكيم هو .. ألا أنَّ الاله الكبير به إبناً ليفخرُ . وبوحٌ ثالث : لو من أهل النقائص كان ، لما له دبَّروا فبه مَكَروا . ثم بوحٌ آخر يلعن فلا يزيد : على خوّان أهله ومليكه ألا من بيته الذي في السماء الاله الكبير بشَرَره فليقذفْ . وغير ذلكم البوح بوحٌ كثير خرج به الناس من السوق منبثِّين الى غير صَوب ، ينشرون تينكم القولات وقولات أُخر بين مَنْ تخلَّف عن التجمّع .. أمّا ليلَوم الملك وحاجبُه وآلْ معبدً الاله آنْ فأنَّهم ما كشفوا عن وجوههم حتى دلفوا الى البلاط . ثم وقبل أنْ يعتلي عرشَه ، التفتَ الملك الى شوكليتو .. بولدك أُوبار أعظِم بولدِك أُوبار أعظِم ، وبإبن أخينا لولو لوسين أعظِم ، وبإبن أخينا إيلوتي نمخاني أعظِم وبابن أخينا سُرار أُوردلا أعظِم .. بالاربعة الأبرار أولاء ؛ بنجباء سومر أولاء أعظِم يا شوكليتو ايها الأمين أنتَ .. (وتوجَّه الى ميسْلِم ابن شيش بالكلام) .. بالذي في أُذنك وقعَ وعينَيك تغشّى ماقولَتُك ايها المبجَّل يا شيخي ابن شيش ؟.

.. ذلكم هو .. ذلكم هو بُنَي ليلَوم .. لو أنَّ الاله آنْ من بيته هبط فإليك يدَه مَدَّ لما يدُه امتدَّتْ كما امتدتْ يدُ ابن لولو ذينكم الفتى .. لو كان الاله الكبيرُ آنْ من بيته الذي في السماء الى بيتك الذي في الارض هبطَ بُنَي ليلَوم ابن العزيز إيناكلي فيدُه إليك مَدَّ ، لما امتدَّت كما يدُ ذينكم الفتى ابن لولو اليكم امتدَّت ظهرَكم تسندُ .. فذلكم هو تماما ما بيَّ طافَ وأنا في يقظتي أحلمُ . تقدَّم ليلَوم الملك من ابن شيش ، ووجهُه بالبِشْر يطفحُ ، وأخذَه في حضنه .. هذه اليد التي إليَّ ذانكم الفتى مَدَّ ، جَبلاً قد أزاحتْ وكان على عاتقي بثِقَله وأثقاله يحطُّ فيطبقُ .. ظهري يدُ الفتى ابن لولو أسندتْ ، اذ عن عاتقي جَبَلاً

أزاحتْ ، وكنتُ إيّاه أحسبُ ماحقَني لابد.

رَبتَ مِيسْلِم ابن شيش على عَضِد ليلَوم الملك ، وعيناه قبل شفتَيه تبتسمان .. اجل والعزيزِ إيناكلي ..جَبلاً لاأقلَّ ذانكم الفتى بقولته قد أزاح ؛ فكلُّ أهلك بمَنْ فيهم رجالُ ابن سين اليك الآن مُنقلبون .

.. لا يا شيخي المُبجَّل .. ما الى هذا القَصد قد رميتُ اذ لساني بقولتي نَطَق .. (وانفكَّ عن ابن شيش ، وترك بينهما خطوةً .. ثم التفت الى شوكليتو).. لا تبتعدْ وأُذنَيك إذللْ ؛ فعلى قولتي التي سأتحدث فبها أنطقُ أنتَ وشيخي ابن شيش تشهدان .. قلبي البهجةُ إيّاه أترعتْ لا ريب ، وانا الناسَ بجَمْعهم إليَّ ينقلبون أرى .. بجَمْعهم الناسَ منقلبون إليَّ ، أمرٌ بالبهجة قلبيَ يترعُ لاريب .. انما انقلابُ الناس إليَّ او عليَّ ، جَبَلاً لم يكنْ .. إنقلابُ بعضهم علي حُزناً أورثَ ، وهذا حقٌّ .. انما ذانكم جَبَلاً ما كان قَطُّ ، فعلى عاتقي يطبقُ .. أبداً .. أبداً .. الجبل اذن بثِقَله وأثقاله في نفسي يكمن كان .. كلَّ صباحٍ وكلَّ مساءٍ نفسي في وجهي تصرخُ كانت ، ثم على وجهي تبصقُ وقولتُها أنَّك المخادع يا ابن إيناكلي ، أهلَك خدعتَ ، فعليك البصاقُ حَقَّ .. كلَّ صباح وكلَّ مساء تانكم معي فعلتُها ، حتى ابن لولو ذانكم الفتى الى الناس تحدَّث فعلى رؤوسهم من قولته نَثَر ما نَثَر .. الى تينكم الساعة نفسي بصّاقةٌ على وجهي كانت ؛ فاذا ما الاحجارَ لوسين اعتلى وفاهَ ثم فاهَ ثم فاهَ ، حينها عَلمتُ .. عَينَ العلمِ علمتُ بأنّي أهليَّ ماخدعتُ ولا أحداً غيرَهم خدعتُ ، فالجبلُ إنهدَّ وبأثقاله الى ترابٍ صارَ .. فما أرفقها بيَ نَفسٌ الان ، تانكم التي في صدري أحملُ ، وما أخفَّ عليَّ وطأتُها .

.. إي يا ابن العزيز إيناكلي .. إي بُنَي ليلَوم .. حسنٌ هذا الذي اليه

نفسُك انتهتْ ؛ والان الى ماوراء ظهرك بهذا وبغيره إلقِ ، وبطلب بوزو ابن سين إبعثْ فمعه حول يقظة رجاله تتباصرُ .. إنْ هي إلاّ رمشةٌ بصنوٍ لها عينُك لن تطرفَ ، فإيّاها إهتَبلْ .

يُشبِّه شوكليتو الابتسامةَ التي انفرشتْ على ثغر ليلَوم ، وهو يستمع الى ما بسطه ابن شيش ، بشمس أشرقت للتو فخيوطُ ضوئها غَضَّةٌ على الأُفقِ مَرخيَّةٌ ، لا تقوى على النهوض بها .. قولتُك شيخي المبجَّل باطلٌ إيّاها لا يأتي .. إلاّ أنّي بنفسي على الثغور طائفٌ ، وطائفٌ على مواضع الحُرّاس حيثما انتشروا ، فمتلمِّسٌ يقظتَهم وهُم الي يتحدثون وهمَّتَهم .. إلاّ أنَّ النهارَ الان أمامنا ينطوي فذانكم هو وقتُ العصر منّا يدنو ، ثم على إثره ساعةُ الغَسَق قادمةٌ .. النهارُ بقيّةً منه لنا لم يَذَر ؛ فالغدُ ميقاتُنا اذن .. حتى اذا صُبحُه علينا إنبلجَ ، الى الثغور نحن الثلاثةَ ظَهرنا : آلْ معبد الاله آنْ والمَلك وحاجبُ الملك .. فلا عن نأمة من نأمات الحُرّاس أحدُنا يغفلُ إلاّ والآخران منّا اليها تنبَّها .

ثم عند الذي رآه ليلَوم الملك قرَّ القرار ؛ فاكتفى هذا ، في تينكم الساعة ، بأنْ بعث بمَنْ ينقل مشيئته الى قائد حُرّاس المملكة بوزو ابن سين . فكان على الأخير ان يهيِّء نفسَه ومعه ثُلَّةٌ من الحُرّاس يصاحبون الملك ليلَوم ابن إيناكلي في جولة ظهوره بنفسه على الثغور وسائر مواضع الحُرّاس ، مع اول خيوط نهار الغد . على أنَّ نهار الغد ما كان ليَحلَّ في القوم قبل أنْ تَنفُذَ أُعطياتُ نونرتا ، كلُّ أُعطيات نونرتا ، الى داخل مملكة ابن إيناكلي .. تانكم الأُعطيات التي بلغت أهدافها بإسم الوزير كاجينا ابن آينمر . اجل .. لقد بلغت أهدافها والليل ما برحَ يُدثِّر مدينة ليلَوم وسواها من قرى وثغور ومواضع حُرّاس . فلمّا خرج ليلَوم الملك بشيخه مِيسْلِم ابن شيش ، آلْ المعبد ،

وحاجبه شوكليتو ، يحفُّ بهم ابن سين وثُلّةُ الحُرّاس ، فبلغ اول الثغور، لم يَفته أنْ يلحظَ عدم اكتراث بعضُ الحُرّاس بوجوده بينهم . يقــول شوكليتو أنَّ ما كان يظهر على اولئك الحُرّاس جليّاً ، ليس بالمرء حاجة الى فِطنة كي يلتقطَهُ .. وهكذا كانوا هُم الثلاثة قد تنبّهوا الى تشاغل ذينكَم البعض حتى لا تلتقي عيونُهم بعينَيّ الملك او بعيون آلْ المعبــد والحاجب الذي يرافقهما . البعضُ أُولاء لم يكتفوا بالتشاغل ، حَسْب ، وانما لم يتعهدوا لمليكهم بأيِّ شيءٍ اذ لم ينبسوا بأيمــا كلمــة والمَلــكُ يستبطنُ يقظتَهم وحِماسَهم وهمَّتَهم. هذا البعضُ تكرَّر وجودُه في ثغورٍ ومواضع للحُرّاس أُخر ، سيطوفُ ليلَوم الملك عليها .

اثناء طواف المَلك ، الذي استغرقه نهار ذينكم اليوم بكامله ، لم يتطرق الى ما كان يتنبَّه اليه وهو يتحدث احيانا الى ميسْلِم ابن شيش او شوكليتو او قائد الحُرّاس .. فلقد كانوا هُــم الثلاثــة يتبــادلون النظرات ولايزيدون على ذينكم ، حتى عادوا الى الــبلاط قُبيــلَ أنْ ينحسر آخرُ ضوءٍ للنهار .

المشاعلُ التي تُنير فناءَ البلاط مُوقدةً كانت ؛ فتحت ضــوئها انما ابتدَرَ ليلَوم الملك مَنْ معه وقد هدَّهم جميعاً التعبُ .. أحدٌ منكم لا يقفْ .. كلُّكم الدكَّات تقتعدون .. حتى أنت يا شوكليتو دكَّةً تقتعدُ .. بابَ البلاط أوصدْ والى المجلس فلتنضمّْ ..

أضاف ميسْلِم ابن شيش : فلو كانت أرجلٌ لشوكليتو ولنا قد تبقَّت لواقفين تلبَّثنا .. انما أسفاً لاأرجلَ لنا قد تبقَّتْ بعد يوم التطواف ذينكم المُمضِّ .

منذ ان غادروا أوَّل الثغور ، وكان ذانكم في باكر الصبيحة ، راحت الابتسامةُ المنفرشة على شفتَي ليلَوم الملك ، تانكم التي شبَّهها

شوكليتو بالشمس غصَّة الشروق .. راحت تتلاشى شيئاً فشيئاً ، حتى اكتمل غروبُها فأفلتْ تماماً عند فروغ الرجل من طوافه . وجهُه الآن ، وجهُ ليلَوم ابن إيناكلي ، الآن وهو يقتعد احدى الدكّات الصغيرة ، لا كرسيَّ عرشه ، .. وجهُه خالٍ من أيِّ أثر لشمسٍ على شفتَيه . أضواء المشاعل كلُّها على وجهه انسفحتْ ، ومع هذا لم يلُحْ هناك أيُّ أثــر لشمسٍ او لبعض شمسٍ حتى .. يا ايها المبجَّل يا شيخي ابن شيش أنتَ ويا ايها الامين شوكليتو أنتَ ويا ايها الوفيّ بوزو ابن ســين أنــتَ .. اليكم جميعاً بالسؤال أقذفُ فسؤالي أجيبوا : ماذا حدثَ ايها الصحاب أنتم ؟ (لقد لفت شوكليتو أنَّ ليلَوم الملك ما سبق وأنْ خاطبهم بهذه الصفة من قبل).. إنْ هي إلاّ ليلة واحدة انسلختْ لا أكثر ؛ فمــاذا حدث ايها الصحاب انتم ؟.. أصمَمٌ آذاننا أصابَ وعَماءٌ باعيننا نَزَلَ ، ونحن في السوق أمسِ ؟؟!.. لقد سمعتُ .. بأُذني سمعتُ ، ولقد رأيتُ .. بعينَيَّ رأيتُ ثم بالبكاء أجهشتُ .. وشيخي ابن شيش قولتُه أنْء بأُذنيه سمعَ وبعينيه رأى ، كما شوكليتو الرجل الامين قولتُه أنْ بأُذنيه أمسِ في السوق سمعَ وبعينيه رأى .. وابن سين في السوق واقفاً كان ، فقولتُــه لابد أنْ بأُذنيه سمعَ وبعينيه رأى .. فماذا يا ايها الرجال أنتم في جوف ليلة لا سواها قد حدَثَ ؟.. سؤالي أجيبوا ، فبه أنّي اليكم لقاذفٌ .

لا يدري شوكليتو هل كان صوت ابن شيش مُنهكاً أم مُنكسراً حــين تولّى الحديث ، فقد سمعه خفيضاً متعثّراً ، على الرغم مـــن ابتـــسار الاجابة التي جادَ بها .. بُنَي ليلَوم إنْ هو إلاّ شكٌّ في قلوبنا إنبذَرَ ، يقيناً ما صارَ بَعدُ .

..لا يا شيخي الجليل .. لا .. ما بعينيَّ اليهم رأيتُ ؛ بقلبي اليهم رأيتُ .. والقلبُ إنْ يرى لا يُخطيء .. إنهم عليَّ يا شيخي لمنقلبون ؛ فمــا

الذي في طَيَّة الليلة الفائتة قد حدث ؟!.. أم ترانا الذي منهم سَمِعنا في السوق وما رأينا إدراكَه قد أخطأنا ؟!.

طلب شوكليتو الاذَن بالحديث ، فأذنَ له مليكُه .. الباطلَ أبيتَ أيها العظيم .. يا مَنْ لا عظيم سواه في سومر بأسرها لا، قلبُك ماأخطأ اذ رأى .. وأما السؤال الذي به إلينا تقذفُ ، فليس ثمة من مُجيبٍ عليه أطولَ لساناً وأدرى قلباً من القائد إبن سين .. هذا ابن سين بين يديكم هو ، فآذاننا لما يتحدَّثُ فبه ينطقُ فلنُذلْ .

اكتفى ليلَوم الملك بالنَوْد برأسه مُؤمِّناً على مارآه حاجبُه ، وهو يلوي عنقه الى يساره حيث يجلس بوزو ابن سين . فلمّا فهم هذا أنَّ عليه أنْ يتحدث نهض واقفاً وضمَّ رمحَه اليه يلتصقُ بجَنبه ، ما جعل الملك يؤنِّبه على نهوضه ويُعيد أمرَه عليه باقتعاد الدكَّة الصغيرة . إلاّ أنَّ قائد حُرّاس المملكة لم يعدل عن وقفته تينكم .. عظيمنا الملك ليلَوم ابن إيناكلي أمرُه مطاعٌ إلاّ في هذه ؛ فلا لعظيمنا أتحدَّثُ فلساني ينطقُ وانا في دعَة من أمري الى جانبه جالسٌ .. ايها العظيم الباطلَ أبيتَ اذ في رجالَيٍ رايت ما رايت .. (قاطعه ليلَوم الملك مصوِّبا : بل بعضُ رجالك يا ابن سين .. بعضُ رجالك).. بعضُهم يا عظيمنا أو كلُّهم فالوِزرُ واحدٌ .. والوِزرُ بوزو ابن سين على عاتقه يقعُ .. إنَّ الذي في جوف الليلة الفائتة ، يا عظيمنا ، قد حدث ليس به لي علمٌ .. انما بوزو ابن سين سيعلمُ لابد .. يامليكي العظيم بالانصراف لي فلتأذنْ حتى أطيرَ الى حيث أطيرُ ، وبالمُفيد من العلم أعودُ . في رمشة العين تينكم ، وقبل أن ياذن ليلَوم الملك لابن سين بالانصراف ، طُرِقَ بابُ البلاط وارتفع صوتٌ من ورائه ينادي بطلب شوكليتو . ثم لم يصبر صاحب الصوت على شوكليتو حتى يظهر له ؛ ذلكم انه طَفَقَ يبلغه بفحوى الرسالة التي

يحملها ، وهو أنْ عليه الهَرَع الى بيته فضيفةٌ هناك مـــن جرِســـونن في انتظاره . عند ذاك أذن الملك لابن سين وشوكليتو في الانـــصراف في آنْ. ثم لم يعلم شوكليتو بما دار ، أثناء غيابه ، بين ليلَوم الملـــك وآلْ المعبد ، ميسْلِم ابن شيش . على انه حين انقلبَ اليهما عائداً من لقائه بالضيفة ، ألفى ابنَ سين قد سبقَه بالعودة الى البلاط ؛ فـــذانكم هـــو مطأطيء الرأس يجثو أمام الملك ، وان كان هذا لّما يزل يقتعد الدكَّـــة الصغيرة ، لم يعتلِ عرشَه بَعدُ . بوزو ابن سين ما كان يتحدث وما كان يُصغي ايضا ، اذ لم يكن أيٌّ من الملك او الشيخ ابن شيش يتحدث .. بوزو ابن سين كان يبكي . أجل لقد ألفاه جاثياً يبكي ، فجثا الى جانبه .. يا عظيمنا المرأة من أمارجي قادمةٌ ..

فقاطعه الملك وهو ينهض : من جثوتَيكما إنهضا ، ودمعَك يا ابن سين كفكفْ .. أعلى لسانك يا شوكليتو ما تُضيفُ ؟.. إلى الذي به لسانُ ابن سين قد نَطقَ ، ثمة على لسانِك ما تضيفُه ؟.

.. مُتِّعتَ بالمغفرة يا عظيمنا فغفرتَ لي جهلي بما لسان ابن سين به قد نَطقَ .. انما الذي إليَّ المرأةُ قد حملتْ ..

فقاطعه الملك ثانيةً ، والجزعُ آخذٌ به : أموالُ الذي لاأبَ له الى أعباب حُرّاس ابن سين وسائر الناس صارت ؛ ومع هذا فابن آينمر تانكم الأُعطيات الى نفسه إدّعى .. فهل ثمة من رزيَّةٍ أجلُّ من هـــذه وأعظمُ على لسانك ما برحتْ يا شوكليتو ؟!.

كان شوكليتو وابن سين قد لبَّيا فنهضا من جثوتيهما ، إلاّ أنَّ الاول وجد نفسه يطأطيء رأسه وهو يُجيب .. الكربَ أبيتَ يا مَنْ لا عظيمَ سواه ، فأني لأخشى أنْ ماهو أجلُّ وأعظمُ من تينكم الرزيّة خبرُه في أُذنك بَعدُ لم يقعْ ..

صرخ ليلَوم الملك بحاجبه : قُتلتَ فلا قبرَ لك إنطــقْ .. أيّــة رزيّة أعظمُ وأجلُّ من أنْ الناس نفوسَهم يبيعون ؟.. ومَنْ المشتري ؟؟.. ابنُ سِفاحٍ وقوّادٌ خوّانٌ اثيم !!. أية رزيّة أجلُّ يا مَنْ لا قبرَ لــكَ ؟.. إنطقْ .

يقول شوكليتو انه بات يرتجف اذ لم يكن شاهدَ من قبل ليلَوم ابن ايناكلبي على ذينكم القَدْر من الحَنَق والاحباط والجــزع .. يــا عظيمنا .. القومُ في جِرسونن اليومَ او غداً من تحت يد نَــنْ دادا، آلْ معبد الاله أنليل ، سيمرُّون ؛ ثم بأشدّائهم الألف ابن آينمــر علينــا سيحمل .

واذا بليلَوم الملك يزداد هياجاً ويطَّردُ صــراخُه .. أوَ هــذا الأجلُّ والأعظمُ حَسبْتَ ؟!.. ألا أنَّ أنهرَ سومر كلَّها وسواقي ســومر كلَّها لو بالدم أُترعتْ فبالدم فاضتْ لما كان ذانكم من أنْ يبيع ناسُــنا نفوسَهم أجلَّ وأعظمَ .. ألا فاعلمْ .. رزيّةُ الرزايا .. الرزيَّةُ الــتي لا قبلَها من رزيَّةٍ ولا بعدها فينا من رزيّة تنزلُ هي أنْ النــاسُ نفوسَــهم يبيعون ؛ ألا ياً شوكليتو فاعلمْ .. ألا أنَّ الامر قد قُضيَ .

مِيسْلِم ابن شيش الى يمين ليلَوم الملك لم ينهض بَعدُ من دكَّته . فلمّا سمعَ ما انتهى اليه الملك ، تناهضَ يستندُ الى عصاه .. الامر مــا قُضيَ بُنَي ليلَوم .. الامر ما قُضيَ ، فما زال بأيدينا ثمة ما نفعــل .. في رمشة العين هذه ، الى ذينكم الذي لاأبَ له تبعثُ .. الى ننورتا الذي جِرسونن تبعثُ فقولةٌ في أُذنه تقعُ ، أنْ يا ايها الملك ننورتا أموالُك التي الى أعباب الناس في مملكة ابن إيناكلي انتهتْ ، وزيرُك ابن آينمــر الى نفسه إيّاها ادّعى .. ألا من خوّانٍ أهلَه خانَ من قَبلُ إحــذرْ .. مــن كاجينا ابن آينمر إحذرْ ياننورتا ايهًا الملك أنتَ ..

هنا هَالك ليلَوم الملك على الدكَّة الصغيرة التي نهض منها قبل قليل ، ودفن وجهَه بين كفَّيه وهو ينخرط في بكاء يخـضُّه خـضّاً .. فبذينكم الصنيع انما قطعَ على مِيسْلِم ابن شيش حديثَه ، وكان هـذا ماضياً فيه الى غايته . وقبل أنْ تَهدأ نفسُه فيمسك عن البكاء تمامـاً .. الامرُ قُضيَ يا شيخي المبجّل .. الامر قُضيَ .. فحتى لـو انَّ سـومر بأسرها الان ، لا جِرسونن وحدها ، تحتي صارت فالخسران بناصـيتي إنعقدَ والامرُ قُضيَ .. فحتى لو انَّ الفتنةَ رأسها إنقطعَ وتحت قـدمي تدحرَج فالخسران بناصيتي إنعقدَ والأمرُ قُضيَ .. ماأعظمَ غِفلتي كانت اذ خشيتي من أنْ في أنهر سومر الدماءُ تجري ، فما الى كـبيرة أكـبر وأدهى تنبَّهتُ .. ألا ياصحاب أنتم.. ألا فاعلموا اذن أنْ لا كـبيرةَ أكبرُ وأدهى من أنْ الناسُ نفوسَهم يبيعون ؛ ذلكم أنَّ خسراناً مُبينـاً بالقوم سيحلُّ فأمرُهم يُقضى .. وأُمر قومي قد قُضيَ والخسران المُبين بهم حلَّ ، حتى قبل ان ابن آينمر عليهم بأشداء جِرسونن يحملُ .

خطا مِيسْلِم ابن شيش نحوه ،واذ بلغه راح يمسحُ على رأسه .. عليك هوِّن يا ابن أخي .. انما هو الباطلُ بالمرء يتربَّص ، فإلى قلبـه يتسلَّلُ إنْ أبوابَ القلب مُشرعةً له ألفى .. ولكن بُنيَ ليلَـوم لـيس القلوبُ جميعُها للباطل مشرعةً أبوابها .. فأنتَ نفسك قولتُك للرجـل ابن سين أنْ بعضٌ من رجاله لا رجالَه كلهم عليـك منقلبـون .. أوَ ليست هذه قولتُك أنتَ نفسك ؟.. بُنَي ليلَوم الامر لم يُقضَ بعد ؛ فبثلّة الرجال الذين دون الباطل أبوابَ قلوبهم مُغلَّقةٌ انمـا أمـرَك وأمرَنـا ستُحيي.

رفع ليلَوم الملك رأسه لشيخه ابن شيش وعيناه تطرفـان .. أجل وروح إيناكلي ابي تانكم قولتي هي لا قولةَ غيري هي ؛ انما ماذا

الثلّةُ أمام حشد علينا حاملٌ ستفعل ؟.. أمام جمع ابن آينمر الذي علينا حملَ وفي طريقه الينا هو الان ، ماذا بوسع ثُلّة رجال أنْ تفعل ؟

.. أنْ مليكُهم من قَعدته ينهضُ أولاً ..

وانحنى على ليلَوم الملك يمدّ له يداً . إلاّ ان هذا لم يتشبَّث بيد مِيسْلِم ابن شيش ، بل نهض فارداً قامته كأنَّ أسىً لم يُقعده .. لا يـا شيخي المبجَّل .. يَدك الى ثلة الرجال أولاء مدّْ .. الى المُغلَّقة أبـواب قلوبهم دون الباطل يَدك مدّْ .. فمليكُكم من قَعدته نهضَ ، وبيـده الى جانب يدكم الى تينكم الثلة سيمدُّ ؛ مع أنَّ العِلم كلَّ العِلم ، العِلـمَ عَيَن العِلمِ في قلبه أنْ لا نفعَ يُرتجى اذ الامرُ قُضيَ .

.. بني ليلَوم مادام هذا العرشُ تحتـك والرجـالُ أُولاء (واشـار الى شوكليتو وابن سين) على يمينك الامرُ بعدُ ما قضي .

.. حسنٌ يا ايها المبجل شيخي مِيسْلِم ابن شيش أنتَ .. حـسنٌ .. لا عرشَ بعد هذه الساعة سأعتلي حتى الناس جميع الناس معي ينهـضون وبوجه الباطل يبصقون .. (والتفت الى بوزو ابن سين) .. رجالُك يا ابن سين أُولاء الذين أنفسهم باعوا .. حيثما هم ، من أيديهم رماحَهم ومِديهم تنتزعُ ، والى نسائهم بهم تطوِّحُ عندهن يقعدون .

وكان بوزو ابن سين قد حافظ على وقفتـه ، تـانكم الـتي اتَّخذها حين نهض من دكَّته الصغيرة قبل ان يتحدث لمليكه : متماسكَ القامة مرفوعَ الرأس شامخَ الأنف ورمُحُهُ ملتصقٌ بجنبه حـتى يكـاد يكون جزءاً من جسده . إلاّ انه ، لما سمع ذينكم الأمر مـن الملـك ، انفصل رُمحُه عن جسده ؛ وبدا لشوكليتو أنَّ قامتَه انحنتْ قليلا بـين عارضَيه اذ انخفضَ رأسُه وفقدَ أنفُه شموخَه ؛ فما تكلـم إلاّ بـصوتٍ خفيضٍ .. مُتِّعتَ بالمغفرة يا عظيمنا فغفرت لي اجترائي .. أنّي لأخشى

يا عظيمنا .. يا مَنْ لاأعظمَ منه في سومر بأسرها ؛ انّــي لأخــشى أنْ الذين أُعطيات ابن آينمر تلقّفوا .. أنّي لاخشى .. أنّي لأخشى أنهم من رجالي الأعمُّ .. فإنْ في انتزاع رماحهم ومِديهم من أيديهم أفلحتُ .. إي يا ايها العظيم .. إي يا عظيمنا ؛ لاأدري كيف على لساني قــولتي أضعُ .. فهم الأعمُّ من رجالي يا عظيمنا ، ولا فَلاحَ لَمن شاءَ رماحَهم ومِديهم من أيديهم أنْ ينتزعَ .. ومع هذا قولتي هــي إنْ في ذيــنكم النُشْد أفلحتُ ، ما العديدُ الذي في أيدينا سيتبقى ؟.. أعديدُهم وهُم نَزرُ مملكتَكم يا عظيمنا سيحمي ؟!.. قُتلتُ فلا قَبرَ لي ؛ بأية قولةٍ لساني التعيسُ ينطقُ؟!!.

ودون تردّدٍ هتف ليلَوم الملك : بقولة الحق لسانُك ينطقُ ؛ فلا قُتلتَ يا ابن سين .. منّي إذنُ يا ابن سين .. صَدوقٌ أنتَ يا ابن سين .. مــن مليكك إذنُ يا ايها الفتى .

فاذا مالبّى بوزو ابن سين فصارَ على مَبعدة خطوتين من مليكه لا أكثر، خطا هذا نحوه وأرخى ذراعَه على كتفَيه .. من رمشة العــين هذه الى الناس سأخرجُ ، وطُرقاتِ المدينة سأجوبُ .. بيتاً بيتاً أبوابهم سأطرقُ ؛ فبما في قلبي مكنونٌ اليهم سأقذفُ .. به اليهم سأفــضي .. شوكليتو أيها الامين أنتَ ، وأنتَ ايها الوفي بوزو ابن سين عند شيخي ابن شيش تتلبثان ؛ فوعثاءُ جولةِ النهار بَعدُ في أبدانكم أنتم الثلاثــة مابرحتْها .. شوكليتو الظُلمةُ في الطرقات متكدِّسةٌ الآن ، فمِشعلاً لي أوقدْ ، به سبيلي الى الناس أتحسّسُ .. عليَّ بمِشعلٍ ايها الرجل الأمــين هيّا ..

.. مُتِّعتَ بالمغفرة فغفرتَ لي يا ايها العظيم صلَفي ، اذ عن الخروج الى طُرقات المدينة إيّاك أحجبُ .. فإنْ وعثاءَ جَيلانِ النهارِ إيّانا أضــنَتْ

ونحن فَتَيان ، ما الذي تانكم الوعثاءُ إيّاك أورثتْ اذن ؟ّ..

لا يزال ليلَوم الملك مُرخياً ذراعَه على كتفَي قائـد حُـرّاس المملكة .. منّي إدنُ يا شوكليتو .. أنتَ الآخر مِنّي إدنُ ، فإلى صدري أنتَ الاخر أضمُّ .

فاذا ماانطوى بجُنحه الطليق على حاجبه أيضاً ، سار برجُلَيـه الى مِيسْلِم ابن شيش ، الذي كان عاد الى دكَّته قبل هُنيهة فاقتعدها .. يا ابن شيش مِيسْلِم يا شيخي الجليلَ أنتَ ؛ أوَلست آلْ معبد الالـه الكبير آنْ ؟.. إلينا قُمْ وعلى رؤوسنا نحن الثلاثةَ بإسم الاله آنْ قولـةً إنثرْ .. الى تينكم القولة ماأحوجنا ، فنحن الثلاثةَ الى الناس في هـذه الساعة خارجون ، فأبواب بيوتهم طارقون ، فبهم مستغيثون والـيهم بأرواحنا مشرئبُّون .. إنْ هي إلاّ هذه الليلة حَسْب .. بحلْكة ظُلمَتـها هي لنا من الزمن كلُّ ماتبقّى ؛ فإنْ تولَّت ونحن تحت دُثُرِنا ، شمسٌ علينا لن تشرقَ ؛ اذ لا صُبحَ بعد هذه الليلة ، وخوّانُ أهله بأشداء جِرسونن في الطريق الان إلينا .

عصا ابن شيش بين ساقَيه منتصبةٌ ، فتشبَّث بها بكلتا يديه ثم جعل يتناهض حتى استوى واقفاً .. عينَ العِلم بُنَي ليلَوم أنَّك لتعلمُ أنَّ الاله الكبير آنْ في بيته في السماء هو ، وهو عن هذا المعبد لَفي غنىً .. وعينَ العلم بُنَي ليلَوم انك لتَعلَم أيضاً أنَّ المعبدَ وآلْ المعبد إنْ هي إلاّ أسماءٌ تانكم الساحرةُ ، امرأة ابن آينمر ، إفترَتْ يومَ في مدينتكم كانت .. فما بما أنا فيه وما أنا عليه ارتضيتُ إلاّ لابن أخي إيناكلي إكـرامٌ وجَرْيٌ معه حتى عود مملكته يقومُ .. ألا فاعلمْ بُنَي ليلَوم أنَّ عينيَّ مـا طرفتْ وفي قلبي من هذه الكذبة شيئٌ .. على أنَّ الاله الكبير آنْ وهو الرائي الينا من عليائه بقولةٍ منه على رؤوسنا نحن الاربعةَ لينثرُ ، اذ قلبُه

نُشْدَنا يدركُ فما واقفٌ من بَشرٍ بوجه الباطل بعدَنا ، وما جلاّبُ صُبحٍ لهذه الليلة بَعدنا من بشرٍ . فأدخلَ ليلَوم الملك لسانَه ، وذراعاه تضمّان حاجبَه وقائدَ حُرّاس مملكته الى صدره .. بنا ترفَّقْ ايهـــا المبجَّـــل .. أقولتُك نحن الاربعةَ ؟!.. قلبي أبوابُه فلَتُغلَّقْ دون ما في أُذني من قولتك قد وقَعَ .. أخارجٌ الى طرقات المدينة معنا إيّاها تجوبُ وأبوابَ بيـــوت الناس تطرقُ ؟ .. لا .. لا .. هذا لن يكون .

.. بل يكون ويكون يا ابن إيناكلي ؛ فخروج الملك الى النـــاس وآلْ المعبد ليس له ظهيراً ، خروجٌ جنحُ الاله آنْ إيّاه لا يُظلِّـــلُ .. الملـــك ليلَوم ابن الحكيم إيناكلي أبوابَ الناس في حلكة الليـــل يطـــرقُ وآلْ المعبد ليس له ظهيراً ؛ انه اذن على مشيئة الاله آنْ خـــارجٌ لابـــد .. تانكم قولة الناس ستكون ، فلا فَلاح بناصيتك سينعقدُ .. ثم قبل هذا لا بعده : أتحتَ دثاري أغفو في ليلة ليس لها صبحُ ؟!.. أمِنْ شـــيخك ابن شيش تسخرُ ؟.. أين أبوك العزيز إيناكلي مما تقترفُ ؟.

هل كان أمام ليلَوم الملك ، في رمشة العين تيـــنكم ، إلاّ أنْ يرفع ذراعَيه عن أكتاف شوكليتو وابن سين فيأخذُ بهمـــا شـــيخَه الى صدره ؟. كلا لم يكن أمامه غير ذينكم .

على ان ابن آينمر ، في واقع الامر ، ما كان خرج بعدُ برجاله الذين يربو عديدُهم على الالف .. حملتُه على مدينة ليلَوم مـــا كـــان ابتدأها بعد . فقد كان ونورتا ونَنْ دادا في البلاط مرابطين ، والى أنباء ستردهم يتطلّعون . انهم غير متيقّنين من أنَّ الأُعطيات التي نَفذَتْ فعلاً الى داخل مملكة ليلَوم قد انتهت الى أعباب الذين نزعوا من قلـــوبهم إدراكَها ان ليلَوم الملك بمصاف أبناء الاله آنْ هو .. اولئك الذين هم من رجال بوزو ابن سين ومن عموم الناس وقد نزعوا عن ليلَوم ابـــن

إيناكلي قدسيتَه . ما كانوا متيقِّنين من ذينكم الأمر ، فهم يتطلَّعون الى أنباء تزرع اليقين في نفوسهم . ما هم متيقنون منه حقّاً هو أنَّ الشبّان الاربعة ، زُرّاع الشعير الاربعة ، أصحاب الرابية المعشوشبة ، قد هبطوا رابيتهم الى مدينة ليلَوم ، وفي سوقها الى الناس تحدث عنهم لوسين ابن لولو ، ومن ثم برح الناس السوقَ وهم يلهجون باسم ليلَوم ابن إيناكلي عاقدين ، جميعهم ، له الولاء من جديد . تانكم الأنباء ما جعلهم هم الثلاثة : الملك ننورتا ووزيرُه كاجينا ابن آينمر وآلْ معبد الاله أنليل نَنْ دادا ، يروحون ويجيئون يقطعون طولَ البلاط وعرضه ، لا يقرُّ لهم قرار ، وأعينُهم الى الباب الكبير الذي عليه كوشاشْكرِ مشرئبّةٌ .

ذانكم هو الداعي الاول الذي اقعد كاجينا ابن آينمر عن الشروع بحملته ، فلم يبتدئها حتى تينكم الساعة .. فوِفقَ تدبيره انَّه لن يحملَ حتى يتيقَّن من أنَّ أُعطياتِه مُدركةٌ مأربَها ؛ وذانكم لم يتحقق بعد. أمّا الداعي الثاني فعائدٌ الى مشيئة لنَنْ دادا أفصحتْ عنها .. لقد أفصحتْ عن مشيئتها قبل أنْ يتناهى اليهم خبرُ هبوط لوسين وصحبه رابيتهم ، وحديثُه الى الناس وما تبع ذلكم من الأثر الذي تركه في نفوسهم . أي انها حين تحدَّثتْ تحدَّثتْ وهي في دِعَة من أمرها ، فليس في حسبانها أيُّ عَنَت في تدبيرها قد يلاقونه .. بعد أنْ رجالُ ابن سين والناسُ هناك بالمال يُنفَحون ، جِرسونن بأسرها وقرى جُرف البحر العظيم معها ، وليس الأشدّاء ذوو الرماح والمدي حَسْب ، الى معبد الاله القدير أنليل ينقلبون .. الرجالُ بنسائهم الى المعبد ينقلبون ، فيوماً آخر للخِصْب يكون ..

قاطعها نَنورتا : ولكنْ في سماء جِرسونن قمرٌ لن يظهرَ واستدارتُه

مكتملةٌ قبل أيام من ساعتنا هذه .. آلْ المعبد الجميلة نَنْ دادا عن قلبها ذانكم الأمرُ غابَ .

.. لا يا ايها الملك ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا .. لايا ايها العظيم أنتَ .. عن قلب الجميلة نَنْ دادا أمرُ استدارة القمر ما غابَ .. فالناسُ إنْ قولتُهم كيف ذانكم يكون ؟!، آلْ المعبد نَنْ دادا قولتُها أنْ لا يومَ كيوم الخِصْب لأحسن الفألِ مُجلبٌ ؛ وإنْ هي إلاّ ارادة الهكم القدير أنليل ، بها في أُذن آلْ معبده قد همَس فآلْ معبده اليكم ، ياعُبّادهُ أنتم ، تُفضي .. رجالٌ منكم يا ايها الناس الى المجد ميمِّمون ، فهم على مدينة ذينكم الخَرِف حاملون ؛ أَفبغير أحسنِ الفأل إيّاهم نُغلِّلُ قبل أنْ على أعدائهم يشدّوا ؟.. فأيُّ قَمَرٍ هذا اكتمالَ استدارتِه ننتظرُ كيما بأحسن الفألِ لرجالنا نحظى ؟!.

فعلى هذه الحجة انما اجتمع مَلِكُ جِرسونن ووزيرُه وآلْ معبد الاله أنليل . إلاّ انهم لمّا ورَدَهم من الانباء ما وَرَدَ ، هبّوا جميعاً من حيثما كانوا يجلسون : ننورتا نهض من كرسي عرشه وهبط الدرْجات الخمسَ الى أرض البلاط ، ونَنْ دادا انقذَفتْ من دكّتها الصغيرة تنتصبُ ثم اندفَعتْ الى وسط البلاط ، كذلكم كاجينا ابن آينمر فعَلَ . وما اكتفى هذا الاخير بالنهوض من دكّته على يسار عرش الملك والاندفاع الى وسط البلاط ، بل قبَضَ على عَضد القادم بالخبر وجعل يهزُّه وهو يستمطر لَعناتِ الاله أنليل عليه ؛ ثم فتَلَه وراح يدعُّه صوبَ الباب الكبير حيث تلقَّفهَ منه كوشاشْكِر . بعد ذاك انضم لنَنْ دادا وننورتا في رواحهما وغدوِّهما يقطعان البلاط .

لكنَّ الحال ما مكثتْ حيثما هي عليه .. لقد تزحزحتْ اذ لم يلبث أنْ حطَّ الطائرُ الذي كانوا ، هم الثلاثة ، يتطلّعون الى مَقْدَمِه ..

حطَّ بينهم بعد انسلاخ يومهم ذينكم بأكمله . عندئذ، وعندئذ فقط ، أمر الملك ننورتا مُناديه أنْ يدور على الناس فيدعو الرجالَ منـــهم الى القدوم بنسائهم ، مُتزيِّنين مُتطيِّبين ، الى معبد الاله القدير أنليل ؛ فالغدُ من يومهم هذا يومٌ للخصْب هو ، يومُ للخصْب ميقاتَه استعجلَ .

تقول أمارجي أنَّ سيدها ، وبعد أَنْ فرغ الملك ننورتـــا مـــن املائه النداءَ على مُناديه ، انفتلت خارجةً من البلاط دون أنْ تستأذن الملكَ ، فتبعتها هي تتعلَّقُ بأذيالها . على أنَّ نَنْ دادا اذ بلغت البـــابَ الكبير التفتت الى ورائها وهتفت بلهجة آمرة ذات جِرْسٍ جهور : في الغد من يومك هذا يا ايها الملك تزيَّنْ وتطيَّبْ والى مخدعٍ آلْ المعبـــد يمِّم. فما جادَ لسان ننورتا بكلمة اذ دَهَمتْه عَطْسةٌ عظيمـــة أخـــذت بأعطافه ، فاذا هو متشنِّجٌ يوشكُ أنْ يترنَّح . تانكم العَطْسةُ ، هي ذاها وكانت واحدةً عظيمةً ايضا ، تذكَّرها أمارجي كيف دهمتْ ننورتا في يوم الخِصْب السابق حين أوشك أنْ يعتلي نَنْ دادا بعد لأيٍّ .

ومهما يكن من أمر ، نَنْ دادا لم يبدُ عليها الها كانت تنتظـــر ردّاً من ننورتا تسمعه ؛ اذ الها عادت فانفتلتْ من جديـــد ، عُقـــبَ كلمات الأمر التي نطقتْ بها ، واجتازتْ عتبةَ الباب وكوشاشْكِر معاً . ولّما بلغت المعبدَ ودلَفتْ الى مخدعها هناك ، تتبعها أمارجي ؛ ســألتها هذه بعد أنْ أغلقتْ بابَ المخدع وراءها : مُتِّعت بـــالمغفرة ســـيدتي فغَفرتِ لي سؤالاً به إليك أقذفُ .. سؤالاً عليه طَال اصطباري ، وانه وحقِّكَ لقاتلي إنْ جوابٌ له شحَّ ..

فرمقتها نَنْ دادا بعينَين تتبارقان فطِنَةً ، كما تصفهما أمارجي ، ثم .. إي ايتها الوصيفة أمارجي يا مُسعدتي أنت ، أكاد بالجواب أنطقُ قبل أنْ في أُذني سؤالُك يقعَ .. سؤالٌ إيّاك يقتلُ قبل أنْ في أذني يقعَ ،

يكاد جوابي عليه من لساني ينقذفُ .. أجل يا مُطفئة ناري يا مُسعدتي أنت ، فآلْ المعبد قبل الملك لا بعده هو .. آلْ المعبد فوقَ الملك وتحت الاله الذي مُلْكه منحَ ؛ فما بالك وآلْ معبد الاله أنليل جميلة سومر نَنْ دادا ؟!.. ذانك هو النحو الذي عليه مع هذا النونورتا سرتُ مُذْ رداءَ آلْ المعبد إيّاي غَلَّلَ .. أمّا الذي بعد هذا .. الذي عيناكِ بعدُ ما رأتْ وأُذناك خبرَهُ بعدُ ما سمعتْ ، ففي بطن أيام قادماتٍ ما برحَ .

.. سيدتي كيف ذانك يكون ؟.. المَلكُ مَلكٌ .. جبارٌ هو وبسطوته قاهرٌ هو ، وبمصاف أبناء الاله أنليلَ هو ، فكيف ذانك يكون ؟.. ألا جُرأتي سيدتي فلتَغفرْ .

.. مَنْ ذانك الذي بمصاف أبناء الاله أنليل إيّاه صيَّرَ ؟.. حَسنٌ .. الناسُ الى مَنْ يرون فالإلهَ أنليلَ يرون ؟.. ياأمارجي ياوصيفتي أنتِ ، بالسؤال أنّي إليكِ قاذفةٌ : الى مَنْ ترين فالإلهَ القديرَ أنليلَ ترين ؟.

فاذا ماأجابتها أمارجي بأنّها والناسُ يرون الى آلْ المعبد ، هي نَنْ دادا ، وبذينكم انما يرون الاله أنليل لأنها الأقربُ الى روحه الكامنة في ذينكم الحَجَر ، فهي ولا أحد غيرها مَنْ يسمع ما تهمسُ به روحُ الاله .. اذا ما أجابتها أمارجي بتينكم الكلمات ، قالت برزانة الواثق : في أعين الناس اذن لا ذاتَ للاله أنليل غير ذات آلْ معبده .. بكلمة أُخرى الاله أنليل ، في أعين الناس ، ما هو إلاّ نَنْ دادا ولا أحد سواها ؛ ألا فلتعلمي يا مُسعدتي أنت .. فمَنْ ذانك الذي لا أبَ له حيال نَنْ دادا يكون ؟!.. بكلمة منّي كانَ وبكلمة مني لا يكون .

وتعترفُ أمارجي بأنَّ لسانَها انعقدَ بعد تينكم الكلمات التي نطقتْ بها سيدتُها بنبرة مَنْ يضع حداً لجَدلِ . ثم لم تفه حتى اليوم التالي. صباح اليوم التالي دَبَّ فِعلٌ دؤوبٌ في باحة المعبد وأمام جدرانه

المتعالية، تينكم التي تُشكِّل سورَهُ . فبأمرٍ من نَنْ دادا ، فزعَ الــسَنجا وفزع فتيانُه معه يُلبُّون ، فأرضُ الباحة ينظِّفون وكذلكم الفسحةَ التي تمتد أمام مدخل المَعبد اذا طفقوا يلتقطون جُذاذاتِ الأحجار المتنــاثرة والحصى من الارض ، وصوتُ نَنْ دادا فوقَ رؤوســهم يــسوطُهم : تانكم المُضطجعاتُ على ظهورهن ، لا ينبغي لحَجَرٍ ظهورَهن يــنخسُ ولا حصىً .. ساعةُ الغَسَق قادمةٌ ، وعند الغَسَق المُضطجعاتُ أُولاء ، عابداتُ أنليل أُولاء ، على ظهورهن يضطجعن ؛ فلا حَجَراً ظهورَهن ينخسُ على الارض تَدعوا ولا حصىً ، يا ايها السَنجا ويافتيانَه انتم .. ثم الترابَ بالماء أخمِدوا ..

وتنظر الى وصيفتها .. في يوم الخِصْب القادم ، مــن النــاس رجلٌ إمرأتَه لا يُقبِّلُ أمام حَجَر روح الاله أنليل ويضاجعُ ، حتى بحصيرٍ تحت إبطِه يأتي .

عند ذاك فاهت أمارجي بأولى كلمات ذينكم اليوم .. مُتِّعتِ بالبصيرة فرأيتِ سيدتي نَنْ دادا جميلة سومر أنتِ .. لا علَّةً تُقعدُ منادي الملك في رمشة العين هذه أمام كوشاشْكِر بلا نَفع يأتي .. إيّاي مُــرِي سيدتي فإليه أنطلقُ ، فعلى لسانه مشيئتَك أضعُ ، فعلى الرجال مــن الناس يدور وساعةُ الغَسَق فينا بعدُ ماحلَّت .. فقولتُه فيهم أنْ لا رجلَ بإمرأته الى المعبد هذا اليوم يأتي إلاّ وتحتَ إبطه حصيرُ بردي .. فــلا أحداً منكم وِقْراً بأذنه يدَّعي .. تانكم سيدتي قولتُه في الرجال تكون ؛ فلماذا الى يوم الخِصْب القادم ما قلبُك رأى تُرجئين ؟.

واذا بنَنْ دادا تفرد ذراعَيها الى جانبيهــا ، وتــنقضُّ علــى وصيفتها تأخذها الى صدرها وبالقُبلات تمطــرُ وجهَهــا .. بمــشيئتي انطلقي، فإلى القصر المنادي لايعود حتى كلَّ رجال جِرسونن حُــصُرَاً

يتأبّطون .. ثم غيبتَك لا تُطيلي .. (وقرَصتْ خـدَّيها كأنَهـا تريـد انتزاعهما من يدَين تشبَّثتا بهما) .. غيبتَك لا تُطيلي يا نُعمى للخَرِف ليلَوم بذكراها أحتفظُ .

فما ان عادت الى المعبد ، اذ غيبتها لم تَطُلْ ، ولَجَتْ المخدعَ على نَنْ دادا فألقَتْ هذه قد تعرَّت والى ركن الاغتسال دَلَفتْ .. بابَ المخدع أوصدي ، وعن جسدك رداءَك إنضي فإليَّ هلُمِّي ياأمارجي يا مُسعدتي أنتِ .. نارٌ في جوفي تتلاهبُ ، أمواه أنهر سـومر كلُّهـا لا تُطفئها .. (ولم تصطبر عليها ، اذ وثبت اليها وجعلت تنـضي عـن جسدها قطعتَي ردائها .. ثم لفَّتْ ذراعَها حول خصرها ودلفت بها الى ركن الاغتسال . هناك صارتا تتدالقان الماء على جـسدَيّ بعـضهما البعض ، وتتحاضنان وتتعانقان وباللَّثمات تسحُّ احداهما على جَـسد الأُخرى ؛ ثم تتعاصر شفاهُهما فرضابَهما ترتشفان . تقول أمارجي أنَّ نَنْ دادا كانت لا ترتعش وحَسْب ، ساعتئذ ، وانما تختضُّ وتهتزُّ اهتزازاً .. منِّي كلَّ هذا إنتزعي .. إنتزعي فلا أثرَ له في جـسدي تُبقـي .. (وتأخذُ برأس أمارجي فتدسُّه بين نهدَيها النافرَين . ثم تضغطُ النهدَين عليه) .. من هنا ناراً تتأججُ إنزعي .. لاتطفئيها حيث هي ، فمن تحت رمادها نارٌ تستعرُ .. إيّاها إنزعي وللذي لاأبَ له شيئاً منها لا تدَعي .. (ولا تلبث أنْ تجذبَ رأس أمارجي من وهدة نهـدَيها ، فتحملـه الى انسراح بطنها ومُنبَعجِ سُرَّتِها).. ألا أنَّ ناراً هاهنا أيـضاً بـسعيرها أصطلي .. إيّاها إنتزعي أمارجي يا مُطفئة ناري أنتِ .. إيّاها إنتزعـي ولاتطفئي حَسْب .. إنتزعي وللذي لاأبَ له شيئاً منها لا تـدعي .. (وتهتزُّ .. تهتزُّ .. تهتزُّ تحت شفتَي أمارجي ولسانِها ؛ ثم بالماء تتدالقان وتتدالقان ؛ ثم على غير ما تتوقع أمارجي ، تثني نَنْ دادا ساقَيها فتنتهي

مُقرفِصةً تحت وصيفتها المنتصبة ، فتدسُّ لسانَها بين فخذَي هذه حيث كثيف شَعرِ عانتها) .. هنا انما ناري الكبرى لَتضطرمُ .. رأسَك أمارجي بكامله وليس لسانك وحدَه إحشري .. (ثم قامت هي وفرَجتْ ما بين ساقَيها .. فاذا ماانحشر رأسُ أمارجي حيثما أشارت هي أخــذتْ بهــا رجفةٌ عظيمة ، ثم لم تعد تقوى على الوقوف اذ سرعان ما تهالكتْ الى أرض ركنِ الاغتسال كأنَّ لا عظمَ في جسدها يحملها).. جذوةً مــن هذه النار أمارجي لا تدعي.. إيّاي احملي أمارجي والى فراشي إيّــاي خُذي .. نهوضٌ لا يسعني ومشيٌّ لا يسعني .. (تقول أمارجي أنَّ حَمْل سيدتها من أرض ركن الاغتسال الى فراشها أعياها ، فلقد كانت هذه أطول منها وأعظمَ كفلاً .. حتى اذا أفلحتْ في إيصالها الى الفــراش ، أوصلتها وهي تلهثُ بل مقتطِّعةُ الأنفاس)..

يا أيتها النُعمى أمارجي يا مُسعدتي أنتِ .. اياي إعتلي والنارَ العظيمةَ من مكمنها إنزعي فلا جذوةً منها للذي لاأبَ له تُبقي .. جسدَ ميتٍ جسدي تحت الذي لاأبَ له أريدُ أنْ يكون .. بي ما شئتِ افعلي .. بي ما شئتِ افعلي حتى ساعة الغَسق فينا تحلُّ ؛ عنّي لا تنهضي حتى قطعةً من خَشبٍ أغدو .

وقد كانَ لها ماأرادت ، اذ انسلخَ الوقتُ منذ الضُحى وحتى حلول ساعة الغَسق من يوم الخِصْب ذاك وهي تتلوّى علــى فراشــها تحت جسد وصيفتها أمارجي . فما أنْ أزِفَ ميقاةُ خروج آلْ المعبــد على عُبّاد الاله أنليل وعابداته ، حتى صارَ جسدا المــرأتين كلتيهمــا قطعتَي خَشَبٍ لا حياةَ في أيٍّ منهما . وواقعُ الأمر أنَّ ذينكم الميقاة ما كانت نَنْ دادا لتستشعرَ حلولَه لولا أنْ علا صوتُ السَنجا وهو يطرقُ عليها بابَ مخدعها ، يُظهرُها على أنَّ رجالَ جِرسونن وجمعاً من رجال

قرى جرف البحر العظيم قد قدموا بنسائهم وها هي باحة المعبد تكتظُّ بهم .. ياايتها المبجلة العُبّاد الى طلعتك المقدَّسة قلوبهم مشرئبَّة وأعينُهم؛ وعلى رؤوسهم جميعاً مليكنا الأعظم ننورتا ابن أورجولا ابن كـــاركلا يقفُ .

عند ذاك فقط مدَّتْ يدها الى أمارجي ، وهي بَعدُ في فراشها عاريةٌ مضطجعةٌ على ظهرها . فأخذتْ هذه بيدها وأنهضتها ، والإعياءُ قد هدَّهما هما الاثنتين . اغتسلت نَنْ دادا على عَجَلٍ وتطيَّبـــت علـــى عَجَلٍ وارتدتْ سروالها الداخلي ذا الفتحة المخفيَّة ، ســـروال يـــوم الخِصْب الذي لا ترتديه في يوم آخر . ثم استتر بدنُها ، كاملُ بدنها بما فيه ذراعاها ، بردائها المَهيب ؛ بينما كانت أمارجي تدلقُ على جسدها زِقَّ ماءٍ على عَجَلٍ هي الاخرى . زِقٌّ واحدٌ كان بالكاد يكفي فالعَرَقُ الذي تفصَّده جسدها ما سبقَ له وأنْ تفصَّدَه .. ساعات طوال وهـــي تعتلي سيدتَها ، تأتي ما لا يأتيه عشرة رجال من فِعال . تجفَّفت علـــى عَجَلٍ ووضعت قلادةَ الاحجار الملونة حول عنق آلْ المعبد ، وخرجتا على القوم .

باحة المعبد مكتظة بالرجال ونسائهم فعلاً ، مثلمـــا وصـــفها السَنجا ؛ حتى أنَّ حشدَهم ، وهو يكتنف حَجَر روح الاله أنليل مـــن كل جانب ، طمَسَ مهابة الاله . فما عاد الرائي يرى أمامَه ما يُذكِّره بالاله غير آلْ المعبد ، نَنْ دادا ، التي لم ترتقي بعدُ دكَّتها . إنَّ ما فاقمُ احتشادهم هو أنَّ جُلَّ الرجال كانوا يتأبطون حُصُراً ، مـــا جعلـــهم يتدافعون وهم يشقّون لأنفسهم فُسَحاً تستوعب الرجلَ منهم والحصيرَ الذي يتأبطه وامرأتَه . لقد حرصوا .. كلُّ مَنْ جاء بحصير حرصَ على أنْ يكون حصيرُه حصيرَ بردي مضفور كما وردَ في نداء مُنادي الملك.

قالت أمارجي في نفسها ، وهي ترى الى الرجال فـلا تـراهم جميعـاً يتأبَّطون تينكم الحُصُر ، أنَّ الذي لا يتأبط منهم حصيراً لابد ان يكون من قرى جرف البحر العظيم . فأُولئك لم يسَعْ المنادي أنْ يُبلغهم فيُنهي نداءَه الى مسامعهم . ثم لن تستغرق أمارجي في الحديث الى نفـسها أطول من ذلكم ، فقد ضجَّ فضاء المعبد بجَلَبة تخللتها صيحاتُ إعجاب حالَ ارتقتْ نَنْ دادا دكَّتها التي دَرَجت على أنْ ترتقيها كلما شاءت مخاطبة عُبّاد الاله وهُم جَمْعُ . تانكم الدكَّة لاتفصلها عن حجر روح الاله سوى خطوات .. أي أنَّ نَنْ دادا حين ارتقتـها صـار العُبّـاد يحتوشونها : أمامها عُبّادٌ وخلفها عُبّادٌ كما على يمينها وشمالها عُبّـاد . وبكلام آخر أنَّ ننورتا ، مَلِكَ هؤلاء جميعاً ، المُغتسلَ المتطيّبَ والمتزيِّنَ حَسبَ أمر نَنْ دادا ، ماعادت عينٌ تسقطُ عليه كما الاله أنليـل . إنَّ أمارجي ، الملتحقة بسيدتها كظلِّها ، لا تدري حقّاً الى اين صار ننورتا في تينكم الأثناء .. هل أزاحه حشدُ العُبّاد المتدافعين فانتهى في ركـن قصيٍّ من أركان باحة المعبد ، أم تراه دِيسَ تحت الاقـدام ؟!. ثم لـن تتبيَّن الى أين صارَ حتى تفرغ آلْ المعبد من خطبتها ، اذ ستأذن هـذه للعُبّاد في نهاية الخطبة بالبدء بطقوس يوم الخِصْب ؛ ما يعني تحلّلَ جمعهم الى مايضمن لكل رَجُلٍ منهم أنْ يبسط حصيرَه ويُضجِع امرأته عليه . وحتى لو لم يكن قادماً الى المعبد بحصير ، فأنّه سيُضجِعُ امرأتـه علـى الارض .. أي أنَّ حاجةً ستكون به الى فُسحة من المكان يُطبقُ فيهـا على امرأته .

ولكن قبل أنْ يحدث كل ذلكم ، فيتحلَّلُ الجَمْعُ ويُعلَم ايـن الملك ننورتا في آخر المطاف، كانت آلْ المعبد قـد ابتـدرتْ القـومَ بالمسوِّغ الذي هيّأته سَلَفاً تبسطُه أمامهم إنْ استغربوا اسـتقدام يـومَ

الخِصْب .. ابتدرهم بذينكم المسوِّغ حتى قبل أنْ يُعبِّر أيٌّ منهم عــن استغرابه . فهتف احدهم : المجدُ اكتمالَ استدارةِ القمرِ لاينتظــرُ .. رجالُنا الى المجد مُيمِّمون ونحن اكتمالَ استدارةِ القمرِ ننتظرُ ؟!!.. أيُّ جحود هذا ؟ وأيةُ فضيحة هذه ؟.. صنيعَك الالهُ القديرُ أنليل فليبارك ياجميلةً سومر آلْ المعبد أنتِ .. إيّاهن فلنُقبِّل أمام عين أنليل وإيّــاهن فلنضاجِعْ .. فيومنا للخِصْب يوماً يكون ؛ فالمجدُ بنواصــي الاشــدّاء معقودٌ لابد . صاحتْ نَنْ دادا : فما قولتُكم يا ايها العُبّاد أنــتم ؟ .. أإكتمالَ استدارةَ القمر ننتظرُ حتى يوماً للخِصْب يكون ، ورجالُنا الى المجد مُيمِّمون ؟.

فعلا صوتٌ آخر من وسط الحشد : ياأيتها المُبجَّلة مماالــذي ننتظرُ ؟.. في رمشة العين هذه إيّاهن فلنُقبِّل وإيّاهن فلنضاجعُ ، وأنليل القديرُ عينُه إلينا ترى .. لنا فلتأذني .. هيّا ايتها المبجّلة، فأيَّ قَمرٍ ذانك الذي اكتمالَ استدارته ننتظرُ ؟.

ثم توالت الصيحات تختلط ببعضها بعضاً ، وجميعها يدعو الى البدء بطقوس يوم الخِصْب . عند ذاك انسدلت على وجه آلْ المعبــد سيماءُ الوقار والرزانة والتقوى ، فلم تنبس إلاّ بكلمات معدودات ، وهبطت دكَّتها تشقُّ طريقَها الى مخدعها تتبعُها وصيفتُها . بعد تيــنكم الكلمات المعدودات فهم العُبّاد أنّهم ظفَروا بــالإذن بابتــداء يــوم الخِصْب، فبات عليهم جميعا أولا أنْ يرقبوا المَلِك وهــو يــضاجع آلْ المعبد على مرأىً من روح الاله القدير أنليل . بعد ذاك سينتشرون في باحة المعبد وخارجه ، أمام بوابته ، فينجزون الفعلَ المقــدَّس حيثمــا سيُضجعون نساءهم .. وهكذا كان . فلقد اشــتدَّ تــدافعُهم وهــم يندفعون في إثرِ آلْ المعبد ووصيفتِها ، نحو باب مخدعها . لن يدلفَ أحدٌ

منهم الى داخل المخدع ، فهم يعرفون حدودهم .. سيتلبثون عند فتحة الباب ، كما فعلوا في يوم الخِصْب السابق ، .. عند ذينكم الحد سيتسمَّرون ، وأقصى نُشْدِهم أنَّهم يحظون بمرأىً لا يحجب عن أعينهم ولا حتى نأمةً من نأماتِ ما سيحدث على فراش جميلة سومر . ولأنَّ فتحة باب المخدع لا تسعهم جميعاً ، بل لا تسعُ حتى نَفَراً قليلاً منهم ، فأنهم يتدافعون بالمناكب ويتصايحون كي يفسح أحدُهم للآخر . ومع هذا ، وعلى الرغم من صخبهم أمام فتحة الباب ، سمعوا صوتَ آلْ المعبد يطرقُ آذانهم .. نَنْ دادا كانت دلفتَ فعلاً الى داخل مخدعها ومعها أمارجي ، وها هي تلتفتُ الى جَمْع العُبّاد فترفع عقيرتَها تسألهم: الملكُ نورتا هل منكم من إليه يشيرُ ؟.. الملكُ نورتا عيناي إيّاه لاترى .. أمِن اليه راءٍ منكم فلينطقْ .. آلْ المعبد مَلكٌ يُقبِّلُ أمام عينَيّ الاله فإيّاها يُضاجعُ حتى يومٌ للخصْب يبتديء .. أمِن الى الملك نورتا راءٍ منكم ؟.. الملك عيناي إيّاه لاترى . فلم يَحرْ أيٌّ من العُبّاد المتدافعين بجواب . إلاّ أنَّ السَنجا صاءَ : ايتها المبجّلة عيناي إليه رأتْ ، فعلى رؤوس العُبّاد انما كان والوزيرُ ابن آينمر الى يمينه يقفُ .. حتى أنَّ طِيباً فريداً منه كان يضوعُ وفي أنفي وقَع .

واذا بصوت تألفه أمارجي من عُمق المخدع يعلو .. من هناك حيث تتكدَّس الظُلمةُ في مثل هذا الوقت ، اذ تنطوي ساعةُ الغَسَق ، ذانكم الصوتُ علا . ثم صار يدنو من آلْ المعبد ووصيفتها . فما كانت بأمارجي حاجة بعد ذينكم ، ولا بسيدها بكل تأكيد ، الى أنْ يسفَعَ ضوءُ المِشعل ، الذي أوقده السَنجا قبل قليل ، وجهَ المتحدِّث فتتعرّفا عليه . المِشعل في الحائط مُنغرِزٌ ، وتحته تماماً كاجينا ابن آينمر يقفُ الآن وهو يعلن أنَّ الملك الأعظم نورتا ابن أورجولا ابن كاركلا

في ركن اغتسالِ مخدع آلْ المعبد يغتسلُ ، فيتطيَّبُ فإلى الفراش المقدَّس يَرِدُ .

ودون ابطاء نطقت نَنْ دادا والسَنجا في آنْ اذ تمتما بكلمة : ولكنْ . ثم ما زاد أحدٌ منهما عليها . إلاّ أنَّ نَنْ دادا ورجُلُها كاجينـــا ابن آينمر راحا بعد ذينكم يترامقان ، فما تلّبثا كذلكم طويلاً فسرعان ماهتف ابن آينمر : ايتها المبجّلة هلاّ بالفعل المقدَّس أذنتِ ، فالرجال من العُبّاد نساءهم يُقبِّلون فإيّاهن يضاجعون .. هلاّ ابتداءَ يوم الخِصْب أعلنتِ ، فأشداء جِرسونن وقرى جرف البحـــر العظـــيم الى المجـــد يتحرَّقوَن .. الملك العظيم ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا الى الفراش المقدس قادمٌ لابد .

وجهُه يقطرُ صُفرةً ، فكأنَّ الصفرةَ التي عهدهما أمـــارجي في وجهه تعتَّقتْ وتعتَّقتْ حتى غَدتْ أصيلةً نقية من كل لون آخر يشوبها. إنه وامرأته نَنْ دادا ما برحا يترامقان ، فأعينهما كانت مشتبكةً ببعضها حتى وهو يبسط ما يرى ؛ لم ينفك اشتباكها .. ايتها المبجلة .. ايتـــها المبجلة.. أقولتي في أُذنك وقَعتْ ؟.. الأشدّاء الألف الى المجد يتحرَّقون، وأني بهم بعد ساعةٍ الى ذينك المجد لحاملُ .. فهلاّ ابتداء يوم الخِـــصْب أعلنتِ ؟!.

هنا فقط اشاحت نَنْ دادا عن رجلها كاجينا وهـــي تقـــضُم شفتَها ، ثم خطَتْ نحو العُبّاد تخرج اليهم . أوسع هؤلاء لآلْ معبد الاله القدير أنليل اذ تقهقروا عن فتحة الباب قليلاً . فـــاذا مـــا صـــارت وسطهم .. المجدُ أحداً لاينتظرُ ، وأنَّ أشدّاءكم اليه لَفي عُجالـــةٍ مـــن أمرهم .. المَلكُ العظيم ننورتا ابن أورجولا ابن كاركلا واردٌ الفراشَ المقدَّس لابد ، وأنَّ الهكم القدير أنليل روحُه في أُذني لهامسةٌ في رمشة

العين هذه ، فمؤذنٌ لكم هو .. نساءكم قَبِّلوا ونساءكم ضاجعوا تحت عينَه التي كل مرأًى وسِعتْ .. هيّا مباركين إبتدئوا . ثم انفتلـــتْ الى داخل مخدعها وأوصدت البابَ وراءها .

في تلك الاثناء ، واذ الغثيان بالغٌ مني مبلغاً فعيناي تتزالقان لا ماسكَ يمسك بهما ، تنتقلان من ركيزة معدنية لأُخـــرى والـــدولابُ بالاولاد تحت أجفاني يلفُّ ويلفُّ .. في تلك الاثناء بدا لي أنَّ الركيزة المعدنية النافذة في سقف أور استحوذتْ على بصيرتي ؛ ذلكم أنّي أرى الآن إبرامَ ابن تارح ابن ناحور يرقصُ وهو بَعدُ في الطريق الى بيت أبيه تارح . لقد برحَ مع أبيه وأُوميا بيتِ الالواح أبا ساراي قبل هُنيهـــة ، فاستأذن الأوميا بالذهاب الى بيت أَبيه أوّلاً يزفُّ الى أُمه البشرى ، ثم ينعطفُ بعد ذينكم الى بيت الالواح . على أنّه ما كان ليتريَّث حـــتى يدرك بيت أبيه فيرقصُ هناك أمام أُمِّه . انه يتواثب الان في الطريق .. أجل في الطريق .. يتواثبُ وهو يدور حول تارح أبيه والأوميا ؛ وهذان لايملكان سوى القهقهة واستذكار ما حدث في بيـــت ابي ســـاراي .. مثلما مطرٌ في صيف على حين غرَّة يأخذني ، ولدي إبرام أخذني – قال تارح ابن ناحور - فأني بأنليل أُقسِم ، وأنَّه لَقسمٌ عظيمٌ يا ايها الأوميا الجليل ،.. أُقسم على أنَّ أنليل ذاته في قلب الفتى إبرام كـــان .. وإلاّ كيف لإبرام كلُّ تينكم القولات تأتتْ ؟!. يا ابن ناحور ياتارح ايهـــا الجليل أنتَ – قال الأوميا – في نفسي كلَّ رمشةِ عين قولتي كانت أنَّ ذينكم البغل الحرون بيدَيه إبرام الفتى سيدعُّ والى خـــارج بيتـــه بـــه سيقذفُ .. كيف ذانكم لم يحصل ؟ - ويتوجَّه بالسؤال الى إبرام وما زالوا هم الثلاثةَ في الطريق يسيرون – أيها الفتى إبرام أيها الـــراقص الجَذِلُ أنتَ هلاّ عن رقصكَ أمسكتَ فسؤالي أجبتَ .. كيف ذانكـــم

البغلُ الى خارج بيته بك لم يقذف ؟ ؛ فإلى بيته دَلفنا وأنتَ غير الالـــه أنليل من آلهة ألواح سومر في قلبك لا تضعُ . لا أدري ايها الجليل لا أدري – قال إبرام دون أنْ يمسك عن رقصه – كما قولةُ تـــارح أبي ، الاله أنليل في قلبي كان لابد .. من هذا دعك أيها الجليل وياتارح أبي أنتَ ؛ من هذا دعكما فبالقولة إنطقا حتى عن الرقص أمسكَ : ساراي الجميلة من أهلها متى نأخذها ؟. لحيتُك بعدُ ما اخـــشوشنتْ – قـــال الأوميا – شعرُ لحيتك زَغَبٌ ياإبرام ، فساراي في بيتكم ماذا ستفعل؟. ماذا ستفعل ؟!- راح إبرام يُردِّد وقد أمسكَ عن التواثب والـــدوران حول الرجلين ، اذ وقفَ أمام الأوميا يغرزُ قبـــضتيه في خاصـــرتَيه – ساراي الجميلة في بيت تارح ابي ماذا ستفعل ؟!.. يا ايها الجليل ياأوميا بيت الالواح أنتَ ؛ وإنْ لحيتي زَغَباً شعرُها ما زال فكلُّه لم يخــشوشن بعد ، إلاّ أنَّ في قلبي رجلاً ساراي الجميلة ينشُدُ ، فامرأةً لي تكـــون ، فأبناءٌ لي منها يكونون ، فتارح ابن ناحور أبي جَدّاً لهم يغدو فيفـــرحُ وعنّي يرضى وأُمّي . ياأُمّي – أنا الصادق – قال إبرام وهو يقصُّ على أُمه ماحدث لهم ، هو وأبيه والأوميا ، منذ دخولهم الى بيت ابي ساراي وحتى عودتهم اليها ظافرين – شيخٌ في الطريق استوقفنا .. مَحنيَّ الظهر على عصا يتَّكيء ولحيتُه الارضَ تدركُ .. ماأنْ في أُذنه قولتي وقَعـــتْ حتى استوقفنا وعلى عَضِدي قبضَ ، فكأنَّ قبضتَه قبضةُ فتًى من أترابي .. ثم الي رأى فعيناه ليست مثل عيون الناس هي ياأُم .. عَنَتاً يلقى اذ أجفانُه تنفتحُ فشقّان ضيِّقان يظهران ولا لونَ لعينَيه كان .. إليَّ رأسَه رفعَ ومن ذينك الشقَّين إليَّ رأى .. فيَّ يحملقُ ويحملقُ يـــاأُم هـــو ، ثم صوتُه في أُذنَي تارح أبي وأُذنَي الأُوميا وأُذنَي ولدك إبرام وقعَ .. على الارض تربَّعْ ايها الفتى ، صرَخَ بي يأمرني ؛ فعلى الارض تربَّعتُ ياأُم ،

فعيناي تحت عينَيه صارتا .. تحت ذينك الشقَّين عيناي صـــارتا .. ثم يحملقُ ويحملقُ ويحملقُ وما بقولة نطَقَ ، ثم قبضتُه عن عضَدي رفعَهـــا والى شيخي تارح بما في صدره أفضى ، فقولتُه ياأُم أنَّ فتاكَ هذا إمرأتان إثنتان له تكونان : واحدةٌ من أُور سيأخذُها فلا إبناً له منها يكون حتى ظهرُه يَهِنُ ؛ والمرأةُ الثانية فمن الصحراء هي ومنها بِكْرُه يكون .. ياأُم أرتجفُ على الارض صرت ؛ ولمّا تحدَّثَ أيضا فلتارحَ أبي قولتُه أنْ سَبعاً في سومر ستنام وعيالُك ، فما تلتها لياليَ في غير ســـومر ســـتكون ، بالرِعدةِ أحسستُ كما لو انّي أُريدُ أنْ أبولَ حيث أتربَّع . هـــل أورَ عنيتَ ايها المبجَّل – قال تارح ابن ناحور – فسومر زَلّةً من لـــسانك كانت ؟. بل سومر التي تعرفها عنيتُ – قال شيخ الطريق – فعينَيك لا تُغمضْ حتى المرأة ، التي من أور هي ، لهذا الفتى تأخذها ..

وهنا انما نطَّ إبرام من تربيعته مُقاطعاً شيخَ الطريق بأنْ هـــوى على قدَمي تارح أبيه يلثمُها .. اليك أتوسلُ يا ابن ناحور يا شـــيخي تارح أنتَ .. عينَيك لا تُغمضْ حتى ساراي الجميلة نأخذُها من أبيهـــا الذي حروناً ما عادَ .. مُوقَّرٌ هو وابنته إيّاي أعطى ، وهذا المُبجَّلُ إلهُك القدير أنليل اليك بعثَهُ حتى عينيك لاتُغمض .. اليك أتوسَّل وأنتَ ايها الأُوميا الجليل – قال ذلكم وهو يلوي عُنقَه من فوق قدَمي أبيـــه الى الأُوميا . ولدي إبرام – قال تارح ابن ناحور – إمرأةً قومٌ من أبيها لا يأخذونها حتى سبعةُ أيّامٍ على قولة أبيها تنطوي .. الا ياإبرامُ فاعلمْ ، ثم عن قدَمي شيخك فانهضْ . ولكن يا شيخي تارح – قال إبرام وهـــو ينهض فيستوي واقفاً – هذا المبجَّل سبعاً أمهلنا وفي ماتليها ..

فقاطعه الأُوميا : يا ابن تارح إبرامُ ايها الفتى أنتَ ، على ذينك الأمر أُور كلُّها تعارفتْ . بل سومر بأسرها أيها الأوميـــا – أردفَ تـــارح

مُصحِّحاً – سومر بأسرها .

واذا بشيخ الطريق يرفع عصاه ، وظهرُهُ محنيٌّ لا يقوى على فَرده ، فينخسُ بها صدرَ الأُوميا ثم صدر تارح ابن ناحور وهو يزمجر : فتىً غِرٌّ قولتي قلبُه أدركها ، وانتما قلبا حمَارين في صدريكما لابد .. ألا الى جحيم العالم السفلي فليذهبْ ذانكم الذي أُور وسومر عليه تعارفتا .. ألا لعناتُ نَنّا وآبائه الآلهة العِظام في الذي أُور وسومرُ عليه قد تعارفتا فلتحلّ .. من رمشة العينِ هذه الى بيت المرأة تنقلبان فمن أبيها تأخذانها ، او هذا الفتى لايأخذها ما حيي .. ألا جَمْعُكم فليعلَمْ . وعافهم يدبُّ كأنَّه ينسلُّ من بينهم انسلالاً . ولهُنيهة ظلَّ الثلاثة ، بعده، مُطرقين .. حتى إبرام لم يَحْر بكلمة ، هو الذي كان يتوقَّع من نفسه أنْ ينقضَّ على أبيه تارح فيأخذُ بيده يلثُمها ويلثمها وهو يتوسَّل اليه ، فلا ينفكُّ عن ذينكم حتى يترل تارحُ عند توسلاته . الرجلُ خَرَفٌ في قلبه لابد – قال الأوميا – فماذا عساه أنْ يحدث ؟!. خَرَفٌ في قلبه او حكمةٌ في قلبه – قال تارح ابن ناحور – ابو ساراي ، ذانكم الرجل ، ساراي ابنتَه إيّانا لن يعطي حتى سبعةٌ على قولته تنطوي . يا ابن ناحور تارحُ شيخي أنتَ – قال إبرام – الى الموقَّر أبي ساراي ننقلبُ ، فيدَهُ ألثمُ وقدمَيه ، وقولتي له أنّي على سَفَرٍ .. أنا إبرام ابن تارح ابن ناحور ابن سروج ابن رعو على سَفَرٍ .. سبعةٌ قبل أنْ تنطوي أُسافرُ ، فلا أُسافر حتى امرأتي ساراي ابنتك ايها الموقَّر معي لابد .. تانكم هي قولتي الى الموقَّر ابي ساراي يا شيخي تارح ويا ايها الأُوميا الجليل انتما؛ فما عساها قولتكما تكون ؟. يا ايها الشيخ الجليل – قال الأوميا – إبرامُ هذا الفتى رجلاً غدا ففي قلبه حكمةٌ صارتْ .. عُذرُه أمامَه لسانُ الرجل ابي ساراي ينعقدُ ؛ فإلى بيت الرجل لِننقلبْ في رمشة العين هذه

يا ابن ناحور ياتارح أنتَ . عليَّ تمهَّلْ يا ايها الأوميا الجليـــل – قـــال تارح ابن ناحور – فماذا عساها للرجل قولتُنا إنْ ساراي ابنتَه هـــذا الفتى أخذها ثم الى السفر ما غدا ؟.. ماذا عساها قولتُنا ســـتكون ؟.. فإنْ بالكذب رمانا عند ذاك، ظالماً لنا لن يكون. يا شيخي – قال إبرام – بأرواح آبائك أستحلفك أنْ عند الذي رآه الأوميا الجليل تنزلَ ، ثم سَفَرٌ لي إلى نُفَّر يكون حيث بيتُ الاله القدير أنليل أُيِّمُ فـــبين يديـــه أتضرَّع . ذلكم هو .. ذلكم هو – هتف الأوميا قاطعاً الطريق علـــى تارح ابن ناحور الذي راح يُغمغُم ولكنْ الاله أنليل بيتُه في السماء – كلامٌ على لسانك يا ابن ناحور ما تبقّى ، فإلى بيت الرجل أبي ساراي فلننقلبْ (وتأبَّطَ ذراعَه وانفتلَ به صوبَ الوِجهة التي قَدِموا منـــها ، وإبرامُ وراءهما يتواثب يكادُ يطيرُ جَذَلاً ، كما أخبر أُمَّه بعد ذينكم) . يأُم – قال إبرام – ساراي بنفسها البابَ فتحته اذ تارح أبي طرَقَهُ .. وجهها مثل الصُبح كان وعيناها وشعرُها مثل الليل كانت وأســـنانُها حين فمَها فتحتْ مثل لؤلؤ البحر العظيم هي .. بكلمة لسانُها ما نطقَ إلاّ أنّها ضحكتْ فأسنانَها رأيتُ .. ثم على فمها يَدها وضعتْ ، والى جوف بيت أبيها انطلقتْ .. وكما قولةُ الأوميا الجليل ، لسانُ الرجل الموقَّر أبي ساراي إنعقدَ بعد أنْ في أُذنه عُذري وقَعَ .. إبرام ايها الفتى ، قال لي ابو ساراي ، الرجلُ إنْ على سَفَرِ هو ، إمرأتُه معه تكون لابد ؛ وهذا ما سومر بأسرها عليه قد تعارفت .. فابنتي عنك لن أمسك حتى سبعةٌ على قولتي تنطوي .. لا .. هذا لن يكون .. ثلاثةٌ حَسْب تنطوي فتأتي أنتَ وأُمُّك ، من بيتها تأخذها .. الأمرُ قُـــضي .. ألا آلْ بـــيتي فليعلموا .. يأُم في رمشة العين تينك على يده هويتُ ولثمتُها مـــرَّات عَشراً .. يأُم أحلى ثيابك تلبسين ، فمعي الى بيت ساراي تأتين ، فمنْ

حُضن أبيها الموقَّر نأخذها . إبرام ولدي – قالــت أُمــه – فَــرَحٌ لا يستخفَّنك فأنتَ الان رجلٌ ، وإنْ لحيتُك نصفُ شعرِها زَغَباً ما بـــرحَ فكما الرجال يفعلون ولدي إبرام يفعلُ .. ألا قــولتي هـــذه قلبُـــك فليدرك.

فلما انطوتْ أيامٌ ثلاثة على قولة الرضا التي نطقَ بهـــا ابـــو ساراي ، تزيّا إبرامُ بزيٍّ حَسنٍ وبأطيب طِيبٍ تطيَّبَ ، ثم خلف أُمــه سارَ ييمِّمان بيتَ العروس . وعلى يمين إبرام وعلى شماله وخلفه ســـار الاولاد ، أبناء بيت الالواح .. وكان الوقت عصراً . لقد أعلن الأوميا على رؤوسهم ، صباح ذينكم اليوم ، أنَّ أخاهم إبرام ابن تارح ذاهبٌ اليومَ بأُمِّه يأتي بعروسه من بيت أبيها . فما كان منـــهم جميعـــاً إلاّ أنْ أرجعوا الالواحَ الى الرفوف وطفقوا يرقصون حـــول إبـــرام ومعـــه يتمازحون .. ثم استأذنوا الأُوميا بأنْ يحملوا إبرامَ الى بيت تارح أبيـــه حتى يغتسلَ ويتطيَّب وهُم معه ؛ وعليـــه أحلـــى رداءٍ يـــضعون ، ثم يكتنفونه اذ خلفَ أُمه يسيرُ . فترل الأُوميا عن مشيئتهم ؛ وعِجْلاً لهم نحرَ ؛ ثم قولتُه لهم كانت انهم سيأكلون اللحم والثريد حـــين يـــأتون بساراي ورَجُلها إبرام الى بيت تارح ابن ناحور . ولقد أتـــوا فعـــلاً بساراي تمتطي حصاناً أشهبَ ، وإبرام يمسك برسَنه يجرُّه وراءه وهـــو راجلٌ يمضي . الحصان يسير الهوينا وخلفَهُ حمارٌ ، عليه متاعُ ساراي ، يدرجُ بمقدار لئلا يسبق العروسَ ورجُلَها . كان الاولاد ، أبناء بيـــت الالواح ؛ يحتوشون الموكبَ بأكمله إلاّ أُم إبرام التي كانـــت تتقـــدم الجميع وهي تنشدُ متغنِّيةً بخصال ولدها وبجمال عرُوسه . وفعلاً كانت ساراي وهي تعتلي صهوة ذينكم الاشهب ، سافرةً عن وجـــه كمـــا الصُبح وعينين كما الليل وشعرٍ أدعجَ مُرسَلٍ على ظهرها ؛ ولِفـــرط

طوله إنسفحتْ خصلاتُه على رَدف الحصان .. تماماً كما وصفها إبرامُ لأُمّه ، باستثناء أسنانها التي لم تكشف عنها ، اذ لم تفتح فمها قَطّ حتى بلغتْ بيت تارح ابن ناحور . وعن الحصان ، تقول أُمِّ إبرام بــأنَّ لا رجُلَها يملكُ حصاناً ولا الرجل ابو ساراي يملكُ ؛ غير أنَّ أوميا بيــت الالواح أبي إلاّ أنْ يُدبِّر ذينكم الأشهبَ ، فساراي ليست من بنــات سومر بأقلِّ شأناً .. كما قولتُه . واذ بلغوا دارَ تارح ابن ناحور ألفــوا هذا يدبك مُعلياً عصاه أعلى من رأسه يُرقِّصُها ؛ وكان طلاها بزيــتٍ فهي تتبارق تحت ضوء شمس العَصر . يا ابن تارح إبرامُ ايها الفــتى – قال تارح ابن ناحور – عروسَك من على ظهــر الحــصان أنــزِلْ .. بالحصان ترفَّقْ بُنَي لئلا يجمَحَ .. على رقَبته وناصيَته إربتْ أولاً ؛ فإنْ لكَ تطامنَ وبعينه إليك رأى ، بيد عروسك خُذْ والى الارض أنزِلْها . مثلما قولتك هي سأفعلُ .. ولكن ياتارح أبي هلاّ بعينيك الى يمينــك رأيتَ . ها أنا الى يميني أرى – قال تارح ابن ناحور – فأولاد بيــت الالواح صَحبَك أرى . أبتي تارح الى ما وراء الاولاد بعينيك فلتقذفْ. وهاأنذا بعينَيّ الى ماوراء الاولاد قذفتُ يا ابن تارح يا ايها الفتى أَنت ، فلا أحدَ أرى غير الاولاد صحبك أرى . بل ترى وترى .. يــا ابــن ناحور تارح ابي أنتَ ؛ عينيكَ على وِسْعهما إفتحْ والى شكِّين الفتى ابن ذينك الرجل هابي بهما إقذفْ .. فبعَين الشرِّ إيّاي يرمقُ . انه هو انه هو – قال تارح ابن ناحور – وحقِّ آبائك هو ؛ وبعين الشرِّ إيّاك بُنَي إبرامُ يرمقُ . ايها الجليل – صرخ تارح ابن ناحور ينادي على الأوميا الذي كان يقف الى يسار باب دار تارح ابن ناحور يتولّى أمرَ الطعام الذي كان يَعدُّه ، في قدور فخارية كبيرة ، رجالٌ انتقاهم هو بنفسه – هلاّ منّي دنوتَ ياأوميا بيتِ الالواح أنتَ . ماذا وراءك يا ابن ناحور يا مَنْ

جَدّاً سيكون ؟-قال الأوميا وقد انتهى واقفاً بين إبرام وأبيه – لمــاذا ساراي العروسَ إبرامُ الى بيتك لايحملها ؟.. ماذ ينتظر ؟. فاذا ماأظهرَه تارح على أمر الفتى شكِّين ابن هابي وعلى الشرِّ الذي كان يرمقُ بـــه إبرام ، قال الأوميا : عروسَك عن ظهر الحصان أنزِلْ بُنَي إبرام ، وانا بأمر الفتى شكِّين كفيلٌ . ثم بينما جعل إبرام يتودَّد الى الحصان فيربتُ على رقبته وناصيته ، رفع الأوميا صوته يدعو كلَّ مَـــنْ في موكـــب العرس ، أولاء الذين بابرام وعروسه يحفُّون ، الى صِحاف الثريد ولحم العجل المسلوق ، بعد أنْ يُنزل إبرامُ العروسَ وبها الى بيت أبيه يدخل . ويا ابن هابي شكِّين ايها الفتى أنتَ – أضاف الأوميا – علـــى الاولاد تقدَّمْ فصُحفةَ ثريدٍ ولحمٍ لك وأُخرى لشيخك هابي خُذْ . ليس في أُور شيخي ، وأنتَ تعلَمُ ، وأنا الى الثريد ما قدمتُ – قال شكِّين رافعـــاً صوتَه ما وسعَه ، فهو بَعدُ وراءَ الاولاد يقفُ – إنْ هي إلاَّ قولةٌ علـــى لساني بها أنطقُ فأنصرفُ .. ساراي امرأةً لفتاكم لن تكـــونَ قبـــل أنْ مليكنا الأعظم يعلمُ بأنَّ هذا الفتى وشيخَه إليه يريان ، فهو من مَلَـــك نُفَّر أقلُّ شأناً؛ كما أنَّ إلَهه نَنّا بالعبادة غير جدير ومعبَدهُ باطلٌ فهو الى زوالٍ لابد . ثم لم يتلبَّث شكِّين ، بعد الذي فاهَ به ، رمشةَ عينٍ واحدة اذ انطلقَ يعدو الى الطريق التي تحمل سالكها الى قصر مَلك أُور . تقول أُم إبرام أنَّ فتاها إبرام كان كسب وِدَّ الحصان ، فأنزل ساراي من على ظهره قبل ان يتفوَّه الفتى ابن هابي بقولته ؛ وإلاّ فأنها لاتدري ماذا كان سيحدث لو انَّ العروسَ تأخَّر هبوطُها الى الارض .. فلا أقلَّ مـــن أنْ يجمحَ بها ذانكم الاشهبَ وهو يرى الى مَنْ يمسك برسَـــنه يستـــشيطُ غَضَباً. يا أُم – قال إبرام – ساراي بيدك خُذي وبها الى بيتك ادخلي ، وأني بكما لملتَحقٌ ؛ فشأنٌ للرجال هو ، علينا تدبُّره . واذا ما لبَّت أُم

إبرام فأخذتْ بيد ساراي الى غرفة عرسها ، دَنَتْ رؤوس تارح ابـــن ناحور والأوميا وإبرام من بعضها البعض وصاروا يتهامسون .. علـــى حين لم يتبقَّ للاولاد إلاّ أنْ يتسابقوا الى صِحاف الطعام ؛ وقد فعلوا . فعلى الرغم من أنَّهم سمعوا قولة ذينكم الفَتى الغريب بما انطوت عليه من تدبير ، ورؤيتهم الى العروس تدخلُ مع أُم إبرام لاإبرام نفـــسه الى بيت تارح ابن ناحور ، فأنهم آثروا أنْ يلبّوا للأُوميا دعوتَه لهـــم مـــن جديد الى أنْ ينقلبوا الى حيث الثريد ولحم العِجل الذي كانت رائحةُ دَسِمه يعبقُ بها المكان . أجادٌّ في ماتوعَّد ذانكم الفَتى ؟ - همس تارح ابن ناحَور متسائلا . كلُّ الجِدِّ ايها الجليل – ردَّ الأوميا هامساً – فإنْ للعين بشيءٍ آخر غير الدمع تفور ، عينا ذينك الفتى بالغِلِّ كانتا تفـــوران ؛ وأخشى انك يا ابن ناحور يا ايها الجليل ذينَك الغِلَّ لم ترَ . أبهِ ألحـــقُ فعن الشرِّ أُقعدُه ؟ - قال إبرام بصوت خفيضٍ . فَما فعلُك بُنَي إبرام ؟ -سأله ابوه تارح . به أُمُّه أُثكِلُ – ردَّ إبـــرامٍ دون أن يعبـــأ بخفـــض صوته– ذانكم هو فِعلي ياتارح أبي أنتَ . إخرَسْ – صرخ تارح ابـــن ناحور – او أُمك بك تُثكَلُ . عرس في بيتك هذه الليلة لايكون – قال الأوميا – فيا ايها الجليل ياتارح أنتَ ؛ مَلِكُ أُور ليلتَه هذه لن ينامَ حتى بكما ، أنتَ وابنك إبرام، يظفرُ . فأين العرسُ يكون – سأل تارح ابن ناحور – إنْ في بيتي أنا لايكون ؟!. حيث يبلغ بكما الحصان والحمار وبالمرأتين العرسُ يكون – ردَّ الأوميا – فمن رمشة العين هذه الى بيتك يا ابن ناحور بولدك تدخل ، فامرأتك متاعاً خَفَّ حَملُه تحزِمُ ؛ فاذا ما المُطعَمون عن بيتك انصرفوا والليلُ تطوّى ، بيتَك برحتَ وعيالُـــك ، فالصبحُ على أثرٍ لكم لا يعثرُ . فالى نُفَّر نُيمِّمُ – هتفَ إبرام وهو يحرص على خفض صوته – حيث الاله القدير أنليل معبدُه وعُبّاده . إيّـــاك

وإيّاكم – انتهرَهُ الأوميا – أنْ طريقَ نُفَّر تركبوا ؛ فأول طريقٍ رجالُ الملك سيركبون في إثركم طريقَ نُفَّر هو .. اذ مايـــسر علـــيهم أنْ الى ذينكم الطريق يهتدون وانتم لا اله في قلوبكم غير الاله أنليــــل .. الى غير بيت الاله أنليل سييمِّمون ؟.. تانكم هي قولةُ رجال الملك اذن ، وهم في تينكم الحِسَبة لصادقون . ثم لم يلبث أوميا بيت الالـــواح أنْ يردفَ بعد أنْ غلَب الصمتُ تارحَ وإبرامَ ولده : فمتى ما قرارٌ لكم قَرَّ إليَّ تبعثون ، فبما تبقّى من متِاعكم على حمير اليكم أبعث .. ألا انهـــا الحكمةُ يا ايها الشيخ ويا ايها الفتى ، فلمشيئة الحكمة تذعنان لابد .

وهكذا كان . فقد دخل تارح ابن ناحور بولده إبرام بيتــه ، والأوميا على الباب ماكثٌ يُطعِمُ أبناء بيت الالواح وآخرين ، ما كانوا في موكب العرس ، جذبتهم رائحةُ الدَسم . ثم راحت الظُلمة تنثـــالُ نُدُفاً على المُطعَمين ؛ فما تخلَّف منهم أحدٌ بعد ذينكم ، على الرغم من ظهور مشعل حَمَلَه احد الطهاة ووقف به الى جانب الأوميا . اخذ هذا المشعلَ من حامله ونَفَحهُ هو والطهاة الثلاثة الآخرين أجرهم وصرَفَهم؛ عند ذاك طرق الأوميا الباب على اهل بيت تارح ابن ناحور . رجال الملك في الطريق اليكم الا ن لابد – صاح الأوميا عبرَ الباب الذي لم يُفتَح بَعدُ – هيّا لا مُتَّسع لأعينكم حتى تطرف . ثم حقّاً انفتح البـــاب عن إبرام يسرعُ بحمْل صُررٍ فيطرحها على ظهر الحصان أولا ، تتبعـــه ساراي ولّما تزل بزيِّ عُرسها وزينتها، يفوحُ منها طيبُها . لقد ألقَـــت وراء ظهرها كونَها عروساً لم يحتوِها فراشُها ولا لرمشة عينٍ واحـــدة ، فها هي تحملُ على كتفِها صُرّتَين كبيرتين مربوطتين الى بعضهما برابطٍ. التفت اليها رجلُها إبرام فخفَّفَ عنها ، اذ مالبث أنْ طوَّح بالـــصُرَّتَين على ظهر الحمار. ثم ظهرت أُم إبرام تحمل قدوراً صغيرةً يـــستوعب

الاكبر منها الأصغر ؛ فما عدمتْ وسيلةً في أنْ تجد لها على ظهر الحمار مكاناً . وتَتَابعَ ، بعد ذينكم ظهور العروسين يسابقان فُسحةَ الوقت التي كانت تضيق أمامها ، والأُوميا يصيح يستعجلُهم جميعاً . وبعد أنْ ضاق ظَهرا الحصان والحمار بالمِتاع ، خرج أهل بيت تارح ابن ناحور مرَّةً واحدة وأوصدوا الباب وراءهم . كان إبرام يحملُ على ظهره زُوّادةً كبيرة ، وزُوّادة أصغر منها حجماً كانت على ظهر أبيه تارح . يا ابن ناحور ياتارح أنتَ ؛ -قال الأوميا – ماالذي تنوءان بحمله أنتَ والفتى إبرام ؟ . يا ايها الجليل ياأُوميا بيت الالواح أنتَ ؛ - قال تارح ابن ناحور – تانكم هي ألواح سومر ، إبرام ولدي من جديد بيده نسخها وفي خزانتي حفظتُها ؛ فلا إله فيها غير الاله القدير أنليل .. بها إبرام يكون وبها ابناؤه من بعده يكونون . ألا جُنْحَك أنليلُ عليهم فلتبسطْ – هتف الأوميا يتضرَّعُ – وعنهم أعينَ رجال مَلك أُور أشِحْ، فأنتَ القديرُ . ثم اخذ تارح ابن ناحور الى حضنه ، والى حضنه إبرام الفتى أخذَ ايضا . بعد ذاك أمسك تارح برِسَن الحصان وسار يجرُّه وراءه فيتقدمان الجميع ، اذ تبع الحمارُ الحصانَ ، وعلى جانبَي الحمار أُم إبرام وساراي سارتا ، بينما تخلَّف إبرام وراء الجَمْع يحدوهُ . وماأسرعَماابتلعهم ظلامُ الطريق . كان الأوميا قد مرَّغَ رأس المِشعل بالتراب ، بعد أنْ فرَغَ من احتضان تارح وولده ، فغطس في الظلام هو الآخر .. حتى انهم ماعادوا يرون له أثراً بعد أنْ ابتعد موكبُهم عنه قليلاً . كذلكم أكَّدتْ أُم إبرام ، كما أكَّدت على أنَّ تارح ابن ناحور، وبعد أنْ برحوا أُورَ بكاملها وركبوا طريقاً غير الطريق التي تحمل الى نُفَّر ، أعلا صوتَه يطلبُ ولدَه إبرام أنْ يتقدم فيُحاذيه . فاذا ما لبّى إبرام، قال له تارح دون أنْ يتوقف : خرَفٌ ليس في قلب ذينكم

الشيخ اذن ، فما بشيء نطقَ غير الحقِّ .. بعد ثلاثة من أُور خرجنـــا وبعد أربعةٍ من سومر بأسرها نخرجُ .. ألا أنّه الصادقُ وما من خَـــرَفٍ في قلبه وأرواحِ آبائك . يا ابن ناحور ياتارحُ شيخي أنـــتَ ؛ ألا انـــه الصادقُ ، فها نحن السُراةُ بعد ثلاثة .. ولكنْ ثمة قولةٌ اخـــرى علـــى لسانك شيخي ، تكادُ في أُذني تقعُ . اجل وحقِّ آبائك – ردَّ تارح ابن ناحور – قولةٌ هي من ذينكم الشيخ سمعتَها أنتَ ايضا .. (تقـــولُ أُم إبرام أنَّ شيخها أخفضَ من صوته وهو يُكمل قولتَه ، إلاّ أنَّ هدأة الليل الرخيِّة التي كانت تحتويهم وهم يَسْرون كانت تجعل حتى من الهمـــس مسموعاً).. فإنْ الصدقُ قولتَه الاخرى حالفَ ، فامرأةً من الصحراء أخذتَ غير ساراي فِبكرُك منها كان ، عليكَ اذن بُنَي أنْ الالواح التي نحملها من جديد تنسخُ .. متى قرارٌ لنا قرَّ كلَّ الالواح الـــتي علـــى ظهرَينا من جديد بُني تنسخُها .. بيدك هذه تنسخُها وللمرأة التي من الصحراء تأخذها تعطي ، ثم قولتُك لها أنْ تانك الالواحُ وديعتي عندَكِ لبكري هي ، متى شَبَّ إيّاها في خزانته يحفظُ ، فإلى أبنائه إبناً بعد إبنٍ تكون هي .. ثم قبل ذينكم بُنَي ، إذ قرارٌ لنا يقرُّ فعِرسٌ لـــك علـــى ساراي يكون ، ذات القولة قولتُك لساراي إمرأتك لسانُك ينطقُ بها .. وديعةٌ هي لك عندها الى إبنها الذي في حضنها بعد عُمرٍ مديد يكون .. تانكم الالواح مثلما مَهْراً لها كانت ، وديعةً عندها الى إبنها تكون ، ثم الى أبنائه من بعدِه إبناً بعد إبن .. ألا بُنَي إبرام فاعلمْ .. ألا بُنَي إبرام ايها الرجل أنتَ فاعلمْ ، ولتدبيري فاصدَعْ .

ثم .. أعني قبل ذلك بقرون وقرون ؛ واذ عيناي ؛ في تُنقّلهما الدائب بين ركيزَتي الدولاب اللافِّ دون انقطاع ، تمسكان بالركيزة المعدنية النافذة في سقف مدينة ليلَوم ؛ والليلُ ذات الليل الذي كـــان

قومُ ابن ناحور سُراتَهُ ، متطوِّيِّ الظلمةِ يخنقُ الأنفاسَ ، انطلق ليلَوم ابن إيناكلي يَدرجُ في طُرقات مدينته ومعه مِيسْلِم ابن شيش وشـوكليتو وبوزو ابن سين . كان ميسْلِم ابن شيش ، متحاملاً على وَهْنه ، يجـرُّ ساقَيه جرّاً كيما يلحقُ بليلَوم الملك وحاجبه وقائد حُرّاس مملكته . بيتاً بيتاً كان ليلَوم يقفُ على أبوابها ، يطرقُها ويطرقُها حتى يخرجُ اليه مَنْ يُلبِّي . عند ذاك يبتدرُهُ : أجل مليكُك أمامَك لا غيرَه ، ومعه آلُ المعبد ابن شيش كلمةُ الاله الكبير آنْ على لسانه .. أعراضَـكم صـونوا وأرضَكم فالشرُّ الليلَ اليكم راكبٌ ، ومن جِرسونن قَدِمَ .. خَوّانٌ أهله بأموال سيده الذي لاأبَ له نفوساً من أهلنا اشترى ؛ فثُلّـة مـنكم نفوسُها أبَتْ ، فبرضى الاله آن حظَيتْ .. ألا ماأسعدَ الذي من هـذه الثلة يكون ؛ أَفَلا تكون ؟؟. ثم يبرح هذا البيت الى البيت الذي يجاورُه وهو يختتم قولتَه بالكلمات ذاتها : ألا ما أسعدَ الذي من هـذه الثلـة يكون أَفلا تكون ؟. أمّا مِيسْلِم ابن شيش ، فما كان يكتفـي بـالنَوْد برأسه تحت ضوء المِشعل الذي يحمله شوكليتو .. لا .. ما كان ليكتفي بالنَوْد ، مُؤمِّنا للرجل على مايقوله ليلَوم المَلك ، وانما كان يُردِّد قولتَه بعينها واللِّهاث آخذٌ به : رُمحَك إحملْ ومِديَتك وللباطل إنبرِ ، قلـبَ إلهكَ آنْ تُسعدُ فعنك يرضى وعيالك .

واذ يمضي المَلك قُدُماً ، فتنكشف بيوت مدينته لحُجَّته ، كان بوزو ابن سين يصيح بين حين وآخر فيوقظُ صوتُه حتى النيـام مـن الناس: الذي منكم للباطل ينبري ، بي فليلتحقْ ، فمع جَمْع العظـيم مليكنا ليلَوم ابن إيناكلي يسيرُ . حتى كاد يبحُّ صوتُه ؛ بل بُحَّ صـوته حقّاً حين أوشك الملك على أنْ يفرغ من إلقاء حُجَّته على كلِّ بيـوت مدينته . ساعتئذ كان الفجر قد شقشقَ ، فألقى شوكليتو بالمِشعل على

الأرض .. هل ألقى شوكليتو بالمِشعل على الأرض لانتفاء الحاجة اليه ، أم تراه أفلته فهوىَ من يده الى الارض دون أنْ يتنبّـه الى ذلكـم ؟ . شوكليتو لا يقطع بجواب . إنَّ الجواب الذي كان بوسعه أنْ يقطعَ به هو أنَّ الطُرقات كانت ملأى بغَبَش الفجر ، وأنَّ الغبشَ لينقشعُ شيئاً فشيئاً عن وجوه كالحة أضناها الإحباطُ . شوكليتو لا يتحـدث عـن وجهه هو ، وانما عن وجوه الثلاثة الذين معه يتحدّثُ .. وجه الملـك ليلَوم ابن إيناكلي هو ذاتُه وجه الشيخ مِيسْلِم ابن شيش هو ذاتُه وجهُ بوزو ابن سين .. كُلُّها وجهٌ واحد لا سيماء له غير الكلاحة . أمّا هو ، شوكليتو، فالكلاحةُ على وجهه لايراها بعينه بل بقلبه يستـشعرُها اذ يستشعرُ الاحباطَ . أجلَ وجوهُهم هُم الاربعة كانت تنزُّ إحباطاً وهم يرون الى عديد الذين التحقوا بجَمْع ليلَوم الملك لا يتعـدّى اصـابعَ اليدين. فالتفتَ الملك الى شوكليتو .. انفرجت شفتاه ، فلم تتقطَّـع خيوطُ اللعاب المتيبِّسة التي تتشابك عند زاويتي فمه . التفتَ الى الشيخ ابن شيش ؛ وحاول من جديد اذ انفرجتْ شفتاه إلاّ أنَّ فِرجَتَهمـا لم تنبجس عنها أية كلمة ، ولم تتقطَّع خيوطُ اللعاب عند زاويتَي فمه . ثم وجد نفسه ينفتلُ الى ورائه .. الى بوزو ابن سين ؛ عند ذاك ولّما تشبَّثت خيوطُ اللعاب الجاف ببعضها بعضاً ، فما سمعُ أحدٌ منه كلمةً واحدةً ، إنكفأ دَفْقُ الكلمات المحتشدة على لسانه الى صدرِه وطفقَ ينتحبُ كأنّه يعوي ، وهو يتهالك الى الارض متكوِّراً على نفسه .

يقول شوكليتو أنَّ الشيخ ابن شيش انخرط في نوبة سـعال ، وأنَّ آخر صوت سمعه منه هو صوتُ شهيقٍ منقوع بالبلغم .. بعد ذاك انشغلَ عنه بالملك الذي ما كان رآه على تينكم الحال قَـطّ . فلقـد اندفع نحوه وقرفَص أمامه ، وكذلكم ابن سين فعلَ ؛ ثم جعلا يتوسّلان

اليه أنْ يهدأ .. فذاك هو ابن سين يقول : لا بشرَ في سومر بأسرها ، يا عظيمنا هذا البكاءَ يستحقُّ . فيثني شوكليتو على قولة ابن سين ويزيد .. مَنْ نفسه باعَ يا ايها العظيم ومَنْ عن الذود عن عرضه قعدَ وأرضه، دمعُك منه أعزُّ وأغلى . وكان الرجال الذين انتصروا لليلَوم الملك فلبّوا نداءَه واقفين ، متلبِّثين ، غير بعيد عمّا يحدث ، عديدُهم لايتجاوز أصابع اليدَين . فما كان منهم إلاّ أنْ راحوا يتدنَّون من مليكهم المتكوِّر على نفسه ومن حاجبه وقائد حُرّاسه المقرفصين عنده ، حتى باتوا يُكلكلون على الثلاثة . انهم لايملكون مايضيفونه على قولتَي ابن سين وشوكليتو .. عيونُهم تطرفُ وتطرفُ حَسْب ، فلا يزيدون . أربعةٌ منهم وجدوا أنفسهم يقرفصون خلفَ ليلَوم الملك ، الذي ماانفكَّ بكاؤه يهزُّه ، ونحيبُه يضارعُ العواءَ .. قرفصوا هناك ، فكأنَّهم شاءوا أنْ يُتمّوا حَلقةَ العزاء حول ذينكم المثكول .. على أنَّ صحبَهم الاخرين ، أولاء الذين ما زالوا واقفين ، ما لبث أنْ ارتفعَ صوتٌ من وسطهم .. يا مَنْ لاأعظمَ منه في سومر بأسرها .. يا ابن الحكيم إيناكلي ياكبيرنا ومليكنا يا ايها الحكيم ليلَوم أنتَ ؛ الحكيمُ إذْ يختصمُ فمن أجل قولةٍ تسود يختصمُ ، لا من اجل مُلْك يدومُ .. (رفعَ الجميع ، ومنهم شوكليتو ، رؤوسَهم الى المتحدث ، إلاَّ ليلَوم الملك الذي وإنْ خَفَّتْ وطأة نحيبه إلاّ أنّه ظلَّ مُطاطيء الرأس .. فإذا بالرجل المتحدث ، كما يصفُه شوكليتو ، قصيرُ القامة ضئيل البنية).. وقولتُك يا ايها الحكيم لنا هي أنْ للباطل ننبري حتى الحقُّ فينا يكون .. فإنْ الحقُّ كان فنُعمى هي بها نَرفلُ ، وإنْ لم يكنْ .. وإنْ الحقُّ فينا لم يكنْ ، فنُعمانا ساعتئذ أنّنا للباطل إنبرَينا وعن نُصرة الحقِّ لم نقعد ، فقولةُ الحكيم سادتْ .. ذانكم هو الأمرُ فلا أمرَ غيره .. فياحكيمنا وكبيرنا ومليكنا،

وإنْ عديدُنا نَزْرٌ بنا بوجه الباطل إقذفْ ، تسودُ قولتُك فأنتَ الأعلى تكون .. ولا بعَضدك يفتُّ أنّنا جميعاً سنُقتلُ ؛ فحياةٌ هي ، ميتةٌ من أجل قولةِ حكيمٍ تسودُ .

هنا انما تلاشى صوتُ النحيب تماماً ، وعلا رأس ليلَوم الملك فوجهُه وضّاءً كان ، وقد تحلّل غَبَشُ الفجر . لا غروَ أنَّ وجهَه متورِّمٌ، إلاّ انه بدا كأنَّ الدمعَ قد غسله . ثم في رمشة عين واحدة وثبَ من تكوِّمه على الارض .. وثبَ يلتقط ضئيلَ البُنية ، ذينكم ، من بين صَحبِه فيضمُّه الى صدره .. الأعلى أنا وأنا مثلُك معي .. (وفتلَ عنقَه نحو بوزو ابن سين الذي كان نهض من قرفصته هو الآخر ، ومعه نهض شوكليتو).. يا ابن سين ياقائد حُرّاس المملكة أنتَ ؛ الذين نفوسَهم صانوا من رجالك كم عديدُهم ؟. ثم في الحال أردف : لايا ابن سين .. لا .. جواباً لاأريدُ .. فحتى لو انَّ رجلاً واحداً عديدُهم فذانكم يكفي .. يا ابن سين ..(ورفعَ ذراعَيه عن الرجل ضئيل البنية ، ووضعهما على عَضدَي بوزو ابن سين).. وإنْ كان رجلاً واحداً إليَّ به يا ابن سين .. إليَّ به ..

.. يا عظيمنا بل هم الثلاثمائةَ يناهزون .. من رجالي الذين الالفين فاقَ عديدُهم ، ثلاثمائةٌ منهم عطايا ابن آينمر ما تلقّفوا .

.. إليّ بهؤلاء الذين أنفسَهم صانوا اذن .. ففي معبد الاله آنْ نلتقي ، فعلى رؤوسنا جميعاً كلاماً للاله آنْ آلْ المعبد شيخُنا ابن شيش ينشرُ ، قبل أنْ الى تخوم المملكة نُيمِّم ، فبوجه باطل جِرسونن ننقذفُ . والتفت الى ميسْلم ابن شيش ورفع صوتَه ، اذ كان هذا واقفاً غير قريب من موقف ليلَوم الملك وجَمْعه ، .. يا شيخي المُبجَّل .. هذا النجيبُ قولتُه في أُذنك وقعتْ لابد .. بوجه الباطل مُنقذفون نحن وإنْ عديدُنا ضَؤلَ

.. فعلى رؤوسنا من كلام الاله الكبير آنْ إنثرْ ، فقلوبَنا تَسندُ .

مِيسْلِم ابن شيش واقفٌ يتَّكيء بكلتا يَديه على عصاه .. بل قابضٌ هو بكلتا يديه على أعلى العصا كما لو انَّه يعتصرُها ، ورأسُه متهدِّلٌ كأنَّه مُطرِقٌ يفكِّر فيتأمَّلُ الذي سمِعَه ويسمعُه. لحيتُه مُرسلةُ الخصلات مُنسرحةٌ الان على صدره ، وضوءُ الفجر الغضِّ ينسفحُ عليها . مِيسْلِم ابن شيش لم يَحرْ جواباً .

.. شيخي مِيسْلِم ابن شيش ايها الجليل أنتَ ؛ اليك قولتي هي ، لا الى غيرك قولتي ؛ مِيسْلِم ابن شيش يعتصرُ رأسَ عصاه دون أنْ ينبسَ بأيما كلمة . فراح لِيلَوم الملك يتمتم كأنّه يُكلِّم نفسه : في فراشك شيخي كان ينبغي لك ان تكون ، لا في الطريق واقفاً والشمسُ وراء أُفقِها ما برَحتْ ..(وتوجَّه بالكلام الى شوكليتو) .. على عصاه شيخُك نائمٌ ، هلاّ الى المعبد إيّاه حَملتَه ، ففي فراشِه طرحتَ .. عَنَتاً شيخي لاقى ، وما مشيئتي تانكم كانت .

خطا شوكليتو نحو مِيسْلِم ؛ واذ بلغه .. شيخي الجليل الى فراشك اياك سأحملُ .. يدك إيّاي إعطِ .. ومدَّ هو يدَهُ الى ساعد الشيخ يمسكُ به ، متوقِّعاً ، كما يقولُ ، أنْ ينتبه من نومته فلا يُفجأُ بعد ذينكم وهو يحمله على ظهره ، إلاّ انه ما أنْ مسَّت كفُّه ساعدَ ابن شيش حتى هوى هذا الى الارض دون أنْ ينثني له مفِصلٌ .. قطعةً واحدةً هوى ، كأنَّه عمودُ خشبٍ أُطيح به . فصرخ لِيلَوم الملك وهو على تينكم المَبعدة : شيخي ابن شيش . ثم وجد نفسه يعدو نحوه . فما تأخَّر ابن سِين عن مليكه ، فطفقَ يسابقُه ، حتى انه اجتازه دون أنْ يعبأ بحقيقة أنّه انما تقدَّم على مَلك مملكته . اندفعا يعدوان على ذينكم النحو الى مِيسْلِم ابن شيش المُنطرِح على الارض، دون حراك ، بينما كان

شوكليتو مُنحنياً عليه يهزُّ جسدَه ويصرخ في وجهه متوسِّلا اليـه أنْ ينهض .

ابن شيش لم ينهض ، كما أنَّ الشمسَ ما كانت نهضتْ بَعـدُ من وراء أُفق شروقها .. حُمرةٌ أقل من خفيفة ، حَـسْب ، كانـت تُخضِّبُ حافةَ السماء . في تينكم الأثناء كان المزارعون ، من بين الناس بخاصة ، قد بدأوا يخرجون من بيوتهم ، فإلى مزارعهم خـارجَ سـور المدينة يقصدون . واذا ببعضٍ منهم يتَّفقُ مرورُهم بجَمْع ليلَوم الملك : الملك وحاجبه وقائد حُرّاس مملكته ورجل ضئيل البنية جاثون حـول جَسد مُسجًّى ، ورجال آخرون واقفون حول هؤلاء بين راكعٍ وعاقدٍ ذراعَيه على صدره مُطرقٍ ودافنٍ وجهَه بين كفَّيه ينتحبُ . فما مَلـكَ المزارعون إلاّ أنْ التحقوا بهذا الجَمْع وألقوا ما بأيديهم مـن فـؤوس وصُرَر طعامٍ وغير ذينكم ممّا يحملون وعقدوا أذرعهم على صـدورهم وأطرقوا حُزناً ، وقد عرفوا بالشيخ المسجى آلْ المعبد مِيسْلِم ابـن شيش.

فاذا ما حانت من ليلَوم الملك انتباهةٌ الى وجـودهم حـول رجاله سألهم وهو جاثٍ ، بصوتٍ حرص على أنْ يكون خاليـاً مـن تهدُّجِه : مَنْ تكونون ؟ وها هنا وراءنا ماذا تفعلون ؟.

انبرى احدهم .. أوجوهَنا مليكُنا الأعظم قد نسيَ ؟.. فمن مُزارعـي مملكتك يا عظيمنا ابن إيناكلي نحن .. واذ وراءكم نقفُ فمن أجل أنْ جثمانَ المأسوف على حكمته الشيخُ ابن شيش معكم نحملُ .

.. أوجوهَكم نسيتُ ؟؟!.. أإلي بهذا الـسؤال تقـذفُ ؟!.. وهـل وجوهُكم من قَبلُ رأيتُها فإيّاها في هذه الساعة قد نسيتُ أكون ؟.

فردَّ مزارعٌ آخر : يا عظيمنا وجوهَنا أنتَ رأيتَ ورأيتَ من

قَبلُ .. وحتى أنَّك ليلةَ أمسِ على بيوتنا طِفتَ ، فإلينا تحدَّثتَ .

وهو جاثٍ ما برح .. يا أيها المزارعون ياصَحبَه أنتم .. أحقٌّ في قولة صاحبكم ؟. فتعالت أصواهم تؤكد لمليكهم بأنَّ كلَّ الحق في ما قاله صاحبهم .

عند ذاك نهض ليلَوم الملك ؛ واذ استوى واقفاً يواجه المزارعين أُولاء.. وجوهَكم رأيتُ اذن وأنا اليكم ليلةَ أمسِ أتحدّثُ .. ألا بـــراءٌ منكم أنا ومن قومٍ عن نصرة الحق يقعدون .. ألا بَراءٌ منكم أنا .. ألا بَراءٌ منكم أنا ، فعنّي وعن صحبي تولّون ؛ فما حييتُ وجـــوهَكم لا أرى.

فصاروا يتسابقون الى الحديث اليه يحاولون تبرير مـــواقفهم ؛ وكُلّهم يبتديء اذ يبتديء بـــ(يا مليكنا الأعظم).

رفع يده يُسكتُهم ، ثم انتهرهم : على أحدٍ منكم أو من قومٍ غيركم مَلكاً ماعدتُ .. منذ أنْ شيخي مِيسْلم ابن شَيش على عـــصاه إتّكأ وغضبانَ عنكم رحلَ مَلكاً على أحدٍ لم أُعد .. انا ليلَوم الحكـــيم ابن إيناكلي الحكيم ، كبيرُ قومي أنا ؛ وغير ذينكم لا أكون .. فلـــئن بمَنْ للحق إنتصرَ أخرجُ فبوجه الباطل أنقذفُ ، فإنما حكيماً منافحاً عن قولةٍ أخرجُ ، لا عن مُلْك يدومُ .. ألا فلتعلموا .

فنهض الرجل قصير القامة ضئيل البُنية من جثوته الى جانب الجسد المسجَّى ، فاإلى جانب ليلَوم ابن إيناكلي وقف واردف كأنَّـــه يستفيضُ في مااقتضبَ به ابن إيناكلي : .. فلا لا أبقى من مُلْـــك إلاّ قولةٌ لحكيمٍ تسودُ .. وها نحن أُولاء عن تينكم القولة نَذُود .

وضع ليلَوم الحكيم ذراعَه على كتفَي الرجل قصير القامة .. لا مملكةً بعد هذه الساعة ولا مَلِكاً بل قومٌ أنفسَهم يصونون فبها عن

الباطل ينأون . (وواصل ضئيلُ البنية يُكملُ ، فكأنَّهما هو وابن إيناكلي رجلٌ واحد توزَّع في بدنَين : .. ولن يفتَّ بأعضدنا أنّنا جميعاً سنُقتلُ ، فحياةٌ هي ، ميتةٌ من اجل قولةِ حكيمٍ تسودُ.

التقط المزارعون ماألقوا به الى الارض قبل قليل ، وانصرفوا ، بينما كانت الشمسُ تنفلتُ من قبضة الأُفق ، فينعكس ضوءُها على وجوه ليلَوم ابن إيناكلي وصحبه .. يا برَرَة سومر هيّا .. شيخَكم إحملوا والى المعبد به يمِّموا .

فلما بلغوا بالجثمان المعبدَ ، وكانوا يتناوبون على حمله ، وقف ابن إيناكلي وسطهم وذراعُه نحو حَجَر روح الاله آنْ تشيرُ .. هـذا الحَجَرَ هدّونه قبل أنْ شيخكم تدفنوا .. ساحرةٌ وأفّاكٌ إيّاه ابتـدعا ، فصنواً للدجلِ كان .. يوماً شيخكم ابن شيش إيّاه ما قصدَ قَطّ ، ولا إليهَ أُذنَه أذلَّ قَطّ ؛ وانما روحُه الى السماء كانت تشرئبُّ .. الى حيث بيت الاله آنْ هناك تشرئبُّ ، فإلى الاله الكبير روحُ شيخكم كانـت ترى ومن الاله الكبير كانت تسمعُ .. شيخُكم ابن شيش يوماً بالدَجل مارتضى ، فبعدَه بالدَجل لن نرتضي .. لا معبداً بعد هذه الساعة ولا حَجَراً لروح الاله يكون .. مَنْ من الناس شاءَ أنْ الاله آنْ يعبدَ ، ففي بيته هو يعبدُ وأينما به مطافٌ حَلَّ يعبدُ .. لا قرابين بعد هذه الـساعة تُنحرُ ولا أموالٌ لآلْ معبد تُنفَحُ ..(ثم جعل يُجملُ لصَحبه رؤياه).. لا مملكةً بعد هذه الساعة ولا ملكاً .. لا معبداً بعد هذه الساعة ولا آلْ معبد يابرَرَة سومر ، فلا إفكٌ ولاعُهرٌ يكون .. الاله الكبير آنْ الذي في السماء بيتُه هو ، خالقُ كل شيء والنواميسَ جميعاً واضعُها هـو ؛ وسعيدٌ من الناس مَنْ بالعَظَمة والجبروت للاله آنْ يقرُّ .. فإنْ بذينكم الأمر قد قرَّ ونفسَه صانَ فبها عن الباطل ناى وبها بالحقِّ التحقَ ، شأنُه

جَلَّ ومن إلهه الكبير آنْ قَرُبَ ، فعنه إلهه رضيَ وعيالِه ؛ فليست به الى معبد من حاجة ، إذ في اأُذنه قولةُ الاله تقعُ .. إينما حلَّ هو في أُذنــه قولةُ الاله الكبير آنْ خالقه تقعُ .

قال رجل من صَحبه وفي صوته خشوعٌ ، على الــرغم مــن الحماسة التي اكتنفتْ سؤاله : ياكبيرنا ايها الحكيم ابن إيناكلي أنتَ ؛ هل المعبد بأركانه وجدرانه هُدُّ ؟.

.. بل عليه نُبقي يا مَنْ الهه عنه رضيَ وعيالِه .. على المعبــد نُبقــي ؛ فاركانه وجدرانُه باقيةٌ هي إلاّ إسمه .. فيه شيخنا المُبجّل ميسْلِم ابــن شيش ندفنُ ، وباحتُه الفسيحةُ هذه عساها مَدفناً لي ولكم تكــون .. فإنْ هي إلاّ سويعات والامرُ يُقضى .. (وتوجه بالكلام الى شوكليتو).. ايها الرجل الأمين .. غيرُك على هذا الشأن لاأأتمنُ . شوكليتو مغرورقَ العينين كان ، اذ فجأهُ ليلَوم ابن إيناكلي بمخاطبته ، فــردَّ بــصوت متهدِّجِ : يا مَنْ لا عظيمَ سواه في سومر بأسرها ، ملكاً كنتَ أم حكيماً كبيرَ قومه ،.. أيُّ شان ذانكم الذي عليه غيري لاتأتمن ؟.

خطا ابن إيناكلي نحو شوكليتو وهو فاتحٌ ذراعَيــه .. علــى الشأن أُظهِرُك اذ بين ذراعيَّ تكون.. مني إدنُ يا شوكليتو وبين ذراعَي كُنْ . ثم اذا ماانتهى شوكليتو الى حيث شاء ليلَوم ابن إيناكلي ، قال له هذا بصوت عميق رزن وبلهجة واثقة : عينَ العلم أعلمُ أنها ثقيلةٌ تانكم الامانة التي بها اليك أعَهدُ .. انما عينَ العلمِ أعلَمُ أيضاً أنْ لــيس لهــا غيرك يا شوكليتو ، فثُقلُها لاعاتق له غير عاتقــك أيهــا الامــين .. (وصمتَ هنيهةً وهو يزمُّ على شفتَيه ، ثم واصَل) .. في منأىً عنا كُنْ يا صاحبي اذ نعتركُ ؛ فإنْ الى علمك انتهى أنَّ أمرنا قُضيَ ، بين الناسِ إسعَ وعليهم طُفْ فخبَرنا تُذيعُ .. كلَّ خبرنا بينهم تُذيعُ .. فلا فعــلاً

وقعَ تغفلُ ، ولا قولةً بها لسانٌ نطقَ تغفلُ ، فإيّاها جميعاً في قلوب الناس قبل آذاهم تضعُ .. ثم بين الناس إسعَ فقولتُكم أنْ ابن إيناكلي كبيركم كان هو وابنكم كان هو .. عن الحقِّ ذاد وصحبُه وعلى ذينكم الامر قَضوا ، فإيّاهم أكرموا والى جوار شيخكم مِيسْلِم ابن شيش إدفنوا ..

فانخرط شوكليتو يبكي ، وهوى على قدَمي ابــن إينـــاكلي يلثمهما ؛ ثم وهو على تينكم الحال رفع رأسه .. أأمينٌ يُجزى ووفيًّ بأنْ شَرَفاً يُسلَبَ ؟!.. الرجالُ هؤلاء بشرف المــوت معــك يرفلــون ، وشوكليتو بلا شرف حيّاً يتلبَّثُ ؟!.

كان ليلَوم ابن إيناكلي قد انحنى عليه باديء الامر ، ثم هاهو مقرفص أمامه انتهى يُمسكُ بوجهه بكلتا يديه . فما أنْ فرغ شوكليتو من قولته وهو ينشجُ ، طبعَ ابن إيناكلي قُبلةً على جبينه ثم أُخريين على عينَيه الدامعتَين .. إنهضْ فمن فَيضِ شَرَفِك أهلُ ومعي صَــحبي اولاء ينهلون .. يا شوكليتو ايها الامين أنتَ ؛ الى نفسك الموتَ لا تستعجلْ، فمقتولٌ أنتَ لابد .. مُلتحقٌ انت بنا لابد ؛ فذانك الخؤون إيّاك حيّــاً بعدنا لن يَذَر .. فلو معنا قُتلتَ ياصاحبي لخبرُنا ضاعَ فالعِبرةُ تبدَّدتْ .. كما أنَّ .. (وقطع حديثه وهو يُنهض من قرفصته وينهض شوكليتو معه .. ويبدو انه تنبَّه الى بوزو ابن سين متلبِّثاً امامه ما برح).. يا ابن سين أيها الوفيُّ أنتَ ؛ الى رجالك الذين أنفسهم صانوا طِرْ ، فاجمعهم مــن حيث انتشروا والينا بهم عُدْ .. فلا أحداً منهم الينا يَقدمُ حتى إيّاه تظهر على أننا أمام القصر ذينكم عن شرفنا سنذودُ .. بوجه الباطل انما هنا سنقذفُ ..

.. مُتِّعتَ بالفطنة يا كبيرنا الحكيم ، فالصوابَ رأيتَ اذ رأيتَ ؛ فرجالُنا نَزْرٌ عديدُهم ، في البطاح على تخوم مدينتكم وقُراها يَهِنون ان ألفــاً

ويزيد من أشدّاء جِرسونن يواجهون .. انما هنا وسط أهلــهم وأمــام موئل شرفِهم ظَهرٌ واحدٌ لهم يصيرُ .

.. هيا يا ابن سين .. اليهم طِرْ .. وبغير العالِمين بحتوفهم لا تعدْ .

ثم اذا هدّوا حَجَر روح الاله آنْ ودفنوا مِيسْلِم ابن شــيش وسط باحة المبنى الذي كان معبداً ، وانسلخ الضحى فدنا الظُهرُ منهم، عاد بوزو ابن سين اليهم ومعه من الثلاثمائة الذين اعتدَّ بهم رجالٌ نافَ عديدُهم على السبعين حَسْب .. البأسَ أبيتَ ياكبيرنا الحكيم .. أحدٌ غير هؤلاء معي ما أتى اذ بحتوفهم عَلِموا .. ثلاثمائة او ذينكم العديــدَ ناهزوا حين أنفسهم صانوا فأُعطياتِ ابن آينمر ما تلقّفــوا .. إلاّ أنَّ أحداً غير هؤلاء معي اليكم ما أتى اذ بحتوفٍ بهم تتربَّصُ عَلِموا .

فردَّ عليه ليلَوم ابن إيناكلي وهو يبتسمُ ، فكانتَ تانكم أوّل ابتسامة يراها شوكليتو على وجهه منذ ايام : أنتَ الذي البأسَ أبيتَ يا صاحبي .. رجلاً واحداً كنتُ أنتظرُ لا ثلاثمائة يا ابن سين .. يا ابــن سين لا ثلاثمائة من رجالك كنتُ أنتظرُ وانما رجلٌ واحدٌ عالِمٌ بحتــفٍ يتربَّص به ؛ ذانكمُ هو ما كنت أنتظرُ ، فاذا هم وراءك كُثُر يا ابن سين ياصاحبي أنتَ ، فالبأسَ أبيتَ وبرضاي مُتِّعتَ .. ألا أنَّ الرجال أُولاء الذين أمامي في رمشة العين هذه يقفون ، هم وحدهم مَنْ حياةً أُخرى غير هذي التي يعيشون رأوا ، فقلوبُهم بالسعادة أُترعتْ .. أجل يا ابن سين يا ايها الوفيُّ أنتَ ؛ فإذْ أنّنا عن الحق نذودُ فنقضي فإنما الى حيــاةٍ أسعدَ نمضي .. لو يعلمون !.

ثم رفع صوته يُسمعُ الجميع الذين احتوتهم باحةُ المبنى الــذي كان مَعبداً ، وقد ناهزَ عديدُهم المائةَ رجل ؛ وكلٌّ منهم برمحٍ ومدية مدجَّجٌ .. تانكم القولة قولتُكم يابرَرَة سومر ، فبقولتكم إصدَحوا : أنناً

إذْ عن الحق نذود فنقضي ، فإنما الى حياة أسعدَ نمضي .. بتينكم القولة إصدحوا .. بتينكم القولة إصدحوا .. بتينكم القولة إصدحوا .

ولّما طفقوا يرددون ما لسانه به نطقَ ، سحَّتْ على وجنَتيه دمعتان قبل أنْ يُعلي فيهم صوتَه ثانيةً : هذي الفسيحةُ أمامكم حول شيخكم مِيسْلِم ابن شيش تنبسطُ ، .. فكلٌّ قبرَه بيديه ليَحفرْ ؛ ثم بوجه الباطل معي ينقذفُ .. وها انا عليكم أتقدَّم فبيدَيَّ قبري أحفرُ .

ولسوف تنحفر قبورٌ عديدُها ناهزَ المائة ؛ ومن ثم يخرج أصحابها ، فأمام القصر يرابطون .. ذانكم القصر ، الذي كان مستقرّاً لَملكٍ وفيه بلاطُه ، أمسى رمزاً لشرف مدينة ليلَوم والقرى المتحالفة معَهاً لا أكثر ؛ ينافحون عن شرَفهم اذ عنه ينافحون . وعلى غير ما توقَّع ابن إيناكلي ، مرَّ يومان وبعضُ اليوم على مرابطتهم في موضع الواقعة حتى انتهى الى علمِه نبأٌ من الثغور . سويعاتٌ حَسْب كان يتوقع انها تفصلهم وصحبه عن مناطحة كاجينا ابن آينمر .. إلاّ أنَّ هذا لم يبلغ بأشدّاء جِرسونن الالف وسط مدينة ليلَوم حتى انسلخ يومان وبعض اليوم على مبارحتهم معبد الاله أنليل .

في وِهدة الزمن تينَكم ، اختلطتْ في هواء جِرسونن رائحةُ الخِصْب المنبعثة من معبد االاله أنليل برائحة أُخرى تُزكم الانوف ، ومَبعثُها ذانكم المعبد ايضا . فروائحُ ماء الرجال ومايفوح من بين أفخاذ نسائهم لم يُخطئها الناسُ ، فهي في مُجملها رائحةُ يوم الخِصْب لا ريب . إلاّ أنَّ التي لم يقطعوا فيها ، فكانت تانكم الرائحة التي ظلَّت تنبعثُ من المعبد فتزكُم أنوفَ البشر والدواب على السواء .. ظلَّت كذلكم حتى أطبقَ صبيحةَ أحد الايام على جِرسونن رجالٌ ، كما الجراد ، يشكّون رماحَهم ومِديهم في آنْ ؛ وعديدُهم قيل أنَّه يقلُّ

بالتمام عن الالفين بما يناهز الثلاثمائة ، يقودُهم رجلٌ يسمّونه أُوش ابن لوجال. لقد أطبقوا على جِرسونن بعد أيامٍ خمسة أعقبتْ يوم الخِصْب..

فاذا ماوطأتْ اقدامُهم ارض جِرسونن اندفع حشدُهم من فوره الى مَبعث الرائحة التي تُزكم الانوف ؛ فهشّموا البابَ الكبير للمعبد قبل ان يقتلعوا دِرفَتيه ، فأخرجوا آلْ المعبد ووصيفتها اذ ألفوهما لاطيتَين بحَجَرِ روح الاله أنليل ، ونَنْ دادا لّما تزل تتقيّأُ . وأمام المرأتين ، في ركن من أركان المعبد مُنزوٍ ، كان السَنجا وفتيانُه متهالكين الى الارض يلوذُ بعضهم ببعض وهم يرتعدون ، وعيونُهم الى اللاأين ترى.

كانت نَنْ دادا تتزيّا برداء آلْ المعبد ما بَرحتْ ؛ متطِّيبةً بِطيب يوم الخِصْب ما برحتْ ؛ وحول عُنقها عِقدُ الاحجار الملوَّنة يتدلى على جيدها المُقَّدس . على هذا فكل ماأقدمتْ عليه بعد وصول ابن لوجال برجاله ، أنّها غسلت وجهَها حَسْب من وعثاء ذينكم الايام الخمسة ؛ ثم احتضنت الرجلَ القائد وعلى خَدَّيه طبعتْ قُبلتين ، وأمرتْ أمارجي بأنْ تأتيها بزِقٍّ الخمر الذي تحتفظ به . فلمّا صار الزِقُّ بين يدَيها قالت لأُوش ابن لوجال : هو لكَ منذ في الشجرة كَرْمُه كان . ثم سعى السَنجا وفتيانُه في طُرقات جِرسونن ينادون في الناس يدعونهم الى قصر المَلِك .

وخلل ساعة لا أكثر احتشدَ بلاط الملك بوجهاء المدينة وانفتح بابُ كوشاشْكِر على مصراعَيه ، فاذا بأهل جِرسونن بقَضِّهم وقضيضهم خارج البلاط يتدافعون بالمناكب تزلّفاً الى فتحة باب البلاط حيث على الأمر يُظهَرون .

إعتلتْ نَنْ دادا الدكَّة المتَّسعة التي يرتفع عليها عرش الملك

بالدِرْجات الخمس الموصِلة الى كرسيِّه ، وأُوقفتْ أُوش ابن لوجال الى يمينها . ثم لم تلبث ، وسيماءُ الوقار تنسدلُ على وجهها، إنْ رفعتْ صوتَها في الحَشْد .. ياأهل جِرسونن ويا مَنْ من جُرف البحر العظيم حضورُه بيننا اتفق .. إنْ هي إلاّ نُعمى الاله القدير أنليل على غيركم بها لا ينعِم .. اليه توسَّلتُ مُذْ لمعبده المقدس آلْ غدوتُ أنْ بهذه النُعمى عليكم يَسبغُ .. فالعِرفان له اذ تضرُّعاتي لبّى فإليكم بعثَ بمَنْ خلاصكم بيده وضعَ .. أجل ياأهل جِرسونن أنتم .. اجل ياأهل قرى جُرف البحر العظيم أنتم .. إلهكم القدير تضرُّعاتي لبّى فبالقائد العظيم أُوش ابن لوجال اليكم بَعثَ ..(وأرختْ ذراعَها على كتفَي ابن لوجال).. من ذينكم الذي لاأبَ له إيّاكم ينقذُ ؛ فإيّاكم أنقذَ ، فهو عليكم من رمشة العين هذه عاملٌ بأمرِ الملك العظيم كاجينا ابن آينمر، يأمرُ فيُطاعُ. أمّا ملككم العظيم كاجينا ابن آينمر فتحتَ جُنحَي إلهَين هو :تحت جُنح الاله القدير أنليل وجُنح أبيه الاله الكبير آنْ الذي بيتُه في السماء هو ؛ وتعيسُ حظِّ ابنُ تعيس حظٍّ مَنْ إيّاه بالسوء مسَّ او مملكته الهانئة به .. ألا فاعلموا . ثم أشارت الى ابن لوجال أنْ يرتقي الدِرْجات الخمسَ ويقتعد كرسيَّ العرش . فلمّا فعل هذا ماأشارتْ به ، فغدا بائناً لكل مَنْ في البلاط وخارجه ، ارتفع صوتٌ أجشَّ جهورٌ مُرعدٌ من عند باب البلاط . أيتها المقدَّسة نَنْ دادا الجميلة أنتِ ، مليكُنا الجديد بماذا إيّاه نُسمِّي ؟.

فصرخت نَنْ دادا تُسمعُ السائل جوابَها : بأوش ابن لوجال إيّاه سَمِّ ياكوشاشْكِر ايها الحاجب أنتَ ؛ إلاّ انه ليس المَلك وانما عاملٌ بأمرِ الملك هو .

عند ذاك هتف كوشاشْكِر ، وصوتُه يبثُّ الرِعدَة في فرائص

سامعيه ، يتضرَّع الى الإلهَين آنْ وابنه أنليل معاً أنْ يطيلا بعمر هـــذا الرجل الذي إسمُه أُوش ابن لوجال سواءً ملكاً كان او عاملاً بأمر الملك كان .

ثم يضيف شوكليتو بأنَّ الذي هوَّن عليه كلَّ فجائعه هـــو أنَّ ابن آينمر ، بحُرّاس مملكته الذين إقتربَ عديدُهم كثيراً مـــن الثلاثـــة آلاف رجل ، لم يعثر على أثرٍ لأيٍّ من الفتيان الاربعة : لا لوسين ابن لولو ولا أُوردلا ابن سُرار ولا نمخاني ابن إيلوتي ولا ولده أُوبار .. لا على رابيتهم المعشوشبة ولا على أية رابية في حدود الأُفقين . لابدَّ انهم الى رابيةٍ أُخرى ارتحلوا ؛ كذلكم شوكليتو يؤكِّد ، كما أكَّد آخرون بعد مقتلِه أنَّ أثرَهم ظلَّ عصيّاً على ابن آينمر .

وعلى الرغم من ذلك ، صارَ الدولابُ دواليبَ وكُلُّها تحـــت أجفاني تلفُّ وتلفُّ . ولكلٍّ منها ركيزتان معدنيتان نهايتاهما المـــدبَّبتان تنغرزان في الارض ، ففي سقوف مُدنِ الزمن تنفذُ ؛ فتحارُ عينـــاي ، وأنا أتقيّأ هواءً اذ إتقيّأُ ، بأيِّ ركيزةٍ من تلك الركائز تتشبَّثُ .

بغداد في
٢٠١٠/١١/٤

